كتاب

شرح المقامات الحريرية

الجزء الأول

تأليف

أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي الشريشي

Abu Al-Abbas Ahmed Bin Abdel-Mo'men Al-Qaisi Al-Sharishi

(فهرسة الجزء الاول من شرح المقامات الحريرية للامام الشريشى)

صحيفة

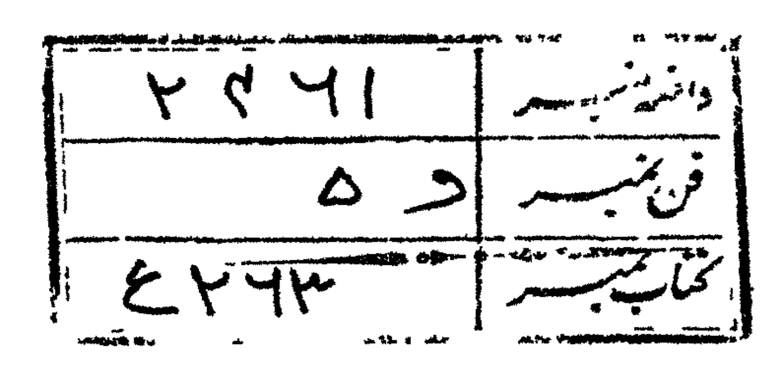
صحيفة

صحيفة

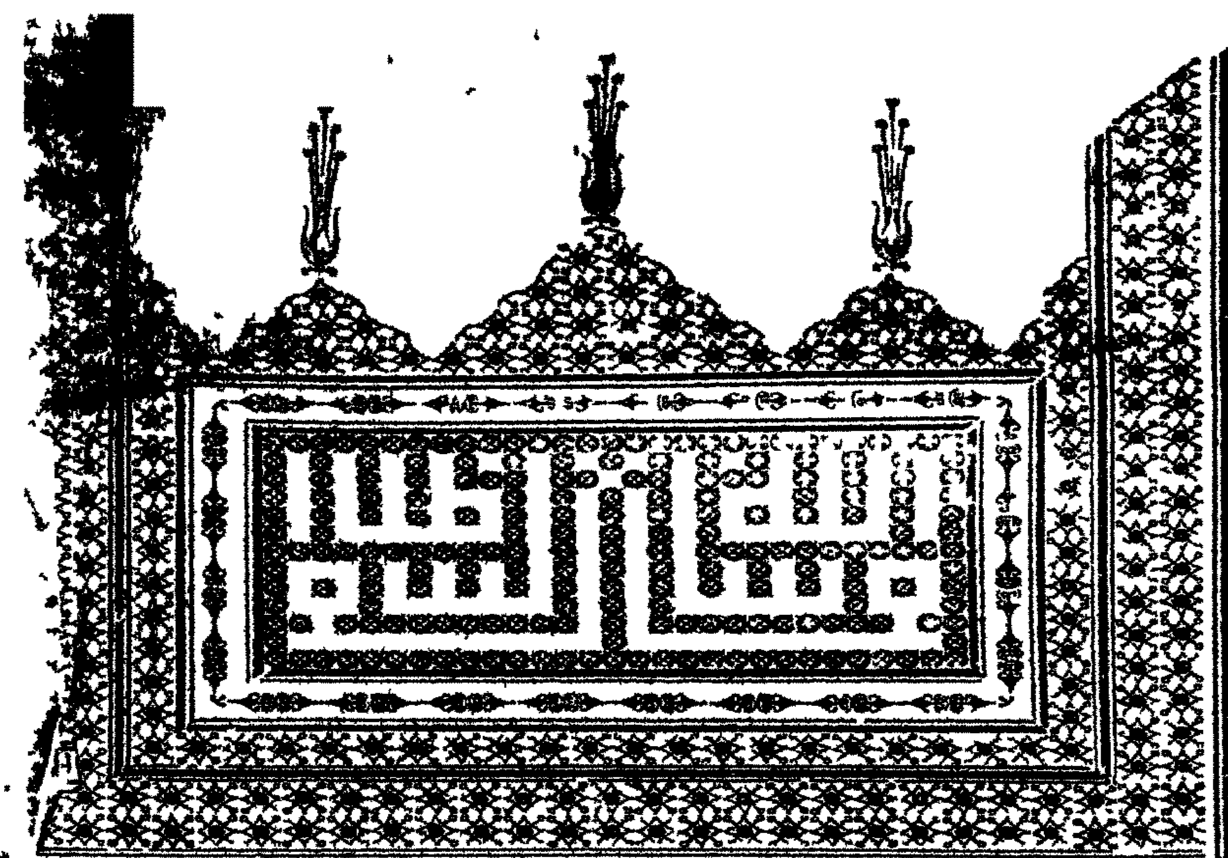
(تمت)

(الجزء الاول)
من شرح المقامات الحريريه
للامام أبى العباس أحمد بن
عبد المؤمن القيسى
الشريشى رحمه
الله تعالى
آمين

(وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له)



(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الكبرى الميرية العامرة ببولاق مصر القاهرة)
سنة ١٣٠٠ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الاستاذ اللغوى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه بمنه وكرمه آمين (الحمد لله) الذى اختص هذه الامة بافصح الالسنة وأفسح الأذهان وشرف علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان وميزها بين سائر الامم بالنثر المتفق الفقر والنظم المعتدل الاوزان نحمده على أفئدة هداها وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها ونصلى على سيد المرسلين وخيرة العالمين الذى ختمت بنبوته العامة النبوة ونسخت بشريعته التامة الكتب المتلوة محمد سيد هذا العالم والمخصوص بعلو المكانة وعموم الديانة فى ولد آدم وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ووقروه وآووه اولياء الموفين بالعهود ونصروه ونقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ونسلم تسليما وآتاهم من لدنه رحمة وأجرا عظيما ورضى الله عن الامام المعصوم المهدى المعلوم مجدد معالم الديانة والملىء بأداء الامانة والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى والتالين له فى شرف ذلك المدى والقائمين بأعباء أمره الموعود أنه يبقى أبدا ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ابن الخلفاء الائمة الراشدين سعدا يعلى أعلامه ونصرا يصحب قلمه وحسامه وتأييدا يظهر أمره وينصر اعتزامه حتى ينتظم شذان الامصار فى سلك ملكه وتزدحم وفود الامم على غمر بره وتنطوى ضمائر القلوب ومخبآت الغيوب على اخلاص طاعته والانتهاء لامره (أما بعد) فان العلم أربح المكاسب وأرجح المناصب وأرفع المراتب وأنصع المناقب وحرفة أهل الهمم من الامم ونحلة أهل الشرف من السلف لم يتقلد سلكه الا جيد ماجد

ولم يستحق اسمه الا الواحد الفذ بعد الواحد ... برده الاعطف جادّ فى طلب الكمال جاهد
وبهروان تشعبت أفانينه وتنوعت دواوينه فعلم الادب علمه والاس الذى يبنى عليه كلمه
والروح الذى يخب فى ميدان الطروس قلمه ولذلك كان أولى ماتقترحه القرائح وأعلى ماتجنح
اليه الجوانح فذووا الاخطار فى سائر الاقطار يتنافسون فى اقتنائه ويتصافنون فى عناق
أنبائه ... ويستمرعون الى أعشابه المكدودة وتكالبقه فانه
زمام المنظوم والمنثور وقوام نطق الالسنة وفكر الصدور ومنشط المقال من عقال الفهاهة
وعز ... بالنهاية والنباهة ولم يزل فى كل عصر من حلته بدر طالع وزهر غصن يانع وعلم
... أبصار وتومئ اليه أصابع وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل وتنويع البديع
ينضبط ويتحصل والاخر يكد ذهنه فى تتميم ماغادره الاول الى أن اعتدلت كفتاه وامتلأت
... فتاه وراق مجتلاه ومجتناه وتناهى فى الحسن والاحسان لفظه ومعناه وكان آخر البلغاء
... الادباء أولهم بالاستحقاق وأولاهم بسمة السباق والفذ الذى قد عقمت عن توأمه فتية
... وفارس ميدان البراعة ومالك زمام القرطاس واليراعة والملبى عند استدعاء درر
... بالسمع والطاعة أبو محمد القاسم بن على الحريرى سقى الله ثراه صوب رحماه وكافأ
... انه فى الثناء عليه بحسناه فبسط لسان الاحسان ومد أفنان الافتنان ومهد جادة
... جادة وقوى مادة الافادة ولم يبق فى البلاغة متعقبا ولا للزيادة مترقبا لاسيما فى المقامات
التى ابتدعها والحكايات التى نوعها وفرعها والملح التى وشحها بدرر الفقر ورصعها فانه برز
... سابقا وبز البلغاء فائقا وأتى بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق مطابقا وخلدها تاجا على هامة
الادب وتقصارا فى جيد لغة العرب وروضة تحوم نفوس المطامع عليها ولا تصل أيدى
... طامع اليها ولما كانت من البراعة بهذا المحل الشهير وسارت مسير النيرين بين مشاهير الجماهير
جعلت الاعتناء بها سهم فهمى والعكوف عليها حزم عزمى والدؤب فى ضبط لغاتها وفك
... اتها أتم همى وصيرت تحفظها فرض عينى والفكر الذى لا يحول وسنى بينه وبينى
بدأت بروايتها عن الشيوخ الثقات وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات حتى لا أنقل
لفظا الا عن تحقيق ولا أثبت ضبطا الا من طريق فكان أول من أخذت عنه روايتها
وتلقيت منه درايتها ببلدى الشيخ الفقيه المقرى أبو بكر بن أزهر الحجرى حدثنى بها عن صهره
الفقيه المحدث الراوية أبى القاسم بن عبد ربه القيسى المعروف بابن جهور عن منشئها أبى محمد
الحريرى وحدثنى بها أيضا ببلدى الشيخ الفقيه الراوية عن صهره الفقيه المحدث الراوية
أبو بكر بن مالك الفهرى عن ابن جهور المذكور وعن الشيخ الفقيه أبى الحجاج الابدى القضاعى
كلاهما عن أبى محمد الحريرى وحدثنى بها أيضا اجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد
عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجرى عن القضاعى وحدثنى بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين
ابن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن ابراهيم بن طاهر بن بركات القرشى المعروف بالخشوعى
عن الحريرى وحدثنى بها أيضا الشيخ الفقيه الاستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى
بسنده بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لى بتكميله وتلقيت بها جماعة من جلة
الاشياخ أكثر فى العدد ممن ذكرت لا يعدمنى واحد منهم افادة ضبطية أو لفظية ولا يفقدنى

زيادة هزلية أو وعظية فأخذتها أخذ متثبت عن واع منكت ثم لم أدع كتابا ألف في شرح ألفاظها وإيضاح أغراضها وتبيين الانصاف بين انفصالها واعتراضها الا أوعيته تطرا وحققته معتبرا ومختبرا وترددت في تفهمه وردا وصدرا وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا حتى أتيت على جميع ما انتهى اليه وسعي ممن فسرها واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ولم أترك في كتاب منها فائدة الا استخرجتها ولا فريدة الا استدرجتها ولا نكتة الا علقتها ولا غريبة الا استلحقتها ولا غادرت في موضع منها مستحسنا يشذ عن بحي ولا مستجادا ينبو عنه بصري أو سمعي فاجتمع من ذلك حفظا وخطا أعلاق جمة وفوائد لم تهم بها قبلي همة ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الامصار وعلماء هذه الاعصار فباحثت وناقشت وتأولت وتداولت وطالبت المتحفظ بالاداء والمستقط بالابداء حتى لم أبق في قادحة زندا الا اقتدحته ولا مقفلا الا افتتحته فتحصل لي من ذلك أيضا عيون صائبة النواظر وفنون قلما توجد في خبآت الدفاتر وأنا في خلال ذ
ألتمس مزيدا ولا أسأم بحثا وتقييدا الى أن عثرت على شرح الفنجديهي للمقا
والفنجديهي هو الشيخ الحافظ أبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي من قرية فنجد
من عمل خراسان فرأيت في شرحه الغاية المطلوبة والبغية المرغوبة والضالة التي كانت على
هذا الاوان مطوية محجوبة فاستأنفت النظر ثانيا وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلا ولا وا
وعاينت نور المعنى في نور اللفظ فأصبحت مجتليا جانيا فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب وقيد
من فوائده ما لم أجد قبله في كتاب وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها وآثارا مرفوعة قيد
تليق بالباب الذي أوردت فيه وتورد محصحة اما الالفاظه واما لمعانيه وحذفت أسانيدها وا
كان قد أوردها تخفيفا عمن يريد المتن ويبتغيه فتم لي بهذا الغرض استيفاء مقاصد
واستيعاب فوائده وتركته مستلب المعاني مطروق المغاني كالروض ركدت ريحه والجسد
قبض روحه فانضاف من فوائده هذا التأليف البديع الى الفوائد الملتقطة من الالسنة
والمأخوذة من التصانيف المستحسنة روض كله زهر وسلك كله درر وأدب ان لم يجمع
التصنيف فهو بعد عين أثر فاستخرت الله تعالى في ضم ما انتشر من فوائدها ونظم ما انتثر
فرائدها والاعتناء بتأليف في المقامات يغني عن كل شرح تقدم فيها ولا يحوج الى سواه في لفظ
من ألفاظها ولا معنى من معانيها فتم من ذلك مجموع جامع وموضوع بارع أودعته من اللغات
أصحها وأوضحها وأسلسها اقتيادا للفظ وأسمحها وأولاها بالصواب في مظان الاختلاف وأرجحها
ونسبت المشكل منها الى قائله من جهابذة العلماء وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الاسماء
وسبكت العبارة عن المعاني سبكا يدل على الالقاء والاصغاء وهذا الفصل وان سبقني اليه من
تقدمني من الشارحين قبلي فلي فيه مزية ايراد اللفظ البعيد عن الاشكال والمطابقة بين الاقوال
وأرباب الاقوال ثم زدت في فوائد هذا التأليف التعريف بالامصار المذكورة في المقامات
على أوفى ما يمكنني من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها ومن عقد صلحها أو تولى فتحها
وهذه فوائد لا يخفى مكانها ولا ينكر استحسانها فالحاجة الى التعريف بالمكان تتلو الحاجة
الى غوامض اللسان ثم استوعبت شرح الامثال ونسبتها جمعا بين القائلين والاقوال ولم أغفل

منها

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان

منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال وهذا الفن لم يتتبعه أحد على الكمال وان ذكره فانما يذكره استطرادا بحسب الحال ثم استوفيت أيضا ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء وعرّفت المشتهرين من الآباء والابناء وبينت أنسابهم وأمكنتهم وأخبارهم وحرفتهم وآثارهم ومدّتهم زيادة في التهيم والاعتناء وهذا الفن أيضا لم يورده الشارحون حق ايراده ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده وهو مهم في الافادة وعلى مغفل في الوقت وبعده الاعادة ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ولا من قصد قصدهما سوى أبي سعيد الفنجديهي في بعض المواضع فانه ألم وألمع وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع أحدهما تبيين مأخذ الحريري في الكلام واخراج الاحالات المودعة فيه من حيز الابهام والرد الى المنشا في آية أو أثر أو خطبة أو خبر أو حكمة فائقة أو لفظة رائقة أو بيت نادر أو مثل سائر وهذا تتميم بين وتكميل متعين والفصل الثاني التنبيه على صناعة البديع وتوفية أسمائه كالتجنيس والتتميم والترصيع والاتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع وبسط أنواع الادب وافتنانه والاكثار من الشعر في مظانه من الجد والهزل في المواضع اللائقة باستحسانه ومقابلة كل باب بما يزيد في تنويره وبيانه والجري مع أبي محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه فمن تمام التصنيف رد الفرع الى أصله والجمع في الترتيب بين الشكل وشكله فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثرا في القلوب وأردفت المسليات بما يعينها في اجلاء الكروب وسلكت هذه المسالك في سائر الاساليب وأنواع الضروب فان وجد في هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل أو معنى ينسب فيه الى العذل من وصف نور وثمر وذكر نديم وخمر أو نعت حسن وحسن أو مدح سماع وأذن فلان أبا محمد بدأ بأمر فتمم وخص نوعا فعمم مع أن صنعة الادب مبنية على الملح وخواطر الادباء جانشة عاسح فما من هذا الترتيب الغريب ما يضرب في الاجادة بسهم مصيب وينبت لي في الجد والادب أوفى نصيب ثم رأيت الشارحين لها من أولي البصر كالفنجديهي وابن ظفر قد جردوا من شروحهم مختصرات وجيزة اقتصروا فيها على ايراد اللغات فحذوت حذوهم في مختصر أوردتها فيه على الكمال ووفيتها حقها من رفع الغلط وكشف الاشكال ولم أخل في تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الاحوال فجاء غاية في هذا الباب مغنيا في اللغات الغريبة عن كل كتاب فان فاته هذا الاصل بضروب من الافادات وأنواع من الزيادات فلذلك الفرع شفوف الاستيعاب في اللغات ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات وكل ذلك بلطف الله تعالى وبسعد من شرفت كتابي بخدمته وبنيت تأليفي على أداء شكر نعمته ونصبت نفسي لأقف ببابه الاعلى وأتزين بلثم تربته فأنا العبد وهو المولى عماد الانام والظل الممدود على المسلمين والاسلام ونعمة الله التي هي من أفضل النعم الجسام منفق سوق المعارف ومفجر بحور المنن والعوارف المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة والمخاوف سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن امام الائمة الراشدين وولي عهده سيدنا الامير الاجل أبو يعقوب أيد الله سلطانهم وأبد بيضهم وحزبهم وجمع القلوب على الانقياد لهم والوجوه على التوجه قبلهم وهذا الكتاب وان كان المعبر عن حسنه والغاية الملتمسة في فنه والجامع لما افترق في سواه والمبرز بما رشحه من الزيادات وحلاه فانه لم يتم

جماله ولا استوفى احتواؤه على الفوائد واشتماله الا ببركة مولانا الخليفة واقتران اسمه الكريم باسم ولى عهده المستحق للتقديم فى هذه الصحيفة فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم والمعونة على شكر نعمتهم والتعرض لخيرى الدنيا والآخرة فى ظل حرمتهم وقد بذلت فى الخدمة جهدى وأبرزت من فوائده هذا التأليف أنفس ما عندى ... قياما بكل الواجب ولا وفاء بجميع الحق الراتب فالقول يقصر عن التحصيل وليس ... الطود ومكاثرة اليم من سبيل وقد كنت حين أتممت هذا التأليف وألقيت عن كاهلى الأعباء التى له والتكليف وجلوته كالحسناء ألقت فى المنصة النصيف كثرت خطابه الحى من البلدان وتواردت عليه رغبات الاستفادة والاستحسان فقلت حتى يتشرف بلثم اليمين العليا ويختص بقبول امام الدين والدنيا عن بابه الاسمى يلتقط درر المنظوم وببركاته يسطع مسك العبيق المختوم وها أنا أشرع ببركة الله وبركة خليفته المبارك الاهدى وبخله المتقلبة صفة وعهدا فى شرح الخطبة كلمة كلمة وايضاحها حتى لا أدع لفظة مبهمة ثم أشرح المقامات على الولاء وأسلك الجمع بين الايجاز والاستيفاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم أفضل التسليم

(شرح الصدر)

(اللهم انا نحمدك) اللهم اسم خصصته الميم المشددة فى آخره بنداء البارى سبحانه والتزم معه حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفا عنه ولحل اللام فى أوله لانه لا يلى حرف النداء لام التعريف الا فى قولهم يا الله لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلى وهى همزة اله فصارت كالاصلى وفى غير هذا الاسم تجرد اللام للزيادة فى أول الاسم ويا زائدة فى أوله كذلك وهما جميعا لتخصيص الاسم وازالة شياع التنكير عنه فلما تقاربا فى المعنى وتشابها فى الزيادة وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ترك استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم الا فى ضرورة الشاعر لاقامة الوزن وأما اللام فى قولهم يا الله فلما كانت نائبة عن حرف أصلى خفيت زيادتها فلما زادوا الميم فى آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة فامتنعت يا من أوله الا عند الضرورة كامتناعها فى الرجل والغلام فلما كانت الميم هى الموجبة لمنع يا حل الاسم معها معنى يا فصار مختصا بالنداء ممتنعا من غيره ونحمدك معناه نثنى عليك بأتم وجوه الثناء كلها فيدخل تحته الشكر والشكر ثناء يقابل به معروف وفى الحديث الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة والشكر ذكره بما له من أفعال جزيلة من قولهم دابة شكور اذا ظهر بها من السمن فوق ما تأكل من العلف ويقال أشكر من بروقة وهى شجرة معروفة تخضب بأدنى مطر ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذم والشكر فى مقابلة الكفر فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما (البيان) وضوح المعنى وظهوره و (التبيان) تفهم المعنى وتبيينه والبيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك مثل التبيين تقول بينت الشئ لغيرى بيانا وتبينته أنا تبيانا وقد يقع التبيان بمعنى البيان حكى أبو منصور الازهرى رحمه الله بينت الشئ تبيينا وتبيانا قال تعالى تبيانا لكل شئ أى بين لك فيه كل ما تحتاج اليه أنت وأمتك من أمر الدين فهو لفظ عام أريد به الخاص وقد يقع البيان لكثرة الكلام وبعد

ملك من النفاق قال النبي صلى الله عليه وسلم الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق خرّجه الترمذي وقال العي قلة الكلام والبذاء الفحش والبيان كثرة الكلام (ألهمت) نبهت عليه وفهمته و (أسبغت) أتممت وكثرت و (أسبلت) أطلت و (الغطاء) أراد به ستر الله على عبده (نعوذ) أي نستجير (شرة) حدّة و (اللسن) حدّة اللسان وادلاله على الكلام (فضول) زوائد (الهذر) اكثار الكلام بغير فائدة (معرّة) شدّة وصعوبة والمعرّة العيب والعار وقيل هي كل ما يؤذيك وفلان يعرّ قومه أي يدخل عليهم مكروها يلطخهم به وأصله من العرّة وهي الفعلة القبيحة أو من العرّ وهو الجرب و (اللكن) احتباس اللسان عند الكلام (فضوح) شهرة وفضيحة (الحصر) العي وحصر حصرا اذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره واستعاذ من شرة اللسن لانه من اقتدر على الكلام أداه الى المطاولة في الجدل وتصوير الباطل في صورة الحق وفيه اثم على فاعله وأصل الشرة القلق والانتشار ومنه الشر وقد شرّ يشرّ ومنه شرر النار ثم استعاذ من ضدّها وهي المعرّة لانّ صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن بها الحصر لانّ من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح ويشتهر عيبه وهذا الفن من الكلام يسمى في صنعة البديع المقابلة وأول من تدرّبه كتابا عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البيان فقال اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر وقديما تعوّذوا بالله من شرّهما ورغبوا اليه في السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

أعذني رب من حصر وعيّ * ومن نفس أعالجها علاجا

(وقال محمد بن علقمة)*

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب

صموتا في المحافل غير عيّ * جديرا حين ينطق بالصواب

ثم استرسل في ذكر العي والبيان الى غاية بعيدة واستشهد على النوعين بآيتين بقوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد وفي الضد بقوله تعالى أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فاحتذى الحريري هذا الحذو وجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ وبيان المقابلة في كلامه أنه قابل شرة بمعرة واللسن باللكن والهذر بالحصر فاذا تفهمت مواقعها في كلامه قست عليها ما يشبهها في النظم والنثر وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة فقال هي أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض في المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف وأنشد في ذلك

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفيّ ومطوي على الغش غادر

فجعل بازاء ناصح وفيّ غاشا غادرا ومثله

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

(نستكفي) معناه نسأل ونطلب منك أن تكفينا (الافتتان) وذلك ان يصاب بفتنة الاعجاب وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار وقال تعالى في الاختبار وفتناك فتونا أي اختبرناك والفتين

كما نحمدك على ما أسبغ
من العطاء وأسبلت
الغطاء ونعوذ بك من ش
اللسن وفضول الهذ
نعو
وفض

الفضة المحرقة والفتين أيضا الحجارة المحرقة وهي الحجارة يدلك بها الاقدام في الحمام و (الاطراء) الاسترسال في مدح الانسان بحضره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله (اغضاء) تجاوز ومسامحة وأصله أن يبدو لك الشيء فتسد في جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره والاغضاء الاغماض وأغضيت عنه وأغمضت اذا تغافلت عنه (المسامح) الموافق لغرضك المتجاوز عن عيبك (الانتصاب) الظهور والاعتراض امام الشيء (ازراء) تقصير وتنقيص (القادح) العائب وقدحت الدود في الاسنان والشجر أكلتها فكان فعل هذا العائب في أعراض الناس فعل الدود في الشجر والقادح أيضا الذي يضرب الزناد بالحجر لتورى (هتك) شق وهتكت الستر خرقته (الفاضح) الذي يشهر عيوبك وفضحت الشيء كشفته (نستغفرك) نسألك المغفرة وهي من غفرت الشيء سترته (الشبهات) جمع شبهة وهي ما يشتبه عليك أمره و (الخطوات) جمع خطوة وهي ما بين القدمين (الخطط) جمع خطة وهي الطريق يخطه الرجل في الارض يجعله حد الشيء يحوزه ويعتمده والخطة بالضم المنزلة والمزية و (الخطيآت) الذنوب وهي من الخطا وجعل ماساقه في المقامات كانه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه هل في ذلك رضا الله أم سخطه فكانه ساق شهوة الى سوق يجهل التبايع فيها فلعله فيها خاسر الصفقة فلهذا استغفر الله منها (الرشد) الهداية ورشده الله رشدا وأرشده هداه ورشد هو رشدا ورشادا اهتدى (متحليا) متصفا ومتزينا (مؤيدا) معانا وأصاب في كلامه اصابة اذا نطق بالصواب ورمى فاصاب لم يخطئ وقوله تعالى رخاء حيث أصاب أي حيث أراد قال الفراء اختلفت أنا وعيسى النحوي في الآية فقلت ما أحد أعلم بهذه من رؤبة قال فسرنا اليه فلقيناه يتوكأ على اثنين فقال أين تصيبان أي أين تريدان فقلت لصاحبي كفيت السؤال (ذائدة) دافعة (الزيغ) الميل وزاغ عن الحق مال عنه الى الباطل (العزيمة) الجد وعزم على الشيء جد فيه (قاهرة) غالبة و (هوى النفس) ما تحبه وتميل اليه (بصيرة) يقينا والبصيرة للقلب والبصر للعين (عرفان القدر) أي معرفة أقدارنا (الدراية) مصدر دريت الشيء دراية ودريا علمته (تعضدنا) تقوينا وعضده أعانه وكان له عضدا (الابانة) مصدر أبنت الشيء أي بينته (تعصمنا من الغواية) أي تمنعنا من الضلالة والفساد والغواية مصدر غوى غيا وغواية وغوى أيضا غواية وهما ضد رشد رشدا (الرواية) نقل الحديث من صاحبه الى طالبه (تصرفنا) تزيلنا (السفاهة) الجهل و (الفكاهة) المزاح وما تستريح به النفوس وهي في الكلام كالفاكهة في الطعام (حصائد الالسنة) شر كلامها وقطعها في أعراض الناس وأراد ما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله انا لنؤاخذ بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ هل يكب الناس في النار على رؤسهم الا حصائد ألسنتهم فدعا الله أن يتم سعله بأن يؤمنه عادية الالسنة والحصائد في الاصل جمع حصيدة وهي الحزمة من الزرع المحصودة فهي فعيلة بمعنى مفعولة والحصيد الشيء المحصود (تكفي) تمنع (غوائل) قواتل ومهلكات واحدها غائلة وغالته المنية أهلكته (الزخرفة) تزيين الباطل وأصلها تزيين الشيء بالزخرف وهو الذهب (نرد) نقصد (موردمأثمة) موضع اثم والمورد أصله الموضع يشرب منه الماء (مندمة) ندم (نرهق) نتهم ونعاب والرهق العيب و (تبعة) خطيئة يتبعه ضرها بعد الموت (معتبة) سخط

باطراء المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات الى خطط الخطيآت ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرده مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة

وهى من العتاب وهو تقبيح القول على جهة الاشفاق وأصله من عتبت الاديم أى رددته الى الدباغ ليصلح ومنه انما يعاتب الاديم ذو البشرة و يقال عتب على فى كذا عتبا فأعتبته أى رجعت الى ما يريد وأرضيته وياء تبعة وتاء معتبة يكسران و يفتحان (نلجأ) نخرج (معذرة) اعتذار (بادرة) سقطة وزلة وقد بدرت الكلمة والفعلة خرجت من غير أن يدبر موقعها وفلان تخشى بوادره أى فلتاته (المنية) ما يتمنى و (البغية) ما يطلب (أنلنا) أعطنا (تغضنا) تكشفنا (ظلك السابغ) سترك المديد وأصل الظل الستر والموضع الذى لا تبلغه الشمس وفى الحديث ضحا ظله أى عدم فانكشف موضعه للشمس (مضغة) لقمة وكل ما يمضغ لقمة و (الماضغ) هنا العائب الآكل اعراض الناس وجعل العرض حين يعيبه مضغة له قال النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت باقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون فى أعراضهم (المسئلة) الحاجة والفقر (بخعنا) أقررنا و بخع له بحقه أقر به و بخع نفسه قتلها غيظا ومنه فلعلك باخع نفسك فالمتعدية بالباء غير المتعدية بنفسها (الاستكانة) الخضوع (والمسكنة) الفقر والذلة (استنزلنا) طلبنا أن تنزل علينا والاستنزال السؤال بتلطف و (الجم) الكثير (منك) احسانك (عم) شمل (ضراعة) ذلة (البضاعة) المال يتجر به (الامل) الرجاء يقول تجارتنا التى يحصل بها منك واحسانك رجاؤنا وتوكلنا عليك (الوسل) التقرب (البشر) الخلق وهو فى الاصل جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وسموا بشرا لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان (الشفيع) الطالب لغيره و (المشفع) الذى أعطى الشفاعة قال النبى صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة و بين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين (المحشر) موضع اجتماع الناس يوم القيامة والمحشر أيضا الحشر وهو الاشبه باليوم (ختمت) جعلته خاتمهم أى آخرهم (درجته) منزلته (عليين) أعلى الجنة وكأنه جمع علية (المبين) المبين (رسول كريم) قيل هو جبريل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (مكين) رفيع المنزلة (ثم) معناه هنالك قال الزجاجى هى اشارة الى ما كان متراخيا من الاماكن والاشهر أن المراد به فى الآية جبريل ولذا رجع الحريرى آخرا فأزال الآية من كتابه واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وليس رجوعه عن القول الضعيف الى المشهور بعيب بل هو حسن اذ كان الرجوع عن الخطا الى الصواب واجبا الا أن الثابت عند ابن جمهور انه لقول رسول كريم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن (ذى قوة) لانه قلع باحد جناحيه أربع مدائن لقوم لوط وهى سدوم وداموراوصابورا وعمورا فى كل مدينة مائة ألف انسان سوى ما فيها من الدواب والانعام (آله) أى أهله وأصله أأل فابدلت الهمزة ألفا وأكثر ما تضاف الى الظاهر وقد سمع اضافتها الى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح خلافا لابى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى فانهما منعا من اضافتها الى المضمر وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء أهل وصوابه انها أصل فى بابها من آل يؤل اذا رجع لانهم يرجعون اليه ويرجع اليهم (الهادين) المرشدين الى طريق الخير وقد هديته الطريق اذا أرشدته (شادوا) رفعوا وبنوا (هديه وهديهم) طريقته وطريقتهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم

ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية
وأنلنا هذه البغية ولا تغضنا
عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا
اليك يد المسئلة وبخعنا
بالاستكانة لك والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم ومنك
الذى عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل
بمحمد سيد البشر والشفيع
المشفع فى المحشر الذى ختمت
به النبيين وأعليت درجته
فى عليين ووصفته فى كتابك
المبين فقلت وأنت أصدق
القائلين انه لقول رسول
كريم ذى قوة عند ذى العرش
مكين مطاع ثم أمين اللهم
فصل عليه وعلى آله الهادين
وأصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم
متبعين وانفعنا بمحبته
ومحبتهم أجمعين انك على
كل شئ قدير

علينا البصرة فوقف يوما فى مسجد بنى حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضرا
والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته وذكر أسر الروم ابنه
كما ذكرنا فى المقامة الحرامية وهى الثامنة والاربعون قال فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة
من معارف فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ماشاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة
عبارته فى تحصيل مراده وظرافة اشارته فى تسهيل ايراده فحكى كل واحد من جلسائى أنه
شاهد من هذا السائل فى مسجده مثل ماشاهدت وانه سمع منه فى معنى آخر فصلا أحسن مما
سمعت وكان يغير فى كل مسجد زيه وشكله ويظهر فى فنون احتياله فضله فعجبوا من جريانه فى ميدانه
واقتنانه فى احسانه قال الحريرى فابتدأت فى انشاء المقامة الحرامية تلك الليلة ثم بنيت عليها حذوه
فلما فرغت منها قرأتها جماعة من الاعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان وأنهوا ذلك الى وزير
السلطان واقترحوا على أخواتها والله المستعان وهذا الذى ذكر الفنجديهى قد حدثنى بنحوه
من يوثق به من الطلبة بسند يتصل بابى محمد الحريرى وان الحريرى وفد مع أهل البصرة بغداد
فوجدوا بواسط أبا زيد السروجى فقال يا أهل البصرة أنتم تزعمون أنكم لاتكادون ولاتخدعون
وتدوا الله ما ثبت على مساجدكم ومحاضركم فانه لم يبق فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب
من المكر فلما بلغوا بغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريرى بجمع المقامات لكن
الذى ثبت عندنا هو ماحدثنى به الشيخ النقيه أبو بكر بن أزهر أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن
جهور حدثه أن الحريرى حدثه أن قصة المقامة الثامنة والاربعين حق وان رجلا قام بمسجد
بنى حرام فأظهر التوبة من ذنبه وسأل عن الوجه فى كفارته فقام رجل من بين الناس فذكر أسر
ابنته فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة وانها أول مقامة أثبتت فى الكتاب وكان ابن جهور
يقول ان الذى أشار اليه بها فى قوله فأشار من اشارته حكم هو المستظهر بالله العباسى وكان لهذا
المستظهر رغبة فى الطلب وحظ من الادب وعناية باهل العلم وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد
فى أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان فى الديوان
وأجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم وكان ابن جهور يحدث أن الحريرى ألف
المقامات كلها على الركاب وذلك ان المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرج كالحافظ على العمال
فكان يخرج فى الابردين يتمشى فى ضفتى دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم
ينقض فصل العمل الا وقد اجتمع له مائتا مقامة فخلص منها خمسين وأتلف البواقى وصدر الكتاب
ورفعه الى السلطان فبلغ عنده أسنى المراتب (قوله فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين أو نظم
بيتا أو بيتين) قال أبو عمرو بن العلاء الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من أفواه الناس مالم
يضع كتابا أو يقل شعرا وقال العتابى من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد
استهدف للحسد والغيبة وان أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان * غيره من صنف فقد جعل عقله
على طبق يعرضه على الناس وقال حسان

وانما الشعر عقل المرء يعرضه … على البرية ان كيسا وان حمقا
وان أحسن بيت أنت قائله … بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(واستقلت) طابت الاقالة (المقام) موضع القدمين وأنت قائم (يحار) يتحير (يفرط) يسبق
(الوهم)

فذاكرته بما قيل فيمن ألف
بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين
واستقلت من هذا المقام
الذى فيه يحار الفهم
ويفرط

صاحب الغلط (يسبر غور العقل) يختبر قدره ومنتهاه وأصله في الجراحات يختبر غورها أي بعد
يجعل سبارا الحديدة التي يقاس بها مقدار غور الجراحة وسبرها قياسها به يفعل ذلك الطبيب
صاص أو الدواء ويقال لحديدته السبار والمسبار والمسبر والمكحل والميل والمرود والمجراف
بين) تبين (يضطر) يلجأ (حاطب ليل) جامع الحطب بالظلام وهذا مثل لاكثم بن صيفي حكيم
رب ذكره أبو عبيد في الامثال وقال انما شبهه بحاطب الليل لانه ربما نهشته الحية أو لسعته
عقرب في احتطابه ليلا فكذلك المهذار ربما أصابه في اكثاره بعض ما يكره قال الفرزدق

كمحتطب ليلا أساود هضبة * أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر ما يحتطب فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير
القوي والضعيف والجيد والردي فكذلك المكثار يأتي بالضعيف من الكلام والقوي
الجيد والردي فشبهه لذلك بالحاطب وأراد (بجالب رجل وخيل) ما أراد بحاطب الليل لان
الراجل ضعيف والفارس قوي و (المكثار) الكثير الكلام قال النبي صلى الله عليه وسلم من كثر
كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ألا ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت (أقيل) أقيم ورفع (عثار) انكباب وسقوط
والاقالة العاثر ان ترفعه من سقطته ومنه الاقالة في البيع ونحوه (يسعف) يؤاتى و نيل الرغبة
أسعفت الرجل بطلبه ساعدته عليه والاسعاف المصدر وساعفته مساعفة قضيت ارادته (ولا
عفي من المقالة) أي لم يعف من كلامه والحاحه وأعفيت الرجل وعافيته أزلت عنه ما يشق عليه
وأصله الترك ومنه اعفاء اللحية وهو أن يتركها على حالها ومنه عفا الله عنك (لبيت) أجبت
وقلت لبيك (أنشأت) ابتدأت وأخذت أفعل (أعانيه) أعالجه وأصلها من العناء وهو التعب
(قريحة) ذهن وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ومنه القرحة للجراحة لان أصلها مادة وشبه
الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعاني (فطنة) ذكاء والفطن الذكي (خامدة) ساكنة وخمدت
النار سكن لهبها (روية) تدبر ورويت الامر تدبرت كيف تصنعه وأصل الروية الهمز واستعملت
بغير همز (ناضبة) جافة ونضب الماء غار في الارض (ناصبة) متعبة وهم ناصب على معنى النسب
أي ذو نصب ولو جاء على القياس لقيل منصب لان فعله أنصبه الهم وقال بشر

تعناك هم من أميمة منصب وجاء من الاخبار ما لا يكذب

ينصب نصبا أعيا من التعب (جزله) غليظه ومتينه (غرر) جمع غرة وهي خيار الشيء ومنه غرة
الفرس وهو البياض في جبهته فجعلها للبيان مجازا (درره) جمع درة وهي الجوهرة العظيمة
الكلام الحسن يشبه بالدرر والجواهر (ملح) جمع ملحة وهي مليح الكلام (نوادره) غرائبه
التي) زينتها (الكنايات) ضرب من الالغاز وأصل الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه اما الابهام
على جليسك أو لتعظيم أو لتحقير فالابهام أن تذكر لفظا يفهم من ظاهره غير مرادك مثل قوله
تعالى حاكيا عن هود عليه السلام حين قال له قومه انا لنراك في سفاهة قال يا قوم ليس بي سفاهة
فليس في اللفظ زيادة على نفي السفاهة وقد تضمن الكلام التكذيب لهم والتعظيم مثل كناية
الرجل بأبي فلان ترك اسمه وعدل الى كنيته تعظيما له والتحقير أن يكون الشيء خسيسا فتأنف
من ذكره فتذكره بغير اسمه مثل قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فكنى عن الحدث بالاكل لما كان

ويسبر غور العقل
الوهم ويبين فيه قيمة المرء في الفضل
ويضطر صاحبه الى أن
يكون كحاطب ليل أو جالب
رجل وخيل وقلما سلم
مكثار أو أقيل لمعثار فلما
لم يسعف بالاقالة ولا أعفي
من المقالة لبيت دعوته
تلبية المطيع وبذلت في
مطاوعته جهد المستطيع
وأنشأت على ما أعانيه من
قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم
ناصبة خمسين مقامة
تحتوي على جد القول
وهزله ورقيق اللفظ وجزله
وغرر البيان ودرره وملح
الادب ونوادره الى ما وشحتها
به من الآيات ومحاسن
الكنايات

صـعته فيها من الامثال
عربية واللطائف الادبية
الاحاجى النحوية والفتاوى
لغوية والرسائل المبتكرة
الخطب المحبرة والمواعظ
لمبكية والاضاحيك
للهية مما أمليت جميعه
لى لسان أبى زيد السروجى
أسندت روايته الى الحرث
بن همام البصرى وما
قصدت بالاحماض فيه الا
تنشيط قارئيه وتكثير
سواد طالبيه ولم أودعه من
الاشعار الاجنبية الا بيتين
فذين أسست عليهما بنية
المقامة الحلوانية وآخرين
توأمين ضمنتهما خواتم
المقامة الكرجية وماعدا
ذلك فخاطرى أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره هذا
مع اعترافى بأن البديع
رحمه الله سباق غايات
وصاحب آيات وأن المتصدى
بعده لانشاء مقامة ولو
أوتى بلاغة قدامة لايغترف
الامن فضالته ولايسرى
ذلك المسرى الابدلالته ولله
در القائل
فلوقبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل
التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

يتولدعنه (رصعته) نظمته وألصقت بعضه ببعض وتاج مرصع مزين بخرز وجوهر (اللطائف) الرقائق والكلمة اللطيفة أى الرقيقة المعنى التى تحل فى القلب فتلطفه (الا... ضرب من الالغاز واحدها أحجية وهى قولك لصاحبك أخرج مافى يدى ولك كذا تقول العر... أحاجيك مافى يدى وحجياك مافى يدى وهى من الحجى وهو العقل (الفتاوى اللغوية) أراد... المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين والفتيا اظهار الشئ المسؤل عنه عند السؤال (المبتكر... التى لم يسبق اليها وبكروا بكر وخرج بكرة ومنه الباكور وهو المبكر من كل شئ فى الادراك و... كل شئ أوله (المحبرة) المزينة وحبرت الشئ تحبيرا زينته وأصلها من الحبر وهى ثياب تصبغ... باليمن فيها رقوم وتزيين (أمليت) ألقيت وأمليت على الصبى ألقيت عليه مايكتب (أسندت) رفعت (الاحماض) الانتقال من شئ الى شئ وأصله فى الابل ترعى الخلة وهى حلو المرعى فتمل فتنتقل الى الحمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء الحلاوة فتنشط بذلك على الرع... فيقال أحمض الرجل احماضا والعرب تقول الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها فاراد به تنقله فى المقامات من حكاية فائقة الى قصة رائقة ومن موعظة تبكى الى ملهية تسلى وفى ذلك تنشيط وترغيب فى قراءتها ونفى للملل والكسل عن قارئها (سواد) أشخاص ويسمى الشخص سوادا لانه يسود الارض بظله (أودعه) أضمنه (الاجنبية) التى ليست من شعره والاجنبى من ليس بينك وبينه قرابة من الجنابة وهى البعد (فذين) منفردين هذا من شعر وهذا من آخر (توأمين) أخوين من شعر واحد (أسست) أصلت والاساس أصل الحائط (الحلوانية والكرجية) منسوبتان الى حلوان والكرج وهما بلدان (ماعدا) ماجاوز (خاطرى) ذهنى (أبو عذره) أى أول صانع له يقال للمرأة فلان أبو عذرها أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء فافتضها وأزال عذرتها أى مابها من صعوبة (مقتضب) مقتطع (حلوه ومره) جيده ورديئه (غايات) جمع غاية وهى طلق الخيل والسباق منها الذى يجئ أبدا سابقا (المتصدى) المتعرض (بلاغة) فصاحة وأصلها أن يبلغ الانسان من الكلام والحجة ماأراد (قدامة) هو أبو الوليد بن جعفر كان بليغا مجيدا عالما باسرار صنعة الكتابة ولوازمها وله كتاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة وترجمته تدل على متضمنه وله تحقيق فى صنع البديع تميز به عن نظرائه وتدقيق فى كلام العرب يربى فيه على أكفائه وتحذيق فى علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه فلذلك سار المثل ببلاغته واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته (الفضالة) البقية من الماء وغيره وهى مافضل عن الحاجة واغترفها أخذها بيده (يسرى ذلك المسرى) يقصد ذلك المقصد وأصل يسرى يسير ... (دلالته) تقدمه وهدايته وتفتح دالها وتكسر والفتح أكثر والدليل بالفلاة الذى يهدى ... قصدهم (مبكاها) بكاها (صبابة) شوقا (هيج) حرك والبيتان لعدى بن الرقاع وقبلهما ...

وممـا شجانى أننى كنت نائما * أعلل من فرط الكرى بالتنسم
الى أن دعت ورقاء فى غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم

فلوقبل مبكاها وعدى هو أبو زيد بن مالك ينتمى الى معاوية بن الحرث وهو عاملة وينسب الى الرقاع وهو جد جده وكان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك ومنزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لامن باديتهم وكان من أوصف الناس للمطية وكذا ذكره

صاحب

صاحب الاغانى فى ترجمته وقال نوح بن جرير لابيه من أنسب الناس قال ابن الرقاع فى قوله

لولا الحياء وأن رأسى قدعسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكانها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

أقرّ الحريرى ههنا للبديع بالفضل وجعله سباقا للغايات وما أحسن هذا الادب منه مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ومن أدل دليل على ذلك انه مذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ثم انه طبق استعمالها آفاق الارض الا انه أسرّ هنا شيأ لانه ختم كلامه بأن البديع بالتقدم فضله وهذا منه مذهب مستحسن ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده لم ير لنفسه قدرا فى قوله وان لم يدرك الظالع شأو الضليع فجعل نفسه كالفرس الاعرج الذى اذا اجتهد دون مشى الصحيح وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة ثم لما بلغ الى هذا الموضع بعد أسطار صرّح فى الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وما الى من فطن أنه انما فضله بتقدم الزمان ثم خلط الكلام فى الخفاء بين المتقدمين والمتأخرين ثم تناسى ذلك الى آخر الكتاب فى السابعة والاربعين وصرّح هنالك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع حيث يقول

ان يكن الاسكندرى قبلى * فالطل قد يبدو أمام الوبل * والفضل للوابل لا للطل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين الى سوء الادب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه وكذا رأينا فى الغالب من ادّعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون الا ممقوتا فلما أظهر الحريرى مدح البديع ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ولم ينظر نفسه الا بطرف خفى قل من يتفطن له ستر الله عليه ورفع صيته ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة

فشرّق حتى لم يجد ذكر مغرب * وغرّب حتى لم يجد ذكر مشرق

فلا يذم كتابه الا أحد الرجلين اللذين ذكرهما اما جاهل أو حاسد ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم وأكثرهم على تفضيل القديم وقد أحسن حبيب حيث يقول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأوّل
كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاوّل منزل

(وقال رضى الله تعالى عنه)

لازلت من شكرى فى حلة * لابسها ذو سلب فاخر
يقول من يقرع أسماعه * ماترك الاوّل للآخر

وذكر ابن شرف علة ذلك فقال

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحى * ومالوا الى العظام الرميم

وللمتأخرين شعر كثير فى تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين من أحسنه قول المعرى

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

(وقال ابن عمار)

قوله عسا بالسين أى اشتد وانتشر كما يؤخذ من القاموس وهذا البيت أورده صاحب المغنى فى الكلام على قد شاهدا على ان عسا متصرف وهو بمعنى اشتد اه مصححه

(ذكر المفاضلة بين القديم والحديث)*

أما ابن عمار لا أخفى على أحد * الا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرنى دهرى فلا عجب * فوائد الكتب يستلحقن فى الطرر

والذى ذكر أبو العباس فى الكامل هو الحق قال وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق وأما بيت عدى فى الحمام فالحمام قد كثرت العرب لها فى أشعارها ولنا هنا بفصل منها يروى عن على رضى الله عنه أنه اشتكى الى رسول صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها * ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم وروى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الحمام الاحمر والى الاترج وكان ابراهيم بن سيار يعجب بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معونتها فهى للطارق عدة وللمستوحش لذة تطعم فى الصحراء وتعود عليك بالسراء ويأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الانس بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقة وينفر عنك وهى داجنة وفى طباعها اسكون الى الناس واستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى مفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار اطارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد تصيدها سباع الطير الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعه ما يبعث التذكر ويولد الشجون ويهيج الاسى ويجدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرضا معها والتصابى لازما لاجلها وأعراب وادى القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة اذا صارت الوراشين والفواخت الى تلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون ترجيع أصواتهن مقام المزاهر والاوتار وأنا أسوق من المنظوم ما يوافق هذا النثر كقول أبى صخر الهذلى

(ذكر الحمام)*

ولما دعت غوربة الايك سجعت * فسجع دمعى يستهل ويستمرى
يذكرنى شجوى دعاء حمامة * ويبعث لوعات الصبابة فى صدرى
بكت حزنا رزء الهديل وشفنى * فراق حبيب ضاق عن فقده صبرى

(وأنشد الاصمعى فقال)

أيها البلبل المغرد فى النخل غريبا من أهله حيرانا
افراقا تشكوه أم ظلت تدعو * فوق افنان نخلة ورشانا
هاج لى صوتك المغرد شجوا * رب صوت يهيج الاحزانا

(وقال آخر)
أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها بكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقال آخر)
اذا غنت على الاغصان ورق * أجبناها باعمال المدام

(وقال آخر)

سعنيك عن مزمار آل محرق * ومن بعدهم تغريد تلك الحمائم
بأيكة نظار تجاوبن بالضحى * على باسقات مائلات نواعم

(وانشد

(وأنشد أبو علي عفا الله تعالى عنه)

ومن بستان ابراهيم غنت * حمائم بينها فنن رطيب
فقلت لها وقيت سهام رام * ورقط الريش مطعمها الحبوب
كما هيجت ذا حزن معنى * على أشجانه فبكى الغريب

(وقال نصيب)

لقد هتفت في جنح ليل حمامة * تبكي على الف واني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

(وأنشد أبو العباس لحميد بن ثور)

وماهاج هذا الشوق الاحمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في نوحها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميله * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أني يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر عنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال حبيب)

لتضعضعت عبرات عينك ان دعت * ورقاء حين تضعضع الاظلام
لاتسمحن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه فقال

حمدتك ليلة شرفت وطالت * أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسي من عناها
ومسمعة يحار السمع فيها * ولم تصممه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت قلبي فلم أجهل شجاها
وظلت كأنني أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

يعني بهذا الاعمى بشارا حيث يقول

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم * الاذن كالعين توري القلب ما كانا

(قوله الهذر الذي أوردته) أي الاكثار الذي أتيت به وقد تقدم الموردو (توردته) اقتحمته (الباحث) المفتش و (الظلف) للبقر والغنم كالحافر للخيل والحمير وهذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها في الارض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا بحثت عن حتفها بظلفها فسارت مثلا وقال الشاعر

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت الثرى تستثيرها

(وقال أبو الاسود)

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه

فلا تك مثل التي استخرجت * بأظلافها مديه أو بفيها
* فقام اليها بها ذابح * ومن يدع يوما شعوبا يجيها

ولفظ المثل عند أبي عبيد كالعنز تبحث عن المدية (والجادع) القاطع الانف (والمارن) طرف الانف وأراد به قصيرا مولى جذيمة الابرش وقد ذكرنا قصته في شرح الرابعة والعشرين وربما المصنف أن لا يدركه من الضرر ما أدركهما من الضرر حين جنيا على أنفسهما واتبع غيرهما (ضل سعيهم) خابت أعمالهم وأصل ضل تحير فلم يدر أين يتوجه وأصل السعي المشي بسرعة سمع أعرابي رجلا يقرأ قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا فقال أنا أعرفهم قيل له ومن هم قال الذين يبردون ويأكل غيرهم (أغمض) سامح وسد عينيه عما لم يرض و (الفطن) الذكي (المتغابي) المتجاهل عن الشئ وهو عارف به وهو مما يحمد به الرجل قال حبيب

ليس الغبي بسيد في قومه .. لكن سيد قومه المتغابي

(ونضح) بالماء غسل (المحابي) الذي يفضلني على غيري وحباني اختصني بالعطية وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك وقد يكون في معنى حباه (الغمر) الجاهل (ذي غمر) صاحب عداوة (متجاهل) مستعمل للجهل وهو على خلافه يقول ان سد عينيه عن عيبي فطن ذو عقل وتغابى حين يبصر لي خطأ أو رأى لي ذلك العيب محب فجعل يغسله عني لمحبته لكلامي فلا أخلص مع ذلك اما من جاهل يعيب ما لا يفهم أو من عارف يظهر لي عداوة وحسدا فيرد حسني قبيحا وهو عارف بحسني فيشيع في الناس أن المقامات أكاذيب وهو عارف بفضلها وما قصدت بها والغمر الحقد وصاحبه مذموم ولا أعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جيء به الى الرشيد في قيوده فقال له يحيى بن خالد وأراد أن يبكته بلغني أنك حقود فقال عبد الملك أيها الوزير ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما الباقيان في صدري وفي رواية أخرى انما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر فقال الرشيد والله ما رأيت أحدا احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ففتح الباب لابن الرومي فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد

لئن كنت في حفظي لما أنا مودع * من الخير والشر انتحيت على عرضي
فما عابني الا بفضل أمانة * ورب امرئ يزري على خلق محض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن * لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذي اساءة * فثم ترى شكرا على حسن القرض

ثم رجع الى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الاعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة في الوجهين

يا مادح الحقد محتالا له شبها * لقد سلكت اليه مسلكا وعثا
يا دافن الحقد في ضعفي جوانحه * ساء الدفين الذي أضحت له جدثا
الحقد داء دوي لا دواء له * يوري الصدور اذا ما جمره حرثا
فاستشفينه بصفح أو محادثة * فانما يبرئ المصدور ما نفثا
ان القبيح اذا أصلحت ظاهره * يعود ما لم منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبسه * على القلوب ولكن قلما لبثا

والجادع مارن أنفه بكفه فالحق بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا على اني وان أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل

(ذكر الحقد ومدحه وذمه)

ضع مني) أي يحط من منزلتي (الوضع) الكتاب (يندد) يشهر العيب ونندد به اذا أسمعه وه (نقد الاشياء) فتش وبحث عليها (المعقول) العقل (أنعم) بالغ وأصل النظم جعل الجوهر في خيطها وضمها فيه لغيرها ثم سمي بيت الشعر نظما لان الكلام فيه ملتصق بعض بعض كحب الجوهر والبيت يضمه كالخيط و(السلك) خيط الجوهر و(الافادات) ند(سلك) قصد (الموضوعات) الكتب المؤلفة أي أدخلها مدخل هذه الكتب (العجماوات) م وبهيمة واحدتها عجماء لان صوتها لا يفهم منه معنى و(الجمادات) ماعدا الحيوان وأراد من الكتب مما لا حقيقة له في الظاهر وقد ضمن الحكم الشافية في الباطن مثل كتاب ودمنة وغيره مما ألف على ألسنة ما لا عقل له ولا روح وكذلك المقامات وان كان ظاهرها فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات يجي فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة الى ماف اليه من تعليم صنعة الكتابة والشعر فانها أعون شيء عليها * ومما يحكى على ألسنة ثم ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول بينا راع في غنم عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت فكلمته فقالت أنا لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله الله عليه وسلم فاني مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر السبع بسكون الباء أرض المحشر والسبع ع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبئ اليهودي وراء الحجر فيقول الحجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله قالوا خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا فقال الاسد للذئب اقسم بيننا ه فقال الحمار للملك والغزال لي والارنب للثعلب فرفع الاسد يده فضربه ضربة فاذا هو مجدل بين يديه ثم قال للثعلب اقسمها فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والارنب بين ذلك فقال الاسد ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء قال رأس هذا الذئب * وحدث الشعبي قال صاد رجل قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك فقالت والله ما أشبع من جوع وغيرك من أكلي أن أعلمك ثلاث خصال واحدة وأنا في يدك والثانية وأنا على الشجرة والثالثة وأنا على الجبل قال هات قالت لا تلهفن على ما فات فخلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض الرجل على شفته تلهفا ثم قال هات الثالثة فقالت أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فات لا تصدقن بما لا يكون انه سيكون أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون في عشرون مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وأمثال هذه الملح أكثر من تحصى (قوله نبا سمعه) أي ارتفع وأصله في السيف اذا ارتفع فلم يمض في الضربة (أثم) جعلهم صحاب اثم (انعقاد العقود) أي ارتباط العقائد (حرج) اثم وأصل الحرج التضييق (للتنبيه) أي لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر (نحا منحى) قصد مقصد (التهذيب) التخليص

يضع مني لهذا الوضع
ويندد بأنه من مناهي
الشرع ومن نقد الاشياء
بعين المعقول وأنعم النظر
في مباني الاصول نظم هذه
المقامات في سلك الافادات
وسلكها مسلك الموضوعات
عن العجماوات والجمادات
ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك
الحكايات أو أثم رواتها
في وقت من الاوقات ثم اذا
كانت الاعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات
فاي حرج على من أنشأ ملحا
للتنبيه لا للتمويه ونحا بها
منحى التهذيب لا الاكاذيب

(حكايات على ألسنة البهائم)

وهذبت الطالب أخرجته وخلصته ورجل مهذب مخلص من العيوب * ويروى ندبوا
فندب دعا وانتدب أجاب (وهدى) أرشد (صراط مستقيم) طريق معتدل ومن فعل
ما جور غير آثم لكنه مع هذا رضي أن يخلص ممن يتكلم في كتابه بتعييب وأن يخرج من هذا الا
كفافا لا أجر ولا وزر بل نرجو له الاجر على نية الافادة والتعليم ان شاء الله تعالى (اعتضد) ا
(أعتمد) اقتصد (أعتصم) أمتنع (يصم) يعيب (أسترشد) أستهدى (يرشد) يهدى ويد
الخير و(المفزع) الملجا وكذلك (الموئل) وتقول فزعت الى فلان اذا لجأت اليه واست
ليحميك ويمنعك وفزعت منه خفته والمفزع الذى ذكره مصدر بمعنى الفزع وتقول وأل
ذلك اذا نجوت منه وأنت موئلي منه أى الذى تحميني منه والمفزع الموئل والحصن تفزع
فيحميك من طالبك (أنيب) أرجع والانابة الرجوع الى الله تعالى والتوبة اليه

(شرح المقامة الاولى وهى الصنعانية)

ان قيل لأى معنى اختار الحريري حارثا وهماما وأبا زيد دون غيرهم من الاسماء فالجواب
انما قصدهم لانهم أصدق الاسماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع تسم
بأسماء الانبياء وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحرث وهمام وأقب
حرب ومرة وصدقهما أنه ليس أحد الا وهو يحرث أى يحاول الكسب أو يهم بحاجته وأما
زيد فان صدق أنه انسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء به وان لم يصدق فقد حكى أهل ال
انه كنية الكبر وأنشد ابن قتيبة

أعار أبو زيد بنى سلاحه * وحد سلاح الدهر للمرء كالم
وكنت اذا ما الكلب أنكر أهله * أفدى وحين الكلب جذلان نائم

سلاحه العصا وانكار الكلب أهله اذا لبسوا السلاح وجذلان نائم في الجدب اذا ماتت المواش
فيشبع من لحومها وينام وقال ابن الاعرابي يقال للشيخ الكبير أبو زيد وأبو حيدو السروج
في الغالب انما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغوية وانما عنى بالحرث بن همام نفسه لا
ممن يحرث ويهم ولذلك نسبه الى البصرة وهى بلدة الحريري وانما وضع أبا زيد كنية للدهر لا
يصفه بأشياء لا تليق الا بالدهر مثل قوله

وكل سرح فيه ذئبي عائث * حتى كأني للانام وارث * سامهم وحامهم ويافث

(ومثل قوله)

وورثت أرباب الارا * ئك والدرانك والسجوف

وهى كثيرة وفي الخمسين له كلام لا يليق الا بالدهر فجعل أخذ الحرث من أبي زيد كناية عن عل
الحريري بما جرب من صروف الدهر (قوله اقتعدت) أى ركبت وأصله اتخذت قعدة أو قعود
وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبه (والغارب) مقدم سنام البعير و(الاغتراب) والغر
التحول في البلدان والبعد عن الاوطان وسيأتى ما أصلها وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قعو
(أناتنى) أبعدتنى (المتربة) الفقر (الاتراب) الاصحاب على سن واحدة (طوحت) رم
و(طوائح) نوائب وتقول طوحت بالرجل اذا رميت به الى الهلاك وقياس الطوائح المطاو

لانك

وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى الى صراط مستقيم على أنى راض بأن أحل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم عما يصم وأسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه أنيب وبه نستعين وهو نعم المعين

(المقامة الاولى الصنعانية)

* حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأناتنى المتربة عن الاتراب طوحت بى

لانك تقول طوّحت فهي مطوّحة والجمع مطوّحات ومطاوح قال أبو عبيد جاءت الطوائح على حذف الزيادة وردّ الفعل الى أصله فانه من طاحت فهي طائحة والجمع طوائح قال أبو عمرو الشيباني جاءت على النسب مثل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

ومثله وأرسلنا الرياح لواقح تقديره ملاقح لانك تقول ألقحت الريح السحاب اذا جمعته وألقته وضارع مرتفع بمضمر تقديره يبكيه ضارع وهو الذليل (صنعاء) بلد باليمن وأضافها الى اليمن لانّ ثمّ صنعاء أخرى وهي قرية بدمشق وكان اسم صنعاء في القديم أزال قال ابن الكلبي والشرقي ولما وافتها الحبشة قالوا نعم أي انظر فسمي جبلها نعم فلما نظروا الى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة قالوا هذه صنعاء وتفسيرها حصينة فسميت صنعاء وحكى الهمذاني قال وأهل صنعاء يقولون في الاسلام انها القرية المحفوظة وانهم سمعوا هاتفا يقول في بعض أيام من حاربهم كل عليك يا أزال وأنا أتحنن عليك وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكرا وأبعدها صيتا غمدان وقصر أزال وهي صنعاء والذي أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره الذي هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء سام بن نوح عليه السلام على ما يذكره علماء صنعاء واليمن وذلك انه لما مات نوح اجتوى بعده السكنى في الارض الشمالية فأقبل طالعا في الجنوب يطلب أطيب البلاد حتى صار الى الاقليم الاوّل فوجد اليمن أطيبه مسكنا وصنعاء أطيب اليمن فوضع مقراته وهي الخيط الذي يقدّر به البناء ويبنى على حدّه فوضع الاساس في ناحية فج غمدان في غربيّ الجبل فبنى الطير وهو اليوم معروف بصنعاء فلما ارتفع بعث الله طائرا فاختطف المقراة فطار بها وتبعه سام لينظر أين يقع فأمّ بها جنوب النعم من سفح نعم فوقع بها فلما اتبعه طار بها وطرحها على حرّة غمدان فلما اقترت علم سام انه قد أمر بالبناء هنالك فأسس غمدان واحتفر بيده بئره المسمى كرامة ويستقى منها الى اليوم لكنها أجاج (خاوي الوفاض) فارغ المزاود ويقال خوى الرجل اذا سجد وترك بين جسده وبين الارض خوا وخوى البعير برك على هذه الحال والوفاض جمع وفضة وهي شبه الجراب وهي أيضا كنانة السهام اذا كانت من جلد لا خشب فان كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهي كنانة أو جعبة * ابن سيده في المحكم الوفضة خريطة يحمل فيها الراعي أداته وزاده والوفضة جعبة السهام * أبو منصور الازهري معنى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم انه أمر بصدقة توضع في الاوفاض أنهم اخلاط الناس قال الفرّاء هم أهل الصفة * أبو عبيد هذا كله عندنا واحد لان أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة فعلى هذا من قصر الوفضة على الجعبة وخطأ الحريري بأن الزاد لا يكون في الجعبة فهو المخطئ والجاهل باتساع اللغة (بادي الانفاض) ظاهر الفقر وقد أنفض اذا فني زاده وأنفض الجراب اذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ومنه قولهم الانفاض يقطر الجلب أي فناء زادهم يجعل ابلهم قطارا أي بوطة بعضها خلف بعض تساق الى السوق فتباع فيأكلون ثمنها قال الهذلي

له ظبية وله عكة .. اذا أنفض القوم لم ينفض

ية جريب صغير من جلد ظبي (بلغة) زاد المسافر يبلغ به من يومه الى غده (الجراب) وعاء من د يصنع للزاد (مضغة) لقمة (طفقت) أخذت وجعلت ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه

(ذكر مدينة صنعاء)

طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الانفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت

(أجوب) أقطع وأخرق وجوب الارض قطعها بالمشى (الهائم) الحيران (أجول) أتصرف (حوماتها) جهاتها (الحائم) الطائر العاطش يحوم حول الماء أى يدور به (أرود) ألتمس (المسارح) مراعى البهائم (لمحاقى) تطرافى يريد المواضع التى يسرح عينيه فيها بالنظر (مسايح) مسالك أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى والسيح الماء الجارى على وجه الارض وتكون المسايح أيضا جمع مسيحة أو مسحة وهى الطوفة من قولك مسحت البيت أى طفت به فيكون على هذا افعائل مميها أصلية وعلى الاول مفاعل (أخلق) أهين (ديباجتى) جلدة وجهى يريد انه يخلق وجهه بالمسئلة كما يخلق الثوب وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم المسئلة كدوح وخدوش فى وجه صاحبها وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسئلة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم أى قطعة (أبوح) أذكر (حاجتى) فقرى (تفرج) تزيل (غمتى) غمى ومايضيق نفسى (غلتى) عطشى (أدتنى) أوصلتنى (خاتمة المطاف) آخر المشى (هدتنى) دلتنى (والالطاف) حسن السؤال وفاتحته أراد به سؤالك من تلقى فى الطريق اذا دخلت بلدا غريبا فاذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق ويقال لطف سؤال الرجل اذا رق لفظه ولم يكن فيه جفاء فتقبله القلوب وألطف الرجل سؤاله اذا سألك بحنان وتلطف واللطف الرفق وألطفتك أيضا بررتك وأكرمتك فالالطاف مصدر ألطف ويروى الالطاف جمع لطف وهو الرفق يقال لطف الله بالعباد لطفا رفق بهم رفقا وهو راجع الى الاول (ناد) مجلس (رحيب) واسع (محتو) مشتمل (نحيب) بكاء (ولجت) دخلت (غابة الجمع) وسط الناس وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه من يدخله (لاسبر) لافتش وأراد دخلت بين الناس لاجوب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم ويروى محلبة بالحاء وهى من الحلب يقال انحلبت عينه اذا سالت بالدمع (بهرة) وسط (شخت) دقيق ورقيق والشخت الحطب الرقيق (أهبة السياحة) آلة العبادة وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك (يطبع الاسجاع) أى يرتبها ويصنعها تقول طبعت الدرهم والسيف اذا صنعتهما وطبعت الكتاب اذا ختمته وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها لا اله الا الله والملك لله وتطبع بذلك كتبها وهذا المعنى أليق يطبع الاسجاع أى يزينها ويختمها بجواهر كلامه ومن روى بجواهر باللام فعلى يصنعها لا غير والتفسير على الروايتين أخذته عن أبى ذر والاسجاع الكلام المقفى له قافية كقافية الشعر وكان من كلام الكهان وهذه الموعظة التى فى المقامة من الاسجاع وسجعت الحمامة اذا غنت على طريقة واحدة (يقرع) يضرب (الاسماع) الآذان (زواجر) نواهى وزجر منهاه وانتهره (احاطت) حلقت (أخلاط) أصناف مختلطون (الزمر) الجماعات (الهالة) الدارة حول القمر من نوره والطفاوة الدارة حول الشمس والساهور وهو غلاف القمر الذى يستتر فيه ما نقص منه (الاكمام) جمع كم وهو الغلاف الذى ينشق عن الثمر ويحيط به وسمى كما لانه يستر ما تحته والاكام جمع قليل والكثير كمام والثمر حمل الاشجار (دلفت) قربت ودلف الشيخ فى مشيته اذا أسرع من ضعف فقارب خطوه (اقتبس من فوائده) التمس وأطلب أخذها واكتسابها و(الفرائد) شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر (خب فى مجاله) أخذ فى كلامه والخب عدو سهل وهو الذى تسميه العامة السير وفرس مسيار والمجال للخيل موضع تصرفها وجريها (هدرت) صوتت (شقاشق) جمع شقشقة

وهى

أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول فى حوماتها جولان الحائم وأرود فى مسارح لمحاقى ومسايح غدواتى وروحاتى كريما أخلق له ديباجتى وأبوح اليه بحاجتى أو أديبا تفرج رؤيته غمتى وتروى روايته غلتى حتى أدتنى خاتمة المطاف وهدتنى فاتحة الالطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت فى بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول حين خب فى مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله

وهى النفاحة يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير يهيج ويتابع الهدير قال الاخطل

اذا هدرت شقاشقه ونشبت * له الاظفار ترك له الهدار

أراد نشبت وترك فخفف (السادر) الراكب هواه لا يرده شئ استطالة وبغيا ويقال للذى يطيل الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره قد سدر فهو سادر (فى غلوائه) فى ارتفاعه للشر ولجاجه فيه وهو من غلا يغلو فى الامر اذا جاز الحد فيقول يا أيها الاعمى الكثير اللجاج فى ركوب المعاصى هلا نظرت بعين البصيرة ورجعت عما أنت عليه من الضلال (السادل) المرخى (خيلائه) كبره (الجامح) الجارى الى غير غاية وقد جمح الفرس اذا أكب رأسه وجرى فى غير قصد فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه فى غير طريق (الجانح) المائل (الخزعبلات) الاباطيل وهو ما يتراءى للانسان فى نومه من الخيال (تستمر) تدوم فى مرورك (غيك) ضلالك (تستمرئ) تستطيب من المرئ وهو ما يلتذ به من الطعام (بغيك) ظلمك (تتناهى) تبلغ النهاية ونهاية الشئ آخره (زهوك) كبرك وعجبك (اللهو) ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب وقال القاضى أبو حفص بن عمر فى ذم الكبر وما يتعلق به

ولا تنسب الى كبر فهذا * أبوك الترب يخفضك انتسابا
ولا تصحب أخا كبر وقدم * على النفس الاعادى والصحابا
ولا تحب محاباة بمدح * كفى بالمرء حوبا أن يحابى
وحاذر أن ترى فى القوم رأسا * ولا تنس الذنوب وكن ذنابا
ترابا كن هنا فعساك أن لا * تمنى أن تكون غدا ترابا

(وقال أبو نواس)

حذرتك الكبر لا يعلقك ميسمه * فانه ملبس نازعته الله
يا بؤس جلد على جوف مجوفة * يحوى مقاذير ان كلمته تاها
يرى عليك له فضلا يبين به * ان نال فى العاجل السلطان والجاها
انى لامقت نفسى عند نخوتها * فكيف آمن مقت الله اياها

(وقال أبو العتاهية)

عجبت للانسان فى فخره * وهو غدا فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر

(قوله تبارز) أى تكاشف وتقابل والبارز الظاهر المنكشف و (الناصية) شعر مقدم الرأس (تجترئ) تقدم وتشجع والجرئ الشجاع المقدام (سيرتك) عادتك وجمعها سير وهى ما يعامل به الناس من خير أو شر وتقول سرت سيرة من خير أو شر اذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك فصارت عادة لهم ولذلك فسرنا السيرة بالعادة حيث وقعت وأصل السيرة هيئة فعل السير وذلك انك تقول جلس فلان جلسة بالفتح وهى المرة الواحدة من جلوسه فاذا كسرت الجيم فهى هيئة جلوسه مثله ركب ركبة والركبة هيئة ركوبه وتقول سار هذا الفعل سيرة والسيرة بالكسر هيئة سيره

أيها السادر فى غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح فى جهالاته الجانح الى خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك وحتام تتناهى فى زهوك ولا تنتهى عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك

(ذم الكبر)

في الناس من حسن أو قبح أو صواب أو خطا وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أفعاله حيث كانت (تواري) تستتر (بمرأى رقيبك) أي بمنظر بك أو بحيث يراك ورقيب الشيء حافظه وحارسه (مليكك) مالكك وأراد أن الانسان اذا خلا بريبة استترها عن أعينهم وعيده حياء منهما ولا يستحي من ربه الذي يطلع على معاصيه ولا يخفى عليه خافية وأشار الى قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم الآية وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ان كنت تعلم ان الله يا عمر * يرى ويسمع ما تأتي وما تذر
وأنت في غفلة من ذاك ترتكب ما * نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن * حثالة الناس تستحي وتعتذر

(وقال نابغة بني شيبان)

ان من يركب الفواحش سرا * حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه * شاهداه وربه ذو الجلال

(وقال أبو نواس)

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أن ما يخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تراكمت * ذنوب على آثارهن ذنوب

(حالك) عزتك ومالك (آن) حان وقرب (ارتحالك) انتقالك (توبقك) تهلكك يقال أوبقته الذنوب أهلكته فوبق أي هلك ووبق أيضا وقال أعشى همدان

استغفر الله أعمالي التي سلفت * من عثرة أن يعاقبني بها أبق

(زلت) زلقت (معشرك) قومك (محشرك) موضعك الذي تحشر اليه (انتهجت) ركبت والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (محجة) طريق من حجه يحجه اذا قصده (اهتدائك) استقامتك (معالجة) مداواة (فللت) كسرت (شباة) حد (اعتدائك) جورك وظلمك (قدعت) كففت قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذي ان قتلته كان لك نورا وان قتلك دخلت الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك • قال الاصمعي كنا بطريق مكة في بعض المنازل اذ وقفت علينا أعرابية فقالت أطعموني أيتاما أطعمكم الله فناولها بعض القوم شيأ فقالت له كبت الله كل عدو لك الا نفسك (قوله أما) حرف اخبار واستفتاح كألا (الحمام) الموت من حم الامر قضي (الميعاد) الموعد (ما اعدادك) ما استعددت له والاعداد مصدر أعد للامر اذا هيأ له ما يحتاج اليه من عدة يقول الموت هو الذي وعدت به أن يأتيك ولا بد فما استعددت له من أفعال البر وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى بن عمران

يا صاح في الموت لنا حكمة * بالغة لو أننا ننتفع
فاعمل له قبل مفاجاته * ويحصد الزارع ما قد زرع
لا حيلة تحميك منه ولا * ذو وزر عنه به يمتنع
كم أمم أفناهم قبلنا * وشمل قوم شته فانصدع

(ولطبيب) فقد أيقنت بالموت نفسي لانني * رأيت المنايا يخترمن حياتنا

وتواري عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن أن ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي أكبر أعدائك أما الحمام ميعادك فما اعدادك

قوله أما حرف اخبار الخ الظاهر ان هذا استفهام تقريري اه مصححه

فياليت أنى بعد موتى ومبعثى * أكون رفاتا الاعلى ولاليا

(المشيب) الشيب يقال شاب رأسه شيبا ومشيبا (انذارك) اعلامك وأنذرك أعلمك مما تحذر وخوفك منه وأراد قوله تعالى وجاءكم النذير وانظر هذا المعنى فى الحادية والاربعين مستوفى نظما ونثرا (اعذارك) جمع عذر والاعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر فى طلب الحاجة اذا بالغ فيها قال ابن القابلة السبتى وجنس قوافيه

الشيب فى مفرقى حلا * وعقد عهد الملاح حلا
وكان كالابنوس رأسى * فاحتله عاجه فلا
وحرمت وصلى الغوانى * وقلن قتل العميد حلا

(اللحد) حفرة فى جانب القبر ولحد الميت وألحده شق له فى جانب القبر وأصل اللفظة الميل (مقيلك) مقامك وأصله النوم فى القائلة (قيلك) حديثك المقول وحجتك الواضحة والقول مصدر كالطحن والذبح والقيل اسم للمقول كالطحن بالكسر اسم للدقيق المطحون والذبح اسم للمذبوح يعقوب القال والقيل اسمان لا مصدران ابن سيده القيل فى الاصل مصدر وحكى فارسى قاله قولا وقيلا مثل ذكره ذكرا والقال يجوز أن يكون مصدرا فان سيبويه حكى ذاده اماوعابه عابا الا أنه لم ينص على القال (مصيرك) رجوعك (نصير) معدول عن ناصر للمبالغة (تناعست) أى أظهرت أنك ناعس (جذبك) قادك بعنف ويقال جذب وجبذ وهى أقل من الاولى وصحفت العامة هذه الثانية وقالوا جبد بدال غير منقوطة (تقاعست) تأخرت وتصعبت تشبهت بالاقعس وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره أى قادك الوعظ الى الخير فلم تنقد له العرب تقول عزة قعساء كأنها تتقعس عن الذلة (تجلت) ظهرت و (العبر) ما يتخوف ويتعظ به فتندر رؤيته (حصحص) تبين من الحص وهو ذهاب الشعر فيتبين ما تحته والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة واذا اجتمع الامثال فى مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الاوسط حرفا من جنس الحرف السابق ومثله حثحثت ورقرقت أصلهما حثثت ورققت هذا قول الكوفيين وقال البصريون هما لغتان تقاربتا اذ لا يبدل الحرف الا من مثله أو من مقاربه فى المخرج وهذه الحروف متباعدة لا يصح ابدالها (ماريت) شككت (تواسى) تعطى (توثر) تفضل (توعيه) تجعله فى وعاء (بر) احسان (توليه) تعطيه وتلصقه بمن تبره (هاد) مرشد لطريق الخير ترغب عنه أى تتركه (تستهديه) أى تسترشده وتسأله أن يهديك الى الخير و (تستهديه) الثانية تطلب أن يهدى لك هدية يقول تترك من يهديك الى طريق الخير فلا تسأله الهداية وتقصد اعراض الدنيا من الاطعمة وغيرها وترغب أن تعطى منها هدية قال الزاهد بن عمران

توق وحاذر من قبول هدية * وان جاء نافيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا منها وعنها ترغب
فكانت هديات الاوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المر نحوها * تفرق فيما بيننا وتجنب

(وله فى مثله)

احذر هدايا الناس تأمن من السمن بها أو قول واش يشى

وبالمشيب أنذارك فما أعذارك
وفى اللحد مقيلك فما قيلك
والى الله مصيرك فمن
نصيرك طالما أيقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ
فتقاعست وتجلت لك العبر
فتعاميت وحصحص لك الحق
فتماريت وأذكرك الموت
فتناسيت وأمكنك أن
تواسى فما آسيت تؤثر فلسا
توعيه على ذكر تعيه وتختار
قصرا تعليه على بر توليه
وترغب عن هاد تستهديه
الى زاد تستهديه وتغلب
حب ثوب تشتهيه

فقل من يهديك الا امرؤ * من رغبة أو رهبة قد خشي
التبس الامر فلا تقدمن * واخش مقام الله فيمن خشي
كانت هدايا ثم عادت رشا * وفي الرشا الهلك لمن يرتشي
حذرنا منها نبي الهدى * اذ لعن الراشي والمرتشي

(الثواب) المكافأة على الفعل وأراد به ما يجازى الله به عبده على احسانه من الاجر وهو من ثاب يثوب اذا رجع وأثاب الرجل أعطيته الثواب وهو المكافأة على فعله (قوله يواقيت) أي بجواهر (الصلات) العطايا (أعلق) ألصق (مواقيت) أوقات وهي جمع ميقات . ومما يستحسن من تجنيس الصلات والصلاة حكاية أحمد بن المدبر وكان اذا امدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء الا الافراد المجيدين فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال أعرفت الشرط قال نعم وأنشد

أردنا في أبي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن * جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي * عيالي انما تغني الزكاة
فأما اذ أبى الا صلاتي وعاقتني الهموم الشاغلات
فيأمر لي بكسر الصاد منها لعلي أن تنشطني الصلات
فتصلح لي على هذا حياتي ويصلح لي على هذا الممات

فضحك واستظرفه وأمر له بعائة دينار وقال من أين أخذت هذا قال من قول أبي تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

(قوله مغالاة الصدقات) أي الزيادة في المهور وغاليت زدت في ثمن السلعة ورددتها غالية والصدقات واحدتها صدقة وهي الصداق قال النبي صلى الله عليه وسلم من يمن المرأة تيسير صداقها وخطبتها قال عروة وأنا أقول من أول شؤمها أن يكثر صداقها (آثر) أفضل وأكثر أثرة (موالاة) متابعة (صحائف) جمع صحيفة وهي الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس (دعابة) مزاح وفي فلان دعابة وتداعب الرجلان تمازحا وفي الحديث كانت فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وفي حديث جابر رضي الله عنه هلا بكرا تداعبها وتداعبك (الاقران) الاصحاب والامثال (تلاوة) قراءة وتلوته قرأته واختلفوا في اشتقاق القرآن فقال أبو عبيدة سمي قرآنا لانه يجمع السور ويضمها قال الله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أي اذا جمعناه شيأ فضمه واعمل به وقال قطرب سمي قرآنا لان القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه من قول العرب ما قرأت الناقة سلا قط أي مارمت به وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يا رسول الله ما جلاؤها قال قراءة القرآن (العرف) أي المعروف (تنتهك) تبالغ في تناوله بما لا يجوز (حماه) ما حمي منه ومنع وأصل الحمى موضع العشب يحميه الرجل لابله وانتهاكه استئصال عشبه بالرعي وتهتك الجلد وانتهكته اذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف (النكر) المنكر (تحاماه) تتباعد عنه

على ثواب تشتريه يواقيت الصلات أعلق بك من مواقيت الصلات ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحائف الالوان اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمى عن النكر ولا تتحاماه

(تزحزح عن الظلم) تنحى عنه غيرك وتزيله (وتغشاه) تاتيه وتباشره (تخشى) تخاف وقال ذو الرمة هذا المعنى وهو أحسن شعر قاله

يارب قد أسرفت نفسي وقد علمت * علما يقينا لقد أحصيت آثاري
يامخرج الروح من نفسي اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحني عن النار

النفسه أن يكون من الفائزين لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (وله تبا) أي خسرانا وهلاكا وتبت يده خسرت قال تعالى وما زادوهم غير تتبيب أي غير خسار هلاك قال الشاعر

عرادة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما عملوا تبابا

نى) عطف ورد (انصبابه) جريه (يستفيق) يستريح وأفاق من المرض استراح (غراما) شدة حب لازم له غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته التقاضي والحاحه فيه وقال تعالى ان عذابها كان غراما أي ملحا دائما ومنه انا لمغرمون وفلان مغرم بالنساء يحبهن ويلازمهن وقال حاتم

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان خفتها بغرام

بهلاك وملازمة (فرط صبابة) شدة شوق ومجاوزة حد في ذلك (يروم) يطلب (صبابة) بقية ا وهذا الشعر مستحسن التوافي ومثله في ذلك قول الزاهد بن عمران وكثيرا ما كان يستمد في ه من أدب المقامات

تبا الذي جهل دعا لمبرة * وأجبته برابه فأذاعها
منا وقد كافأته بهباته * وذخرتها عندي له فأضاعها
فاقل اللئام من الرجال ولا تجب * مهما دعولك وجنبن أوضاعها

وقال آخر

يامن يضيع عمره * متماديا في اللهو أمسك
واعلم بأنك لامحا * لة ذاهب كذهاب أمسك

(ولمنصور الفقيه في الشعر المردف)

اذا كنت تزعم أن الفراق * فراق الحياة قريب قريب
وان المقدم مالا يفوت * على ما يفوت مصيب مصيب
وأنت على ذاك لا ترعوي * فأمرك عندي عجيب عجيب

(وقال) القاضي أبو حفص عمر في معنى شعر الحريري في ذم الدنيا

يارا كدا في طلاب دنيا * ليس لمن تضرع انتعاش
لم تخش نارا هوى لظاها * لمن له نحوها انحياش
أعذر منك الفراش حالا * علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين * عنها ولا يستقر جاش
من لك بالري من شراب * يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعاع * طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء * ووا ردوها هم العطاش

وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد
تبا لطالب دنيا
ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما
بها وفرط صبابه
ولو دري لكفاه
مما يروم صبابه

(ذكر ذم الدنيا)

فاظما ألتروى وكن كقوم * سقوابها غبسة فعاشوا

كأن آمالنا ظباء * ونحن من حيرة خداش

ان لآمالنا انبساطا * به لاعمارنا انكماش

كأن آجالنا صقور * ونحن من تحتها خشاش

(ولابن الرومى رحمه الله)

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * اذا زال عن عين اللبيب غطاؤها

فكيف بقاء الناس فيها وانما * ينال باسباب الفناء بقاؤها

(وقال آخر)

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قريب يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(ولابن سادة رحمه الله تعالى)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره

يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تاهبه لمزايلة مركزه أدخل كل منهم يده فى جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا فى نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليه مهيعه ويسرب من يتبعه لكى يجهل مربعه (قال الحرث بن همام) فاتبعته مواريا عنه عيانى وقفوت أثره من حيث لا يرانى حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا

(قوله ثم انه لبد عجاجته) أى سكن غبرته المرتفعة حتى لصقت بالارض (غيض) جفف (المجاجة) ما يلقى من فيه وقد مج الرجل ريقه اذا سال من حمق أو كبر وأراد بلبد عجاجته قطع كلامه اذ كان قد استرسل وأخذه من قول سليمان بن عبد الملك وقد تكلم وفد بين يديه فلم يصنعوا وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فابلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجة وأراد بغيض مجاجته ما كان يسيل من عينيه وأنفه عند البكاء (اعتضدها) جعلها تحت عضده (والشكوة) ركوة الماء تصنع من جلد الثور أو الخروف و(تأبطها) جعلها تحت ابطه (هراوته) عصاه (رنت) نظرت (تحفزه) تهيئه وتعجله لانصراف وتحفز واحتفز اذا كان جالسا على [illegible] متهيأ للقيام (تأهبه) استعداده (مزايلة) مفارقة (مركزه) موضعه الذى قام به (أفعم) ملأ وفعمت الشئ فعما ملأته (سجلا) دلوا (سيبه) عطائه معناه وهب لنا نصيبا من عطائه (رفقتك) أصحابك (مغضيا) مستحييا وأصل أغضى كف بصره وضم جفنيه (انثنى) رجع وانعطف عن طريقه (مهيعه) طريقه البين (يسرب) يفرق فكأنه تفعل من السرب وهو الطريق كأنه يردهم من تشييعه فى طرق مختلفة أو يكون من لفظ السرب وهو الحرف كأنه يغيبهم عنه بحيث يقصد تعمية طريقه عليهم أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب فى الارض وقد سرب سروبا فكأنه يذهبهم فى كل ناحية ليجهل مكانه (مربعه) منزله فى الربيع خاصة والمربع المنزل فى كل وقت من ربعت المكان أقمت به (مواريا) ساترا (عيانى) شخصى أى تبعته مستخفيا بحيث لا يرانى (قفوته) اتبعته من جهة قفاه (انساب) دخل وأصل الانسياب جرى الحية على وجه الارض أو جرى الماء كذلك ولا يكون الانسياب الا على وجه الارض لا يقال انساب فى الجحر حدثنى به بعض من لقيت من أصحابنا وكان أضبط الناس للسان العرب قال وقول الحريرى انساب فيها وهم منه ولو قال انسام فيها لكان أمثل يشبهه بالسيف اذا وضع فى غمده (غرارة) غفلة (ريث) قدر (هجمت عليه) دخلت عليه فجأة ومنه هجم عليه الحر وهجمت عينه دخلت فى رأسه (محاذيا)

ملاصقا

رضفاً أو جالساً بحذائه (تلميذ) متعلم الصنعة (حنيذ) مشوي وحنذ اللحم حنذا شواه بحجارة محماة (نبيذ) أراد به خمرا (خبرك) أراد به أمرك الذي أنت عليه (مخبرك) أي باطنك وما يختبر منك

* ومما ينتظم في هذا النمط حكاية أبي نواس حين رؤي في مجلس منصور بن عمار يبكي فظن الناس أنه قد نسك فجعلوا يهنؤنه ويقولون نرجو لك من الله الخير فقال أنا أهون على الله من ذلك وليس كما تظنون ولكن أبكي لبكاء ذلك الغزال وغلام بالمجلس يبكي من وعظ منصور ثم قال

لم أبك في مجلس منصور * شوقا الى الجنة والحور
لكن بكائي لبكا شادن * تقيه نفسي كل محذور
تنتسب الالسن في وصفه * الى مدى عجز وتقصير

يحضر أيضا مجلس بعض القصاص فقالوا له لعل الله قد أقبل بك فقال انما حضرت لاجل هذا الغزال ثم قال

خلياني والمعاصي * ودعا ذكر القصاص
واسقياني الخمر صرفا * في أباريق الرصاص
وعلى وجه غزال * طائع ليس بعاصي
بين فتيان كرام * قد تواصوا بالمعاصي
وعلى الله وان أفرطت في الذنب خلاصي

(قوله فزفر زفرة القيظ) الزفرة تنفس المهموم أو المغتاظ والقيظ شدة الحر شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحر (يتميز) يتقطع ويتفرق (يحملق) يحد النظر والحلقة نظر الغضبان والحلاق باطن الجفن (يسطو) يصول ويتناولني بالمكروه يقال سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة اذا قهره وأذله (خبت ناره) سكنت حدة غيظه (توارى) تغطى واستتر (أواره) به ونار غيظه والاوار وهج النار (الخميصة) كساء فيه خطوط وقال يعقوب وأبو عبيد ا بيصة كساء مربع أسود له علمان (الخبيصة) نوع من الحلواء وتسميه عامتنا الخبير بالزاي و كنى به عن لذة العيش (الشص) حديدة معوجة يصاد بها الحوت وتسمى الصنارة (شيصة) ثمرة رديئة ومن ملح قصاص البلدان ان أبا عبد الله الخواص كان يقول في قصصه انما الناس مثل التمر فيهم الشيص والبرني يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا وقال قاص آخر ان في الجنة لحم جدي ولحم خروف ولحم كل شيء بلا عظم مثل الشيص في بلادنا بلا نوى يريد أنه لا يحتقر شيأ فكل ما تخذله أخذه (أحبولة) آلة يصاد بها (أريغ) أطلب ما يصعب أخذه كانه يروغ من كذا وأصل راغ من كذا أي عدل عنه ورجع وهو يخفي رجوعه قال الفراء لا يقال للذي يرجع راغ يروغ الا أن يكون مخفيا رجوعه قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أي رجع اليهم يضربهم مخفيا رجوعه ومعنى باليمين أي بيمينه الذي حلف في قوله تعالى وتالله لا كيدن أصنامكم أو يريد باليمين القوة وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل أي رجع اليهم في اخفاء منه لرجوعه (القنيص والقنيصة) الذكر والانثى مما يصاد من الوحش وهذا مثل وانما أراد ما يأخذه من بالحيل (ألجأني) أحوجني (ولجت) دخلت (لطف) رقة وتلطف (عيصه) بيته وأصله ر الملتف و (الليث) الاسد (أهب) أخف (صرفه) تقلبه (نبضت) تحركت (فريصة) في آخر الكتف تتحرك عند الفزع (شرعت) دخلت و (على) بمعنى في نحو قولك كان ذلك

تلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له ياهذا أيكون ذلك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت أن يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى أواره أنشد شعرا

لبست الخميصة أبغي الخبيصه
وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة
أريغ القنيص بها والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت
بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه
ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد

يدنس عرضي نفس حريصه
ولو أنصف الدهر في حكمه
لما ملك الحكم أهل النقيصه
ثم قال لي ادن فكل وان
شئت فقم وقل فالتفت الى
تلميذه وقلت عزمت عليك بمن
تستدفع به الاذى لتخبرني
من ذا فقال هذا أبو زيد
السروجي سراج الغرباء
وتاج الادباء فانصرفت من
حيث أتيت وقضيت العجب
مما رأيت

على عهد فلان أي في عهده (مورد) موضع الماء (يدنس) يوسخ ويعيب (عرضي) ذكري (نفس حريصة) كثيرة الرغبة والطمع (النقيصة) الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها ومن أحسن ما قيل في الدهر قول تميم بن المعز

يا دهر ما أقساك من متلون * في حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا * وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا
واذا صفوت كدرت شيمة باخل * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لأنني * أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمن اذا أعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفا
ما قام خيرك يا زمان بشره * أولى بنا ما قل منك وما كفى

(ولادريس بن اليماني)

ماذا أقول لدنيا لو ظفرت بها * أدبتها غضبا للعلم والادب
شحا من اقذية الايام برح بي * بل بالعوالي وبالهندية القضب

(قوله ادن) أي اقرب (قل) أي قل ما شئت (التلميذ) الخادم والجمع التلاميذ قال لبيد * تجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا * أي تجلو التلاميذ لؤلؤا جديدا وطلبة العلم تلاميذ شيخهم (الاذى) الضرر (سراج) مصباح يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته وللادباء تاج يتزينون به ويضعونه فوق رؤسهم (انصرفت) رجعت (قضيت العجب) أي أتممته كأنه قال قضيت حاجتي مما رأيت ويقال قضى نحبه من كذا أي بلغ مراده وقضى عليه القاضي أي قطع عليه والقاضي القاطع للامور المحكم لها وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين أي قطعهن وأحكم خلقهن ويكون قضى بمعنى عمل

(المقامة الثانية الحلوانية)

حكى الحرث بن همام قال
كلفت مذ ميطت عني التمائم
ونيطت بي العمائم بأن
أغشى معان الادب وأنضي
اليه ركاب الطلب لاعلق
منه بما يكون لي زينة بين
الانام ومزنة عند الأوام
وكنت لفرط اللهج باقتباسه
والطمع في تقمص لباسه
أباحث كل من جل وقل
وأستسقي الوبل والطل

(شرح المقامة الثانية وهي الحلوانية)

(كلفت) أي اشتد حبي والكلف شدة الحب والمبالغة فيه وفلان كلف بفلان أي مبالغ في محبته و (ميطت) وأميطت أزيلت (التمائم) الاحراز (نيطت) علقت واذا بلغ الصبي الحلم عند العرب أزالوا الاحراز عن عنقه وألبس العمامة والازار وقلد السيف فأراد أحييت مذ بلغت الحلم مجالس الادباء (اغشى) أقصد وأدخل (المعان) المنزل أبو عبيد يقال البصرة معان منا أي منزل منا قال المعري * معان من أحبتنا معان * فالاول اسم موضع معلوم جنس به وجعله منزل أحبابه وقال بعضهم سمي معانا لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضا أولان فيه أعيانا (أنضي) أهزل (الركاب) الابل وجعل للطلب ابلا مجازا وانما يريد أتعبت نفسي فرحلت الى طلبه على الابل (لاعلق) منه لاحصل منه على فائدة أتعلق بها (الانام) الخلق (مزنة) سحابة (الأوام) شدة العطش يريد أنه يتعب نفسه في طلب الادب ليتزين به بين الناس ويعيش به اذا احتاج اليه (فرط اللهج) شدة الحب يقال قد لهج بالشيء اذا أكثر الحديث به لحبه فيه وحرصه عليه ولهج الفصيل بالرضاع اذا لج فيه (اقتباسه) اكتسابه (التقمص) لبس القميص (لباسه) ثيابه أي أطمع أن ألبس من ثيابه قميصا (أباحث) أسائل (جل) عظم (قل) حقر (أستسقي الوبل والطل) أي أطلب

منه السق والوبل أشد المطر والطل أضعفه ويقال الرك أضعف من الطل ومنه قيل للدنىء ركيك (أتعلل) أشغل نفسي وأطمعها والعلالة الشئ اليسير و (عسى ولعل) معناهما الرجاء والطمع يريد أنه يسائل الجليل فى العلم والحقير ومن كثر علمه كان كالوبل أو قل كان كالطل واذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجى نفسه بوجوده وأطمعها والتعال قطع الزمان بالعيش اليسير وقد تعال بشرابه اذا أخذ منه قليلا قليلا فعنى أتعلل بعسى ولعل أذهب علة وجدى بالرجاء والطمع (حللت) نزلت (حلوان) بلدة بينها وبين مدينة بغداد أربع مراحل وهى من كورا لجبل وسميت باسم بانيها وهو (١) حلوان بن على بن الحاف بن قضاعة وهى مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهى مقابلة لطبرستان وهى جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل وبها قصب السكر وافتتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (بلوت) جربت (الاخوان) الاصحاب (سبرت) فتشت (الاوزان) أقدار الناس (خبرت) جربت وعرفت (شان) عاب و (زان) زين يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس (ألفيت) وجدت (يتقلب) يتنوع (قوالب) جمع قالب وقالب كل شئ قياسه ومايصنع عليه (يخبط) يمشى والخبط المشى فى الارض على غير قصد كمشى الاعمى (أساليب) طرق واحدها أسلوب (آل ساسان) ملوك الفرس (يعتزى) ينتسب (أقيال) ملوك (غسان) قبيلة باليمن كان منها ملوك وغسان ماء كان شرب بالولد مازن بن الازد بن الغوث فسموا به (يبرز) يظهر (طورا) حينا (شعار) ثياب والشعار ثوب يلى الجسد (كبر) تكبر يريد أنه لقى أبا زيد بحلوان يتنوع بذلك فى أحوال المكدين ويجرى بذلك فى طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان وأصل هذا ان الفرس كان فيهم الملك وكانت العرب تحت حكم ملوكهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتابه يدعوهم به الى الاسلام مزقوه فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق فأوقع بهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية فلم يبق لهم فى الملك رسم وصاروا فى خلافة عثمان رضى الله عنه تحت حكم المسلمين وكانوا أهل دهاء وجراءة وحروب ورماية فسكن من بقى منهم الامصار واستعربوا وتفقهوا فكان منهم من نفع الله به المسلمين وكان منهم أهل أهواء وبدع ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون الى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المذكة الى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا ساسانى وقيل ان ساسان اسم رجل معين هو أول من أسس الكدية فنسبوا اليه كما أن الطفيلى منسوب الى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل فأراد أن أبا زيد كان يتنوع فى أحواله فيتمسكن تارة ويدعى انه من ساسان ويتعاظم أخرى فينتسب الى غسان ويبرز أحلاس الشعراء المكدين ويظهر ثانية فى ثياب فاخرة لباس الكبراء المثرين (قوله بيد غير (محاله) باطله والمحال ما لا يمكن أن يتصور وهو منعل من حال الشئ اذا تغير كأنه زال به (يتحلى) يتزين (رواء) نطافة وحسن منظر (مداراة) حسن سياسة فى صحبة وأصلها (دراية) ودرية مصدر دريت (بلاغة) فصاحة (رائعة) معجبة من شاهدها ارتاع (والبديهة) والبداهة الاخذ فى الكلام من غير فكرة وهى الارتجال (مطاوعة) منقادة

فلما وأتعلل بعسى ولعل حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ماشان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجى يتقلب فى قوالب الانتساب ويخبط فى أساليب الاكتساب فيدعى تارة أنه من آل ساسان ويعتزى مرة الى أقيال غسان ويبرز طورا فى شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة

(١) قوله حلوان بن على كذا فى نسخ الشرح والذى فى القاموس ابن عمران اهـ

(بارعة) فائقة تفضل غيرها (أعلام) جبال (فارعة) طائلة قد علتها واللام في قوله لاعلام زائدة وزيادتها اذا تقدمت أحسن منها اذا تأخرت مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت (آلائه) عدده وأراد به هذه الانواع التي قدمها التي تحلى بها (يلبس) يصاحب ويخالط (علائه) عيوبه التي ذكر من أنواع العربة (سعة روايته) كثرة علمه ومايرويه (يصبي) يميل (خلابة) خداع وقد خلبه خلبا وخلابة خدعه (عارضته) قوة كلامه (معارضته) مقابلته ومناقضة كلامه وتقول رغبت عن الشيء تركته وتزهدت فيه ورغبت فيه اذا أحببته فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته لايتعرض أحد لجداله فهو يخادع به الناس حتى لايعترض فيما يقول وقيل معنى فلان شديد المعارضة اذا أفحش وأسمع المكروه ورجل شديد العارضة أي لاتنترب ناحيته (ايراده) أخذه في الكلام (يسعف) يساعد (أهدابه) أطراف ثوبه (خصائص) الشيء مايختص به أي ينفرد (نافست) زايدت وغالبت (مصافاته) مصاحبته (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع من كل شيء يسمى نفيسا من النفس وهي العين حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين وقد قال المعري

فالعين يسلم منها ما رأت فنبت عنه وتلحق ما تهوى من الصور

(قوله أجلو) أي أكشف (أجتلي) أنظر (طلق الوجه) مستبشرا والطلق ضد العابس (ملتمع) منير بادي اللمعان (قربي) نسبا و (مغناه) منزله من قولهم غني بالمكان يغنى غنيا نا اذا أقام به (غنية) غنى يقال غني يغنى غنى فهو غني اذا استغنى والاسم الغنية (ريا) شبعا من الماء ورويت من الماء صد عطشت (محياه) حياته (حيا) مطر عام يقول انه كان بصاحبته أبازيد يزول همه ويلقاه ببشر منه فيرى قربه منه بالود كقرابة النسب وكان منزله لما يجد فيه من الادب أومن غزارة العلم يرى أنه غناه واذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برؤيته وقصد تجنيس الالفاظ بعد المعنى (لبثنا) أقمنا (برهة) مدة (ينشئ) يصنع ويبتدئ و (النزهة) أصلها التباعد عن الريب ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتنزه ثم استعملت في المعاني فقيل نزه فلان في آدابه وكني بهذا عما يستفيده من علمه (يدرأ) يدفع (شبهة) اشكال والتباس (جدحت) حركت ومزجت والمجدح آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج (الاملاق) الفقر من الملقة وهي الصخرة الملساء فأملق كأنه صادف ملقة لاتنبت شيأ ولم يصادف خصبا بعد أن كان في ترفه وغنى (أغراه) حرضه و (العراق) اختلفوا فيه فقال صاحب العين العراق العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق ابن قتيبة يقال للعظم الذي عليه اللحم عراق والخالي من اللحم عرق أبو عبيد العراق القطعة من اللحم أبو زيد قول العامة ثريدة العراق خطأ اذا كان العراق العظام وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه في عام جدب

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طرادي الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن سوقها حمراء تبرى اللحم عن عراقها

ابن الانباري قول أبي عبيد هو الصواب لان العرب تقول أكلت العراق ولا تقول أكلت العظم وفي حديث أم اسحق الغنزية فجعلت لا آكل العراق ولا أضعه فقولها لا آكل يدل على ان العراق لحم مفرد أو لحم على عظم الاصمعي قيل لاعرابي أي الطعام أطيب قال من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حنافين من البضع لها اجناحان من العراق قيل كيف

وآداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلائه يلبس على علائه ولسعة روايته يصبي الى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته فكنت به أجلو همومي وأجتلي زماني طلق الوجه ملتمع الضيا أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبي شبهة الى أن جدحت له يد الاملاق كأس الفراق وأغراه عدم العراق

قال أصدع بهاتين يعني السبابة والوسطى وأسند بهذين يعني الابهام والخنصر وأجمع ماشذ منها بهذه يعني البنصر وأضرب فيها ضرب ولي السوء في مال اليتيم فهذا يدل على ان العراق قطع اللحم اذ كانت العرب لا تصف الثريد والاطعمة بكثرة العظام والعراق في البيت الاكل تقول عرقت العظم عراقا أكلت ما عليه من اللحم والعظم معروق وهو بمنزلة سكت سكاتا (العراق) قال صاحب العين هو شاطئ البحر وبه سميت العراق لانها على شاطئ دجلة * ابن الاعرابي سمي عراقا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر أخذ من عراق القربة وهو الخرز في أسفلها * قطرب سمي عراقا لانه دنا من البحر وبه سباخ ونجد ويقال استعرقت ابلهم اذا أتت ذلك الموضع (لفظته) أي رمته و (معاوز) جمع معوز والمعوز هو العوز نفسه والمعوز بالكسر الثوب الخلق وجمعه معاوز و (الارفاق) مصدر أرفقته اذا أوصلت اليه نفعا يرتفق به ورفقته بمعناه فأراد بمعاوز الارفاق فقد ما يرتفق به و (المفاوز) جمع مفازة وهي الصحراء سميت مفازة على التفاؤل لان الرجل اذا قطعها فاز ونجا (الآفاق) نواحي الارض (نظمه) ضمه وجمعه (سلك) خيط (الرفاق) جمع رفقة وعني بسلك الرفاق الطريق الذي ينتظمون فيه اذا أخذوا في السير لانهم يمشون فيه واحدا بعد واحد فنظمهم الطريق وصار لهم كالسلك (خفوق) اضطراب وقد خفق خفقا وخفوقا و (الاخفاق) الخيبة ويقال غدا فأخفق اذا خاب ومثله في الصائد صاد فاورق (شحذ) حدد وسن وشحذ الرجل سيفه اذا ألح عليه بالتحديد ومنه قولهم للملح في المسئلة شحاذ والعامة تصحفه فتقول شحات بالتاء (غرار) حد وأراد أنه لما عزم على الارتحال حد عزمته أي عول على السفر بجد و (العزمة) مصدر عزم اذا جد وجعل لها حدا مبالغة في تعجيل السفر (ظعن) ذهب وارتحل (أزمة) جمع زمام وهو حبل من جلود يشد به في حلقة مجعولة في وتد أنف البعير فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه وحنينهم اليه كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه فمن روى القلوب عادت الهاء من أزمته على السروجي ومن روى القلب عادت على القلب أو على السروجي والقلب لابن همام (قوله راقني) أي أعجبني وقد راق الشيء يروق روقا فهو رائق اذا أعجب (لاقني) لصق بي وصحبني (شاقني) شوقني (ساقني لوصاله) دعاني لصحبته (لاح) ظهر (ند) فر وشرد (ند) مثل والجمع أنداد (خلال) جمع خلة بالضم وهي الصداقة (خلاله) جمع خلة بالضم أيضا وهي الخصلة وهذا النمط في وصف الصديق وغيبته بارع ولابن عمران في ذلك

يا من حبا بصديق لست أبصره * الا تجدد لي أنس بمرآه
وان تغيب عن عيني فلم أره * فلي فؤاد بظهر الغيب يرعاه

(استسر) غاب واختفى وأصله في سرار الهلال في آخر الشهر وهو يستسر ليلة لا يظهر أو ليلتين و (العرين) بيت الاسد ومأواه (مبينا) معلما به يبين لي أين استقر (أبت) رجعت (منبت شعبتي) أي بلدة قرابتي التي نبتوا فيها يريد البصرة والشعبة القرابة (داركتبها) مدرسة العلم (منتدى) مجمع (القاطنين) الساكنين وقطن بالمكان أقام فيه (كثة) كثيرة الاصول من غير طول ويقال لحية اذا قصر شعرها وكثر انها الكثة وقد كثت تكث كثاثة وكثوثة ورجل كث اللحية ولحية كثومة اذا كثفت وقصرت وجعدت ورجل كثم اللحية واذا عظمت وكثر شعرها قيل انه لذو عثنون وانه لهلوف فاذا كانت اللحية قليلة في الذقن ولم تكن في العارضين

بتطليق العراق ولفظته
معاوز الارفاق الى مفاوز
الآفاق ونظمه في سلك
الرفاق خفوق درابة الاخفاق
فشحذ للرحلة غرار عزمته
وظعن يقتاد القلب بأزمته
فما راقني من لاقني بعد بعده
ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله
ولا ذو خلال حاز مثل خلاله
واستسر عني حينا
لا أعرف له عرينا ولا أجد
عنه مبينا فلما أبت من
غربتي الى منبت شعبتي
حضرت داركتبها التي هي
منتدى المتأدبين وملتقى
القاطنين منهم والمتغربين
فدخل ذو لحية كثة

(ما قيل في طول اللحى)

فذلك السنوط والسناط ورجل سناط بين السنط فاذا لم يكن فى وجهه كثير شعر فذلك الثطط ورجل ثط ورجال ثطاط والسبلة مقدم اللحية ورجل مسبل وفلان خفيف العذارين وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ وهما العارضان وهما ما نبت فى الخدين من الشعر على عوارض الاسنان قال رؤبة فى لحية حرب بن قطن

هلوفة كأنها جوالق ـ نكداء لا بارك فيها الخالق

لها فضول ولها نبائق ـ اذا الرياح العصف السوابق

طيرنها طارت لها عقائق ـ ان الذى يحملها لمائق

(وأنشد أبو على)

وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية ـ كأنك منها قاعد فى جوالق

وقال النبى صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة رضى الله عنها تقسم فتقول لا والذى زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملائكة وقال الاحدب الصوفى سمعت طيار بن أحمد يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أشتهى لحية كبيرة فقال لى لحيتك جيدة وأنت محتاج الى عقل تام وقال صلى الله عليه وسلم اعتبر واعقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وأتى رجل طويل اللحية معاوية فقال له أما اللحية فلا نسأل عنها فما نقش خاتمك فقال وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال فما كنيتك فقال أبو الكوكب الدرى قال نكل الرجل وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسواء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما زاد منها على قبضته ، الحسن بن المثنى اذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وكان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد مشرفا على دجلة وهم يتذاكرون أخبار الناس فقال المأمون ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته وما رأيت عاقلا قط طويل اللحية فقال له بعض جلسائه ولا يرد على أمير المؤمنين قد يكون فى طول اللحى أيضا عقل فبينما هم يتذاكرون فى هذا اذ أقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة فاخر الثياب فقال المأمون ما تقولون فى هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخر يجب أن يكون هذا قاضيا فقال المأمون لبعض الخدم على بالرجل فلم يلبث ان أصعد اليه ووقف بين يديه فسلم فأجاد السلام فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال المأمون ما اسمك فقال علويه قال فما الكنية قال أبو حمدويه فضحك المأمون وغمز جلساءه ثم قال ما صنعتك قال فقيه أجيد الشرع فى المسائل فقال له نسألك مسئلة فقال الرجل سل عما بدا لك فقال له المأمون ما تقول فى رجل اشترى شاة من رجل فلما تسلمها المشترى وقضى الثمن ضرطت فخرج من استها بعرة ففقأت عين رجل على من توجب دية العين قال فنكت باصبعه فى الارض طويلا ثم قال تجب على البائع دون المشترى فقال المأمون وما العلة التى أوجبت الدية عليه دون المشترى قال انه لما باعها لم يشترط ان فى استها منجنيقا قال فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه وضحك كل من حضره من الندماء وأنشد المأمون يقول

ما أحد طالت له لحية ـ فزادت اللحية فى حليته

الا وما ينقص من عقله * أكثر مما زاد فى لحيته

وقال آخر

اذا عظمت للفتى لحية * فطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد فى لحيته

(وأنشد أبو على)

لا تفخرن بلحية * كثرت منابتها طويله
يهوى بها هوج الريا * ح كأنها ذنب الحسيله
قد يدرك الشرف الفتى * يوما ولحيته قليله

قال الحسيلة العجلة وأنشد أبو العباس

كل امرئ ذى لحية عثولية * يقوم عليها ظن ان له فضلا
وما الفضل فى طول السبال وعرضه * اذا الله لم يجعل لصاحبه عقلا

عثولية كبيرة * نظر يزيد بن مزيد الشيبانى رحمه الله الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لعمرك لو يعطى الامير على اللحى * لأصبحت قد أيسرت منذ زمان
اذا اشفقتنى لحيتى من عصابة * لهم عنده ألف ولى مائتان
لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوّت فى حافاتها الجلمان

فامر له بعشرة آلاف درهم والجلمان المقص ويسمى الجالم وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرنى أنى فى طول داود * وأنى علم فى البأس والجود
ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأننى والدعى بمولود
ما طول داود الاطول لحيته * يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها اذا نفحت * ريح الشمال وجف الماء فى العود
أجدى وأغنى من الخز الصفيق ومن * بيض القطائف يوم القر والقود

(وأشد افراطا منه قول ابن الرومى)

ولحية يحملها مائق * مثل الشراعين اذا اشرعا
تقوده الريح بها طائعا * قودا عنيفا يتعب الاخدعا
وان عدا والريح فى وجهه * لم ينبعث فى مشيه اصبعا
لو غاص فى اليم بها غوصة * صاد بها حيتانه أجمعا

(وأشد افراطا منه قول الآخر)

يا لحية الشيخ الازب غيم * أهديت للاقوام عرق الثوم
لو أنها دون السماء غمامة * ضاقت مسالك دعوة المظلوم
أوصبها فى الماء ثم سمابها * قامت مقام العارض المركوم

(ولابن سارة) ولحية لست أدرى كيف أنعتها * فضول أشعارها أودت باشعارى

كأنها وعين الريح تنشرها * مذبة رفعت في عود بيطار

(وقال آخر) أبصرت شيخا ذا أهباجا بيا * ذا لحية قد كبرت في اتساع

عرضا وطولا وهو من خلفها * كأنه ناشر ثوب بباع

(وقال آخر) لقد كانت مجالسنا فساحا * فضيقها بلحيته رباح

مقلبة الاسافل والاعالي * لها في كل زاوية جناح

(وقال آخر) يا أيها الناس خذوا حذركم * قد برزت لحية بهلول

فطولها الفرسخ في فرسخ * وعرضها ميل الى ميل

لو ضم ما يقطر من دهنها * أسرج منه ألف قنديل

ولو سها الحجام عن قصها * لخالطت ما في السراويل

وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود له بالاجادة

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجي انها كثة وكل صفة يصفها السروجي في المقامات فتلك كانت صفة الحريري وذكر ابن جهور أن الحريري كان قليل اللحية لاخلقة وانما كان مولعا بنتفها كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته وهذا على كثرته قليل فيما قيل في اللحية (قوله رثة) أي خلقة بالية (أخريات) اطراف وهي جمع أخرى أتى طلحة رضي الله عنه مجلس قوم فجعلوا ينادونه من كل جانب ههنا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس في أدنى المجلس ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجلس (وطابه) زقاق لبنه أراد أنه يظهر ما عنده (يعجب) يجعلهم يتعجبون (بفصل خطابه) يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته وقوله تعالى وفصل الخطاب هو قول الخطيب أما بعد (يليه) يلصق به (أبي عبادة)

(ترجمة البحتري)

قال البكري هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد من بني بحر بن عتود بن عنيس بن سلاسان بن نفيل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهي طيء شاعر مقدم لا يعدل به أحد يفضل على حبيب والناس في تفضيلهما على اختلاف قال أبو الفرج الاصبهاني كان البحتري شاعرا فصيحا حسن المذهب نقي الكلام ختم به الشعراء المحدثون وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة قال البحتري وكان أول أمري أني سرت الى أبي عامر بحمص فعرضت عليه شعري والشعراء يعرضون عليه أشعارهم فتركهم من حضر وأقبل علي فقال لي حين تفرقوا أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك فشكوت خلة فكتب الى أهل معرة النعمان وشهد لي بالحذق في الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فأكرموني بكتابه ووظفوا الى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته وحدث أبو الفرج قال حدثني أبو الغوث البحتري عن أبيه قال أول أمري اني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف المعري فأنشدته قصيدة أولها

* أأفاق صب من هوى فأفيق * فسر أبو يوسف بها وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه فوق كل من حضر تكاد تمس ركبته ركبته وينشد بحضرتي فأقبل علي وقال أما تستحي مني هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتي فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وانما علقه مني وسبق به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرا فقال لي أبو سعيد يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان أن الشعر لي ما سمعته منه ولا انتحلته

فلم

فلم ينفع ذلك شيأ وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت ان يساخ بى فى الارض فقمت منكسف البال أجر رجلى فما بلغت باب الدار حتى ردنى الغلام فأقبل على الرجل وقال الشعر لك يا بنى والله ما قلته قط ولا سمعته الا منك ولكننى كنت ظننت انك تهاونت بموضعى فاقدمت على الانشاد بحضرتى تريد مضاهاتى حتى عرفنى الامير نسبك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك ودعانى وضمنى اليه وعانقنى وأبو سعيد يضحك فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه واحتذيت فنه وعن أبى الغوث عن أبيه قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك مالا جليلا فيم مدحتهم فأنشدنى شيأ منه فانشدته فقال لى كم أعطوك فقلت كذا فقال لى ظلموك والله ما وفوك حقك فلم استكثرت ما أعطوك والله لبيت منها خير مما أخذت ثم أطرق قليلا ثم قال لعمرى لقد استكثرت ذلك لما مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت أسواق الادب أنت والله يا بنى أمير الشعراء غدا بعدى فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت والله لهذا القول أسر لى مما وصل الى منهم قال البحترى أنشدت أبا تمام يوما شيأ من شعرى فأنشدنى بيت أوس

اذا مقرم منا ذا حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال يا بنى نعيت الى نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا فقال لى ان عمرى ليس يطول وقد نشأ مثلك لطيئ أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنى نعى نفسى الى احسانك فى كلامك لانا أهل بيت ما نشأ فينا قط خطيب الا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ومات البحترى سنة ثلاث وثمانين ومائتين * المبرد ذكرت للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى تأويلات فبعث الى عامله بالبصرة أن يحملنى اليه مكرها فوردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وفى المجلس البحترى وأبو العنبس الضمرى فأنشده البحترى قصيدة أولها

عن أى ثغر تبتسم * وبأى حكم تحتكم
حسن يضن بحسنه * والحسن أشبه بالكرم

حتى بلغ

قل للخليفة جعفر الـ * ـمتوكل بن المعتصم
المرتضى بن المجتبى * والمنعم بن المنتقم
أما الرعية فهى من * أمنات عدلك فى حرم
يا بانى المجد الذى * قد كان قوض فانهدم
أسلم لدين محمد * فاذا سلمت فقد سلم
نلنا الهدى بعد العمى * بل والغنى بعد العدم

ثم مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال يا سيدى تأمر برده فقد والله عارضته فأخذ ينشد فى ذلك

فى أى سلح تلتطم * وبأى كف تلتقم
أدخلت رأس البحترى * أبى عبادة فى الرحم

ووصله بما يشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلقى وقال يدفع الى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال أبو الفتح يا أمير المؤمنين والبحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا قال ويدفع

الى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده لايشركهم فيما حصلوه قال ويدفع له عشرة آلاف قال وانصرفنا كلنا فى شفاعة الهذلى ولم ينفع البحترى جده وحذقه وأما أبو الفرج فقال حدثنى جحظة عن أبى العنبس الضمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده «عن أى ثغر تبتسم» وكان البحترى من أبغض الناس انشادا يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكفيه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين ويقول لهم مالكم لاتقولون أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ياضمرى مايقول فقلت بلى ياسيدى فمرنى فيه بما أحببت فقال بحياتى اهجه على هذا الروى فقلت على البديهة

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم
يابحترى حذار ويحك من قضاقضة ضغم
فلقد أسلت بوادييك من الهجا سيل العرم
فبأى عرض تعتصم * وبهتكه جف القلم
لاصيرنك شهرة * بين المسيل الى العلم
يا ابن الثقيلة والثقيل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبير من الموالى والحشم

وبعد هذا مايقبح ذكره فغضب البحترى وخرج يعدو وجعلت أصيح به

أدخلت رأسك فى الرحم * وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ومدح البحترى بعض الولاة فتوانى فى حقه فأنشده

ان الامير أطال الله مدته * يعطى من العرف مالم يعطه أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا * من العباد ولا ينسى الذى يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم وقال البيتان خير من القصيدة وقال الهذلى قيل للبحترى ايما أشعر أنت أو أبو تمام قال جيده خير من جيدى وردى خير من رديئه وصدق أبو تمام لايتعلق به أحد فى جيده وربما اختل لفظه لامعناه والبحترى لايختل لفظه وقيل له قد عثرت باحتذائك أباتمام فى شعرك فقال أيعاب على أن أتبع أباتمام ماعملت بيتا قط حتى أخطر شعره ببالى وذكروا معنى تعاوره البحترى وأبو تمام فقال المبرد للبحترى أنت فى هذا أشعر من أبى تمام فقال لا والله ذلك الرئيس الاستاذ والله ماأكلت الخبز الابه وقال عبد الله بن الحسن سألت المبرد عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر فقال لابى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحترى ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من شعره لان البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر وهذا المعنى كان أعجب الى الاصمعى وماأشبهه الا بغائص يخرج الدرة والمخشلبة وهى زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال لابى تمام والبحترى من المحاسن مالوقيس بأكثر شعر الاوائل ماوجدوا فيه مثله ثم قال والبحترى ضم الشعر وله بيتان لو وضعا الى شعر زهير لجاز افيه وهما

فاسفه السفيه وان تعدى * بأنجع فيك من حلم الحليم

متى

متى أحفظت ذا كرم تخطى * اليك ببعض أفعال اللئيم

وذكر المبرد فى هذا المجلس شعر اله وقدمه على نظرائه

واذا ذكرت محاسن ابى صاعد * أدت اليك مخائل ابى مخلد

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد

وقوله من شاكر عنى الخليفة للذى * أولاه من فضل ومن احسان

حتى لقد أفضلت من افضاله * ورأيت نهج الجود حيث رآنى

و بعدهما أغنت يداه يدى وشرد جوده * بخلى فأفقرنى بما أغنانى

وله أيضا فى الفتح بن خاقان وقد نزل الى الاسد فقتله

حملت عليه السيف لا عطفك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وصمم لما لم يجد عنك مهربا

وله فيه وما منع الفتح بن خاقان نيله * ولكنها الايام تعطى وتحرم

سحاب خطانى جوده وهو مسبل * وبحر عدانى فيضه وهو مفعم

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه أسود مظلم

أأشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

فقال هل

وله أيضا فى انتقاض صلح بين عشيرته

اذا ما الجرح رم على فساد * تبين فيه تفريط الطبيب

وللسهم السديد أشد حبا * الى الرامى من السهم المصيب

ومن جيد شعره

ولما التقينا واللوى موعدلنا * تبين رائى الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

والبحترى مكثر جدا وديوان شعره نسخ مختلفا بالزيادة والنقص لان شعره لا ينضبط لكثرته قال البحترى كنت أنظم الشعر فى حداثتى وكنت أرجع فيه الى الطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ما قال لى يا أبا عبادة تخير الاوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات أن يقصدها الانسان لتأليف الشئ وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقاومه ونضض المعانى واحذر المجهول منها واياك أن تشين شعرك بالالفاظ الهجنية وكن كأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرا الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة تجمع النفس * جملة الحال أن تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما كرهوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى فاعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة (قوله هل

عثرت له فيما لحنته على بديع استملحته قال نعم قوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ
منضد أو برد أو أقاح

فانه أبدع فى التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت فى غير ضرم أين أنت من البيت النادر الجامع مشبهات الثغر وأنشد

نفسى الفداء لثغر راق مبسمه
وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد
وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

عثرت) معناه اطلعت (لحنته) تطرته (بديع) معنى لم يسبق غيره اليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مما ذكر من صنع البديع فى الثالثة والعشرين والبدع احداث الشئ قبل أن يكون أولا والبدعة ما ابتدع من الدين والبديع المحدث العجيب وأبدع الرجل أتى ببديع من قول أو فعل وأبدع الله الاشياء وابتدعها خلقها بلا مثال (استملحته) وجدته مليحا (يبسم) يبدى بعض أسنانه عند الضحك (لؤلؤ) جوهر شبه به الاسنان وهذا البيت من شعره وقبله

بات نديما لى حتى الصباح * أغيد مجدول مكان الوشاح
فبت أفديه ولا أرعوى * لنهى ناه عنه أو لحى لاح
امزج كأسى بجنى ريقه * وانما أمزج راحا براح

كأنما يبسم البيت وبعده

سحر العيون النجل مستهلك * مالى وتوريد الخدود الملاح
قل لابى نوح شقيق العلا * ومعدن الجود وترب السماح
أعوذ بالفضل الجميل الذى * عودتنى والنائل المستماح
من أن يصد الطرف عنى وأن * أخيب من جدواك بعد النجاح
أشمت حسادى وأحرمتنى * من سيبك المغدق عالى المراح
فهل لانس بان من عودة * وهل لحال فسدت من صلاح
لست على سخطك جلد القوى * ولا على هجرك شاكى السلاح

(قوله المودع) المضمن وأودع الشئ صيره وديعة (استسمنت) حسبته سمينا وطلبت السمانة من هزيل (ورم) دمل والمعنى أنه يرميه بسوء الفهم وقد بين هذا أبو الطيب المتنبى فقال

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

(ونفخت فى غير ضرم) مثل لطلب الشئ فى غير موضعه ولفظ المثل نفخت أو تنفخ والضرم النار (الندر) والنادر الغريب (الثغر) الاسنان (مبسمه) موضع ابتسامه يعنى الفم (الشنب) الماء القليل الجارى على الاسنان . الجرمى سمعت الاصمعى يقول الشنب برد الاسنان والفم فقلت أصحابنا يقولون حدتها حين تطلع فيراد بذلك حدائتها وطراءتها اذا أتت عليها السنون تغيرت فقال ما هو الا بردها . ابن سيده قال الاصمعى سألت رؤبة عن الشنب ما هو فأخذ حبة رمان فأومأ الى بصيصها (ناهيك) كافيك وتقول ناهيك بفلان أى قد انتهى الامر فيه الى الغاية ونهى الرجل من اللحم وانتهى اذا شبع منه واكتفى والنهى الغدير لانه ينتهى اليه ماء الوادى (يفتر) يكشف ويبسم (رطب) أى طرى كما أخرج من اصدافه وفى اللؤلؤ اذ ذاك رطوبة وسطوع بياض فاذا أصابه الهوى ودام عليه صلب واذا تداولته الايدى باللمس وقدم تغير بياضه (الطلع) أول حمل النخلة وهو الفرخ فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الاسنان فى بياضه ثم الاغريض اذا افترق حبه وانما شبه الاسنان بالطلع وهو الفرخ لانه اذا شق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ويقال له الوليع قال الشاعر

وتبسم عن لؤلؤ كالوليـ * ـع شقق عنه الرقاة الجفوفا

الجفوف

فاستجاده من حضر واستحلاه
واستعاده منه واستملاه
وسئل لمن هذا البيت
وهل حي قائله أو ميت فقال
ايم الله للحق أحق أن يتبع
وللصدق حقيق بأن يستمع
انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم
قال فكأن الجماعة ارتابت
بعزوته وأبت تصديق
دعوته فتوجس ما هجس
في أفكارهم وفطن
لما بطن من استنكارهم
وحاذر أن يفرط اليه ذم
فقرأ ان بعض الظن اثم ثم
قال يا رواة القريض وأساة
القول المريض ان خلاصة
الجوهر تظهر بالسبك ويد
الحق تصدع رداء الشك
وقد قيل فيما غبر من الزمان
عند الامتحان يكرم
الرجل أو يهان وها أنا قد
عرضت خبيئي للاختبار
وعرضت حقيبتي على
الاعتبار فابتدر أحد من
حضر وقال أعرف بيتا لم
ينسج على منواله ولا سمحت
قريحة بمثاله فان آثرت
اختلاب القلوب فانظم
على هذا الاسلوب وأنشد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب
بالبرد

(ذكر النرجس وما قيل فيه)

الجفوف جمع جف وهو قشر الفرخ ويقال له القيقا والبلبلة وهو طيب الريح والرقاة الراقون الى أعلى النخل و(الحبب) تنضد الاسنان وقيل طرائق تظهر في الخمر عند مزجها بالماء فأما الفقاقيع التي تعلو الخمر عند المزج فهي الحباب بزيادة الالف قال المتلمس

عقار عتقت في الدن حتى * كأن حبابها حدق الجراد

وقال آخر

حمراء قانية اذا ما شعشعت * ينزو الى وجه النديم حبابها

(قوله استعاده) أي قال أعده علي (استملاه) طلب أن يكتبه (ايم الله) يمين يحلف به (نجيكم) محدثكم يعني نفسه (ارتابت) شكت والريب الشك (بعزوته) بنسبته أي بنسبته الى نفسه (دعوته) ادعاؤه أنه من قوله والدعوة بكسر الدال في النسب وبفتحها في الطعام (فتوجس) أي أحس وسمع (هجس) وقع وخطر (فطن) شعر (بطن) خفي يريد أنه فهم منهم انهم لم يصدقوه في ان الشعر له وأنكروا أن يقول مثله (حاذر) خاف (يفرط) يسبق (القريض) الشعر (أساة) أطباء واحدهم آس (القول المريض) الضعيف من قبل راويه (خلاصة) ما خلص منه و(جواهر) الارض مثل الحديد والنحاس وغيرهما فاذا عرض الجوهر على النار فما كان منه خالصا ازداد صفاء وجودة وما لم يكن خالصا فضحته النار وأظهرت عيبه و(السبك) الاختبار بالنار (تصدع) تشق (غبر) مضى هنا ويستعمل كثيرا بمعنى بقي وهو من الاضداد يقال غبر الشيء غبورا اذا بقي قال الله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين (الامتحان) الاختبار والبحث وهذا المثل من أمثال الفرس ولهذا أبعد مدته حيث قال غبر من الزمان (خبيئي) مكتومي وما خبأته من علي وأصل خبيئي الهمز فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء كما قلبت في خاسية وتقول عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع ان أتيت بعلى خففت الراء وان أتيت باللام شددتها (والحقيبة) وعاء يجعله الراكب خلفه و(الاعتبار) والاختبار واحد (قوله ابتدر) أي سبق بالكلام وبادر به (والمنوال) خشبة الحائك يريد ان البيت رفيع الصنعة في الشعر لم يصنع بيت مثله لان الثوب أنواع وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب (سمحت) جادت (قريحة) ذهن (آثرت) فضلت (اختلاب القلوب) امالتها اليك بتصديقك وانخداعها بما تبديه وهو من الخلب وهو من غشاء القلب وعن أبي عبيدة وغيره قال ثعلب الخلب الذي بين الزيادة والكبد يقال خلبني حب فلان أي وصل حبه الى خلبي وفلان خلب نساء أي تخلبه النساء وخلاب يخلب الناس أي يذهب بقلوبهم وخلب جمعه خلبة وكله من الخلب قال اعرابي

من كان لم يدر ما حب جعت له * أو كان في غفلة أو كان لم يجد
فالحب أوله روع وآخره * مثل الحرارة بين الخلب والكبد

(لؤلؤا) دررا و(النرجس) نوار أصفر في نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى له ورقة قائمة تشبه به العينان اذا كان في نظرهما فتور وقد تمادى انكار أدبائنا وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الاصفر المعروف عندنا بالنرجس فأكثرهم ينكر أن يكون يقع به تشبيه لاجل صفرته وان ذكرته لاحد قال وأي صفرة في العين الا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ويستهجن موضع التشبيه جدا وقد سألت عنه بعض أشياخي في صغري وأنا أقرأ عليه كتاب الجمل وكان أديبا شاعرا فأنكر وقوع بهذا النور الاصفر وقال الى النرجس عندهم بالمشرق نوريشبه نوار الفول وأكثر من

لقيته يستبعد التشبيه بهذا الاصفر لاجل لونه وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها والعرب توقع تشبيهاتها على الصورة دون المعنى وعلى المعنى دون الصورة وعليهما جميعا وهو أكمل وجوه التشبيه وانظر أقسام التشبيه فى الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره باذن الله تعالى وتشبيه العيون بالسيوف والسهام انما المراد به المضاء والقطع ولا يلتفت فى ذلك الى اللون وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الاصفر اذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن فى التشبيه ألا ترى ابن المعتز التفت الى الفتور وحده حين قال

وسنان قد خدع النعاس جفونه * فحكى بمقلته ذبول النرجس

والنرجس الذى يشبه به أهل المشرق العيون هو نبات له قضبان خضر فى رؤس أقماع يخرج منها نور ينبسط منه على الاقماع ورق أبيض فى وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير هذه الصفة التى تقع فى أشعارهم اذا ذكروا النرجس وبذلك وصفه كسرى أنوشروان فقال النرجس ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرذ أخضر أخذه بعضهم فقال فيه

وياقوتة صفراء فى رأس درة * مركبة فى قائم من زبرجد

كأن بهى الدر عقد نظامها * فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأنشد أبو عون الكاتب فى كتاب التشبيه له فقال من جيد ما قيل فى النرجس ما أنشده المبرد رحمه الله تعالى نرجسة لاحظنى طرفها * تشبه دينارا على درهم

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه

ترنو بأبصارها اليك كما * ترنو اذا خافت اليعافير

مثل اليواقيت قد نظمن على * زمرذ فوقهن كافور

كأنها والعيون ترمقها * دراهم وسطها دنانير

(وقال أبو نواس)

لدى نرجس غض القطاف كأنه * اذا ما منحناه العيون عيون

مخالفة فى شكلهن بصفرة * مكان سواد والبياض جفون

أجاد التشبيه وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة وبين مواقع التشبيه غاية البيان وقال أبو عبد الملك بن فرج فى كتاب الحاس والمحسوس له وأحسن بيت أنشدنيه أبو جعفر البغدادى رحمه الله مداهن در بين أوراق فضة * على قيس شبر أخضر كالزبرجد

وقال أبو الفرج الببغاء

ونرجس لم يعد مبيضه الـ * كأس ولا أصفره الراحا

تخال أحقاق لجين حوت * من أصفر العسجد أقداحا

كأنما يهدى المحيى به * لطفا الى الارواح أرواحا

يغنى عن الورد اذا ما زنا * ويخلف الورد اذا فاحا

وقال ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در بينهن عقيق

اذا بلهن القطر خلت دموعه * بكاء عيون كلهن خلوق

وقال الشاشي ، أخص الصفات التي * تناولها من كتب
عيون بلا أوجه * لها حدق من ذهب
وقال ابن الرومي يا نرجس الدنانير أبدا * للافتراج ودائم النحب
ذهب العيون اذا مثلن لنا * در الجفون زبرجد القضب
وهذه الصفة التي أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التي يصف بها أهل المغرب البهار قال ابن أبي عامر في جارية اسمها بهار
حدق الحسان تقر لي وتغار * وتطل في صفة البهار تحار
طلعت على قضبي عيون كائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شيء بي اذا شبهتني * در تمنطق سلكه ويسار
أهدى لنا قضب الزبرجد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقيل بهار
بين أن البهار عندنا هو الذي تسميه أهل المشرق نرجسا وقال أبو جعفر بن مبرد
تأمل فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع ممدودة من زبرجد
(وقال القسطلي)
بهار يروق بمسك ذكي * وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت * بها فضة نورت بالذهب
(وقال القاضي أبو الحسن بن ليال)
وبهار يحكي كؤس لجين * حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى * سمرت وسطها كواكب عسجد
(وأنشدني بعض أشياخنا)*
انظر الى حسن البهار وغنجه * يرنو اليك بمقلتي وسنان
فكأنما هي راحة من فضة * قد ضمنت كأسا من العقيان
وكان نشر نسيمه غب الندى * يأتيك بالانفاس من بغدان
والذي تسميه أهل المغرب نرجسا تسميه أهل المشرق بهارا ولذلك قال الحريري في العاشرة وورد في بالبهار دعا فيها على الغلام بالحمى وأن ينعكس حمرة خده صفرة وقال حبيب في ذلك
ان وجه الحبي لوجه صفيق * حين تسطو به نهارا جهارا
لم تشن وردوجنتيه ولكن * صيرت وردوجنتيه بهارا
وبلون النرجس يشبه أهل الاندلس المريض وقال أبو بكر الابيض
يا شاكيا صدني عن مسه ألمي * طال اشتياقي به ليلا فلم أنم
تضاءل الدهر اشفاقا على قمر * رقيبه في سماء المجد والكرم
لم أرض قلبي مكانا اذ حللت به * حتى خلطتك في سودائه بدمي
أنت البهار ولا أدري متى خلعت * عليك أيدي الليالي نرجس السقم

ولابن الرقاق وغزال ذي اعتدال شفه * بعد ماشق هواه الانفسا
جارت الحمى على وجنته * فاستحال الورد منه نرجسا

فثبت بما قدمناه ان نرجسهم بهارنا وان بهارهم نرجسنا وآكد ما يدل على صحته اشتراك البيت الذي أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت ابن برد في لفظ واحد أخذ ابن برد منه صفة النرجس فقلبه لاسم البهار حين نظمه واعلم ان تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقهم بالصورة وان تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى وهو مع ذلك متمكن في باب التشبيه وان اسم النرجس لابد فيه من صفرة وقد قال شاعر من المشرق وهو أحمد بن يونس الكاتب في مناقضة ابن الرومي في تفضيله النرجس على الورد

ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما * قامت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

فلولا ماذكرنا من أشعارهم لحكمنا بهذا البيت على ان نرجسهم هو نرجسنا ومذهب ابن الرومي في تفضيله على الورد وهو القائل

وأحسن ما في الوجوه العيون * وأشبه شيء بها النرجس

والنفوس تتشوق الى رؤية نرجسهم لانا لم نعلم نرجسا غير هذا الاصفر حتى نعلم بما ذكرناه أنه هو النوار المعروف وهم أيضا يتشوقون لمنظر نرجسنا ويدل على ذلك حكاية القاضي الفقيه أبي الحسن بن اللبان قال خرجت عشية لخارج اشبيلية أيام ـ دراستي وقراءتي بها فجلست في وسط واديها وبيدي كتاب أنظر فيه واذا رجل يحملق حوالي فاذا انظرت في الكتاب يأخذ ينشد للاشعار التي بين أيدينا انظائر من بديع الشعر فذاكرته فوجدته بحر أدب فسألته عن محفوظه فقال أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر فسألته هل تنظم شيأ فأنشدني في وصف فرس وزعم أنه قائلها

منع الحوافر أن يطئن به الثرى * فكأنه في جريه متعلق
وكأن أربعه توافق طرفه * فتكاد تسبقه الى مايرمق

فاستعدت بيته وراجعته في قوله يطئن فقلت له انما هو يطأن فلم يعرف اللفظ وانما تكلم بلا همز على لحن عامته فجربته في غيره فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ لا من جهة العلم فسألته عن بلاده فقال أنا من العراق فقلت له فما السبب الذي جاءبك الى الاندلس فقال لي لأرى النرجس الاصفر المذكور في أشعاركم عيانا ودعاني الى الاطالة في ذكر النرجس رغبة أن أرفع عن غيري حيرة الشبهة التي أقمت فيها زمانا طويلا لا أجد من يرفعها عني والبيت الذي اقتضى النظم على أسلوبه هو لابي الفرج الغساني الدمشقي المعروف بالواو اذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمته فقال أبو الفرج من حسان الدهر وصاغة الكلام ومن عجائب أمره أنه كان مناديا بدار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه ومازال يشعر حتى جاد شعره ووقع له مايروق ويشوق ويفوق حتى تعلق بالعيوق وقال الفتح بن خاقان اني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت مجلسي لقيت خلافة جاريتي فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت ما بين شفتيها هواء لو رقد المحموم فيه لأفاق وهذا مستظرف من كلام الفتح فقال الواوا ممابه

سقى الله ليلا طاب اذ زار طيفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المحموم فيه أفاقا

وله أيضا

يالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضالى وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما ضرلو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وله فى النحول)

وما أبقى الهوى والشوق منى * سوى روح تردد فى خيال
خفيت عن العواذل أن ترانى * كأن الروح منى فى محال

(وله فى الزرقة)

يامن هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الخمر فى أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ما فخره الا بزرقته
علمت انسان عينى أن يعوم فقد * جادت سباحته فى بحر دمعته

وله أيضا

تملكت يامهجتى مهجتى * وأسهرت ياناظرى ناظرى
وما كان ذا أملى ياملول * ولا هجس الهجر فى خاطرى
فجد بالوصال فدتك النفوس * فلست على الهجر بالقادر
وفيك تعلمت نظم القريض * فلقبنى الناس بالشاعر

*(وله من قصيدة).

يقمن لنا برق الثغور أدلة * اذا ماض لنا فى ظلام الذوائب

قال ومن بديع تشبيهاته قوله فأمطرت لؤلؤا من نرجس البيت ثم قال هذا البيت ضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه وذكر المتنبى منها أربعة فأجاد وهى ما ضمنها قوله رحمه الله

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وللفقيه أبى محمد بن حزم خمس تشبيهات فى بيت واحد ولا يقدر أحد على أكثر منه اذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الاسماء أكثر من ذلك قال

خلوت بها والكاس ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * وهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كأنى وهى والكاس والخمر والدجى * ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

وقبل بيت الواوا

انسية لو بدت للشمس ما طلعت * للناظرين ولم تغرب على أحد
قالت وقد فتكت فينا لواحظها * ما ان أرى لقتيل الحب من قود
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
ثم استمرت وقالت وهى ضاحكة * قوموا انظروا كيف فعل الظبى بالاسد

(وأول القصيدة)

لما وضعت على صدرى يد اليد * وصحت فى الليلة الظلماء واكبدى

وقال أيضا

أتانى زائرا من كان يبدى * لى الهجر الطويل ولا يزور
فقال الناس لما أبصروه * ليهنك زارك القمر المنير

فقلت لهم ودمع العين يجرى * على خـــدى له درنثير
ولو نصبت رحى بازاء عينى * لكانت من مدامعها تدور

(قوله لمح البصر) يعنى نظر العين الى الشئ بسرعة ثم يغيب عنه بسرعة وأصل البصر الادراك بالعين (أغرب) أتى بغريب (نضو) كشف (القانى) الاحمر (ايداع سمعى) اعطاء اذنى كانه جعله وديعة عنده (زحزحت) أزالت (الشفق) حمرة الشمس بعد الغروب (غشى) غطى (سنا) ضوء (عطر) فوّاح طيب التنفس وبيت الحريرى فى صنعة البديع فائق وان لم يأت بعدد تشبيهات بيت أبى الفرج وبيانه ان أبا الفرج يصف امرأة باكية فيقول انها نثرت دموعها على من قبلت من عشاقها فسقطت على خدها فبلته بدموعها وعضت على أصابعها المصبوغة بالحناء باسنانها فجعل البيت كله استعارة فقال فأمطرت لؤلؤا وهو يريد بكت دمعا وذكر نرجسا وورد او هو يريد عينا وخدا وذكر عنابا وبردا وهو يريد أناملا وأسنانا فضمن تحت ألفاظه هذه المعانى وزاد فائدة التشبيه وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر فقابل الحريرى هذا بقوله فزحزحت شفقا وهو يرى نقابا أحمر وذكر سنا قمر وهو يرى ضوء وجهها وذكر لؤلؤا من خاتم وهو يريد كلاما من فم والبيت الثانى فى مقابلة بيت أبى الفرج والاول توطئة له وهو يصف امرأة زارته منتقبة فسألها أن تكشف عن وجهها وتحدثه فأزالت نقابها وأسمعته كلاما حسنا من فم عطر واللؤلؤ يشبه به الاسنان فى مثل قوله كانما يبسم عن لؤلؤ رطب وقوله يفتر عن لؤلؤ رطب ويشبه به الكلام فى مثل قول البحترى * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ، وقول الحريرى وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر ويشبه به الدمع كقول الواوا فأمطرت لؤلؤا وهو كثير ومن أحسنه قول الشاعر

ولما وقفنا للـوداع ودمعهـا * ودمعى يثيران الصبابة والوجـدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعى ، عقيقا وصار الكل فى نحرها عقدا

(وقال ابن عبد ربه)

وكانما غاص الاسى بجفونها * حتى أتاك بلؤلؤ منثور

فأخذه الزيادى فحسنه فقال

ولم أر أحلى من تبسم أعين * غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنا

قال فوقعت استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وانما هو للثغر بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور فقبل المعنى والحذاق يتحيلون فى أخذ المعانى بترك القافيـة والوزن كقول ابن شهيد

ولما فشا من دمعنا بعض سرنا ، الى كاشحينا والقـلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا ، ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت ـ فنظمـه بين المحاجر ناظـم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تلمعن حتى ماترق المباسم

وقال ابن شهيد فى الامتحان فأحسن

ونبئت أقواما تجيش صدورهم ، علـى وانى منهـم فارغ الصـدر
أصاخوا الى قولى فاسمعت صمهم * وغاصوا على سرى فأعياهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فـريق ليمـن الله ماندرى

فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب
سألتها حين زارت نضو برقعها الـ * قانى وايداع سمعى أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فمن

فمن شاء فليصبر فاني لحاضر * ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه الى الانتحال قصة أبى بكر بن تقى حين استهدى بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر العلا قصبا * كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت به * مسك المداد على الكافور من ورقه

(فأجابه أبو بكر بن تقى فقال)

أرسلت تحوى ثلاثا من قنى سلب * ميادة تطعن القرطاس فى ورقه
فالخط ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليها بعض من سمعها ونسبه الى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الاول

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رماه بمثل النبل فى حدقه
فقلت من حنق لما تعرض لى * من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
ما دم شعرى وأيم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى فى كواكبه * بل الصباح الذى ينشق فى أفقه

وخرج السلامى الى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ فوجد بها أبا عثمان الخالدى وأبا الفرج الببغاء وأبا الحسن التلعفرى وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه فى شعره فقال الخالدى أنا أكفيكم أمره فاتخذ دعوة وجمع الشعراء والسلامى معهم فلما توسطوا الشراب أخذ فى التفتيش عن قدر بضاعته فجاء مطر شديد وثلج وبرد عم الارض كثرة فألقى أبو عثمان الخالدى نارنجا بين أيديهم على ذلك البرد وقال يا أصحابنا هل لكم فى أن نصف ذلك فقال السلامى ارتجالا

لله در الخالدى الاوحد الندب الخطير
أهدى لماء المزن عند جوده نار السعير
حتى اذا صدر العتا * ب اليه من حنق الصدور
بعثت اليه بعذره * من خاطرى أوفى السرور
لا تعذلوه فانما * أهدى الخدود الى الثغور

فامسكوا عنه عند ذلك واعترفوا له بالفضل الا التلعفرى فانه أقام على قوله فيه حتى قال السلامى فيه

يا شاعرا بشعوره لم يشعر * ما كنت أول طالب لم يظفر
لو كنت تعرف والذاتسمو به * لم تنتسب صفة الى التلعفرى
تاه ابن فائقة الفسوق على الورى * بقذال صفعان ونكهة أبخر
وبلادة فى الشعر تعلم أنه * يس ولو قصرت بطبع البحترى

وقال فيه

سما التلعفرى الى وصالى * ونفس الكلب تكبر عن وصاله
تنافى خلقه خلق وتأبى * فعالى أن تضاف الى فعاله
ـ اللطفة فى لسانى * وصنعته الخسيسة فى قذاله
فما هو من رجالى * وان يصفع فما أنا من رجاله

وكان المنصور بن أبي عامر قد أثبت عنده الحسدة أن صاعدا اللغوي متهم في كل ما يورده من حديث أو شعر فأدخلت عليه يوما باكورة وردة لم تفتح أكامها فقال فيها صاعد ارتجالا

أتتك أبا عامر وردة ، يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وقال ان هذين البيتين لغيره وأني بمجلس ابن برد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال

عشوت الى قصر عباسة وقد صرع النوم حراسها

أبياتا ضمن فيها البيتين فكتبها ابن العريف بخط بصري وصار بها الى المنصور فاشتد غيظه وقال غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فأخذ طبقا فيه ضروب من الانوار وعليه جوار ياسمين على بركة ماء حصباؤها الدر والجوهر ودعاه في مجلس حافل وقال له هذا طبق فيه شيء ما توهمت أنه قدم بين يدي ملك قبلي فصفه فقال على البديهة

أباعامر هل غير جدواك واكف وأعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها عامر الحيا حليا فنها عبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف

كمثل الظباء المستكنة كنسا تظللها بالياسمين السقائف

فلم ترعيني في البلاد حديقة تنقلها في الراحتين المناصف

والحكاية بطولها في القسم الرابع من الذخيرة وخرج معه الى أرض الزهر فعدّ يده الى شيء من الترنجان يعبث به ورمى به الى صاعد معرضا بأن يصفه فقال

لم أدر قبل ترنجان عبثت به ، أن الزمرذ قضبان وأوراق

من طيبه سرق الاترج نكهته ٭ ياقوم حتى من الاشجار سراق

كأنما الحاجب المنصور علمه فعل الجميل فطابت منه أخلاق

من ليس يقعده عن سودد كرم ، ولا يقوم له في سوأة ساق

وله أيضا بعثت اليك من خيري داري ٭ محزمة كألوان العقيق

توكل بالعكوف على التصابي وتصطاد الخليع من الطريق

(قوله لبداهته) أي لارتجاله وانشاده من غير فكرة ويقال بدهه بدها وبديهة وبداهة اذا فجأه وبده في كلامه اذا لم يتفكر فيه وفلان حسن البديهة والبداهة أي الارتجال والقول من غير تفكر وهو عندهم مما يمدح به وان كانت الاصابة غالبا في الروية وإطالة الفكرة كما قال عبد الله ابن وهب الراسبي للخوارج حين عمدوا له دعوا الرأي حتى يختمر فلا خير في الرأي الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم أمرا حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة قال ابن الرومي ان الروية نار الجد منضجة ، وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضي مع الريح

وقال اشجع في جعفر بن يحيي

قوله وعليه جوار الخ كذا في الاصل الذي بايدينا ولعل فيه سقطا يظهر من الابيات بعده فتأمل وحرر اه مصححه

فقال الحاضرون لبداهته

يريد الملوك مدى جعفر ولا يسنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
بداهته مثل تفكيره متى تلقه فهو مستجمع

وقال فيه
بديهته وفكرته سواء اذا التبست على الناس الامور

وقال ابراهيم بن العباس الصولي في الفضل بن سهل
يقضي الامور على بديهته وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوما بعض دواوينه فرأى غلاما جميل الصورة على أذنه قلم فقال من أنت يا غلام فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل بخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون أحسنت يا غلام وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ثم أمر أن ترفع مرتبته في الديوان (قوله بنزاهته) أي برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر (آنس) أبصر (استئناسهم) أنسهم وتركهم الانكار (طرفة) نظرة وقد طرف يطرف طرفا اذا حرك جفنه بعد النظر (دونكم) اغراء ومعناه خذوا حذركم واسمعوا (جدّ) تحقق (البين) الفراق (بنان) أصابع (الحصر) المنقطع عن الكلام عيا (ليل) أراد به نقابا أسود (صبح) وجه (أقلهما) رفعهما (غصن) قدّ (ضربت البلور) الاسنان والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يريهم استئناسا بأنه غير مدع في الشعر ودلّ على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما وهو قد أدرج معنى زائدا في البيت ولم يصرح به لما عليه في ذلك من التقصير عن درجة غيره وذلك أنه لما لم يستوف مقابلة بيت أبي الفرج مرة ببيتيه المتقدمين استوفاها في هذا البيت الثاني لانه قابل أمطرت بساقطت واللؤلؤ باللؤلؤ والنرجس بالخاتم وهما العين والنم وحمرة الخد بسنا القمر وبقي عليه زائد من قول أبي الفرج وعضت على العناب بالبرد فقابله في هذا البيت بقوله وضربت البلور بالدرر وجعلها تعض على أصابعها وهي بيض لانه يصف امرأة شعرت بفراق أحبابها فتركت الزينة واستعمال الحناء فلما حان فراقهم لبست ثياب الحزن وأقبلت تودعهم تلهفا وتندما على فراقهم ووصف الاصابع بالبياض والصبغ وذلك مذكور في العاشرة وجعلها لابسة السواد لان أهل المشرق يلبسونه لحزنهم وأهل الاندلس يلبسون البياض لحزنهم قال الشاعر
ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضا وجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب

وأنشد أبو عثمان الاسابدي في أبيات المعاني له
أرعت مراتع سدراها على عجل صوين ان أفرد المرعى أبدا
واستبدلت من رياض الحزن مونقة ثوب الامير الذي في مأتمه قعدا

عنى بمراتع مدراها شعرها وبصنوين مقصا حلقته به وبرياض الحزن ثيابا ملونة وبثوب الامير ثوبا أ... سواد وعارض ابن لبال الحريري في أبياته فقال
... مدامعي تنهلّ بالدمع الطليق

واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد
وأقبلت يوم جدّ البين في حلل سود تعضّ بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضربت البلور بالدرر

فبكت فأذرت أدمعا * فى صفحة الخد الانيق
ومضت تعض بنانها * بين التلهف والشهيق
فرأيت درا ساقطا * من نرجسين على شقيق
ورأيت مبيض اللجيـن يعض محمر العقيق

وكما عارض بيت الحريرى عارض قول البحترى المتقدم

يا بأبى ظبى اذا مارنا أثخن قلبى وفؤادى جراح
يفتر عن طلع وعن جوهر وفضة أو حبب أو أقاح

فزاد عليه بوصفين ومما يناظر ما تقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف

وكأنما أثر الدموع بخدها * طل تساقط فوق ورد يانع
عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه كسم ناقع

وقال ابن الرومى لو كنت يوم الوداع شاهدنا * وهن يطفئن غلة الوجد
لم تر الا دموع باكية * تسفح من مقلة على خد
كان تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشى بكت الفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(وقال أبو نواس)

يقول غداة البين احدى نسائهم أفى الكبد الحراء قسر ولى الصبر
وقد غلبتها عبرة فدموعها على خدها جر وفى نحرها صفر

يقول لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به جرا ولون نحرها أصفر عاجى كما قال ذو الرمة

كأنها فضة قد مسها ذهب * فصار فيها اللون الدمع صفرته

وقيل للعباس بن محمد ما لون الماء فقال لون انائه ولما ذكر الحريرى الحلل السود على الجارية تذكرت ما قال أبو عثمان الناجم فى جارية رأى عليها ثوبا أزرق

ما تعدت قبول حين جلت زيا شبيها بوجهها ذى الضياء
لبست أزرقا فجاءت بوجه * يشبه البدر فى أديم السماء

ولابى جعفر بن بردفى غلام بدا له فى ثوب لازوردى فقال

لما بدا فى لازور * دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما ل وقلت ماهذا بشر
فأجابنى لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز فى غلام عليه ديباج بنفسجى

وبنفسجى الثوب قد شكل محبه من حاله
الآن صرت البدر اذ * ألبست ثوب جماله

(قوله استسنى) أى استعظم وقد سنو الرجل وسنا شرف وعظم (ديمته) كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع أو يريد بها فطنه التى عنده بما نشاء من الشعر وأصل الديمة المطر الدائم واستغزروها

استكثروها

فحينئذ استسنى القوم ديمته
واستغزروا ديمته

كثروها ووجدوها عزيزة (أجلوا عشرته) أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل (جملوا قشرته) أى حسنوها من لفظ الجمال أو يكون معناه جملوا من جملت الحساب واجملته أى جمعته فكأنهم جمعوا له شيأ وكسوه وقشرته ثوبه لانه قدم أن هيئته كانت رثة فاحتاجوا أن يكسوه (تلهب جذوته) اشتعال جمرته واتقادها وأراد حدة ذهنه والجذوة النار فى طرف العود (تألق) لمعان (جلوته) ما جلاه وكشفه من وجهه وتقول جلوت العروس جلوة اذا أزلت نقابها وأظهرت وجهها والجلوة بالكسر هيئة جلوه حين يجلى وأراد بتألق جلوته بريق وجهه (أمعنت) بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الارض اذا أبعد الذهاب فيها (توسمه) تظر سماته وهى علامته التى يعرف بها ويريد أنه أدام النظر فى نعوته (سرحت الطرف) أرسلت العين بالنظر وأصل الطرف تحرك العين عند النظر تقول طرفت العين طرفا والعين الجارحة والبصر ما تدركه بنظرها ثم سميت العين طرفا لذلك و(ميسمه) علامته (أقمر) ابيض فصار مثل لون القمر (الدجوجى) الشديد السواد وأراد نبات شعره الاسود (قوله بمورده) أى بقدومه واتيانه تقول ورد علينا فلان اذا قدم عليك من بلد آخر والمورد مصدر ورد وهو بمعنى الورود لانه قدم أنه غاب عنه مدة لا يعرف له موضعا ولا يجد عنه مخبرا حيث قال واستتر عنى حينا فلما رآه ببلده بالبصرة فرح بقدومه وهنأ نفسه على ذلك (استلام) تقبيل اليد ابن الانبارى استلم الحجر معناه أخذه ومسه بيده واستلم افتعل من المسالمة يريد أخذ الحجر وضمه اليه أو يكون استفعل من اللأمة وهى السلاح يريد أنه حصن نفسه بمس الحجر من العذاب لان السلاح انما يلبس ليمتنع به ويتحصن (أحال) غير (حليتك) صفتك ولذلك احتاج أن يمعن النظر لما تغيرت صفاته التى كان يعرفه بها من القوة والشبيبة فلما رآه قد شاب شعره وتغيرت صفاته لم يعرفه الا بعد طول تأمل وقال الحلوانى القيروانى

ولربّ باكية رأت فى لمتى * وخز المشيب تألقت ضحكاته
قالت أغصنا قد علاه فلا أرى * زهر الرياض ونورت ورقاته
فأجبتها فارعت فى جنب الهوى * صرف الزمان وهذه نكباته

(ولابن الجدّ)

نكرت نحولى وهو من فرط الاسى * لفراق اخوان علىّ كرام
وتعجبت للشيب لا تتعجبى * هذا غبار وقائع الايام

(قوله فأنشأ يقول) أى ابتدأ

(وأنشدوا)

أنشأت تطلب ما تغير قد تناشبت الاظافر

أى ابتدأت تطلب (الشوائب) أصله ما يقع فى الماء الصافى من الاقذاء فيكدره فأراد أن أنكاد الدهر شيبته و(قلب) كثير التقلب فيحول من حال الى حال (دان) طاع وانقاد (يتقلب) يتحول عن الطاعة (وميض) لمع خفى (خلب) خداع لا ماء فيه وأراد لا تثق بالدهر اذا ما كسبت فيه شيأ من المال فانه يحول عليك ولا يترك لك منه شيأ (أضرى) أغرى وألصقها بك وأصل أضرى من ضراوة الكلب تقول ضرى الكلب بالصيد اذا تعلم الصيد وأضريته أنا بمعنى عرضته للصيد لامور الشداد و(الب) حشد أى اصبر للشدائد اذا أضراها الدهر بك وحشدها

وأجلوا عشرته وجملوا قشرته
(قال المخبر بهذه الحكاية)
فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر فى توسمه وسرحت الطرف فى ميسمه فاذا هو شيخنا السروجى وقد أقمر ليله الدجوجى فهنأت نفسى بمورده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذى أحال حليتك حتى جهلت معرفتك وأى شئ شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب
والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص
ففى غد يتقلب
فلا تثق بوميض
من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو أضرى
بك الخطوب وألب

فاعليك فى ذلك عيب كما ان الذهب يسبك بالنار وهو مع ذلك عزيز القدر و (التبر) الذهب قبل سبكه وانظر هذا المعنى عند قوله فى السابعة والاربعين

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى ✽ ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وزاد الآخر فى المعنى فقال

انى أنا الذهب الحمى ومخبره ✽ يزيد فى السبك للدينار دينارا

وأنشدوا

اصبر على نوب الزمان ✽ فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن تارة ✽ لا الحزن دام ولا السرور

(شرح المقامة الثالثة وهى الدينارية)*

(نطمنى) أى جمعنى (أخدانا) أى أصحابا (ناد) مجلس (مناد) متكلم (كبا) شح ولم يبد نارا (قدح) ضرب (زناد) حديدة النار وزناد العرب من خشب وأكثر ما يكون من المرخ والعفار وانما هو أن يؤخذ عود قدر شبر فينقب فى وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحد طرفه ويجعل ذلك فى الثقب وقد وضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدى النار فالاعلى زند والسفلى زندة والزناد جمع زند (قوله ذكت) أى اشتعلت (عناد) خلاف يريد أن هؤلاء الاصحاب لحسن أدبهم ومناظرتهم ليس بينهم خلاف وهم علماء لا يسقط من كلامهم شئ وليس فيهم جاهل فيكون كلامه قليل الاصابة و (الاناشيد) ما يتناشدونه من الاشعار بينهم كأن واحدها أنشودة وتجاذب أطرافها يريد المشاركة فى انشادها أى اذا أنشد أحدهم شعرا الغريب به شاركوه فى انشاده لحفظهم الاشعار فكأنهم تجاذبوه كما يتجاذب باطراف الثوب و (الاسانيد) الاخبار المسندة الى أهلها وأصل (التوارد) مزاحمة الابل على شرب الماء فجعل مشاركتهم فى ضبط غرائب الاخبار كتوارد الابل على الماء و (الطرف) الغرائب والطرفة الشئ العجيب من كل شئ الذى لا يوجد له نظير (سمل) ثوب خلق وأكثر ما تقول العرب ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع لانه قطع متفرقة وسمل قليل وفى تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى بما لبس (قزل) عرج (قوله يا أخاير الذخائر) الاخاير جمع أخير كما يقال أكبر وأكابر والمستعمل خير وشر ولا يقال أخير ولا أشر الا شاذا وان كان هو الاصل لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الاصل لانه يرد الشئ الى أصله وقال رؤبة

✽ بلال خير الناس وابن الاخير ✽ فنطق بالمستعمل لشهرته وباصله وهو قليل فاذا تعجبوا من ذلك قالوا ما أخير فلانا وما أشر فلانا والذخائر جمع ذخيرة وهى الشئ النفيس الغالى يصونه الانسان ويعتده لزمانه (البشائر) جمع بشارة وقد بشرت الرجل ببشارة اذا أدخلت عليه السرور و (العشائر) جمع عشيرة وهى قرابة الرجل من قبيلته يقول أنتم أرفع الذخائر وخيرها وأنتم يستبشر من لقيكم برؤيتكم ويتيامن بلقائكم ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ليستعطفهم بهذا الكلام (عموا صباحا) دعاء لهم بالنعمة فى الصباح أى جعلكم الله تنعمون فى صباحكم وعموا أمر من وعم يعم وهى فى معنى نعم ينعم (وأنعموا اصطباحا) أى طاب شربكم فى الصباح وتنعمتم به والاصطباح أن يصطبحوا وهم يشربون (ندى) مجلس اجتماع أى هو شريف يقعد

فاعلى التبر عار فى النار حين يقلب ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

(المقامة الثالثة الدينارية)

(روى الحرث بن همام) قال نظمنى وأخدانا لى ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب أطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه سمل وفى مشيته قزل فقال يا أخاير الذخائر وبشائر العشائر عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندى

ويجمع

ويجتمع عنده (ندى) كرم (جدى) عطية (العقار) المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور والارضين (قرى) جمع قرية (مقار) جفان يقرى فيها الاضياف أى يطعمون فيها و (القرى) طعام الضيف (قطوب) عبوس (الخطوب) الشدائد (الحروب) القتال (الكروب) الهموم قال النبى صلى الله عليه وسلم مما أعلم انه لا يقوله مكروب الا فرج الله عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت الآية ومن كلام ابن المعتز الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر واذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة غيره لولا حوادث الايام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام وقال أبو تمام

والحادثات وان أصابك بؤسها فهو الذى أنباك كيف نعيمها

(الحسود) المتمنى اهلاك مالك واذا رأى لك خيرا تمنى ازالته يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه وقلما يوجد الذى يرمى بالعين الا حسودا (انتياب) نزول وقصود (النوب) النوازل (قوله صفرت) أى خلت من الدراهم (الراحة) باطن الكف (قرعت) خلت من المال وصارت قرعاء و (الساحة) فناء الدار والساحة عند العرب الرحبة التى تحلق بها البيوت وأراد انها خلت من الابل والبقر والغنم وغير ذلك (غار المنبع) جف الماء النابع والمنبع موضع النبع (المربع) المنزل فى الربيع و (نبا) بأهله وجدوه نبوة أى ارتفاعا غير وطى فلم تمكن الاقامة فيه (أقوى) خلا المجمع موضع الاجتماع (أقض) خشن وصار فيه القضض وهى الحجارة و (المضجع) موضع رقاده وأخذه من قول أبى ذؤيب

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا الا أقض عليك ذاك المضجع

وكنى بهذه الالفاظ عن تغير الاحوال وذهاب المال وساق الكلام مساق حكايات الاعراب منها أن اعرابيا وقف بقوم فقال أشكو اليكم أيها الملا زمانا أناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اصمانى جديداه بنبل مصائبه عن قسى نوائبه فما ترك لى راغية أجتدى ضرعها ولا ثاغية أرتجى نفعها فهل فيكم من معين على صرفه أو معد على حتفه وقد ذكر نا منها جملة فى الثالثة والثلاثين وحكى أبو على فى نوادره حكاية عن أبى زيد اللغوى على لسان اعرابى يشبه كلام الحريرى هنا فى سياقه وكثير من الالفاظ فيقول ان المنبع الذى كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب فهلكنا بذهابه والمربع وهو موضع الخصب صار نبوة لا ينبت شيأ فلم تجد الابل ما ترعاه فهلكت واذا هلك المال هلك صاحبه والمجالس التى كنا نجتمع فيها هلك أهلها فخلت ومضجعنا الذى كان موطأ بالفرش أقض فامتنع من الاضجاع عليه (قوله استحالت) تغيرت (وحال) الرجل ما هو عليه من خير أو شر أو غنى أو فقر والحال أيضا المال (أعول) بكى و (عيال) الرجل من يفتقر اليه فى مؤنته ونفقته واحدهم عيل (المرابط) المواضع التى تربط فيها الخيل وتحبس (الغابط) الذى يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شئ (أودى) هلك (الناطق) المال من الحيوان مثل الابل والبقر والغنم وكل ما تملك من ذى روح سميت بذلك لاصواتها والناطق والصامت (الصامت) الذهب والفضة والمتاع (رثى) بكى وأشفق (الشامت) الذى وهو ادخال السرور عليه بالدعاء وقد شمت به شماتا وشماتة

وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فازال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع وأقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت

فهو شامت اذا سر ببلاء ينزل به و (الحاسد) هو الحسود والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والارض أما فى السماء فحسد ابليس آدم وأما فى الارض فحسد قابيل هابيل وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس انهما قابيل وابليس فالحسد حمل ابليس على الكفر وحمل قابيل على قتل أخيه وقال على رضى الله عنه لا راحة لحسود ولا أخ لملول ولا محب لسيء الخلق وقال رجل لخالد بن صفوان انى أحبك قال وما يمنعك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد أن الحسد وكل بالادنين الحسن البصرى ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم وغيظ لا ينفد معاوية كل الناس أقدر على أن أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها المبرد حدثنا الزيادى قال يقال ستة لا تخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط أهل الادب وليس منهم قال الاصمعى اجتمع ثلاثة حساد فقال أحدهم لصاحبه ما بلغ حسدك قال ما اشتهيت أن يفعل بمسلم خير قط فقال الثانى أنت رجل صالح ولكنى ما اشتهيت أن يفعل بى خير قط فقال الثالث ما فى الارض خير منكما ولكنى ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط قال وأنشد الشاعر

كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر

نهانى حلمى بها أظلم * وعزمكانى بها أطلم
ولا بد من حاسد قلبه * بنور مآثرنا مظلم
رحمت حسودى على أنه * يعذب بى ثم لا يرحم
فقانا الحسود ولسنا كما * يقول ولكن كما يعلم

وقال اليمانى

انى لأرحم حاسدى لفرط ما * ضمنت صدورهمو من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لا ذنب لى قد رمت كتم فواضلى * فكأنما برقعتها بنهار

(قوله رثى لنا الحاسد والشامت) قال النبى صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثا غنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل وفقيها يلعب به الجهال قال الشافعى خمسة مرحومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل وقال الشافعى ومن حديث واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك فأخذه الحريرى من قول الآخر

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت
ومغرم توقد احشاؤه * بالنار الا أنه ساكت
رق فما فى جسمه مفصل * الا وفيه سقم ثابت
يرثى له الشامت مما به * يا ويح من يرثى له الشامت

(قوله آل بنا) أى رجع بنا وقد آل يئيل ويؤول أى رجع (الموقع) المهلك من أوقع به ويحتمل أن يريد

ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر

بالموقع الذى يحمله على الوقع ورجل موقع اذا اشتكى ألم رجليه (المدقع) الملصق بالدقعاء أى
التراب أى لم يترك للانسان شيأ يبسطه غير التراب (احتذينا) انتعلنا (الوجى) توجع باطن
القدمين من الحفاء يريد أنه لبس مكان النعال الحفاء حتى توجعت قدماه (الشجى) مايعرض فى
الحلق وكنى بهذا عن سوء الحال لان الشجى ليس بغذاء انما هو مشقة وتعب ولكن بالغ فى وصف
سوء حاله فقال انه ينتعل مالا ينتعل ويغتذى ماليس بغذاء أى ليس ثم انتعال ولا غذاء (استبطنا)
أى جعلناه فى بطوننا (الجوى) فساد الجوف و(الاحشاء) اسقاط الجوف وماحشى به (الطوى)
الجوع وقد طوى يطوى لان الاحشاء اذا امتلأت من الطعام انتشرت واذا فرغت منه انطوى
بعضها على بعض و(السهاد) امتناع النوم من قول الشاعر

مالعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نائيا عن وسادى

(استوطنا) سكنا واتخذناه وطنا (الوهاد) ماانخفض من الارض (استوطأنا) وجدناه وطيأ
(القتاد) شجر له شوك شديد يسمى عندنا حض الامير (الاقتاد) خشب الرحال يريد أنهم نسوا
ركوب المطايا لبعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيأ (الحين) الموت
(المجتاح) من لفظ الجوائح يريد به المستأصل للاموال (استبطأنا) وجدناه بطىء المجىء (المتاح)
المقدر يريد أن يوم موتهم تمنوه لشدة ماقاسوا وأبطأ عليهم (آس) طبيب يطب علة الفقر والجمع
الاساة (سمح) كريم و(المواسى) المعين وذكر عاصم فى شرح قوله يواسى فى كريهته أخاه ان
معناه جعله أسوة نفسه فواس من الاسوة كأنه يشاركه فى ماله ويقال آسيته وواسيته والاصل
الهمز المفضل معنى فلان يواسى فلانا يشاركه والمواساة المشاركة وآساه شاركه فيما هو فيه
مورج مايواسيه أى مايصيبه بخير أى أصلا * غيره معناه يعوضه من مودته وقرابته شيأ من
الاوس وهو العوض قال الشاعر

فلأحشأنك مشقصا * أوسا أويس من الهبالة

والهبالة اسم ناقة أى أرميك بسهم يكون عوضا عن الناقة وكأن أصله يؤاوسه وقدموا السين
وهى لام الفعل وأخروا الواو وهى عينه فصار يؤاسوه فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها فهو من
المقلوب وان جعلته من أسوت الجرح اذا أصلحته فلا قلب فيه (قوله فوالذى استخرجنى من
قيلة) قيلة هى أم الاوس والخزرج وهى بنت الارقم الغسانية وانتسابه لها كانتسابه قبل الى
أقيال غسان (أخاعيلة) صاحب فقر قال تعالى وان خفتم عيلة أى فقرا وقال صلى الله عليه وسلم
أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة (بيت ليلة) قوت يبيت عليه ليلة (أويت)
أشفقت وحننت (مفاقره) جمع فقر على غير قياس ومثله مذاكير الرجل جمع ذكر ومحاسنه
ومساويه (لويت) انعطفت (استنباط) استخراج و(الفقر) فى النثر فواصله وهى مثل القوافى
فى النظم والفقر ماتقدم فى المقامة من الكلام المنثور (أبرزت) أظهرت (حتما) واجبا يريد أنه
دا الى أن يحقق ماتقدم من الفصاحة فى فقره ان كانت له أو انتحلها فسأل ليختبره امتدح هذا
ربشعر (فانبرى) أى اعترض وتقدم (انتحال) ادعاء منه فى شعر غيره يقال انتحل كذا
منه نفسه وجعله كالملك لما أخذ من النحلة وهى الهبة والعطية (قوله اكرم به) معناه
مه (راقت) أعجبت (جوّاب آفاق) قطاع بلاد (ترامت سفرته) بعدت غيبته وسمى السفر

المدقع الى أن احتذينا
الوجى واغتذينا الشجى
واستبطنا الجوى وطوينا
الاحشاء على الطوى
واكتحلنا السهاد واستوطنا
الوهاد واستوطأنا القتاد
وتناسينا الاقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطأنا
اليوم المتاح فهل من
حر آس أو سمح مواس
فوالذى استخرجنى من قيلة
لقد أمسيت أخاعيلة
لا أملك بيت ليلة (قال
الحرث بن همام) فأويت
لمفاقره ولويت الى استنباط
فقره فأبرزت دينارا وقلت
له اختبارا ان مدحته نظما
فهو لك حتما فانبرى ينشد
فى الحال من غير انتحال
اكرم به أصفر راقت صفرته
جوّاب آفاق ترامت سفرته

سفر الا انه يسفر عن أخلاق الرجال أي يكشفها ويوضحها أخذ من قولهم سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته وأظهرته ويقال للمكنسة سفرة لانها تسفر التراب عن الموضع وسفريته كنسه (مأثورة) محدث بها (سمعته) ذكره المسموع (أودعت) ضمنت (أسرته) خطوط وجهه أراد نقشه وان بين اسطاره سر الغنى فمن ملكه ملك الغنى (قارنت) ساوت (النجح) ضد الخيبة (المساعى) المشى فى طلب الحوائج (الانام) الخلق (غرته) وجهه قيل لابى الزناد ما لك تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا قال انها وان أدنتنى من الدنيا فقد صانتنى عنها و (النقرة) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة قبل أن يطبع منها الدراهم والدنانير وأراد كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم فيه والنقرة انما تستعمل من الفضة واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما وأخذه من قول البحترى

فكل قلب اليه منصرف ـ كأنه من جميعها خلقا

أومن قول ابن الرومى

به أمست الاهواء يجمعها هوى * كأن نفوس الناس فى حبه نفس

أومن قول المتنبى

فى خطه من كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

(يصول) يقهر ويغلب وصال الشجاع على قرنه والفحل على ابله والجارع على اتنه صولا اذا قهر وعلا وصاح بها (الصرة) الخرقة تصر فيها الدراهم و (حوته) ضمته يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه (تفانت) هلكت (توانت) أبطأت وضعفت عن نصرته (عترته) قرابته الادنون (نضاره) ذهبه (نضرته) حسنه (مغناته) منابه يقال فلان يغنى مغنانك أى ينوب منابك ويقوم مقامك يريد أنه ينوب عن الانسان فى المضايق وينصره (استتبت) تمت واستقامت والمستتب الطريق البين قال الشاعر * على مستتب كالمجرة تعمل * (امرته) ولايته (مترف) منعم (حسرته) تتبعه وحزنه (كرته) رجعته و (بدرتم) القمر ليلة الكمال ويريد به شخصا يشبه البدر فى حسنه ورفعته فاذا بعثت فى طلبه الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته و (البدرة) عشرة آلاف درهم (مستشيط) غضبان (تلظى) تلهب (جمرته) شدة غيظه (أسر) أخفى (نجواه) حديثه سرا (شرته) حدته وغضبه يقول كم من غضبان شديد الغيظ مثل حاكم يصول بصاحب جناية ويهدده فاذا رشى بالدينار وبعث اليه سرا أزال غضبه وسكن حدته (اسلمته) تركته (أسرته) قومه (مسرته) فرحه (أبدعته) أوجدته قبل أن يكون (فطرته) خلقته (التقى) الخوف (جلت) عظمت (قوله انجز حر ما وعد) هذا مثل قاله الحرث آكل المرار وهو جد امرئ القيس لصخر بن نهشل بن دارم وذلك أن الحرث قال يا صخر هل أدلك على غنيمة على أن لى خمسها قال نعم فدله على قوم من العرب فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فحملهم صخر على أن يعطوا الحرث الخمس فأبوا وكان طريقهم على سجعات وهى ثنية متضايقة فلما دنوا منها صار اليهم صخر حتى قعد على رأسها ومنعهم الجواز أو يعطوا الحرث الخمس فقال حمزة اليربوعى والله لا نعطيه من غنيمتنا شيأ ومضى فى الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ففى ذلك يقول ابن حرى بن منجز بن نهشل بن دارم

مأثورة سمعته وشهرته
قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته
وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته
وان تفانت أو توانت عترته
يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته
وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته
وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته
وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته
ثم بسط يده بعد ما أنشده
وقال أنجز حر ما وعد

وبحن منعنا الجيش أن يتأوبوا * على سمعات والجياد بنا تجرى
حبسناهم حتى أقروا الحكمنا * وأدّى أنفال الخيس الى صخر

فعنى أنجز حرّ ما وعد أحضر وهيأ وقد نجز الشئ اذا حضر ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر أراد لينجز حرّ ما وعد (سح) صب وأمطر (خال) سحاب يخيل لك أنّ المطر فيه (رعد) صوّت يقول لابن همام انّ السحاب اذا سمع الرعد سح بالمطر وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار ووعدتنى به فأنجزلى وعدى (نبذت) رميت (ماسوف) محزون (بارك) أى ضع البركة فيه وقولهم تبارك الله أى تقدّس وتطهر وقيل هو تفاعل من البركة أى البركة تنال بذكر اسمك (الانثناء) الرجوع (توفية الثناء) كمال الشكر والمدح ومما قيل فى وصف الدينار ومدحه

ومقسم الوجنات يبرق وجهه * بادعلى وجناته عباد
جبل الانام على محبة حسنه * فكأنه ربّ وهم عباد

(وفى مقامات البديع فى وصفه)

ياحسنها فاقعة صفراء * مشرقة منقوشة قراء
يكاد أن يقطر منها الماء * قد أثمرتها همة علياء
ياذا الذى بغيته الثناء * ما ينقضى بقدرك الاطراء
امض على الله لك الجزاء

وسح خال انه رعد فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه فى فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية الثناء

(ذكر الوعد وانجازه)

واذ قد فرغت من شرح ألفاظه فى انجاز الوعد فى المثل وما اتصل به فلنذكر مذاهبهم فى ذلك فأكثرهم على انجاز الوعد وقد ذكر فيما هو مستقبل * وبع آجلا منك بالعاجل * وقال واذا خيرت بين ذرّة منقودة ودرّة موعودة فمل الى النقد وقال جرير

انى لأرجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

وقال آخر ولا شك أنّ الخير منك سجية * ولكنّ خير الخير عندى المعجل
وقال آخر أتى زائرا من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه أنّ منصور بن زياد كلم يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال له عده على قضاءها فقال منصور بن زياد وما يدعوك الى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب انّ الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجعها لم تتحدّث النفس بسرورها انّ الوعد مطعم والانجاز طعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد لتكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل قال ابن الكلبى لهشام بن عبد الملك يا أمير المؤمنين لا تصنع الىّ معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سبب على غير وعد الاهان علىّ قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولانى ان أنجح المعروف فى القلوب وأبرده على الاكباد معروف غير منتظر بوعد لا يكدّره مطل ووعد المستهدى عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى ولا تيأسن من صالح أن تناله * وان كان بؤسا بين أيد تبادره
فقال يدفع لعبد الله جارية أخرى فقال الزبيرى

وأنجز خير الناس من قبل وعده * أراحك من مطل ومن طول كده

فقال له عيسى بن داب ماصنعت شيأ هلا قلت

حلاوة الفضل بوعد ينجز * لا خير فى العرف كنهب ينهز

فقال المهدى الوعد أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقال بعض البلغاء دع الوعد بركض ثلاثا فان كبير العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير وقال يحيى بن خالد من لم يبت مسرورا بوعدنا لم يجد بالعطية تمتعا وفيه يقول أرقابوس النصرانى

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأتى الذى لم يأته أحد

ينسى الذى كان من معروفه أبدا * الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال الحارثى وما روضة دربة مسدية * منمنمة زهراء ذات ثرى صعد

بأحسن من حر تضمن حاجة * لحر فأوفى بالنجاح مع الوعد

وقال ابن رشيق أحسنت فى تأخيرها منة * لولم تؤخر لم تكن كامله

وكيف لا يحسن تأخيرها * بعد يقينى أنها حاصله

وجنة الفردوس يسعى بها * آجلة للمرء لا عاجله

وقال رجل لابى عمرو بن العلاء وعدتنى بأمر فلم تنجزه فقال أبو عمرو ومن أولى منا بالعتب أنا والا أنت قال أنا قال ابو عمرو لا والله بل أنا قال وكيف قال لانى وعدتك وعدا فأنت تفرح بالوعد فبت ليلتك بجولانه مسرورا وبت أنا بهم النجز زنبت ليلتى مفكرا مغموما بما عاق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلستى مدلا واتينك مستحيا واعتذر بعض الرؤساء لابى على البصرى من تأخر وعد فقال فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (قوله فنشأت) أى ظهرت وبدت (فكاهته) مزاح (نشوة غرام) سكرة شوق والغرام الحب المعذب للقلب (ائتناف) استقبال (اغترام) اغرم ثم ذكر أن يذمه ثم يضمه وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله

ان المؤنة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم

كلف الانام بحبه وبضمه * فتعجبوا للذم مضموم

(وقال ابن شرف فى الدينار والدرهم)

ألا رب شئ فيه من أحرف اسمه * نواه لنا عنه وزجر وانذار

فمنا بدينار وهمنا بدرهم * وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال ابن رشيق صحفت دالين من دينار يلوح ودرهم

فقال لى ذلكم ذى * نار وذا قال ذرهم

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان يجمعهما البلد والزمان وكانا مرة يتصاحبان ومرة يتباغضان وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم

صديق المرء كالدينار طبعا * وكيف يفارق المرء الطباعا

تراه اذا أقام يقيم جاها * وان فارقته أجدى انتفاعا

أخذ من قول كشاجم وعزيز من أباه * ومهين من أجله

فهو كالدينار لا يكرم الا من أذله

وقال آخر اذا آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

فنشأت لى من فكاهته نشوة غرام سهلت على ائتناف اغترام فجردت دينارا آخر وقلت له هل لك فى أن تنسب

والمرءمالم يفدمن غيره ورعا . مقسم القلب بين الهم والنار

(قوله مرتجلا) أى غير مفكر (شدا) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده (تبا) أى خسرا (مماذق) لا يصفو وده لصاحبه وقد مذق وده اذا لم يخلصه ومذق اللبن خلطه بالماء والمذيق المخلوط (أصفر ذى وجهين) قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ووقع هذا فى نثر البديع قال فى مخاطبة أبى الفتح عيسى أطعنا تريد قلت إى والله قال أخصب رائدك ولا ضل قائدك فتى عزمت قلت غداة غد فقال

صباح الله لا صبح انطلاق * وطير الوصل لا طير الفراق

وقال السعد لا يعدوك دأبا * بصاحبكم الى يوم التلاقى

فأين تريد قلت الوطن قال بلغت الوطن وقضيت الوطر ففى العود قلت القابل فقال طويت الربط وثنيت الخيط فأين أنت من الكرم قلت بحيث أردت فقال اذا رجعك الله سالما من هذا الطريق فاستصحب لى عدوا فى ثياب صديق من تجار الصفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر كدارة العين يحط ثقل الدين وينافق بوجهين فعلمت أنه يلتمس دينارا فقلت ذلك لك نقدا ومثله وعدا فأنشأ يقول

رأيك فيما خطبت أعلى * لازلت للمكرمات أهلا

صليت عودا ودمت فردا * وطبت فرعا وطبت أصلا

يا واحد الدهر والمعالى . لالقى الدهر منك ثكلا

قوله عدوا فى ثياب صديق من قول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(قوله الرامق) أى الناظر ورمقت الشئ رمقا أتبعت النظر اليه و (زينة المعشوق) التى فى الدينار نقشه وتزيينه و (لون العاشق) صفرته فالناظر فى الدينار يرى فى الظاهر زينته فيهواه فيقع على ماوقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ويدل على ذلك صفرته الظاهرة عليه وقال ابن ظفر زينة المعشوق غرور به دعاة الى التهور فى الغرام ولون العاشق وهو الاصفرار دليل على ما أسر من شاغف الكلف فالغافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها فيصيده الهوى والعاقل ينظر منه الى لون العاشق فيستدل على باطن الجوى (ذوى الحقائق) يعنى أهل الرشد والعلم والذين ينظرون الى مافى الدنيا بعين الحقيقة ثم لولا حب الدنيا ماسرق السارق فيستوجب قطع يده أو بعض أعضائه واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن والآخر أعسر فكان الايمن يفخر على الاعسر فأخذا فى سرقة فقطعت أيمانهما فكان الاعسر يعمل بيساره أعماله كلها والايمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيأ ففخر الاعسر عليه بذلك فقال له الايمن ما علمت أن للاعسر فضيلة الا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه (الفاسق) الخارج عن الطاعة الى ركوب المعصية أو عن الايمان الى الكفر أخذ من فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وقال قوم الفاسق الجائر واحتجوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أى جار عنه قال رؤبة

يهوين فى نجد وغور غائرا . فواسقا عن قصدها جوائرا

ثم نضحه فأنشد مرتجلا
وشدا مجلا
تباله من خادع مماذق
أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق
زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق
يدعو الى ارتكاب سخط
الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق
ولا بدت مظلمة من فاسق

(اشمأز) انقبض (باخل) شحيح وبخيل أكثر من باخل (طارق) قاصد بليل (المطل) تأخير الحق الواجب وأصله من مطل القين الحديد فى النار اذا مده وطوله (العائق) الحابس وقد عاقه عن الشئ اذا حبسه (راشق) عائن وأصله الرامى فجعله للذى يصيب الناس بعينه و(استعيذ) قرئ عليه المعوذتان وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (الخلائق) الطبائع واحدتها خليقة (الآبق) الهارب وأبق العبد يأبق اباقا زال عن مولاه وفى معنى فراق الدينار قول الاخطل

ومعشوق يرقص كل يوم ، ترى فى وجهه أبدا كلاما
اذ فرقته تجد لك خيرا . ولا يجدى عليك اذا أقاما

وهذا من قول الحسن البصرى وقد رأى رجلا يقلب درهما فقال له أتحب درهمك هذا قال نعم قال فانه ليس لك حتى يخرج من يدك (واها) تعجب معناه ما أعجب من يقذفه (حالق) جبل أملس منيف (ناجاه) حدثه سرا (الوامق) المحب وقد ومق يمق مقة (المحق) القائل الحق (قوله ما أغزر وبلك) أى ما أكثر بلاغتك و(أملك) ألزم وأحق يريد أن شرطك الذى شرطت من اعطائى دينارا آخر ان ذمتك قد لزمك بذله وانشرط أملك مثل وأول من قاله الافعى الجرهمى وكان حكيم العرب فتحاكم اليه خصمان فاشترط أحدهما وأراد أن لا يلتزمه فقال الافعى الشرط أملك وتقديره الشرط أملك لامرك منك (نفحته) رميته (عوذهما) ارقهما و(المثانى) أم القرآن سميت بذلك لانها تثنى فى الصلاة واختصها لانه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار فكأنه قال اقرا الحمد لله رب العالمين شكر الله عليهما وتعويذا لهما وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل

معتدل القامة والقد ، مورد الوجنة والخد
لو وضع الورد على خده - ماعرف الخد من الورد
قل للذى يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد

وله فى مثله

شكوت بالحب الى ظالمى ، فقال لى مستهزئا ماهو
قلت غرام ثابت قال لى * اقرأ عليه قل هو الله

وقال أبو عبيد المثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء القرآن سماه الله المثانى فى قوله تعالى كتابا متشابها مثانى وسمى الفاتحة مثانى فى قوله سبعا من المثانى وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم ان المثانى من السور مادون المئين كأنها جعلت مبادى والتى تليها مثانى (قوله بتوأمه) أى بأخيه يعنى الدينار الاول (انكفأ) انقلب وولى (مغداه) بكوره وسيره فى الغدو (النادى وندأه) المجلس وكرم أهله ونريد أن نأتى بفصل فى مدح الشئ وذمه على حكم ما مدح الحريرى الدينار وذمه ونبين مذهب العرب وأهل الادب فى ذلك فقد ألف ابن رشيق فيه كتابا جلبت فى هذا الكتاب عيونه قال أبو عثمان الجاحظ العربى يعاف الشئ ويهجو به غيره فان ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشئ الذى يهجون به وهذا باطل ليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين واذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين قال ابن رشيق أكثر ما تجرى هذه المدائح والمذام على جهة المنافقة لا على جهة المناصفة ومن باب المسامحة لا من باب المشاحة والا فالشئ لا يوافق ضده فيكون الحسن قبيحا فى حالة واحدة والمدح ذما المعنى واحد لكن لكل

ولا اشمأز باخل من طارق
ولا شكا المطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق
وشر ما فيه من الخلائق
ان ليس يغنى عنك فى المضايق
الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق
لا رأى فى وصلك لى ففارق
فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار الثانى وقلت له عوذهما بالمثانى فألقاه فى فيه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادى وندأه (قال الحرث بن همام) فناجانى قلبى بأنه أبو زيد وأن تعارجه لكيد

(مدح الشئ وذمه)

شئ

شئ كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن كما فعل عمرو بن الاهتم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبرقان بن بدر على ما ادّعاه من الشرف فى قومه قال عمرو أجل يا رسول الله انه مانع حوزته مطاع فى أدنيته شديد العارضة فقال الزبرقان أما والله لقد علم أكثر مما قال ولكن حسدنى شرفى فقال عمرو اما وقد قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروأة لئيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انّ من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة * وكتب يزيد بن معاوية فى صدر كتابه الى عبد الله بن زياد وقد ولاه محاربة الحسين بن على رضى الله عنهما وكان قبل ذلك يسئ الرأى فيه أمّا بعد فان المسبوب يوما ممدوح وان الممدوح مسبوب يوما ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيأ قط فمرّ يوما بكلب ميت فقال أصحابه ما أنتن ريحه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أحسن بياض اسنانه وقالت للحسين ابن منذر امرأة كيف سدت وأنت دميم بخيل فقال لانى سديد الرأى شديد الاقدام وقال مسلمة ابن عبد الملك لاخيه هشام كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان فقال لانى حليم وأنا عفيف فسلم لعائبه ما ادّعاه من مساويه وذكر من محاسنه مالم ينازع فيه * صعد خالد بن عبد الله القسرى منبر مكة يوم الجمعة وهو أمير للوليد بن عبد الملك بن مروان فأثنى على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب سليمان يأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفى عن الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه منهم فلعنوه وانّ الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله وغشه على ما خفى عنا فلما أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل ومرّ غيلان ابن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير يتعلم العوم فيه صبيانهم ويكون لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم ثم عاد ابن عامر فسايرزياد اعليه فقال زياد ما أضر هذا النهر لاهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الامير تنزمنه دورهم وتغرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله بعوضهم ومدح الجاحظ العروض فقال هو ميزان الشعر ومعياره به يعرف الصحيح من السقيم والعليل من السليم وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الاود والكسر ثم ذمه فقال هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض تستكره العقول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول * وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها أما المال فتبلعين وأما المروأة فتخلعين وأما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول أما النفس فتسمعين وامّا الهمّ فتطردين أفتراك منى تفلتين ثم يشربها وشكا أبو العيناء حاله الى عبد الله سليمان فقال أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر قال كتبت الى رجل قد حصر من همته ل الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فأخفقت فى طلبتى قال أنت اخترته قال وما على

أعز الله الامير فى ذلك قد اختار موسى قومه سبعين رجلا وما كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع الى المشركين مرتدا واختار على رضى الله عنه أباموسى حاكما فحكم عليه (قوله فاستعدته) أى قلت له أعد على (عرفت بوشيك) أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه (استقم) استعد منه وأزل عوجك (حييت) طال بقاؤك والتحية البقاء (حييت) عشت (والحوادث) ما يحدث من الخير والشر (بؤس) شدة العيش (رخاء) لينه وسعته (زعزع) ريح شديدة تحرك الشجر تقلعه والزعزعة تحريك الشئ اذا أردت قلعه (رخاء) ريح لينة سريعة من الارخاء فى السير وهو عدو فوق التقريب وناقة مرخاء سريعة (التزل) أسوأ العرج وتدقزل تزلا و (هزل) هزلا ترك الجد فى قول أو فعل يقول كيف تحليت بالعرج ومثلك لا يهزل ولا يقع فى هذه النسيئة فتستهزئ به فغضب عند ذلك (استسر بشره) زال عنه سماحه وطلاقة وجهه (تجلى) ظهر (ولى) ذهب (قوله قرع) أى أضرب (الفرج) كشف الهم (ألقى حبلى على غاربى) أى أسرح وأمشى حيث أحببت والعرب تطلق هذا اللفظ فتقول للمرأة حبلك على غاربك أى أنت مسيبة فاذهبى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس والغارب ما انحدر من السنام والحبل هو الذى يعقل به البعير فاذا سرحوه حلوا عقاله وألقوه على غاربه قال ابن الانبارى أصله أن يلقى حبل الناقة على غاربها فتنزع ولا ترعى اذا لم تره على الارض (أسلك مسلك) أى أدخل مدخل والمسلك الطريق (مزج) خلط الجد بالهزل (حرج) اثم والله تعالى أعلم

(شرح المقامة الرابعة وهى الدمياطية)

(قوله ظعنت) رحلت والظعن ضد الاقامة (دمياط) بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخا وهى على ساحل البحر الملح والى دمياط ينتهى ماء النيل فيفترق منها فيخرج بعضه الى بحيرة تنيس وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ويخرج بعضه الى البحر وبها تعمل الشروب وقد ذكرنا ذلك عند تنيس (قوله هياط) صياح وتهايط القوم اجتمعوا ودبروا أمرهم (مياط) دفاع أى كان عام هرج وخلاف (مرموق) منظور اليه (الرخاء) سعة المال (موموق) محبوب (أسحب) أجر (مطارف) ثياب لها أعلام فى أطرافها (أجتلى) أنظر (معارف) وجوه (السراء) الغنى والسرور (رافقت) صحبت فى السفر و (الصحب) الاصحاب (الشقاق) الخلاف ومعنى شقوا عصاه أزالوه وطرحوه والعرب تقول شق فلان العصا اذا ترك الطاعة وخرج مباينا قال أبو عبيد العصا تضرب مثلا للاجتماع وانشقاقها يضرب مثلا للافتراق الذى لا اجتماع بعده (أفاويق) جمع أفواق وأفواق جمع فواق وهو ما بين الحلبتين و (الوفاق) ترك الخلاف وقد وافقته موافقة ووفاقا (قوله لاحوا) ظهروا والعرب تضرب المثل باسنان المشط وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان وقال النبى صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية فان أرادوا الاستواء فى الشر قالوا سواسية كاسنان الحمار وقال كثير يهجو ضمرة

نسائل نوحى كل أجرد سابح وسل غمار بنى بضمرة أو سحلا
سواء كاسنان الحمار فلا ترى لذى كبرة منهم على ناشئ فضلا

فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام وحييت بين كرام فقلت أنا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب فى الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة فى العرج
ولكن لاقرع باب الفرج
وألقى حبلى على غاربى
وأسلك مسلك من قد مرج
فان لامنى القوم قلت اعذروا
فليس على أعرج من حرج

(المقامة الرابعة الدمياطية)

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الاخاء أسحب مطارف الثراء واجتلى معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كاسنان المشط فى الاستواء

(التئام) اجتماع واتفاق (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه وتميل اليه النفس فاراد أن اغراضهم متفقة (النجاء) السير السريع (نرحل) نشدّ عليها الرحل ونشخص بها (هوجاء) ناقة سريعة كأنّ بها هوجا وهو الحمق لسرعة مشيها (وردنا منهلا) أتينا ماء ننزل عليه والنهل الشرب الاول والعلل الثانى وذلك أن الابل ترد الماء فتشرب منه ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح ثم تدعى ثالث الاستراحة فى الرعى المرّة ثم تردّ مرّة أخرى فتشرب الماء فالشرب الاول نهل والثانى علل والمنهل موضع النهل والورود قصد الماء (اختلسنا) استرقنا (اللبث) الاقامة ومثله المكث أى لا يستقرّون بموضع ينزلون فيه الا قليلا و (الركاب) الابل و (اعمالها) استعمالها (قتية الشباب) صغيرة السن وأراد أنها طويلة سوداء لا قرفيها لان شعر الشباب أسود ويريد أنها أوّل الشهر فهى كالفتية والليلة أوّل الشهر سوداء (غدافية) منسوبة الى الغداف وهو الغراب لسواده و (الاهاب) الجلد وأراد لونها (أسرينا) مشينا بالليل يقال سرى وأسرى (نضا الليل شبابه) أى أزال ظلامه ونضا ثوبه جرده عنه ومثله (سلت خضابه) وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه وسلت الشئ سلتا أزاله عما علق به والمرأة خضابها كذلك وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة وينظر الى سراه مع صحبه فى سواد الليل قول ابن شهاب

وفتوّ أسروا وقد عكف الليـ * ـل وأقعى مغدودف الاطناب
وكان النجوم لما شهدتهم * أشرقت كالعيون من أهداب
يتفرّون جوز كل فلاة * جنح ليل جوزاؤه من ركاب
عن ذكرى لمدحهم فتناهوا * من حديثى فى عرض أمر عجاب
همة فى السماء تسحب ذيلا * من ذيول العلا وجد الركاب

ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن المعدل وهو من حسن الاستعارة

أقول وجنح الدجى ملبد * ولليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمن المسجد
فيا ليلة الوصل لا تبعدى * كما ليلة الهجر لا تبعد
ويا غدُ ان كنت لى راحما * فلا تدن من ليلتى يا غد

وقال ابن المعتز

يا رب ليل حالك الجلباب * ملتحف خافقتى غراب

وما أحسن قول ابن شهيد فى وصف الليل

وبتنا نراعى الليل لم نطو برده * ولم يحن شيب الصبح من فرعه وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تأخره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال حبيب

اليك هتكنا جنح ليل كأنه * قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وقال ذو الرمة

ودوّية مثل السماء اعتسفتها * وقد صبغ الليل الحصى بسواد
وليل كجلباب العروس ادّرعته * بأربعة والشخص فى العين واحد
أحمّ غدافىّ وأبيض صارم * وأعيس مهرىّ وأروع ماجد

ى يا خليلىّ بالهواجر من معـ * ـن بن عوف وبحتر بن عتود

وكالنفس الواحدة فى التئام الاهواء وكأمع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب فى ليلة فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين ملنا

اطلبا ثالثا سواى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

(وقال السلامى)

البك طوى عرض البسيطة عاجلا * قطار المطايا أن يلوح لها القصر

وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

فالبيت الاول والثانى نحو بيت البحترى وبيت الثالث نحو بيت ذى الرمة فى التقسيم ومثل هذا الكلام يمتدح الملوك والاذلا ولما مدح عضد الدولة بلغه به من المكانة الغاية القصوى وفتن بشعره حتى كان يقول اذا رأيت السلامى فى مجلسى ظننت أن عطاردا نزل من السماء وسنذكر من شعره ما يحسن (قوله "سرى) أى السير بالليل (الكرى) النوم (مخضلة) مبتلة بالندى (الربا) الكدى واحدها ربوة (معتلة الصبا) أى لينة الريح (مناخا) منزلا (العيس) الابل يخالط بياضها حمرة (محطا) منزلا يحط به الاحمال (التعريس) النزول بالليل فى آخره وهذا التخير الذى ذكر لهذه الارض منتزع من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كانت أرض مخصبة فتقصدوا فى السير وأعطوا الركاب حقها فان الله رفيق يحب الرفق واذا كانت مجدبة فأجدوا عليها وعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل واياكم والتعريس على ظهر الطريق فانه مأوى الحيات ومدارج السباع (الخليط) الاصحاب (هدأ) سكن (الاطيط) أصوات الابل و(الغطيط) أصوات الناس النيام (صيتا) جهير الصوت (سميره) رفيقه الذى يسمر معه بالحديث (الرحال) منازل المسافرين سميت رحالا باسم الرحل التى توضع فيها والرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل (سيرتك) عادتك (جبلتك) أهل عصرك (جيرتك) جيرانك (قوله أرعى) أى أحفظ (جار) تعدى ومال عن الحق قال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (ابذل) اعطى (صال) صاح مخوفا (الخليط) الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد وسمى بذلك لاختلاط الامر بين الصاحبين (الحميم) الاول الصديق المخلص والثانى الماء الحار (الشفيق) المحب (الشقيق) الاخ من الاب كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الام كأنه شق معك بطن أمك (أفى للعشير) أعامل الصاحب بالوفاء (يكافى بالعشير) يجازى بالعشر من فعلى والمكافأة المواساة (أستقل) اراه قليلا (الجزيل) الكثير (النزيل) الضيف والنزل ما يعد للضيف من طعام وغيره (أغمر) اعطى (الزميل) الرديف (الجميل) الافعال الجميلة (أميرى) الحاكم على (الانيس) الذى يؤنسك بحديثه وفلان رئيس قومه أفضلهم وأعزهم (أودع) اعطى وديعة (معارفى) من يعرفنى (عوارفى) هباتى واحدها عارفة وهى اليد من النعمة (أولى مرافقى) اعطى مصاحبى فى السفر ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض و(مرافقى) جمع مرفقة وهى المعونة وما يرتفق به و(القالى) المبغض وقليت الرجل قلى أبغضته (تسآلى) كثرة سؤالى (السالى) الناسى للمودة والتارك لها وسلوت عن الشئ أسلو سلوا وسلوة اذا تركته (اللفاء) النقصان وقال أبو على فى الايضاح اللفاء مادون الحق قال أبو زبيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر رحمه الله

فما أنا بالضعيف فتظلموه * ولا حظى اللفاء ولا الخسيس

السرى وملنا الى الكرى
صادفنا أرضا مخضلة الربا
معتلة الصبا فتخيرناها
مناخا للعيس ومحطا
للتعريس فلما حاها الخليط
وهدأ بها الاطيط والغطيط
سمعت صيتا من الرجال
يقول لسميره فى الرحال
كيف حكم سيرتك مع
جبلتك وجيرتك فقال أرعى
الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط
ولو أبدى التخليط وأود
الحميم ولو جرعنى الحميم
وأفضل الشفيق على
الشقيق وأفى للعشير وان
لم يكافى بالعشير وأستقل
الجزيل للنزيل وأغمر
الزميل بالجميل وأنزل سميرى
منزلة أميرى وأحل أنيسى
محل رئيسى وأودع معارفى
عوارفى وأولى مرافقى
مرافقى وألين مقالى للقالى
وأديم تسآلى عن السالى
وأرضى من الوفاء باللفاء

واقنع من الجزاء بأقل
الاجزاء ولا أتظلم حين أظلم
ولا أنقم ولو لدغني الارقم
فقال له صاحبه ويك يا بني
انما يضن بالضنين وينافس
في الثمين لكن أنا لا آتي
غير المواتي ولا أسم العاتي
بمراعاتي ولا أصافي من يأبى
انصافي ولا أواخي من يلغي
الأواخي ولا أمالي من
يخيب آمالي ولا أبالي بمن
صرم حبالي ولا أداري من
جهل مقداري ولا أعطي
زمامي من يخفر ذمامي ولا
أبذل ودادي لأضدادي
ولا أدع ايعادي للمعادي ولا
أغرس الايادي في أرض
الاعادي ولا أسمح بمواساتي
لمن يفرح بمساءتي ولا أرى
التفاتي الى من يشمت
بوفاتي ولا أخص بحبائي
الا أحبائي ولا أستطب
لدائي غير أودائي ولا أملك
خلتي من لا يسد خلتي ولا
أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي لمن
لا يفعم وعائي ولا أفرغ
ثنائي على من يفرغ انائي
ومن حكم بأن أبذل وتخزن
وألين وتخشن وأذوب
وتجمد وأذكو وتخمد
لا والله بل نتوازن في المقال
وزن المثقال ونتحاذى
في الفعال حذو النعال حتى
نأمن التغابن ونكفي
التضاغن

(أقنع) أرضى والقناعة الرضا باليسير و(الجزاء) المكافأة وجازيته بما صنع مثل كافأته مكافأة و(الاجزاء) الانصباء تقسم على جماعة واحدها جزء وأقلها أنقصها (أتظلم) أشتكي من الظلم (لا أنقم) لا أنتقم تقول نقمت منه نقمة أي عاقبته فمعناه لا أعاقب صاحبي ولو بلغ في الاضرار مني الغاية وتقول أيضا نقمت الشيء وأنقمته نقما ونقوما اذا أنكرته فمعناه على هذا لا أنكر على صاحبي ولو بالغ في الاذى ويقال في الانكار نقم ينقم (قوله ويك) معناه التعجب كأنه قال ما أعجبك أو عجبا لك وقيل أرادوا ويلك فحذف اللام (انما يضن بالضنين) وهذا مثل أول من قاله الاغلب العجلي وفسره أبو عبيد فقال معناه تمسك باخاء من تمسك باخائك وبيانه أن الضنين البخيل ويضن يبخل فيقول انما أتمسك وأتعلق بصاحب تمسك بي وعرف حقي فأما أن يبخل به على غيري أن يشركني في صحبته كما يبخل بي هو على غيره وقيل الضنين في المثل هو الشيء المضنون به لنفاسته فمعناه انما يبخل بالشيء النفيس الرفيع (المواتي) المساعد الموافق (العاتي) المتكبر الصعب الخلق و(المراعاة) المحافظة للود و(أسم) اجعل لها سمة أي علامة (أصافي) أخلص له ودي (يأبى) يمنع (انصافي) أي اعطائي الحق من نفسه (أواخي) أصير له أخا وأتخذه صديقا (يلغي) يترك ويطرح (الاواخي) أسباب الود واحدها آخية وأصل الآخية عروة من حبل تشد في وتد أو على حجر تحت الارض وتبقى العروة على وجه الارض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها (أمالي) أعاون وأصلها الهمزة تقول مالأته على الامر أمالئه اذا عاونته وساعدته ومنه والله ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله فخفف الهمزة ليوافق (آمالي) وهو جمع أمل وهو الرجاء (صرم حبالي) قطع أسباب وصالي وهم يكنون بالحبل عن الوصلات التي تربط القلوب وتؤلفها كالحبل فيما يربط به (قوله أداري) أسوس وأحسن صحبته و(الزمام) حبل من جلود يربط في حلقة في أنف البعير (يخفر ذمامي) ينقض عهدي أي لا أنقاد لمن لا عهد له (ودادي) حبي وهو من وادّه وهو الذي لا يكون الا من اثنين فوضعه موضع ودي ويقال أيضا في الحب حباب مثل وداد قال الشاعر

* أداء عراني من حبابك أم سحر * (أضدادي) أعدائي المناقضين لأفعالي (ايعادي) تهديدي وتخويفي (الايادي) النعم (وواسيته) مواساة جعلته أسوة نفسي في مالي فقاسمته فيه (مساءتي) أحزاني وما يسوءني (التفاتي) نظري وانعطافي الى جهته (يشمت) يسر (وفاتي) موتي (أخص) أفرد (حبائي) عطائي (أحبائي) جمع حبيب (أستطب) أطلب طبه (خلتي) صداقتي (يسد خلتي) يصلح فقري (أخلص) أجعله خالصا (يفعم) يملأ (أفرغ ثنائي) أصب مدحي وأكسوه أو يكون أفرغه أبلغ آخره (قوله تخزن) أي تحبس (أذكو) أضيء يقال (خمدت) النار اذا سكن لهبها وذكت اتقدت و(المثقال) الصنجة التي يوزن بها سميت بذلك لانها تستثقل ما يوزن بها في الكفة الثانية (تحاذى) تتشابه (والفعال) بفتح الفاء اسم للفعل الحسن والقبيح ولا يقال بكسرها الا في مصدر فاعل قال ابن الاعرابي الفعال فعل الواحد من الخير والشر والفعال بالكسر الفعل بين الاثنين (حذو) مشابهة والعرب تقول في الشيئين يشتبهان هما حذو النعل بالنعل أي كل واحد من النعلين تقطع على قالب أختها ومنه قول الهذلي

وتأمل السبب الذي أحذوله - وانظر بمثل حذاءه فاحذوني

(التغابن) الغبن (نكفي) نمنع (التضاغن) العداوة وتضاغن الرجلان اعتقد كل واحد منهما

والاقلم أعلك وتعلني واقلك
وتستقلني واجترح لك
وتجرحني واسرح اليك
وتسرحني وكيف يجتلب
انصاف بضيم واني تشرق
شمس مع غيم ومتى اصحب
ودبعسف واي حر رضي
بخطة خسف ولله ابوك
حيث يقول
جزيت من اعلق به وده
جزاء من يبني على اسه
وكلت للخل كما كال لي
على وفاء الكيل أو بخسه
ولم اخسره وشر الورى
من يومه أخسر من امسه
وكل من يطلب عندي جنى
فما له الاجنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني
بصفقة المغبون في حسه
ولست بالموجب حقا لمن
لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني
أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله انني
اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغبال هجر القلى
وهبه كالملحود في رمسه

لصاحبه صغنا وهو الحقد (أعلك) أسقيك للاأى مرة بعد أخرى (تعلني) تمرضني (أقلك) أرفعك (تستقلني) تحقرني (أجترح) أكتسب (أسرح) أرعى لك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشي (تسرحني) تهملني (ضيم) ذل (أنى) كيف (تشرق) تضيء من أشرقت واشرق تطلع من شرقت (غيم) سحاب (أصحب) أنقاد (بعسف) بجور وأصل العسف ركوب الامر بغير تدبير و (الخطة) المنزلة والمرتبة و (الخسف) الاذلال والنقصان ومنه خسف الارض والخاسف المهزول ويقال باتوا على الخسف أي جياعا ليس لهم شيء يتقوتون به والخسف للدابة أن تبيت بغير علف (قوله أعلق) بمعنى علق أى العشق (أسه) أصل بنيته يقول من تعلق بقلبي وده جعلت ذلك الود أساسا لي وبنيت عليه ودي فان أسس في قلبي ودا سليما بنيت له عليه مثله وان غشني في ود غششته والهاء في أسه ترجع الى من أي من نصحني في صحبته نصحته و (الخل) الصاحب (بخسه) نقصه (أخسره) أنقصه (الورى) الخلق من الناس (الجنى) ما يجنى من الثمرة (أبتغي الغبن) أطلب الخداع (أنثني) أرجع و (صفقة المغبون) بيعة المخدوع (حسه) فهمه والحس صوت حركة الحي و (الصفقة) في الاصل مصدر يقال صفق بيده يصفق صفقا اذا ضرب باحداهما على الاخرى وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشتري بيده على يد البائع فان رضي البيع قبض على يد المشتري وانعقد البيع وان لم يرض أرسل يده ثم صاروا يقولون رضي الصفقة اذا رضي البيع ثم سمي عقد البيع صفقة (مذق) خلط غير خالص (الهوى) الحب و (خالني) حسبني (لبسه) تخليطه وتلبيسه (غريمي) صاحب ديني (من جنسه) من نوع ما أعطاني (استغبال) استجهلت (القلى) البغض (هبه) احسبه (الملحود) المدفون (رمسه) قبره وينظر الى بيته قول ابن الرومي

من تصدى لاخيه ٭ بالغنى فهو أخوه
فان احتاج اليه ٭ راعه منه ما يسوه
يكرم المثري فان أملق أقصاه بنوه
أنت ما استغنيت عن صا ٭ حبك الدهر أخوه
فان احتجت اليه ٭ ساعة مجك فوه

ووجد على حجر مكتوبا

كل من أحوجك الدهر اليه ٭ وتعرضت له هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريري مبنيان على آيتين من كتاب الله تعالى الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذي ترى له وللشعراء القدماء والمحدثين في المذهبين شعر كثير قال المقنع الكندي في المذهب الاول

وان الذي بيني وبين بني أبي ٭ وبين بني عمي لمختلف جدا
أراهم الى نصري بطاء وان هم ٭ دعوني الى نصر أتيتهم شدا
وان أكلوا لحمي وفرت لحومهم ٭ وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وان

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس يمرّ بي * زجرت لهم طيرا يمرّ بهم سعدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى * وان قلّ مالي لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

وقال معن بن أوس المدني في المذهب الثاني

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت اذا ما صاحب رام ظنتي * وبدل سوأ بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أدم * على ذاك الا ريثما أتحول

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)

أميل مع الزمان الى ابن عمي * وآخذ للصديق من الشفيق
وان ألفيتني حرّا مطاعا * فانك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفي وبيني * وأجمع بين مالي والحقوق
وكنت اذا الصديق أراد غيظي * وأشرقني على شرق بريق
غفرت ذنوبه وصفحت عنه * مخافة أن أعيش بلا صديق

وكلف ابراهيم بن العباس بعض اخوانه مقاطعة صديق فقال له

أخا متى أحمل بحقدك لا أضر به سواكا
ومتى أطعتك في أخيك أطعت فيك غدا أخاكا
حتى أرى متقسما * يومي لذا وغدا لذاكا

وقال أبو الفتح البستي في المذهب الثاني

فان تزرني أزرك أوان * تقف ببابي أقف ببابك
والله لا كنت في حسابي * الا اذا كنت في حسابك

أين هذا من قول البستي أيضا وقد خالف فيه خلافا شديدا ولا نازعه أحد فيه ولا سبقه اليه اذ يقول

واني لاختص بعض الرجال * وان كان فدما ثقيلا عياما
فان الجبين على انه * وخيم ثقيل يشهي الطعاما

ولابن شرف

بع من جفاك ولا تخل بسلعته * واطلب به بدلا ان رام تبديلا

وهو كثير وبما ذكرت يستدل على الباب (قوله وعيت) أي حفظت (تقت) أي اشتقت (عينهما) شخصهما (لاح) ظهر (ابن ذكاء) هو الصبح وذكاء هي الشمس ويقال للصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (ألحف) غطى (الجو) الهواء بين السماء والارض أراد أن الصبح غطى نواحي السماء بضوئه ومن حسن التشبيه في ضوء الصبح قول ذي الرمة

وقد لاح للسارى الذي كمل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كلون الحصان الابيض البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

والبس لمن في وصله لبسة
لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى
انك محتاج الى فلسه
(قال الحرث بن همام) فلما
وعيت ما دار بينهما تقت
الى أن أعرف عينهما فلما
لاح ابن ذكاء وألحف الجو
الضياء

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بافرس الاشقر الابيض البطن وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه ... مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد ... كطرف أشقر ملقى الجلال

(وقال أبو يوسف الرمادى)

وليلة أنس قد حرنا ظلامها ... بأوجه راح تستنير فترشف
الى أن بدا ضوء الصباح كأنما ... تحمل لقمان وأقبل يوسف

(قوله غدوت) أى بكرت (استقلال) ارتفاع وقيام و (الركاب) الابل واحدتها راحلة (ولا اغتداء الغراب) أى ولا مثل اغتدائه فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لان لا لا تنصب المعارف وأراد أن اغتدائى كان قبل أن يغتدى الغراب والغراب أكثر الطير بكورا وهذا وما شابهه فى هذا الكتاب مثل قوله ولا كيد فرعون موسى ولا انهلال السحب ولا عمرو بن عبيد اذ طابت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا الا عن العرب تقول العرب فتى ولا كمالك فيريدون أن مالكا أفضل من الفتى ومثله مرعى ولا كالسعدان أى ان المرعى فاضل فى طيبه ولكن السعدان أفضل منه ومثله ماء ولا كصداء فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه فهذا مذهب العرب فى ذكر ولا بين المشبهين وأما قول الحريرى غدوت ولا اغتداء الغراب فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب وكذلك ولا انهلال السحب وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب لان كلام العرب فلان أبكر من الغراب وأجود من السحاب ولا يقولون السحاب أجود من فلان ولا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة ولا فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى وانما اللفظ من كلام عامة العراق فاستحسنها لانها عندهم متعارفة وليست بعربية ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم وجاء منه فى مقامات البديع كثير ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة ولا فى تشبيهاتهم كثيرا جدا على حد استعمال الحريرى لها ولا يستعملها أهل الاندلس وقال الفنجديهى الرفع فى قوله ولا اغتداء الغراب أكثر مبالغة فى التشبيه من النصب (قوله أستقرى) أى أتتبع (صوب) جهة وناحية (الليلى) الذى سمع بالليل (أتوسم) أتعرف وأتطرسمتها (الجلى) البين (لمحت) رأيت (بردان رثان) ثوبان خلقان (نجيا الليلى) أى المتحدثان فيها وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازا لما أوقعا الحديث فيها كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ولا يمكران انما يمكر فيهما فنسب ذلك المكر اليهما (صاحبا روايتى) أى اللذان أروى عنهما هذه القصة (كاف) محب (دمثتهما) سهولتهما والدماثة سهولة الارض وكل ما وطئته وسهلته أو ذللته بيدك فهو دمث (راث) بال مشفق (ورثاثتهما) سوء حالهما (أبحته) جعلته له مباحا (كثرى وقلى) أى كثير مالى وقليله (طفقت) أخذت (أسير) أمشى (السيارة) القوم الذين يسيرون فى الاسفار (أهز الاعواد) استعارة وأراد أن يستعطف لهما أصحاب الاموال فيواسونهم فكنى عنهم بالاعواد وقد كثر هذا المعنى انساحين قال

قصدته والشيخ يبغى جنى ... عوداله مازال مهزوزا

وقال الشاعر فى مثله

غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقرى صوب الصوت الليلى وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى الى أن لمحت أبازيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا الليلى وصاحبا روايتى فقصدتهما قصد كاف بدماثتهما راث لرثاثتهما وأبحتهما الدحول الى رحلى والتحكم فى كثرى وقلى وطفقت أسير بين السيارة فضلهما وأهز الاعواد المثمرة لهما

الايكن ورق غضا أراح به * للمعتفين فانى لين العود

أرادان لاأكن كثير المال فانى كريم والورق المال غير الصامت وأراح به اهتز به من الاريحية وراح الشجر أتى بورق فى آخر الصيف لاأصل لها ويقال انها الخلفة والرمل (قوله غمرا) أى أعطيا (النحلان) العطايا (الخلان) الاصحاب و (قوله وكابمعرّس) المعرس موضع النزول آخر الليل (تنوّر) نظر النيران (القرى) طعام الضيف (كيسه) وعاء دراهمه والكيس خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرة تسع عشرة آلاف درهم قال حبيب

من بعد ماصارت هنيدة صرمة * والبدرة النجلاء صارت بوسا

(قوله انجلاء بوسه) انكشاف فقره (درنى) وسخى و (رسخ) الشئ فى الارض رسوخا غاب فيها ورسخ العالم فى العلم دخل فيه (استحم) أدخل الحمام واستحم الرجل اغتسل بالحميم وهو الماء الحار (أقضى) أقطع وأزيل وقضيت الشئ صنعته (المهم) أراد به فرض الصلاة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان أهم أموركم عندى الصلاة فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع وقيل المهم الوسخ لان الامر المهم هو الذى فى القلب منه هم وشغل وقد ذكر ان الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ماعليه من الوسخ فيكون قوله وأقضى هذا المهم من قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وقد أهمنى الشئ فهو مهم وهذا القول أوفق بمراده وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام

ياصاح عهدى بالحمام قد بعدا * فلا تلمنى فيه ان طلبت مدى
قارعت فيه العدا فى معرك لجب * دحض تزل به الاقدام قد بعدا
عدا أثرن برأسى حين ثرن به * توقدا وأعادت جلده جلدا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها . فلم أدع والدا منها ولا ولدا
ثم انثنيت معا فى ناعما جذلا * مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدى الحكاك فقال

أأغترا ان مد فى العمر لى * وأرجى المتاب الى قابل
وأغفل والموت لى طالب * حثيث كذئب الفضا القاتل
كأنى بى هكذا ميتا * تحكم فىّ يد الغاسل

وله ايضا

شكوت للدهر حسن ماصنعا * طريد مجد تحيتى رفعا
ياحسن حمامنا وقد غربت * شمس الضحى فيه بعد ماسمعا
أيقن ان الهلال راكبه * فضاء للعاضرين واتسعا
فانعم أباعامر بنعمته * واعجب لامرين فيه قد جمعا
نيرانه من زناد كم قدحت * وماؤه من بنانكم نبعا

ولبعضهم فى حمام كانت ضاوئه من زجاج أحمر وفى سمائه حمرة و بياض

تحيرت من طيب حمامنا - فخيل لى ان فيه الفلق
فمن حمرة فوقنا وابيضاض * لخد الحبيب اذا ماعرق
رأى الدهر ماسدّ من حسنه . فسد كوى سقفه بالشفق

ودخل الحمام أبو جعفر الطليطلى وأبو بكر بن تقى رحمهما الله تعالى فقال ابو جعفر

الى أن غمرا بالنحلان وكنا واتخذا من الخلان تبين منه بنيان بمعرس القرى وتنور نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بوسه قال لى ان بدنى قد اتسخ ودرنى قد رسخ أفتأذن لى فى قصد قرية لاستحم وأقضى هذا المهم

يا حسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه الى غلام وسيم فقال

هل استمالك ميال القوام وقد * سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كثب فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال آخر

حمام دنيا حل لنا محتدم * وفيه للبرد سر غير ذي ضرر
ضدان في جسم لمن بينهما كالغصن نعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيق وهما قاله على عتب رداع

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت بوسى
ولكن لاذري عبرتي مطمئنة فابكي ولا يدري بذاك جليسى

وقال آخر

وحمام كأن النار فيه مسعرة بنيران الجحيم
دخلت أنار من أعوادقيه * فعاد لنا بجنات النعيم

وقال آخر في ذم حمام

وحمام سوء وخيم الهوا تلبل المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود ولا للقعود به من قيام
حياء معطفات القسى * رقطرانه صائبات السهام

وقال آخر في تعجيل الخروج منه

خذ من الحمام واخرج * قبل أن يأخذ منك
حسنه باعسه والا * حدث الحمام عنك

وقال ابن رشيق

ومررت بين لدى الحمام أصحى وحالاه لاصحاب السعير
اذ سئموا العذاب أو استغاثوا * أغاثوهم بباب الزمهرير
كذلك حاله حر أو بردا بيت الحوض أو بيت الطهور
وطال به انتظار مواعديه فقد زاد الشقى على النظير

وله ايضا

سأشكر للحمام بدأ وعودة أيادى بيضا مالهن ثمين
جلالى على عيني عريان حاسرا فرحت بتطليق وأنت ثمين
وطهر قلبي من هواك ببارد وسخن فقر الجفن وهو سخين

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحمام يذكر جهنم وينقي الدرن. وقال علي رضي الله عنه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى ودخل بعض الامراء مع الرقاشي فقال له امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب النظافة وينشر النعمة ويطيب النغمة ثم قال ذمه فقال يهتك الاستار ويولف الاقذار ويذهب بالوقار (قوله اذا شئت فالسرعة السرعة) يقول اذا شئت أن تقصد الحمام فالزم السرعة وعجل الرجعة وكررهما تأكيدا والفعل الناصب لهما يلزم اضماره مع التكرير فاذا أفردت جاز

فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة

اظهار الفعل ونظيرهما قول العرب الطريق الطريق والاسد الاسد وقال الشاعر
خل الطريق لمن يبنى المنار له * فلما سقط النكر ساغ له اظهار الفعل (مطلعى) مصدر بمعنى طلوعى أهل الحجاز يفتحون لامه فى المصدر وغيرهم يكسرها (ارتداد طرفك) اى رجوع طرفك (استن استنان الجواد) جرى كما يجرى الفرس وانما يقال استن فى كلامهم اذا جرى فى غير طريق بتحريف ومنه قولهم استنت الفصال حتى القرعا يريدون جرت الفصال وهى تلعب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فاستنت شرفا أو شرفين وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها فى جهة

بمستنة كاستنان الخروف - وقد قطع الحبل بالمرود

أراد المهر ويقال له خروف وفلو وقد فسر استنت الفصال بأن معناه أحسن رعيها حتى كأنه صقلها او الجواد الفرس الكريم (المضمار) الطلق تجرى فيه الخيل سمى مضمارا لان الخيل تضمر فيه وذلك ان العرب كانت تسمن الخيل فتخرجها الى المضمار فتجريها طلقا قدر ما تحتمل ثم تزيدها يوما آخر فى الجرى على ذلك ثم لا تزال تزيدها فى الطلق كل يوم حتى تجرى بها الاميال فيسيل عرق الخيل بذلك الجرى ويشتد لحمها بذلك التضمير قال زهير

تضمر بالاصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

القرون دفع العرق واحدها قرن وقوله (بدار بدار) اى سبقا سبقا وهو معدول عن ابدر فيقول لابنه ابدر بالجرى واسبق الى الحمام (تخل) تحسب (غر) خدع (ترقبه) اى تنظر من أين يجئ ويرى و(رقبة) أهله (الاعياد) وما أحسن قول ابن الرقاق فى هذه الرقبة

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله ، جفونا الى نحو السماء موائلا
الى أن بدا أحوى المدامع أحور * يجر لأذيال الشباب غلائلا
فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا * بمن قد حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الابصار فى الجو ناقصا * وأنت كذا تمشى على الارض كاملا

وله فى معناه
لله شهر ما نظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لى أغن مهفهف بضيائه يحجاب كل ظلام
فطفقت أهتف بالانام ضللتم - وغلطتم فى عدة الايام
ما جاءنا شهر لأول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

(نستطلعه) اى نلتمس طلوعه (الطلائع) الباحثون عليه (والرواد) الطالبون له وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو والراصدون فى الطرقات الواحد طليعة وأصل الرواد الطالبون للمرعى (هرم) شاخ ومعناه قارب أن يتم (ينهار) ينهدم و(الجرف) ما يأكله الوادى استعاره للنهار (لاحت) ظهرت و(الاطمار) الثياب الخلقة أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند الغروب وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس ومما يستغرب قول العلوى الاصبهانى

ومجلس شرب جئته متطربا ، عشيا وعين الشمس فى الافق تنعس

لرومى

كأن جنوح الشمس ثم غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل عرض

فقال سيد مطلعى عليك أسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان الجواد فى المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم تخل انه غر وطلب المغتر فلبثنا نرقبه رقبة الاعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد الى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال مدى الانتظار ولاحت الشمس فى الاطمار

قوله رقبة أهله عبارة غيره كما ترقب أهلة الاعياد وهى أوضح اه مصححه

تخاوص عين صدّ أجفانها الكرى ٭ يرنق منها النوم وهي تغمض

وقال ايضا

اذا رتعت شمس الاصيل ونفضت ٭ على الافق الغربي ورساً مزعزعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها ٭ وشوّل باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت الانوار وهي مريضة ٭ وقد وضعت خدا على الارض أضرعا
كما لاحظت عوادة عين مدنف ٭ توجع من أوصابه ما توجعا

أخبرني ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى ورّاق فنظر الى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وأنشدني مرتجلا

انظر الى الشمس في الاصيل ٭ كأنها وجنتا عليل
ورق هذا النسيم حتى ٭ كأنما يشتكي نحولي

وقال ابن الرقاق

وعشية لبست ملاء شقيق ٭ تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما ٭ أبقى الحياء بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها ٭ وعدلت فيها عن كؤوس رحيق

وقال ابن سراج

والشمس تنفض زعفرانا بالربا ٭ وتبث مسكتها على الغيطان

وما احسن قول الرصافي في معناه

وعشي أنس للسرور وقد بدا ٭ من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم تملك يمينك ردّها ٭ فوددت يا موسى لوانك يوشع

وقال ابن الرومي في طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة

تريك بياض غرّتها ووجها ٭ كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا ٭ كلا وانفلّ سائره انفلالا

قوله بدا كليلا اشارة الى أنه عند ما بدا غاب بسرعة وأذكر كلا في المقامة التاسعة والثلاثين وقال ابن المعتز في نحوه

تظل الشمس ترمقنا بلحظ ٭ مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى ٭ كعنين يريد نكاح بكر

(قوله تناهينا) اي بلغنا النهاية و(المهلة) التراخي يقول قد تراخينا في انتظاره حتى بلغنا الغاية في ذلك (تمادينا في الرحلة) هذا على حذف مضاف للعلم به تقديره تمادينا في ترك الرحلة وانتظارها ومثل هذا الحذف جائز في النظم والنثر وأنشد أبو علي

أ با النديم لكم مني مجاهرة ٭ كي لا ألام على نهي وانذاري

أي على ترك النهي والانذار وقال آخر

واهلك مهر أبيك الدوا ٭ ء ليس له من طعام نصيب

أي فقد الدواء وجاء في القرآن واسأل القرية التي كنا فيها اي أهل القرية وهي أشد قوة من

قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة

قريتك

قريتك اى من اهل قريتك ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام الفصيح مما لا يتم المعنى الا بتقديره فالذى غلط الحريرى نقال لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سيره تحمل قد جهل الكلام الفصيح فأراد طالت بنا هذه السفرة وتمادى الشئ فهو متماد اذا طال فيه المدى وهو الغاية البعيدة يقول تأخرنا عن السفر اليوم لتمديه فى انتظاره فطالت علينا السفرة لعطلة السفر حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه و (الزمان) اليوم (بان) تبين (مان) كذب يقال منه مان يمين مينا وأراد أمانه بمونه مونا فقام بمؤنته (قوله فتأهبوا) استعدوا (الظعن) الرحيل (ولا تلووا) تعرجوا (خضراء الدمن) عشب المزابل هى حسنة المنظر سيئة المخبر واذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه فشبه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه فى كذبه واخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهارا فى انتظاره قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل له وما خضراء الدمن فقال الجارية الحسناء فى المنبت السوء (قوله احدج) اى اجعل عليها الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد أرحل الناقة (وراحلته) ناقته (أتحمل لرحلتى) أوقر جملى للرحيل يقال تحمل القوم اذا عبوا أحمالهم وارتحلوا و (القتب) خشب الرحل (قوله ساعدا) اى ذراعا يستعين به (مساعدا) موافقا (نأيتك) بعدت عنك (أشر) بطر وعدم شكر يقال أشر الرجل يأشر أشرا اذا بطر قال الاخطل يذكر بنى أمية

أعطاكم الله جدا تنصرون به ـ لا جد الا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه اذ كانوا مواليه ـ ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

قوله مذلم أزل) اى مذ بنت ووجدت (اتشر) ذهب (عتب) لام وسخط فعله (خرافته) حديثه الملهى وحديث خرافة مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث يضرب لكل حديث لا حقيقة له ووقع فى أمثال المفضل بسند يصل الى عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حدثنى حديث خرافة فقال رحم الله خرافة كان رجلا صالحا فاخبرنى انه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة نفر من الجن فسبوه فقال أحدهم نعفو عنه وقال آخر نقتله وقال آخر نستعبده فبينما هم يتشاورون فى أمره اذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام قال وما أنتم قالوا نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر فى أمره فقال ان حدثتكم حديثا عجيبا أتشركونى فيه قالوا نعم قال انى كنت ذا نعمة فزالت وركبنى دين فخرجت هاربا فاصابنى عطش شديد فسرت الى بئر فنزلت لاشرب فصاح بى صائح من البئر مه فخرجت منها ولم أشرب فغلبنى العطش فعدت فصاح بى ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت اليه فقال اللهم ان كان رجلا فحوله امرأة وان كان امرأة فحولها رجلا فاذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجنى رجل فولدت منه ولدين ثم عدت الى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها فنزلت فصاح بى كما صاح فى الاول فشربت ولم ألتفت له فدعا كالاول فعدت رجلا كما كنت فأتيت بلدى فتزوجت امرأة فولدت منها ولدين فلى ابنان من ظهرى وابنان من بطنى فقالوا ان هذا لعجيب أنت شريكنا فبينما هم يتشاورون اذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم اذا رجل بيده خشبة وهو يحضر فى اثره فوقف عليهم فسلم فردوا وسألهم فردوا عليه مثل ردهم على صاحبهم فقال ان حدثتكم بحديث أعجب من

الى أن أضعنا الزمان وبان ان الرجل قد مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتى وأتحمل لرحلتى فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يامن غدا لى ساعدا
ومساعدا دون البشر
لاتحسبن انى نأيتك*
عن ملال أو أشر
لكننى مذ لم أزل
ممن اذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فاعجبوا بخرافته

(ذكر حديث خرافة)

هذا أتشركوني فيه قالوا نعم قال كان لي عم وكان موسرا وكانت له ابنة جميلة وكنا سبعة اخوة وكان لعمي عجل يربيه فانفلت فقال أيكم يرده فابنتي له فاخذت خشبتي هذه واتزرت ثم حضرت في اثره وأنا غلام وقد شبت فلا أنا ألحقه ولا هو يكل فقالوا ان هذا العجب اتعد فانت شريكا فبينما هم يتشاورون اذ وردعليهم رجل على فرس أنثى وخلفه غلام على فرس ذكر فسلم كما سلم صاحباه فردوا عليه كرد هم على صاحبيه فأخبروه الخبر فقال لهم ان حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركوني فيه قالوا نعم قال كانت لي أم خبيثة ثم قال للفرس الأنثى الذي تحته أكذلك فقالت برأسها نعم قال وكنت أتهمها بالعبد ثم قال للفرس الذي تحت غلامه أهكذا فقال برأسه نعم فوجهت بغلامي هذا الراكب ذات يوم في بعض حاجاتي فحبسته عندها فأغفى فرأى في منامه كأنها صاحت صيحة فاذا هي بجرذ قد خرج فقالت احرث فحرث ثم قالت اكرب فكرب ثم قالت ادرس فدرس ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق فأتت به الغلام فقالت له ائت به مولاك فأتاني به فاحتلت عليها حتى سقيتها القدح فاذا هي فرس أنثى واذا هو فرس ذكر قال أكذلك قالت الفرس الأنثى برأسها نعم وقال الفرس الذكر برأسه نعم فقالوا ان هذا أعجب شيء سمعناه فأنت شريك فأجمع رأيهم أن يتبعوا خرافة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الحديث فما جاء من الاحاديث المحالية تنسب الى خرافة صاحب الحديث (قوله آفته) أي ضرره (ظعنا) رحلنا (اعتاض) استبدل

(شرح المقامة الخامسة وهي الكوفية)

(سمرت بالكوفة) الكوفة بلد بالعراق قصبة ورستاق وبين بغداد ثلاثون فرسخا وسميت كوفة لاستدارتها أخذت من الكوفان وهي الرملة الشديدة البياض وقيل سميت كوفة لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوف الرمل تكوفا اذا ركب بعضه بعضا وقيل سميت كوفة لانها قطعت من البلاد من قولهم أعطيت فلانا كيفة أي قطعة وكنت أكيف كيفا قطعت والكوفة فعلة منقلبت الياء واوا للضمة التي قبلها وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الاعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير في رحلته حاجا انه دخل الكوفة في أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة فقال هي مدينة كبيرة قد استولى الخراب على أكثرها فالغامر منها أكثر من العامر ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها وهي لا تزال تضر بها وكذلك تعاقب الايام والليالي ماحقا ومفنيا وبناؤها بالآجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلي شرق البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمس أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطتان متسعتان وهي على أعمدة من السواري المصنوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا تشتمل على قسي وهي في نهاية من الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما رأى في الارض مسجد أعلى سقفا منه ولا أطول أعمدة ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت بازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال انه كان مصلى الخليل ابراهيم عليه السلام وعليه ستر أسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة والناس يزدحمون على هذا البيت

وتعوذوا من آفته ثم انا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

*(المقامة الخامسة الكوفية)

(حكى الحرث بن همام) قال سمرت بالكوفة

للصلاة فيه و بمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب أغلق عليـــه بأعواد الساج كأنه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط هو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنـــه وفيـــه ضربه الشقي عبد الرحمن بن ملجم فالناس يصلون فيه باكين داعين وفي الزاوية من البلاط القبلي المتصـــل بآخر البلاط الغربي شبه مسجد صغيراً أغلق عليـــه بأعواد الساج وهو مفار التنور الذي كان آية نوح عليه الســـلام ويتصل بالجدار القبلي فضاء يقال انه كان منشأ السفينة ومع هـــذا الفضاء دار علي ابن أبي طالب رضي الله عنـــه تلقيناهذه الآثار من أشـياخ البلد وفي الشرقية بيت قبر مسلمة ابن عقيل وفي جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض وفي غربي المدينه على مقدار فرسخ المشهد الشهير حيث بركت ناقة علي رضي الله عنه وهو محول عليها بيتا وفيه قبره والله تعالى أعلم بصحة ذلك والفرات في الجانب الشرقي على قدر نصف فرسخ والجانب الشرقي كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر (قوله سمرت) أي ذهب نومي (الاديم) الجلد وأراد ان لون الليلة فيه سواد وبياض لان قمرها ناقص ولذلك جعله (كتعويذ من لجين) وهو حرز فضة يستعمل مستديراً استدارة القمر وبعض الدائرة فارغ فيربط في الدائرة خيط فيعلق في أعناق الصبيان وقال فيه السكرداى

في ليلة أديمها ذو لونين
وقمرها كتعويذ من لجين
مع رفقة

قم سل همي بالمدا * م ففيه هم قد أمضه
أو ما ترى قمر السما * ء كأنه تعويذ فضـــه
فاذا ألم به المحا * ق تخاله في الخد عضه

وعلى معنى البيت الآخر قال اسمعيل الناشي يصف الهلال

اسقني قبـــل صاحبي واخش صرف النوائب
فالهـــلال الذي يلو ح خـــلال الغياهب
مثـــل فخ اللجين صيـــغ لصيد الكواكب

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب

لما رأيت الهلال منطويا في غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لي بصولجان أوفى لضرب كره

وقال القاضي أبو الحسين بن لبال

انظر الى الهلال اذ * لاح بهي المنظر
كزورق من فضـــة * وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز

أهـــلا بفطر قد أنار هـــلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر
وانظر اليـــه كزورق من فضة قد أثقلتـــه حمولة من عنبر

وله أيضا

أهلا وسهلا بالناي والعود وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر مرأى الهـــلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر فأحسن حيث يقول

وجانى فى قميص الليل مستترا ٭ يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه ٭ مثل القلامة قد قدّت من الظفر

(وأخذه من قول الاعرابى)

كأن ابن مزنتها جانحا ٭ فسيط لدى الافق من خنصر

ابن مزنتها الهلال و (القسيط) قلامة الظفر (قوله غدوا) أى ربر به وجعل غذاءهم والالبان للادميات والالبان للبهيمات وغيرهن (سحبوا) جروا (سحبان) فصيح العرب وانظره فى السادسة عشرة (ذيل النسيان) صرفه يريد أنهم بسماحتهم أنسوا ذكر سحبان فكأنهم جروا عليه ثوب النسيان حتى غطوه فلا يذكره أحد من هؤلاء واصل ذلك ان يسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى كقول امرئ القيس تعفى بذيل درع اثر مرطى ٭ وكقوله

خرجت بها تمشى تجر وراءنا ٭ على أثرينا ذيل مرط مرجل

(قوله يحتفظ عنه) أى هم علماء يروون فمن يحتفظ عنهم (يتحفظ) يتحذر وأخذ هذا من قول سلمان الارت لعبد الملك قد كانت الطيب وبست لمن وركبت الفاره وتبطنت العذراء فلم يبق لى من لذة الصديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشئ ويقال تحفظ فى الامور كأنه على حذر وأنشد ثعلب

انى لاعجب عاشقا متحفظا ٭ لم تتهمه أعين وقلوب

(قوله يميل الرفيق اليه) تقول ملت الى فلان اذا أحببته وتقربت منه وملت عنه اذا كرهته وبعدت عنه و (الرفيق) الصاحب يرتفق به فى السفر (قوله استهوانا) هوى بنا وشغلنا و (السمر) الحديث يسمر عليه وذكر الحريرى أن أصل السمر ظل القمر والسمر الحديث ومنه أخذ السميرة غلب على السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر وذكرناه فى تفسير الرابعة والاربعين وهو الاصل ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمرا على أى حال اتفق (روق) ضرب رواقه والرواق الثوب يستظل به من الشمس يريد ان الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقا فاحتجب عنهم به القمر و (البهيم) الخالص لسواده البهيم الخالص من كل لون و (التهويم) النوم بالليل والتغوير النوم فى القائلة وقد هوم الرجل اذا سقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه فحقيقته سجود الرأس من النعاس قال ذو الرمة فى ذلك

وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه ٭ وجيف همومه والمهاوى الاباعد
سقاه نعاس كأس سكر فرأسه ٭ يدين لكرى فى آخر الليل ساجد

ويقال خفق رأسه فهو خافق قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له ٭ دع بالزمام وجوز الليل مركوم

(وقال الرصافى فأحسن)

ومشين فى السرى تدنه امرا ٭ غفوات الكرى بغير كؤس
خلتهم يائمون أيدى العيس ٭ حتى شربوا و على العيس حتى
وجدوه سلافة فى الرؤس ٭ نبهوا بالمعضض وشربوا الكرى

(قوله نبأة) أى صوت (مستنبح) يحكى نباح الكلاب وكان الرجل اذا ضل بالليل بالصحراء ولم يدر

ابن

غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح

أين يتوجه حاكى بصوته نباح الكلب فان كان قريبا من العمران نبحت لنباحه كلاب الحى فسمع أصواتها فقصد الحى فتسمى العرب من يفعل هذا المستنبح وأنشد أبو على فى نوادره

ومستنبح بات الصدى يستتيهه * فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوبا زنادها * يليح الى السارى هلم الى قدر

(وقال حسان بن ماثل)

ومستنبح فى جنح ليل دعوته * بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
فقلت له أقبل فانك راشد * وان على النار الندى وابن ماثل

وقد أنشد أبو تمام فى حماسته فى باب الاضياف فى المستنبح ما فيه كفاية فلينظرها مالك (قوله تلتها) أى تبعتها (صكة) دفعة (مستفتح) طالب فتح الباب (الملم) الزائر (المدلهم) الشديد السواد من الدهمة ولامه زائدة (المغنى) المنزل (وقيتم) كفيتم وانما دعا لهم بهذا لان فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك قلوب الناس أن تملأ شرا حتى يجرى الشر فضلا بين الناس فلا يجد قلبا يدخله (اكفهر) تراكم ظلامه وكثر (ذراكم) منزلكم وكنكم وكل ما استترت به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرا (شعثا) متغير الشعر والشعث ترك غسل الرأس حتى يتغير (مغبرا) عليه الغبار وفى الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا ما ينقى به ثيابه ورأى رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا ما يسكن به شعره (أخا سفار) صاحب أسفار أى ملازم لها (اسبطر) امتد وطال سفره (انثنى) رجع وعاد (محقوقفا) منحنيا (الافق) ناحية السماء (افتر) انفتحت أطرافه ولم يتقارب كأنه فرهذا من هذا ومنه فررت الدابة وافتر ضحك وشبه انحناءه من السفر بدائرة القمر الناقص وأكثر ما يوقعون هذا التشبيه فى الانحناء من الكبر قال الشاعر

تقوس بعد مر العمر ظهرى * وداستنى الليالى أى دوس
فأمشى والعصا تهوى أمامى * كأن قوامها وتر لقوسى

وقال ابن ليال

قوس ظهرى المشيب والكبر * والدهر يا عمرو كله عبر
كأنى والعصا تدب معى * قوس لها وهى فى يدى وتر

(قوله عرا) قصد (فناءكم) منزلكم وفناء الدار ما أحاط بها من الارض خمته (معترا) قاصد الطلب معروفكم (أمكم) قصدكم (طرا) أجمع (يبغى قرى) يطلب طعاما (احلولى) اشتدت حلاوته (ينث) ينشى وينشر (البر) الاحسان (قوله خلبنا) أى خدعنا (علمنا ما وراء برقه) يريدان ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم كأن البرق اذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر (ابتدرنا) استبقنا (الترحاب) قولهم مرحبا مرحبا (هيا هيا) أى سق سق (هلم ماتهيا) أى أحضر ما تيسر (لا تلمظت بقراكم) تذوقت بطعامكم وأصل التلمظ تتبع اللسان ما بقى من الطعام فى الفم بعد الاكل (كلا) ثقيلا وفلان كل على أهله اذا لم يكفهم مونة نفسه والكل الاعياء وجمعه كلول وعلى فلان كل كثير قال النابغة الجعدى

رأيتم بنى سعد كلولا كثيرة * شهيدى بذلك ابنا جار بن اجرا

ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم فى الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذى اكفهرا
الى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا
حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا
وقد عرا فناءكم معترا
وأمكم دون الانام طرا
يبغى قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا
يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثنى عنكم ينث البرا

(قال الحرث بن همام) فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ماوراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ماتهيا فقال الضيف والذى أحلنى ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا الى أن لا تتخذونى كلا

(تجشموا) تكلفوا (أكلا) طعاما و (الاكلة) الغداء والعشاء والاصل فى هذا ان الاكل بالفتح مصدر أكل وبالضم ما أكل والاكلة بالفتح المرة الواحدة وبالضم اللقمة وبالكسر هيئة الاكل (هاضت) أضعفت وادخلت عليه هيضة وهى القىء والاسهال وأصل المثل رب أكلة تمنع أكلات وقال ابن هرمة

ورب أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشئ ... وفيه هلاكه لو كان يدرى

(والمآكل) جمع مأكلة وهى أيضا ما يؤكل (سام التكليف) أى عرض نفسه الى تكلف ما شق عليه و (الاذى) الضرر و (المضيف) صاحب المنزل (يفضى) يؤول (سار سائره) انتشر الحديث به ومشى فى الناس (خير العشاء سوافره) أى ما أكل منه بضوء النهار واحد ها سافرة والسافرة المرأة التى سفرت نقابها عن وجهها أى كشفته فكأن اللقمة اذا أبصرتها عند أكلها سفرت الظلام عن نفسها وتجمع على سوافر على هذا المعنى حكى أبو بكر بن شعيب اللغوى قال دخلت على محمد اليزيدى وهو يتغدى فقال يا أبا بكر خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا قلت لا أدرى قال دخلت على حسين بن الخادم وهو يتغدى فقال يا أبا سليمان خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا فقلت لا أدرى فقال كنت بحضرة الرشيد وهو يتغدى فدخل الاصمعى فقال يا أصمعى خير الغداء بواكره فخير العشاء ماذا فقال بواصره يعنى ما يبصر من الطعام قبل الظلام ويحكى أن ابنه تتوب فى الغداء لتأخير فقال قال الحكيم رقيل هو وابن أبى طالب رضى الله عنه من سره نساء ولا نساء ٣ فليبكر الغداء وليباكر العشاء وليخفف الرداء وليقلل الدين (التعشى) أكل العشاء وهو ما يؤكل بالعشى (يعشى) يورث العشا وهو سوء البصر ليلا قال ابن دريد

وأرى العشا فى العين أكثر ما يكون من العشاء

والمراد أن تأخير العشاء لان أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره وقال كشاجم

ومهيمن مخف لف * لايشاء الذى أشا
هو فى الصحو منتشى ... وعدو اذا انتشى
قد رحت العشاء ... ما عليه فأدهشا
ساعة ثم قال لى ... العشا يورث العشا

كأن هذا التطبب أخذه كشاجم من قول الصاحب بن عباد قال الصاحب ما أخجلنى أحد كأبى الحسن البديهى فانه كان عندى فقدمت اليه فاكهة فأمعن فى المشمش فقلت المشمش يلطخ المعدة فقال لا يعجبنى المتطبب ذا تطبب فوددت أنى لم أقلها وورد النهى عن ترك العشاء بحديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه مهرمة وقوله (تحول دون الهجوع) أى تمنع من النوم وجاء فى الحديث النهى عن الحديث قال سلمان ذهبت أنا وصاحب لى الى سلمان فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاءنا بخبز وملح فقال صاحبى لو كان فى ملحنا صعتر فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان

ولا تتجشموا الاجل أكلا ... فرب أكلة هاضت الآكل ... وحرمته ما آكل وشر الاضياف من سام التكليف ... وآذى المضيف خصوصا اذى يتعلق بالاجسام ويفضى الى الاسقام وما قيل فى المثل الذى سار سائره خير العشاء سوافره الا ليعجل التعشى ويجتنب أكل الليل الذى يعشى اللهم الا أن تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع

٣ قوله فليبكر الغداء الابيات على المدعى كما هو ظاهر اهـ مصححه

(قال) فكأنه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لاجرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام ماراج وأذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو أبو زيد فقلت احبي ليهنئكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن ماقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على أعمال يديه حتى اذا استرفع ما لديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو بعجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب مالم يره الراؤن ولا رواه الراوون وان من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة لفظتني الى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد أم موسى

(ذكر قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام)

لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة وجاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل وكفى بالمرء اثما أن يسخط ماقرب اليه (٣) الهجوع أي النوم (قوله عقيدتنا) أي ما انعقدت عليه نياتنا ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بها الا أن ترميها من يدك (لاجرم) بمعنى حقا ولابد ولامحالة (السبط) السهل (راج) تيسر (أذكى) أوقد (السراج) المصباح (تأملته) نظرته (ليهنئكم) أي ليسركم (الوارد) القاصد (المغنم البارد) الهني الذي يغنم دون قتال ولا تعب (أفل) غاب (الشعرى) كوكب معروف وهما شعريان العبور والغميصاء سموها عبورا لانهم يزعمون أنها عبرت المجرة وسموا الاخرى الغميصاء لانها بكت على أختها حتى غمصت عينها أي خفيت (استسر) غاب وخفي (النثرة) (٤) ثلاثة أنجم مجتمعة (تبلج) ظهر وأضاء (النثر) ضد النظم يقول ان غاب قمر السماء الذي يهتدي بضوئه فهذا أبو زيد قمر الفصاحة قد طلع فجددوا حديثكم ودعوا النوم (سرت) مشت (حميا المسرة) شدة السرور والحميا حدة الخمر وتسمى الخمر الحميا (السنة) أخف من النوم (ماقيهم) عيونهم والماق طرف العين من جهة الانف (رفضوا) تركوا (الفكاهة) الحديث المطرف وأصلها المزاح ومنه قولهم لا تمازحن صبيا ولا تفاكهن أمة قال ابن الانباري المعنى لا تمازحن الا أنه استسمج اعادة اللفظ فأتى بلفظ في مثل معناه مخالف للفظه وتفاكهن مشتق من الفكاهة وهي المزاح وقال طرفة

وان امرأ لم يعف يوما فكاهة * لمن لم يرد سوأ به لجهول

ووصف أبو العيناء ابن أبي دواد فقال له هزل يؤتم به وجد يتقدم الجد وبين ذلك فكاهة تستملح ودعابة تستظرف ومزح مصادره ثلاثة مزح ومزاح ومزاحة. اليزيدي المزاح بالكسر لا غير أبو عمرو ماذكره اليزيدي مصدر مازحت مزاحا وممازحة (قوله مكب) أي مائل الرأس (اعمال يديه) استعمالها بالاكل و (استرفع) أمر برفعه ويروى استفرغ أي أتم (أطرفنا) أي حدثنا بطرفة وهي الحديث المستملح والطرفة عند العرب الشيء المحدث الذي لم يكن عرف وجاء فلان بطرفة وشيء طريف وهو مشتق من الطريف والطارف وهما المال المستحدث الذي جمعه الرجل واكتسبه والتالد ما ورثه عن الآباء قال الشاعر

وأصبح مالي من طريف وتالد ، لغيري وكان المال بالامس ماليا

(أسمارك) جمع سمر وهو الحديث يسمر عليه (قوله مالم يره الراؤن) أي الناظرون اليه وقوله (ولا رواه الراوون) اي حفظه الحافظون (عاينته) شاهدته ورأيته بعيني (انتيابكم) قصدكم (مصيري) رجوعي (مرآه) رؤيته (مسرح) حيث يسرح ويمشي (مسراه) سيره بالليل (مرامي) قواذف (التربة) البلدة (مجاعة) جوع (بوسى) ضرر (جراب) وعاء الزاد (كفؤاد أم موسى) فارغا لقوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا وسمي موسى لانهم وجدوه بين ماء وشجر ومو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت فجعلت الشين سينا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولم يزل بنو اسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دين ابراهيم عليه السلام المشروع له واسحق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام حتى كان فرعون الذي بعث موسى عليه السلام اليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا وكان شديد الغلظة سيء الملكة واسمه الوليد بن

٤ قوله ثلاثة انجم الخ الذي في القاموس انها كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب وهي انف الاسد اه

فنهضت حين سجا الدجى
لارتاد
على ما بي من الوجى
مضيفا أو أقتاد رغيفا
فساقني حادي السغب
والقضاء المكنى أبا العجب
الى أن وقفت على باب دار
فقلت على بدار
حييتم يا أهل هذا المنزل
وعشتم في خفض عيش
خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل

..عب وكان اتخذ بني اسرائيل خولا فصنف منهم يبنون وصنف يحرثون ومن لا عمل له وظف عليه الجزية فرأى في منامه أن نارا أقبلت من المقدس فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل له يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل وعهد اليهن بذلك فذبح الولدان وعذب الحبالى حتى يطرحن ما في بطونهن حتى كاد يفنيهم فقيل له انما هم خولك وانك ان تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاما ويستحيون عاما فولد هرون في السنة التي يستحيون فيها وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها فلما وضعته أمه حزنت لشأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو النيل ولا تخافي ولا تحزني فعملت تابوتا وجعلته فيه وألقته في اليم وقالت لأخته قصيه أي اقتفي أثره فحمله الماء حتى أدخل بين أشجار تحت قصر فرعون فخرج جواري فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية امرأة فرعون وهي بنت مزاحم اسرائيلية فكشفت عنه التابوت فرأته فرحمته وأخذته وأخبرت به فرعون فأراد أن يذبحه وخشي أن يكون المولود الذي حذر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فاللام من ليكون للعاقبة ولم يكن لفرعون ولد فاتخذه له ولدا فارتاد والله المرضعات فلم يقبل ثدي واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجدا عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها دلينا على ذلك فذهبت فجاءت بامه فلما رأته كادت لشدة حبها فيه وفرحها به أن تقول هو ابني وتفتضح نعصمها الله من ذلك وذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فأعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته في قصر فرعون فلما تحرك عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده الى لحيته فنتفها فقال فرعون علي بالذباحين فانما هو هذا فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه فانه صبي لا يعقل ودعا له بجمر وياقوت فطرح جبريل عليه السلام يده في النار فوضعها موسى عليه السلام في فمه فأحرقته فتركه فرعون فكبر في حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ثم ان موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب فركب اثره فأدركه بلد منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس في طرقها أحد فرأى اسرائيليا مع قبطي يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلي فوكز القبطي فقضى عليه فكان من قصته معهما ما قص الله تعالى في كتابه حتى خرج خائفا يترقب الى مدين وأما رجوعه منها الى فرعون بأنه رسول الله الى أن غرق فرعون في البحر وجنوده فذكور في الثامنة عشرة (قوله نهضت) أي مشيت (سجا الدجى) سكن بالظلام وغطى كل شيء (الوجى) الحفاء (أرتاد) أطلب (مضيفا) منزلا وأضافه أنزله وضافه نزل به فهو ضيفه أي النازل به (أقتاد) أقود (حادي السغب) سائق الجوع (حييتم) طابت حياتكم والتحية البقاء (خفض) لين وخفض عيشه خفضا اذا خصب (خضل) ناعم وخضل الشيء يخضل خضلا ابتل (ابن سبيل) خاطر طريق وهو الغريب وسمي الغريب ابن السبيل لانه اذا ظهر على قوم لا يعرفونه لم يعرف له نسب الا السبيل الذي جلبه (مرمل) لا زاد له وأرمل القوم فني زادهم ومن أبيات اللغز في ابن السبيل

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله * وليس له فى الناس من طالب وترا
فان تحفظوا فينا أبانا لحقنا * رعيتم والا أوقدت ناركم شرا

أى سببتم فى كل مكان كما قال الآخر

وانت الذى شيبتنى قبل شيبتى * وأوقدت لى نارا بكل مكان

(ومنها أيضا) وأحيانا يكون كبيرسن * وأحيانا يكون من الشباب
ومنسوب الى من لم يلده * كذا الله أنزل فى الكتاب

(قوله نضوسرى) أى هزيل من مشى الليل فى الاسفار و(خابط ليل) الذى يمشى فيه على غير هداية (أليل) شديد السواد (جوى الحشى) فاسد الجوف من الجوع وهو (الطوى مشتمل) منضم أى قد انضم جوفه على الجوع ففسدت أحشاؤه (موئل) ملجا من وألت الى كذا أى لجأت (دجا) ألبس (جنح) سواد (المسبل) المطبق (تململ) تقلب وتوجع و(الربع) المنزل و(المنهل) موضع الماء * ويقال ألقى عصاه اذا ترك السير وأقام وروى الاصمعى عن بعض البصريين انه قال سميت العصا عصا لان اليد والاصابع تشتمل عليها وهو من قول العرب عصوت القوم اذا جمعتهم على خير أو شر ويقال عصى بالسيف يعصى اذا ضرب به كما يضرب بالعصا (بشر) طلاقة وجه (برز) خرج (جوذر) ظبى وأصله ولد الغزالة (الشوذر) ثوب قصير و(الشيخ الذى سن القرى) هو ابراهيم عليه السلام واختصه بلقب الشيخ لانه أول من شاب ولما رأى الشيب قال يارب ماهذا فاوحى الله اليه يا ابراهيم هذا وقار فقال يارب زدنى وقارا وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك انه لما ولدت سارة اسحق قال الكنعانيون ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما فتبنياه فصور الله اسحق على صورة ابراهيم عليهما السلام فلم يفصل بينهما فوسم الله ابراهيم بالشيب (قوله سن) ابتدأ وجعله سنة وهو أول من ضيف الضيف وأطعم المساكين وقص شاربه وقلم اظفاره واستحد واستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء (واسس المحجوج) أى بنى اساس البيت الحرام و(ام القرى) مكة و(الطارق) الآتى بالليل و(المناخ) موضع البروك (يقرى) يضيف (الكرى) النوم (برى أعظمه) أى أزال اللحم عنها (انبرى) اعترض وقال حبيب فى أن أول من قرى الضيف ابراهيم عليه السلام

للجود سهم حين يقتسم العلا * لاربه المكدى ولا المسهوم
وبيان ذلك ان أول من قرى * وحبا خليل الله ابراهيم

وقال أبو بحر صفوان بن ادريس فى فتى اسمه ابراهيم وذكر لفظ المقامات وأبدع ماشاء حيث قال

أسمى من سن القرى رفقا بمن * يفنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حسنك فاصطنعنى انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
لما نظرت نجوم خيلان بدت * فى صحن وجنتك استقدت مقاما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يازهرة سكنت فؤادى غضة * انى تبوأت اللهيب كماما
حتى كأن الحب قال لاضلعى * يانار كونى بردا له وسلاما

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار

نضو سرى خابط ليل أليل
جوى الحشى على الطوى مشتمل
ماذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له فى أرضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة فى تململ
فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لى ألق عصاك وادخل
وابشر ببشر وقرى معجل
قال فبرز الى جوذر عليه شوذر وقال
وحرمة الشيخ الذى سن القرى
وأسس المحجوج فى أم القرى
ماعندنا لطارق اذا عرا
سوى الحديث والمناخ فى الذرا
وكيف يقرى من نفى عنه الكرى
طوى برى أعظمه لما انبرى
فماترى فيما ذكرت ماترى
فقلت ما أصنع

أبا قاسم والهوى جنة * وانى من حرّها لم أفق
تقحمت جاحم نار الحشى * وخضت بحار سواد الحدق
أكنت الخليل وكنت الكليم * أمنت الجوى وأمنت الغرق

بمنزل قفر

انظر الى الاضياف فى الرابعة والاربعين (قوله بمنزل قفر) كأنّ هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول

ليس اغلاق لبابى أنّ لى * فيه ما أخشى عليه السرقا
انما أغلقته كى لا يرى * سوء حالى من يمرّ الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

ثم أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى وكان من أهل الملح فاستضافه أعرابى فقال ما عندنا الا الاسودان فقال الاعرابى خير كثير فقال لعلك تظنهما التمر والماء والله ماهما الا الليل والحرة فلم يكن ليزيد دار الا الحرة وهى أرض سوداء فيها حجارة سود وهى مقبرة المدينة والقبور المجصصة بالليل موحشة فخطنك بقبور سود البناء فى أرض سوداء فى ظلمة الليل كيف حال من يكون هذا قراه فبهذا البلاء أعرض يزيد عن ضيافة الاعرابى ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبى الشمقمق ويروى عن وهب عابد قرطبة

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابى
فمنزلى الفضاء وسقف بيتى * سماء الله أو قطع السحاب
لانى لم أجد مصراع باب * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود تحت * أؤمل أن أشد به ثيابى
ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهر ذا أبدا ودابى

(وقال آخر)

ولما التمست الرزق فانجذ حبله * فلم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت من الاعدام احدى بناته * فزوّجنيها الفقر اذ جئت أخطب
فأولدتها الحرب الشقى فماله * على الارض غيرى والدحين نسب
فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان علىّ بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب
ولو قطر الناس الدنانير لم يكن * بشئ سوى الحصباء رأسى تحصب
وان يقترف ذنبا برقة مذنب * فانّ برأسى ذلك الذنب يعصب
وان أرخ يرافى الانام فنازح * وان أرشرا فهو منى مقرب
أمامى من الحرمان جيش عرمرم * ومنه ورائى جحفل حين أركب

(وقال آخر)

لو ركبت البحار صارت أجاجا * لا ترى فى متونها أمواجا

ولو

ولواني وضعت ياقوتة حمراء في راحتي لصارت زجاجا
ولواني وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا

(وقال آخر)

لووردت البحار أطلب ماء * جف قبل الورود ماء البحار
أومسست العود النضير بكفي * لذوى بعد بهجة واخضرار
أورمى باسمي النجوم الدراري * لانزوى ضوءها عن الابصار
ولواني بعت القناديل يوما * أدغم الليل في ضياء النهار

(وقال شواش)

كسدت شواشيناوقل معاشنا * فسعودنا مقرونة بنحوس
فكأنما قطعت رؤس الناس أو * خلقوا الشقو تنابغير رؤس

قيل لابي الشمقمق ابشر فانا روينا في الحديث العارون في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فأنشأ يقول

أنا في حال تعالى الله ربي أي حال
ليس لي شيء اذا قيل * لمن هذا قلت ذا لي
فأراضي الله فرشي * والسموات ظلالي
ولقد أفلست حتى * حل أكلي لعيالي
من رأى شيأ محالا * فأنا عين المحال
لو بقي في الناس حر * لم أكن في مثل حالي

ومنزل حلف فقر ولكن
يا فتى ما اسمك فقد فتنني
فهمك فقال اسمي زيد
ومنشئ فيد

(قوله منزل) أي مضيف (حلف) صاحب (منشئ) موضعي الذي نشأت فيه و (فيد) بلد مشهور في نصف المسافة التي بين مكة وبغداد وفيها عين ماء وينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيئ وهم في سفح جبلهم المعروف بسلمى وقد ذكرها زهير في قوله

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم * ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك

قال الزجاجي سميت بفيد بن حام وهو أول من نزلها قال ويقول أهل العراق هي من قولهم فاد الرجل يفيد فيدا اذا مات أو من قولهم استفاد فائدة وقلما يقولون أفاد فائدة والفيد أيضا نور الزعفران قال شيخنا ابن جرير رضي الله عنه انه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضحوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحاج وصبحوا فيدا يوم الاحد في اليوم الرابع عشر من خروجهم ثم وصفها فقال هي مصر كبير منفرج في بسيط من الارض تمتد حوله ربض لطيف به سور عتيق وهو معمور بسكان من الاعراب يتعيشون من الحجاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وفيها ينزل بعض الحجاج بعض أزوادهم اعتدادا لارمال من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها وهي نصف الطريق من بغداد الى مكة أو أقل يسيرا ومنها الى الكوفة اثنا عشر يوما في طريق سهلة ودخلها أمير الحاج على تعبية رأهبة ارهابا للمجتمعين بها من الاعراب لئلا يداخلهم الطمع في الحاج فهم لا يجدون اليهم سبيلا والمياه كثيرة في آبارها عذها عيون تحت الارض وامتلأت أيدي الحجاج القادمين من أغنام

ووردت هذه المدرة امس مع أخوالى من بنى عبس فقلت له زدنى ايضاحا عشت ونعشت فقال أخبرتنى أمى برّة وهى كاسمها برّة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرّا فما يعرف أحىّ هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدى وصدفنى عن التعرف اليه صفر يدى ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولى الالباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها فى عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها فى الآفاق فأحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على ماسردها ثم استبطناه عن مرتآه فى استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردنى خف على أن أكفل ابنى فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك فى الحال فقال وكيف لا يقنعنى نصاب وهل يحتقر قدره الامصاب (قال الراوى) فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع

العرب بالمبايعة فلم يبق خيمة ولا ظلالة الا والى جانبها كبش أو كبشان بحسب الوجد فعمت جميع المحلة الغنم واللبن والسمن والعسل فأكلوا واحتملوا وكان ذلك اليوم عيد الركب قال وبهذه المحلة العراقية وما انضاف اليها من الخراسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم الا الله تعالى يغص بهم البسيط الافيح ويضيق بهم المهمه الفحفح فترى الارض تميد بهم ميدا وتموج بجمعهم موجا فتصير بهم بحرا طامى العباب ماؤه السراب وسفينه الركاب وشراعه الظلال المرفوعة والقباب يسير سير السحاب متداخلا بعضها على بعض فتعاين تزاحما فى البراح المنفسح يهول ويروع واصطكاكا كالمبسع الجمارات فيه فبعضها ببعض مقروع فمن لم يشاهد هذا السفر العراقى لم يشاهد عجبا يتحدث به ويتحف السامع بغرائبه والقدرة والقوة لله وحده وحسبك ان النازل فى منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتلف وعاد منشودا بجملة الضوال وربما اضطر به الحال الى الوصول لمضرب الامير ورفع المسئلة اليه فيأمر أحد المنشدين ممن أعد لذلك أن يردفه خلفه على جمل ويطوف به المحلة مناديا باسم جماله وبلده الى أن يؤديه الى رفقته وعجائب هذه المحلة كثيرة ولاهلها من اليسار ما يغنيهم على ما هم بسبيله وما ذكرنا أمر هذه المحلة الا ليستدل على ان فيها بلدا فى غاية القوة والعمارة حيث أمد هذا الجمع الكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الارزاق وان قبائل طى متوفرة بحيث تطلع الى الغارة على مثل هذه المحلة والملك لله وحده مفنى الجمع بعد كمال العدة (قوله وردت) أى أتيت (المدرة) البلد (عبس) قبيلة (ايضاحا) بيانا (نعشت) جبرت و (برة) الاول اسمها والثانى صفتها يريد أنها مكرمة كثيرة البر (نكحت) تزوجت (عام الغارة) أى عام اغار عليهم عدوهم (ماوان) بلدة (سراة) سادة (آنس) أبصر و (الاثقال) الامتلاء بالولد (باقعة) داهية ويقال انه الذى جال بقاع الارض وعرف خيرها وشرها قال ابن الانبارى رحمه الله فلان باقعة أى داهية حذر محتال حاذق والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المباقع ولا يرد المشارع والمياه المحصورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد ثم شبه به كل حذر محتال (هلم جرا) معناه الى الآن قال ابن الانبارى هلم جرا سيروا على هينتكم أى تثبتوا على سيركم ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها أخذ من الجر فى السوق وهو ان تترك الغنم والبقر ترعى فى السير وينتصب جرا فى قول الكوفيين على المصدر لان فى هلم معنى جر وفى قول البصريين هو مصدر فى موضع الحال تقديره هلم جارين أى مستثبتين قياسا على جاء عبد الله مشيا وأقبل ركضا وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض وقال بعضهم ينصب على التمييز (يتوقع) ينتظر (أودع) أدخل (اللحد البلقع) اللحد الخالى (صدفنى) أمالنى (التعرف) أن يعرفه انه أبوه (صفر يدى) فراغها من الدراهم (فصلت) زلت (مرضوضة) مدقوقة مكسورة (مفضوضة) متفرقة (أولى الالباب) أهل العقول (العجاب) مبالغة فى العجب (خلدوها) أى أثبتوا اسكنها (الآفاق) البلدان وجهات الارض جميعها (أساودها) اقلامها (رقشنا) كتبنا (على ماسردها) أى كما حكاها وتكلم بها (استبطناه) سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه (مرتآه) رأيه وغرضه (ردنى) كمى (أكفل) اضم (نصاب) عشرون دينارا (ألفناه) جمعناه (يقنعنى) يكفينى (مصاب) مجنون (قوله قسطا) أى نصيبا (قطا) كتابا (الصنع) الفعل

الجميل (استنفد) استتم (الوسع) الطاقة ووسع الرجل قدر ما يجده من مال أو كلام أو غير ذلك وهو من السعة أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء (استطلنا) استكثرنا ووجدناه كثيرا طويلا والطول الانعام والفضل أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلا و(الوشى) ثياب مرقومة بالوان شتى من الحرير و(الحبر) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة والحبر تصنع باليمن فشبه حسن حديثه بالوشى وانه قصر بالحبر لحسن فنونه وقال ابن الرقاق وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم أبو زيد وزاد عليه بالشجاعة

لله ليلتنا التى استجدى بها * فلق الصباح لسرية الاظلام

طرأت علىّ مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام

ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام

فترى البلاغة ان نظرت اليهم * والبأس بين يراعة وحسام

(جشر) طلع (قضيناها) أتممناها (شوائبها) ما ينكدها ويكدرها (الذوائب) الشعر الطويل الاسود وأراد به ظلام الليل وجعل فيه بياض الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر قال ابن دريد

أما ترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(انفطر) انشق وطلع (عودها) بياض صبحها ويقال انفطر القضيب اذا بدا نباته ورقه وقال امرؤ القيس كغرعوبة البانة المنفطر * (قرن الغزالة) شعاعها وحاجبها والغزالة من أسماء الشمس وأسماؤها كثيرة ذكرها يعقوب وغيره وذكر منها عشرة خمسة بالهاء وهى الغزالة والخارجة والجونة ومهاة والهة وخمسة بغير الهاء وهى الشمس والسراج والصبح وذكاء وبوح (طمر) وثب (الغزالة) الظبية (انهض) أى قم (الصلات) العطايا (نستنض) نستحضر والناض المال الحاضر و(الاحالات) الديون التى وعدوه بها (استطارت) توسعت وانتشرت (صدوع) شقوق و(الحنين) الشوق والرحمة (وصلت جناحه) أى مشيت معه ويدى فى يده وجناح الرجل يده (سنيت) يسرت (نجاحه) قضاء حاجته (احراز العين) حصل المال و(صرته) خرقة دراهمه (برقت) لمعت (أسارير) طرق الوجه ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج تبرق اسارير وجهه ويقال لها الاسرة ويقال لخطوط الكف الاسرة وقد جمعهما التهامى فى لفظ واحد فى قوله

يبدى أسرة وجهه ويمينه * فى ساعة الاعسار والايسار

(مسرته) سروره أراد انطلق وجهه سرورا بالمال (خطا) مشى و(النجيب) الجيد العقل الكريم الاصل (قوله أنافثه) أى أكلمه (تغرغرت) امتلأت (تظنى) حسب (خلت) حسبت (يستسر) يخفى (مكرى) خدعى (يخيل) يلبس ويشبه (عرسى) زوجتى (فنون) أنواع (أبدعت فيها) أحدثتها ولم أقتد بغيرى فيها (يحكها) يحدث بها (حاكها) نسجها وقال مثلها الاصمعى مذكور فى المقامة الاربعين وأما الكميت الشاعر فهو ابن زيد الاسدى وهو شاعر مجيد مكثر جدا وديوان شعره مستعمل مشهور ولما قال قصائده الهاشميات قصد البصرة فأتى الفرزدق فقال يا أبا فراس أنا ابن أخيك فقال ومن أنت فانتسب له قال صدقت وما حاجتك قال أنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت ان أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وان كان غير

واستنفد فى الثناء الوسع حتى اننا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشى السمر ما أزرى بالحبر الى ان أظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى أن شابت ذوائبها وكمل سعودها الى ان انفطر عودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الاحالات فقد استطارت صدوع كبدى من الحنين الى ولدى فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين فى صرته برقت أسارير مسرته وقال لى جزيت خيرا عن خطا قدميك والله خليفتى عليك فقلت أريد أن أتبعك لاشاهد ولدك النجيب وأنافثه لكى يجيب فنظر الى نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع وأنشد

يا من تظنى السراب ماء
لما رويت الذى رويت
ما خلت أن يستسر مكرى
وأن يخيل الذى عنيت
والله ما برة بعرسى
ولا لى ابن به اكتنيت
وانما لى فنون سحر
أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعى فيما
حكى ولا حاكها الكميت

ذلك ثم رتى بستره قال يا ابن أخي احسب شعرك على قدر عقلك فقل راشدا فأنشده

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ... وما لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فانشده

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب

قال لم لا يتطرب بك اذا افتد ل

ولا انا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غراب أم تكلم ثعلب

قال أنت ممن ويحك والى من تسمو قال

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر اعضب

قال ماهذا فقد أحسنت فيه قال

ولكن الى أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب

قال ومن هم ويحك فقال

الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني أتقرب

فقال أرحني ويحك من هؤلاء فقال

بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال لله درك يا بني فقد أصبت وأحسنت اذ عدلت عن الزعانف والاوباش اذا لا يصرد سهمك ولا ينبو قولك ثم مر فيها فقال أظهر وأشهر فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقي فحينئذ قدم المدينة فاتى عبد الله بن الحسين فأنشده فقال يا أبا المستهل ان لي ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بها شهودا فقال بأبي أنت وأمي كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ولا والله ماقلت فيكم شيئا الا لله وما كنت لآخذ في شيء جعلته لله ثمنا فلما أبى عليه أخذه ثم رده فدفعه الى أربعة غلمان فجعل يدور بهم دور بني هاشم ويقول هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبني أمية فاثيبوه بما قدرتم فاجتمع له من حلي النساء ومن الدنانير والدراهم ماقيمته مائة ألف درهم فجاء بها الى الكميت فقال يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن في دولة عدونا فاستعن بهذا على دهرك فقال بأبي أنت وأمي قد أكثرتم وأطيبتم وما أردت بمدحي اياكم الا الله فاردده الى أهله فجهد به بكل حيلة فأبى فقال اما اذا أبيت أن تقبل فان رأيت ان تقول شعرا تغضب به بين النزارية والتميمية لعل فتنة تحدث فتخرج بين اضغانها فقال قصيدته التي أولها

الا حييت عنا يا مدينا ... وهل ناس تقول المسلمينا

فعرض فيها وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم مثل قوله

لنا قمر السماء وكل نجم ... يشير اليه أيدي المهتدينا

وما ضربت هجان بني نزار ... هوائج من فحول الاعجمينا

وما حملوا الحمير على عجان ... مضمرة فيلفوا مبغلينا

وفشت في العرب فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار وثارت العصبية في البادية والحاضرة وتحزب الناس فتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن فانحرف عنه الى الدعوة

العباسية وكان الكميت سبب ذلك وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببنى أمية يطلبه خلفاء بنى أمية فهرب منهم عشرين سنة فجد هشام بن عبد الملك فى طلبه ولم يجده ولم يستقر الكميت قرار من خوفه وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجة عند هشام يقضيها له لا يرده فيها فخرج مسلمة لبعض صيوده فأتاه الناس يسلمون عليه فأتاه الكميت ومسلمة لا يعرفه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله يا مسلم ابن أبى الوليـ * ـد ظننت انى شئت ناشر

علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور

فالآن صرت الى أميـ * ـة والامور لها مصاير

والآن كنت به المصيـ * ـب كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الذى أقبل من أخريات الناس ثم بدأنا بالسلام ثم قال أما بعد ثم بدأنا بالشعر قبل الكميت فأعجب بفصاحته فسأله عما كان فيه من طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال هشام نعم الحمد لله من هذا قال الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته وجعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقينا وأبصر مستبينا وأشهد بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده العربى ورسوله النبى الامى الذى أرسله والناس فى هفوات حيرة ومدلهمة ظلمة عند استقرار أبهة الضلالة فبلغ عن الله ما أمر به حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم ثم انى يا أمير المؤمنين تهت فى حيرة وحرت فى سكرة أهاب بى داعيها فأجابه غاويها فاطوطيت فى الضلالة حائدا عن الحق قائلا بغير الصدق فهذا مقام العائذ بك ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال هشام وقد علم انه الكميت من سن لك هذه الغواية وأهاب بك فى العماية قال الذى أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما وأنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها فبصرت وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك وعز بأسك وثبات جأشك وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الالباب برأى أريب وحلم مصيب فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء وأتم عليه النعماء ودفع به الاعداء فرضى عنه وأمر له بمال كثير فهذه منزلة الكميت من الشعر والخطابة خلافا لمن يقول القافية جلبته فى المقامات وغيره من الشعراء كان أولى بموضعه (قوله حاكها) أى نسجها يريد أن الكميت ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه فلذلك قال حاكها وسأل بعض الخلفاء جريرا عن النابغة وزهير فقال ينيران الشعر ويسديانه والعلماء بالشعر يسمون صناع الشعر عبيد الشعر مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت (قوله تخذتها) أى اتخذتها يقال تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ وخفف عنه حذفوا ألف الوصل من اتخذ والتاء الاولى الساكنة التى هى فاء الفعل فبقى تخذ ومثله اتقى يتقى وتقى يتقى حذفت ألفه

تخذتها وصلة الى ما

وتاؤه الاولى وليس بطرد هذا التخفيف وانما جاء في اتخذ واتقى واتجه واتسع فقالوا تقى وتخذ وتجه وتسع (وصلة) أى موصلة (تعافيتها) تكارهتها وهى تفاعلت من عفت الشئ أعافه عيافا أى كرهته (حالت) تغيرت (أحو) أجمع (مهد) اقبل وسهل (أجرمت) أذنبت لنفسى (جنيت) أذنبت لغيرى أراد ان كان عذرى بينا فاقبل وان كنت ظالما فتجاوز وسامح (أودع) ضمن وجعل فيه (الغضى) شجر جمره يبقى فى النار

تجنيه كفى متى اشتهيت
ولو تعافيتها الحالت
حالى ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح
ان كنت أجرمت أو جنيت
ثم انه ودعنى ومضى وأودع
قلبى جمر الغضى

(شرح المقامة السادسة وهى المراغية)

(المقامة السادسة المراغية)

(روى الحرث بن همام) قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى بمذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان البراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس فى الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم فى شوطهم ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم

وتعرف بالحيفاء (ديوان النظر) أى مجلس المناظرة (المراغة) بلدة من كور اذربيجان (البراعة) القلم قبل أن يبرى ويسوى فاذا برى وسوى قيل له قلم وبقى عليه الاسم الاول وهو البراعة والبراع القصب (أرباب البراعة) أصحاب اصالة الرأى والبارع الاصيل الجيد الرأى ويقال برع يبرع بروعا وبراعة اذا فاق فى السودد (ينقح) يحسن ويخلص (الانشاء) الكتابة (خلف) بقى (السلف) المتقدمون وسلفوا ذهبوا وتقدموا (يبتدع) يحدث (طريقة) حالة موصوفة وطريقة فلان كذا أى حالته التى هو عليها (غراء) واضحة مشهورة لم يقل أحد مثلها وغرة الشئ أوله (يفترع) يفتض (عذراء) كرا سميت عذراء لصعوبة جماعها وتعذر الشئ تصعب وافتراع البكر ادماؤها وازالة ما تصعب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته فعنى يفترع رسالة عذراء أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره فاقتدر هو على سلوك طريقها والاتيان بها (المفلق) الفصيح المعرب الذى يأتى بالفلق وهو الشئ العجيب (الاوان) الوقت (العيال) من يتكل فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه وعال الرجل عيلة اذا افتقر وعلته عولا قمت بمؤنته فيريد أن كتاب هذا الزمان عيال على من تقدمهم حيث افتقروا الى الاخذ من كلامهم وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى ان شاء الله تعالى (الكهل) التام الخلق بين الشاب والشيخ (الحاشية) طرف المجلس و(الحاشية) الثانى الاتباع وخدمة القوم وأصلها رذال المال وصغاره ، قال يعقوب الحاشية والحواشى رالحشو صغار الابل وأنشد ، جللتها والاخر الحواشيا * (شط) جرى (شوطهم) طلقهم (نثروا) القوا عليها (العجوة) التمرة الطيبة (والنجوة) الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وما وجدت فى كتاب لغة ان النجوة اسم للتمرة الرديئة وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث فى كل كتاب يتهم فيه ذكر النخل والتمر فأخبرنى أنه ما وجد لها ذكرا وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم فى التمر الردئ لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده لان البصرة أكثر بلاد الله نخلا فيسمون كل نوع من التمر باسم والتمر تكثر أنواعه عندهم ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ورأيت بها نوعا من التمر زعموا أنه لا يطيب أبدا وانما حاله أن ينكمش على نواه فلا تجد الاجلدا يابسا على النواة فيعلفونه المعز فيحتمل أن يكون مثل هذا فى نخل البصرة يسمى نجوة ويقابل بالعجوة التى هى أشرف التمر وأطيبه وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الارض فلا معنى له * الفنجديهى النجوة قيل انها الناطة التمر اذا سقطت لا يبالى بها فان صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التى هى العذرة (نوطهم) وعاء تمرهم قال أبو حنيفة النوطة الحلة الصغيرة من

حلال التمر واحدة الوعاء الذى يكنز فيه التمر وكل وعاء له علاقة فهو نوطة والجمع نوط وقد ناطه ينوطه اذا علقه فأراد ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم (ينبئ) يخبر (تخازر طرفه) كسر عينه بالنظر وتخازر نظر بمؤخر عينه وهو نظر المنكر للشئ (تشامخ) ارتفع وهو فعل المستحقر للشئ (مخرنبق) متهيئ (لينباع) لينهض وفسر أبو عبيد فى الامثال فقال المخرنبق المطرق الساكت لينباع ليثب اذا أصاب فرصة قال ومعناه أنه سكت لداهية يريدها وقيل المخرنبق الساكت على السوء لينباع ليظهر الذى فى نفسه من الشر (مجرمز) منقبض وهو كقول النابغة

وقلت يا قوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

فأخذه ابن الرومى فقال

سكن سكونا كان رهنا بوثبة * عماس كذاك الليث للوثب يلبد

(نابض) رام ويقال أنبض القوس اذا جذب وترها ثم أطلقه لتختبر شدتها ونبض العرق تحرك فيكون نابض على النسب أو على حذف الزائد والفصيح هى وأورد أبو الحسين بن فارس اللغوى فى كتابه المجمل ان نبض لغة فى أنبض وهما بمعنى واحد قال الشاعر

فان أباها مقسم بيمينه * لئن نبضت كفى فانى لنابض

فصح بهذا قوله (رابض) لاطئ بالارض وربضت الشاة اضطجعت (يبغى النضال) أى يطالب المراماة وأراد أنه يريد أن يلقى عليهم المسائل ليجاذبوه (قوله نثلت) أى نفضت وصب ما فيها (الكنائن) الجعاب وهى أوعية السهام (فاءت) رجعت (السكائن) جمع سكينة وهو الوقار يريد أنتم أهل المجلس كلهم فسكتوا (ركدت) سكنت (الزعازع) الرياح الشديدة المزلزلة واحدها زعزع (كف المنازع) أمسك المخالف يريد انقطع كلامه (ادّا) أمرا فظيعا منكرا (جرتم عن القصد) خرجتم عن الاستقامة (جدّا) كثيرا (الرفات) البالية (افتتم) فعلتم مالا يجب وتجاوزتم فيه ويقال افتات الرجل افتعل من الفوات وفات ذهب وعدم (غمصتم) حقرتم وغطيتم (جيلكم) أهل عصركم (اللدات) جمع لدة وهو الذى ولد معك (جهابذة) حذاق الواحد جهبذ (النقد) معرفة الكلام نقده ميزه وأصله من ميز الدراهم الجيدة من الرديئة (موابذة) حكام والموبذ الكثير الجاه من الفرس مثل الوزير والقائد (أبرزته) أظهرته (طوارف) جديدات وغريبات (القرائح) الاذهان (برز) غلب (الجذع) من الخيل ابن سنتين (القارح) ابن خمس أى غلب فيه الحديث العصر القديم (عبارات) جمع عبارة وهى التفسير وعبرت عن فلان تكلمت عنه وكنت لسانه (المهذبة) المخلصة من العيب و(الاستعارة) أن تعير اللفظ ما يستحقه غيره وهى من العارية (الموشحة) المزينة (الاساجيع) جمع أسجوعة وهى الكلام المربوط بقافية (أنعم) بالغ (المطروقة) التى نزل عليها (المعقولة) المربوطة (الشوارد) الفارة يقول ليس للقدماء الا المعانى التى قصدها المتأخرون كما قصدها المتقدمون وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون فكان تقييدها سببا لان مشت فى الاقطار فعرفت وحفظت (المأثورة) المحدث بها (الصادر) الخارج عن الماء و(الوارد) الداخل اليه وذكر هنا ان الصادر يتقدم الوارد وذلك أنا اذا فرضنا موضع ماء لا يكون ورود الا واحدا بعد واحد فالصادر يسبق الوارد على ما ذكره فى العامة قال الحريرى فى درة الغواص ان الخواص يقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد

ينبئ تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغى النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وسكت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيأ ادّا وجرتم عن القصد جدّا وعظمتم العظام الرفات وافتتم فى الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا أنعم النظار من حضر غير المعانى المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد

ووجه الكلام أن يقال الوارد والصادر لانه مأخوذ من الورد والصدر ولما كان الورد يقدم الصدر وجب أن يقدم لفظ الوارد على الصادر وهذا كما ترى الورد يقدم الصدر فى حق واحد يقال ورد الماء ثم صدر عنه وأما فى حق اثنين كما تقدم لنا وكما ذكره وفى هذا مقامة تالى الصادر تقدم الوارد وقول الناس هذا أمر يعرفه الصادر والوارد فى حق اثنين فهم فيه على صواب ومحال أن يكون المثل فى حق واحد لان الشىء لا يعطف على نفسه ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه لان الورود لا تعطى رتبة يقول لا تتحدث بكلمهم وتعظمهم بتركهم لفضلهم علينا لكن استبقهم لنا (أنشا) كتب (وشى) زين ورقم (عبر) تكلم أو فسر (حبر) حسن (أوجز) اختصر (أعجز) أى عجز عن فعله غيره (أسهب) أطال الكلام (أذهب) جاء بالذهب وأصل أسهب حفر بئرا بعيدة القعر وأذهب صادف معدن الذهب فى حفره (بده) ارتجل ولم يتفكر (شده) حيرهم وتعاطى منزلته (اخترع) فعل مالم يسبق اليه (خرع) شقق المعانى (قوله ناظورة) كبيرا لقوم ومقدمهم الذى ينظرون اليه (الديوان) اراد الكتاب وموضع اجتماعهم والديوان الذى يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم وأصله دوان فقلبت واوه الاولى ياء لانكسار ماقبلها ودليله دواوين فى جمعه وهو اسم أعجمى عرب والاصل فى تسميته ان كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا له فى داره ويعملوا حساب السواد فى ثلاثة أيام وأعجلهم فيه فأخذوا فى ذلك واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أى ديوانه ومعناه شياطين ثم سمى موضعهم ديوانا ثم استعملته العرب وجعل كل محصل من كلام أو شعر ديوانا (قارع) ضارب وكاسر (الصفاة) الصخرة الملساء استعارها لمد عى من الكلام (قريع) سيد (الصفات) النعوت التى تقدم أنه يعرف بفعلها و (قرين مجالك) صاحب كلامك الذى تقول فيه يعنى نفسه (قرين جدالك) صاحب مجادلتك والقرن بالكسر الذى يماثلك فى شدة وخصام أو فعل وان لم يكن بينكما معرفة وقرينك صاحبك الذى لا يفارقك كأنه قرن معك والمجال الموضع الذى تراض فيه الخيل (رض) سس ولين (النجيب) الفحل الكريم من الابل وعنى نفسه (ادع مجيبا) يقول سلنى ثم ادعنى استجب لك (ترى عجيبا) فى حسن جوابى (البغاث) صغار الطير (يستنسر) يصير نسرا يقول نحن أهل علم ومعارف فلا تجوز علينا المخاوف والعرب تقول فى أمثالها ان البغاث فى أرضنا يستنسر أى يرجع الضعيف قويا عزا وحمايته ممن يريده بسوء قيل فى البغاث انه ذكر الرخم وقيل البغاث كل ما يصاد من الطير والجوارح كل ما يصيد والرخم ما لا يصيد ولا يصاد كالخطاف وغيره (القضة) الحصى البيض الصغار ويقال فيه القض والقضيض بالقاف والضاد ومعناه جاء بالكبير والصغير والقضيض صغار الحصى وما تكسر منه وقالوا جاؤا قضهم بقضيضهم أى كلهم (استهدف) صار هدفا والغرض للسهم (النضال) المراماة (العضال) الذى لا يبرأ منه (استثار) حرك (نقع) غبار (الامتحان) الاختبار (يقذ) يقع فى عينه القذى وهو ما يسقط فى العين يقول من صار غرضا للالسنة قل أن يسلم ومن صار طالبا للمناظرة أهل المعارف أعيته (المناصح) المخزيات واشتهار العيوب (وسم) علامة (قدحه) سهمه يريد قداح الميسر وكان كل رجل يعمل فى قدحه علامة يعرف بها قال دريد بن الصمة

وانى لاعرف الآن من اذا
أنشا وشى واذا عبر حبر
وان أسهب أذهب واذا
أوجز أعجز وان بده شده
ومتى اخترع خرع فقال
له ناظورة الديوان وعين
أولئك الاعيان من قارع
هذى الصفاة وقريع
هذه الصفات فقال انه قرين
مجالك وقرين جدالك
واذا شئت ذا فرض نجيبا
وادع مجيبا لترى عجيبا
فقال له يا هذا ان البغاث
بأرضنا لا يستنسر والتميز
عندنا بين الفضة والقضة
متيسر وقل من استهدف
للنضال فخلص من الداء
العضال أو استثار نقع
الامتحان فلم يقذ بالامتهان
فلا تعرض عرضك
للمفاضح ولا تعرض عن
نصاحة الناصح فقال كل
امرئ أعرف بوسم قدحه

وأصغر بن قداح النبع فرع * به علمان من عتب وضرس

الضرس العض بالضرس، وسنذكر في المائة والاربعين قداح العرب (سيتتري) سيتكشف (قوله تناجت) أي تحاجت من احرا (يسبر) يقاس (تليبه) بثره (يعمد) يقصد (تقليبه) تجريبه (ذروه) اتركوه (حصى ذلك (تمتي) خبري وجل المسئلة جرا يرميه به مجازا (عضلة) صعبة (العقد) جمع عقدة يريد أن عقدها صعب الحل (محك المنتقد) وهو حجر يقاس به جيد الفضة والذهب من الردئ أراد أن مسئلته نهاية في الصعوبة والعضلة كل مسئلة شديدة لا يهتدى لمثلها ولا يوقف على جوابها من قولهم داء عضال ومعضل اذا كان شديدا لا يهتدى لدوائه ولا يوقف على علاجه وعضلت المرأة تعضيلا نشب ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة بيضها كذلك وفلان عضلة من العضل أي داهية لا يهتدى لمكره (قوله الزعامة) أي الرياسة (وأبو نعامة) هو قطرى ابن الفجاءة التميمي الخارجي وكان له فرس يكنى بها في الحرب ويكنى في السلم أبا محمد وقطرى منسوب الى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعرا مجيدا وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بأمير المؤمنين عشرين سنة وكان خطيبا فصيحا وله خطبة في ذم الدنيا انتهى فيها من البلاغة الى الغاية وأولها أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحليت بالعاجل وتحلت بالاماني وتزينت بالغرور لا تدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة لا تعدو اذا هي تناهت الى أمنية الرغبة منها والرضا عنها أن تكون كما قال تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ومنها وكم واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته وذي احتيال فيها قد خدعته وكم من ذي أبهة فيها قد صيرته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا وذي تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها أجاج وحلوها صبر وملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ومن جيد شعره في وقعة دولاب

لعمرك اني في الحياة لزاهد * وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك اني يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
فلم أر يوما كان أكثر مقطعا * يمج دما من فائض وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتني يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

أم حكيم التي شبب بها كانت معه في عسكر لاباضية وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها

وسيتفترى الدليل عن صحبه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصى لا رميه بحجر قصي فانه اعضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فاقبل على الكهل

وأحسنهم بينه متمسكا وكان قطري يحبها ويجلها وأخبر من شاهدها في تلك الحروب انها كانت ترتجز فتقول

أحمل رأسا قد سئمت حمله * وقد مللت دهنه وغسله * ألا فتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والامهات وخطبها جماعة من أشرافهم فردتهم وقالت

الا ان وجها حسن الله خلقه * لأجدر ان يلفى به الحسن جامعا
وأكرم هذا الجرم عن أن ينيله * تورك فحل همه أن يجامعا

أين هذه من أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد كان يقال لها خطب فتقول نكح وضرب بها المثل فقيل أسرع من نكاح أم خارجة وأين هي من حفيدة قطري صاحبها حكى الاصبهاني عن اسمعيل ابن المباجر قال خرجت أنا والسيد الحميري سكارى فلقينا بنت الفجاءة بن نصر بن قطري بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فواقفها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها فقالت كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قيل لها خطب قالت نكح فاستضحكت وقالت ننظر في هذا وعلى ذلك فمن أنت قال،

ان تسأليني بقومي تسألي رجلا * في ذروة المجد من أجواد ذي يمن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به * من كبة النار للهادي أبي حسن

فقالت لا شيء أعجب من هذا يمان وتميمة ورافضي وأباضية فكيف يجتمعان كذا بحسن رأيك في تحشد نفسك ولا يكره أحد منا سلطانا ولا مذهبا قالت أفليس التزويج اذا علم استعملته معه لسنور قال وأنا أعرض عليك أخرى قالت وما هي قال المتعة التي لا يعلم بها أحد المصـ[illegible] الزنا قال أعيذك بالله ان تكفري بعد ايمانك قالت وكيف قال لها قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت أستخير الله وأقلدك اذ كنت صاحب قياس وتفتيش فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل فجحدت وقالوا أتزوجت بكافر فكانت تختلف اليه مرة وتواصله وقوله تقلدنا الخوارج اذ نا نعامة لما قتل الزبير بن علي أمير الخوارج داروا أمرهم فأرادوا تولية عبيد بن هلال اليشكري فقال ألا أدلكم على من هو خير مني لكم من يطاعن في قبل ويحمي عن دبر عليكم بقطري بن الفجاءة المازني فبايعوه، قوله (أوالى) أي ألازم وأتخذه وليا (أرقح) أصلح يقال رقح من عيشه اذا أصلح منه قال الشاعر

يترك ما رقح من عيشه * يعيث فيه همج هامج

الهمج البعوض ثم قيل لأرذال الناس همج (الحالى) المزين بالحلي (أودى) عوجي (سعة اليد) كثرة (ذات يدي) أي مالي (عددي) عيالي (حاذي) ظهري وفلان خفيف الحاذ أي قليل العيال والمال وأصل الحاذ مؤخر الفخذين (تندر ذاذي) فرغ قليل مالي والرذاذ المطر الضعيف (أممته) قصدته (أرجائي) جهاتي وبلادي (رجائي) أملي (روائي) حسن هيئتي وحالي (ارواثي) ازالة عطشي (هش) خف ورجل هش بسام طليق الوجه (للوفادة) القدوم عليه (وارتاح) طرب واهتز الافادة تكسب الفوائد (المراح) بفتح الميم لمشي والانصراف و(المراح) بالضم الموضع يروح اليه الابل وتروح منه أرتاح اليه أي نشاف بالعشي و(المراح) بالكسر النشاط والمسة رئد مرح مرحا عب من لفرح (كاهل) ما بين فروع الكتفين استعارة للنشاط

(أزمعت)

وقال اعلم اني أوالي هذا الوالي بأرقح حالي بالبيان الحالي وكنت استعين على تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته من أرجائي برجائي ودعوته لاعادة روائي واورائي فهش للوفادة وارتاح وغدا بافادة وراح فلما استأذنته في المراح الى المراح على كاهل المراح

(أزمعت) عزمت (بتاتا) زادا (شتاتا) مالا متفرقا (تنشئ) تصنع وتكتب (امام ارتحالك) قبل سفرك (تودعها) تضمنها وتجعل فيها (يعجمن) ينقطن واعجمت الكتاب أزلت عنه عجمته (قط) لفظة موضوعة لما مضى من الدهر وجعل الحريرى قول الخواص لا أكلمه قط من أفحش الخطأ لتناقض الكلام قال وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبدا فيما يستقبل فيقولون ما كلمته قط ولا أكلمه أبدا والمعنى ما كلمته فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اذا قطع طرفه وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان اذا استقبل قد واذا استدبر قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا يقول تصنع رسالة تضمنها حالك يكون تركيبها من كلمة يعم حروفها النقط وكلمة لا ينقط منها حرف وبهذا المعنى سميت المقامة الخيفاء لان الاخيف من الخيل الذى احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء (استأنيت) أمهلت وأخرت (أحار) رد وراجع (نبهت) أيقظت (سنة) حولا (سنة) نوما (قاطبة) جماعة (قطب) وجهه اذا عبسه (صدعت) أوضحت وأظهرت وأصل الصدع الشق (باليقين) بالحق الواضح (آية) علامة قال ابن الانبارى رحمه الله فى قولهم آية من القرآن ثلاثة أوجه قيل انها علامة لانقطاع الكلام قبلها وبعدها واحتج أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر

بآية ما تحبون الطعاما * وبقول النابغة توهمت آيات لها فعرفتها * لستة أعوام وذا العام سابع

الثانى سميت آية لانها جماعة حروف قال أبو عمرو خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم الثالث سميت آية لانها عجب من العجائب فالآية العجب (قوله استسعيت) طلبت سعيه أى جريه و (اليعبوب) الفرس السريع (استسقيت) استمطرت وطلبت سقياه و (الاسكوب) المطر الكثير (باريها) صانعها وكل هذه أمثال ويريد أنا أهل لكل ما طلبت وأول من قال أعط القوس باريها الحطيئة وذلك أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يقرى الناس فأكل أكلا جافيا وخرج الناس فأقام وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستى انى بنفسى عنهم لأرغب فقال له سعيد دعه ثم تذاكروا الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ولو أعطيتم القوس باريها وقعتم على ما تريدون فقال له سعيد فمن أشعر العرب قال الذى يقول

لا أعد الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته الاعدام

الى آخر القصيدة قال فمن قائلها قال أبو دواد الايادى قال ثم من قال والله لحسبك عندى رهبة أو رغبة أنا اذا رفعت احدى رجلى على الاخرى وعويت فى اثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى اثر أمه قال ومن أنت قال الحطيئة قال حياك الله يا أبا مليكة ألا أعلمتنا بمكانك ولم تحملنا على الجهل بك فنضيع حقك ونبخسك قسطك وأدناه ووصله قال الشاعر

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه * لا تظلم القوس أعط القوس باريها

(ريث) مقدار وبطء (استجم) استكثر (قريحته) طبيعته والقريحة فى الاصل أول ماء البئر النابع واستجمها تركها حتى تكثر (استدر) استنزل درها وهو لبنها و (اللقحة) الناقة ذات اللبن يريد أقام قليلا يفكر ويختار ما يقول ومثل هذه الحالة ذكروا ان صديقا لكلثوم العتابى أتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الا شاردة عنك فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى

قال قد أزمعت أن لا أزودك بتاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ لى امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانى حولا فما أحار قولا ونبهت فكرى سنة فما ازداد الا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته

حتى يرجع الى موضعه وهذا مثل قول امرئ القيس ويقال انه قالها وهو ابن عشر سنين

أذود القوافي عني ذيادا * ذياد غلام غوي جوادا
فلما كثرن وعنينه * تخير منها جوادا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا * وآخذ من درها المستجادا

(وقال عريف القوافي) -

أبيت بأبواب القوافي كأنما * أصادي بها سربا من الوحش نزعا
عواصي الا ما جعلت وراءها * عصا مربد تغشى وجوها وأذرعا
اذا خفت أن تروى علي رددتها * وراء التراقي خشية أن تطلعا

أصادي أداري وجعل القوافي تتقحم عليه كالابل وهو يضرب بها بعصاه حتى يختار جيادها (قوله الق) أي اجعل فيها الليقة تقول لقت الدواة فهي مليقة وألقتها فهي ملاقة وجمع الليقة ليق ويقال للصوفة قبل أن تبل بالمداد البرهة والمرارة فاذا بلت بالمداد سميت ليقة وقد يقال لها ليقة قبل أن تبل سميت بما تؤول اليه كما قيل للكبش ذبيح وللصيد رمية فان كانت قطنة فهي العطبة والكرسفة وكرسفت الدواة كرسفة والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال للمداد نقس ونقس والكسر أفصح وقيل الفتح مصدر نقستها جعلت فيها النقس وانتشار الحبر من المداد بالكسر لا غير والحبر بالفتح والكسر العالم وقال بعضهم سمي المداد حبرا باسم العالم كأنهم أرادوا مداد حبر فحذفوا وليس هذا ما قالوه بصحيح وقال المداد حبر بالفتح والاشبه أن يسمى حبرا لانه يحسن الكتابة من قولهم حبرت الشيء اذا حسنته ويقال للجمال حبر وسبر فمداد حبرك ولك مداد زينة ويجوز أن يكون من الحبر والحبار وهو الاثر فيسمى بذلك لتأثيره في الكتاب ويقال مددت الدواة أمدها مدا اذا جعلت فيها المداد فان كان فيها مداد فزدت عليه قلت أمددتها فاذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت استمدد فان سألته أن يعطيك على القلم مدادا قلت أمددلي من دواتك واستمددته سألته أن يمدني وقال الخليل مدني وأمدني أعطني من مداد دواتك وكل شيء زاد في شيء فهو مداد له وموهت الدواة وموهتها اذا جعلت فيها ماء والامر من ذلك كله أمه وموه دواتك واشتقاق الدواة من الدواء لان بها اصلاح أمر الكتاب وبعض الشعراء اشتقها من دوي الرجل يدوى دوى اذا صار في جوفه الداء قال

أما الدواة فأدوى حملها جسدي * وحرف الخط تحريف من القلم

ووزنها فعلة تحركت الياء وقبلها فتحة فقلبت ألفا وتجمع دويات كقناة وقنوات ودوى كقناة وقنى ويقال أدويت فانا مدو اذا اتخذت دواة ويقال للذي يبيعها دواء كخياط واذا أمرت من يتخذها قلت أدو دواة ويقال لمن يحملها ويمسكها دواء ويقال لها الدواة والرقيم والنون ويقال دواة القلم والمزبر بالزاي والمذبر من زبرت وذبرت أي كتبت ومن فرق بينهما قال زبرت بالزاي أي كتبت وذبرت أي قرأت وسمي القلم قلما لانه قلم أي قطع وسوي كما يقلم الظفر وكل عود قطع وحز رأسه فهو قلم بعلامة فهو قلم قول الله تعالى اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة ويقال للذي يقلم به فتقلم والذي يبري به مبرى وما سقط عن البري والتقليم القلامة ويحكى أن رجلا قال لاعرابي ما القلم فتفكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدري فقيل له توهمه

وقال ألق دواتك وأرب
كلام لطيف يتعلق بالدواة والمداد والقلم

في نفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الاظفار ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب ولما بينها الانابيب واحدها انبوب ويستعملان في الرمح وفي كل عود ذي عقد والعقدة التي تشنيه تسمى الذنبة وجمعها أبن فان كان في العود أو القصبة تأكل قيل فيه قادح ونقد ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره اللبط فان قشرت منه قشرة قلت لحلت من القلم ليطة فان أخذت شحمته بالسكين قيل شحمته أشحمه فان أفرطت في أخذها قلت بطنته تبطينا فهو مبطن وحفرته فهو محفور فان تركت شحمته قلت أشحمته اشحاما ويقال لغشائه الذي عليه الغلاف واللحاء والقشر فاذا نزعتها عنه قيل قشرته وبشرته ولحوته ونجوته وسحوته ويقال في ثلاثتها بالياء وسحيته وجلمته وجلفته ورسقته ونحمته مشددان ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة فاذا قطع طرفه وهيأ للكتابة قيل قططته أقطه قطا وقصمته اقصمه قصما والمقط بالكسر ما يقط عليه وبالفتح الموضع الذي يقط من رأسه فان جعلت احدى سنيه أطول من الاخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا فان سويتهما قلت قلم مبسوط فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشيق ويقال للقصب اليراع والاباء الواحد يراعة واباءة وقيل الاباء أطراف القلم أي القصب ويقال للقطن الذي يوجد في بطنها البيلم والقيصف والقيسع واحدته بيلمة وقيصفة وقيسعة فان كان في القصب تأكل قيل فيه قادح ونقد وكذلك العود والسن والقرن فان كان فيها عوج فذلك الدرء (قوله خذ أداتك) أي تلمك وقال ابن طاهر لكاتب له ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وقرمط بين الحروف وقال ابن عبد ربه ينبغي للكاتب أن يصلح آلته التي لا بد له منها وأداته التي لا تتم صناعته الا بها وهي دواته فلينعم ربها واصلاحها ثم ليتخير من أنابيب القصب أقلها عقدا وأكثفها لحما وأصلبها قشرا وأعدلها استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا ليكون عونا له على بري أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصب واعلم أن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس نظم هذا أحد الشعراء فقال

يمسك الفارس رمحا بيد * وأنا أمسك فيها قصبه
فكلانا فارس في شأنه - انما الاقلام رمح الكتبه

وقال أبو الفتح البستي ان هز أقلامه يوما ليعملها ،، أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله ،، أقر بالرق كتاب الانام له

رأى جعفر بن يحيى خطا فاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها ومن كتاب لجعفر بن يحيى الى محمد بن الليث يستوصفه الخط أما بعد فليكن قلمك محرفا لا متينا ولا رقيقا ضيق التلب فابره بريا مستويا كمقار الحمامة أعطف بطنه ورقق شفرتيه وليكن قرطاسك رقيقا مستوي النسج مخرج السحاة مستمريا من أحد الطرفين الى آخره فليس تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر مطك في اطراف القرطاس الذي فيه يسارك واقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر الا نصف الخط ولا يقوى عليه الا الاقل قال العتابي سألني الاصمعي في دار الرشيد أي الانابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت له ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من الدرية الظهور النيرة القشور الفضية الكسور قال فأي نوع من البري أصوب وأكتب فقلت له البرية المستوية القطة التي عن يمينها برية

وخذ أداتك واكتب

تاتي معها المجة عند المدة والمطة للهواء في شقها اضيق وللريح في جوفها خريق والمداد في خرطومها رقيق فبقي شاخصا الي لا يجد جوابا وقال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب الى خلال جودة بري القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأني لامتطاء الانامل وارسال المدة بعد اشباع الحروف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع وقال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال وقال بعض الكتاب أيضا

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع وبأسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

كأن هذا يغادي من قول الآخر

دعي في الكتابة لا روي * له فيها يعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه * تلاق فريحها أبدا كريه

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره فقال له

لا تجزعن من المداد فانه عطر الرجال وحلية الكتاب

(ولبعضهم يهجو كاتبا)

حمار في الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو لطخت نفسك بالمداد

وقال كشاجم لوراق يدعي الكتابة

وزعمت أنك في الكتابة مدرك * شأوي فقلت رماحها أقلام
هيهات تلك صناعة ممروحة * فيها ضياء واضح وظلام
هذا الحديد سلاح أبطال الوغى * وبه يصح دماءنا الحجام

وقال أبو العيناء كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتابا فنقطت من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والاصل أحوج الى المراعاة من الفرع وهذا السواد جمت هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال

اذا ما الفكر ولد حسن لفظ * وأسلمه الوجود الى العيان
ووشاه فنمنمه جواد * فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات * تجلى بينها صور المعاني

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم في يده فأنشد

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلى نظمها ونثيرها
تقود أبيات البيان بفطنة * تكشف عن وجه البلاغة نورها
تظل المنايا والعطايا شوارعا * تدور بما شئنا وتمضي أمورها
اذا ما حطوب الدهر أرخت ستورها * تجلت بشاء عما يسر ستورها

وأتى رجل وكيعا فقال الرجل بيني وبينك حرمة فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب بمحبرتي عند الاعمش فوثب وكيع الى منزله ثم أخرج صرة دنانير فدفعته وقال له اعذرني فما أملك غيرها ودفعها

اليه وقال أبو الحسن بن ليال فى محبرة آبنوس

وخديمة للعلم فى أحشائها * كلف بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وحدثنى عن شيخى الفقيه أبى عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسين قال حدثنى أبى أنه كان بسبتة أيام الشبيبة والطلب فى مجلس جمع من طلبة الادب فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها وأراد أن يقصد بها الوالى على حسنها وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة فأطرقوا يروون فبادرهم أبو الطالب بن أبى ركب فقال

جاءتك من غرر العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها * ليل تطرز بالنجوم تزهر

فاستحسنهما من حضر ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر فكتبا للرجل فى رقعة فبعد ما سار بها قليلا رجع فأرزمها قلم صفر مذهبا ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف الى البيتين فأطرقوا يروون فى ذلك فبادرهم أبو طالب المذكور فقال

كملت بأصفر من نجار حليها * تخفيه أحيانا وحينا يظهر
خرسان الاحين يرضع ثديها فتراه ينطق ما نشاء ويذكر

(وقال آخر يصف دواة وأقلاما)

قد بعثنا اليك أم العطايا * والمنايا زنجية الاحساب
فى حشاها من غير حرب حراب * وهى أمضى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلم الاعلى الذى بسنانه * تصاب من المرء الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها * لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح ان استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت * عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف * ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

(وقال أبو الفتح البستى)

اذا أقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال البحترى تعنو له وزراء الملك راغمة * وعادة السيف أن يستخدم القلما

*(وقال أبو العباس التنوخى)

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يقابله * مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله للاقلام مذبريت * أن السيوف لها مذأرهفت خدم
(وناقضه أبو الطيب المتنبي فقال) *
حتى رجعت وأقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * فانما نحن للاسياف كالخدم

وقال الصولى فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم أنا أكتب بلا غرر وأنت تقتل على خطر فقال صاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده والا فالى السيف معاده قال الصولى وقال بعض اليونانيين الدين والدنيا تحت شيئين سيف وقلم والسيف تحت القلم وفى ذلك يقول جرير الغيرى

أتحقرنى ولست لذاك أهلا * وتدنى الاصغرين من الخوان
جهابذة وكتاب وليسوا * بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى اذاما * تلاقى الحلقتان من البطان

وقال كشاجم
هنيأ لاصحاب السيوف بطالة * تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الامر لم يرع * بحرب ولم ينهر لقرن مصمم
وكل ذوى الاقلام فى كل ساعة * سيوفهم ليست تجف من الدم

وقال آخر
قوم اذا أخذوا الاقلام من قصب * ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا * مالا ينال بحد المشرفيات

*(وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه) *
واذا تألق فى العيون كلامه الـ * ـمعمود خلت لسانه من عضبه
واذا دجت أقلامه ثم انحنت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده * منا ويبعد نيله من قربه
حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود لها * شخص الحبيب بدا لعين محبه

*(وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية) *
مارقعة جاءتك مثنية * كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن وجهة الهزل الى الجد
ياكاتبا أسلمنى عتبه * اليه حسبى منك ماعندى

(وقال البحترى فى ابن الزيات)
قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس ذكر عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك * امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد

ما أعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
فالعذارى غدون فى الحلل الصفر * اذا رحن فى الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود ان شاركناك فى اللفظ فقد تاركناك فى الخط فقال يا أمير المؤمنين ان من أعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه أدّى عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو أمّى لا يعرف من فنون الخط فنا ولا يقرأ من حروفها حرفا وبقى عمود ذلك فى أهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد لنهيه ولامره فتعلقت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ولو كنت أميا قد ذكرنا من آلات الكتابة نثرا ونظما ما فيه كفاية وفى السادسة والعشرين من النظم فى أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردناه هنا وانما أخرج الحريرى رسالته الخيفاء من هذه الاوصاف المنظومة فى الرسائل التى قدمناها آنفا لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لانشائها وباب لما فيها من لزوم نقط لفظة وترك أخرى وهى على ما بها من التكلف رائقة المعانى أنيقة المبانى ولو غيره تعاطاها لاظلمت معانيها وتداعت مبانيها فلله هو لقد كان منقادا له صعب الكلام بأيسر مرام وما هو فى محاولة البلاغة الا كما قال ابن حبيب فى سليمان بن وهب

سرح نطقه اذا ما استمرت * عقد العى فى لسان الخطيب
ومصيب شواكل الامر فيه * مشكلات ملكن لب اللبيب
لا معنى بكل شئ ولكن * ما عجيب فى عينه بعجيب

(قوله غض الدهر جفن حسودك) يقال غض جفنه أى سد عينه دعاء عليه بالعمى يقول الكرم يزين صاحبه واللؤم وهو البخل يشينه ويعيبه ثم دعا له بدوام السعد وثبوته وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين (الاروع) السيد الكريم وهو الذى قصد وقيل الاروع الحديد النفس وقيل الذى يروعك بجماله (يثيب) يجازى قاصده (والمعور) البادى العورة وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده لانه قابل به الاروع وهو التام الجسيم الجهير الصوت قال الشاعر

يواخى لئيم الناس كل ملائم * وينطق بالعوراء من كان معورا

(الحلاحل) السيد الذى يحل به الناس كثيرا (يضيف) ينزل الاضياف ويكرمهم (والماحل) البخيل شبه بالبلد الماحل وهو الجدب فكأن الماحل الذى لا يوجد عنده خير يقال أمحل البلد وبلد ماحل وذو محل مثل لابن وتامر والماحل النمام يقال محل به الى السلطان اذا وشى به وهو الذى (يخيف) على الحقيقة والماحل أيضا المخاصم وقد ماحلته وماحلنى (يغذى) يطعم (والمحك) اللجوج وهو مقابل السمح الخلق (يقذى) يجعل فى العين قذى أى يضر قاصده ويؤلمه (ينجى) يخلص صاحبه من الذم وتقدم المطال (ينقى) نغسل العيب (والالطاط) الامتناع من فعل الخير ويقال لط وألط اذا ذهب ولط الشئ وألطه اذا ستره (يخزى) يهين (اطراح) ترك (ذى الحرمة)

الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذى والمحك يقذى والعطاء ينجى والمطال يشجى والدعاء يقى والمدح ينقى والحر يجزى والالطاط يخزى واطراح ذى الحرمة

أي صاحبها والحرمة مالا يحل تركه لضياع ومن قصدك فقد دخل في حرمك فتركه ليس من المروأة (غي) فساد وضلال (محرمة) منع (بني الآمال) أهل الرجل الذين يرجون خيره ويأملونه (بغي) ظلم (ضن) بخل (غبين) مخدوع في رأيه (ضنين) بخيل يقول ما يضن بماله من هو سديد النظر ولا المصيب الرأي انما يبخل به من هو فاسد النظر مغبون في رأيه (خزن) حبس ماله (قبض راحه) ثم كفه على ما فيها وهذه كناية عن المنع والبخل و(التقي) الذي يقي نفسه من العذاب بعمله الصالح من وقيت نفسي أقيها واختلف في وزنه فقيل فعول وأصلها وقوى فأبدلوا من الواو تاء لقرب مخرجيهما ومن الواو لثانية ياء وأدغموها في الياء وكسروا القاف لتصح الياء والاختيار أن يكون وزنه فعيلا وأصله تقيي فأدغموا الياء في الياء والدليل على صحته جمعهم له على أتقياء كولي وأولياء ومن قال انه فعول قال لما أشبه فعيلا جمع جمعه (قوله ما فتئ) أي ما زال (يفي) يصدق ويكون وفيا (آراؤك) جمع رأى (تشفي) تزيل الهم عن قلب وليك وتبرئ مرض قاصدك من فقره يصفه بجودة الرأي وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده (هلالك يضي) يصفه بطلاقة الوجه واضاءته عند السؤال قال زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وكما قال أبو بكر في الطلاقة

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

خلافا للسيئ الخلق الذي يقطب وجهه عند اللقاء واللئيم الذي اذا سئل انزوى وتقبض (يغضي) يسمح (آلاؤك) نعمك (أعداؤك تثني) يقول لكثير المادحين لك والناشرين لفضلك لم يمكن أعداءك وحسادك ذمك لتكذيب الناس اياهم فصاروا يثنون عليك مع من يثني * ويحكى ان اعرابيا استضاف حاتما فلم ينزله فبات جائعا مقرورا فلما كان في السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكرا فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لي ناقة فأطعمني لحما عبيطا وأسقاني الخمر وعلف راحلتي وسرت من عنده بخير حال فقال له أنا حاتم والله لا تبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابي ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شرا كنت أكذب فرجعت مضطرا الى قولهم ابقاء على نفسي لا عليك وقد تقدم قول البحتري في هذا المعنى

أأشكو نداه بعدما وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال حبيب

فان أنا لم يحمدك عني صاغرا * عدوك فاعلم انني غير حامد
بسباقة تنساق من غير سائق * وتنقاد في الآفاق من غير قائد
أفادت صديقا من عدو وعادرت * أقارب دنيا من رجال أباعد
مخلفة لما ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم يقول يسمع عدوك اطنابي في مدحك فيمدحك صاغرا فكيف وليك فأمدحك بقصيدة تقطع الارض ليست بابل تساق ولا بخيل تقاد فترد العدو صديقا والبعيد قريبا ولا يسمعها أحد الا ويحلف أنه لم يسمع مثلها فيشهد له بالصدق

غي ومحرمة بني الآمال بغي
وماضن الاغبين ولا غبن
الاضنين ولا خزن الاشقي
ولا قبض راحه تقي وما فتئ
وعدك يفي وآراؤك تشفي
وهلالك يضي وجلالك يغضي
وآلاؤك تغني وأعداؤك
تثني

(قوله

(قوله وسوددك يبنى) أى يرفع لك مجدا وشرفا (حسامك يفنى) أى سيفك يقطع و يفنى أعداءك (مواصلك يجتنى) أى من زارك وواصلك اجتنى نعمك ومواهبك (يقتنى) أى يكتسب (سماؤك تغيث) أى تأتى بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجدب (سماحك يغيث) أى جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم وتقول غوث الرجل أى قال واغوثاه وأغثته اغيثه اذا فرجت عنه مايشتكى منه (درك يفيض) عطاؤك يشمل أى لبنك يملأ الاناء و يفيض عليه يريد أن عطاءه يكثر لسائله (وردك يغيض) أى منعك يذهب الرزق وغاض الماء غار فى الارض (مؤملك) راجيك و(الفىء) الظل بعد الزوال يريد ان عمره قد أدبر فشبه نفسه بالفىء الذاهب (أملك بظن) أى قصدك برجاء و(حرصه يثب) أى طمعه يتزايد فيجعله فى غاية من القلق (تخب) مختارة (مهورها) حقوقها يقول مدحك بنخب فى ملته فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها ومما ينظر الى هذه المعارضة قول الشاعر

وخذ جدى بجودك ذا بهذا * كلانا اليوم أربح صيرفى

لاصبح من نوالك فى رياش * وتصبح من مقالى فى حلى

وقال حبيب

وحلة كساها * كالحلى فى التهابه

فاستبطنت مديحا * كالارى فى نصابه

فراح فى ثيابى * ورحت فى ثيابه

(وقال ابن شهيد فى ضيف له)

وما انفك معشوق الثواء يمده * ببشر وترحيب وبسط لسان

الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حان

فأتبعته ماسد خلة حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

(قوله مرامه يخف) أى مطلبه يسهل عليك (أواصره) جمع آصرة وهى صلة الرحم والاصر الموضع الحابس من قولهم أصرت فلانا على الشئ آصره اصرا اذا حبسته عليه وعطفته ويقال ما تأصرنى على فلان آصرة أى ما تحبسنى عليه حابسة ولا تعطفنى عليه عاطفة ذكره ابن الانبارى وذكر الحريرى فى الدرة ان اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر بكسر الصاد ومعناه الموضع الحابس المار عليه فسميت أواصر لانها تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم * قال وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابى فتحادثا فحكى أبو نصر أن أبا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جديدة من غير ان يسأله أو استكساه فخرج وهو يقول

كسالك ولم نستكسه فحمدته * فتى ماجد يعطى الجزيل وياصر

وان أحق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من اعطاك والعرض وافر

فقال ابن الاعرابى وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعنى ياهذا وياصرى وعليك بناصرك يريد بياصر يعطف (قوله تشف) أى تزيد وتفضل غيرها يقول ان الاسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ والضعف وكثرة العيال وجودة المدح والعهود السابقة التى بينى وبينك (اطراؤه يجتذب) أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته وأصل

وسوددك يبنى وحسامك يفنى ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فىء ولم يبق لى شئ أملك بظن حرصه يثب ومدحك نخب مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب

وملامه يجتنب ووراءه
ضفف مسهم شظف
وحصهم جنف وعمهم
قشف وهوفى دمع يجيب
ووله يذيب وهم تضيف
وكمد نيف لمامول
خيب واهمال شيب وعدو
نيب وهدو تغيب ولم
يزغ ود فيغضب ولا خبث
عوده فيقضب ولا نفث
صدره فينفض ولا نشز
وصله فيبغض ومايقتضى
كرمك نبذ حرمه فيبض
أمله بتخفيف ألمه ينث
حمدك بين عالمه بقيت
لاماطة شجب واعطاء نشب
ومداواة شجن ومراعاة يفن
موصولا بخفض وسرور غض
ماغشى معهد غبى أو خشى
وهم غبى والسلام فلما
فرغ من املاء رسالته
وجلى فى هيجاء البلاغة عن
بسالته أرضته الجماعة
فعلا وقولا وأوسعته
حفاوة وطولا ثم سئل من
أى الشعوب نجاره وفى
أى الشعاب وجاره فقال
غسان أسرتى الصميمه
وسروج تربتى القديمه
ذا لبيت مثل الشمس اشراقا
ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مطيبة
ومنزهة وقيمه

الاطراء المدح فى الوجه فهو بمشاهدته كانه مدح طرى أو ظهرت عليه طراوة (ملامه يجتنب) ذمه يخاف ويبعد منه فيرثى عليه يقول ان الذى رجالك شيخ مسن فقير قصدك بيقين أنك من أهل الكرم فطمعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك وأهدى اليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ومراده سهل عليك ولديك علق تقوم مقام القرابة وتزيد على ذلك وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه (ووراءه ضفف) أى خلفه كثرة عيال من ضف الطعام ضفا اذا كثر القوم عليه وضف العيش اشتدو (الشظف) سوء الحال (حصهم) عراهم ونتف ريشهم (جنف) ميل الدهر عليهم (قشف) بؤس عيش (يجيب) يساعد (وله) هم وحيرة (يذيب) يذهب اللحم (تضيف) نزل به ومال اليه (كمد) حزن قارب الموت (نيف) زاد على المعهود (لمأمول) أى لمقصود مرجو (اهمال) تضييع وتسييب (نيب) عض باسنانه (وهدو تغيب) أى سكون وأمن زال عنه (يزغ) بل (نفث صدره) أى تكلم بشر ونفث برق من داء فى صدره ومنه المثل لا بد للمصدور أن ينفث (ينفض) أى يضرب ويبعد (نشز) ارتفع وزال (يقتضى) يتضمن ويلزم (نبذ) طرح (حرمه) جمع حرمة (يبض أمله) أى أسعد رجاءه ورده أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ويزيل وجعه (ينث) ينشر (عالمه) ناسه وأهل زمانه (بقيت) عشت وطال بقاؤك (اماطة شجب) ازالة هلاك وتنحيته (نشب) مال (شجن) حزن والشجن أيضا الحاجة (مراعاة) حفظ (يفن) شيخ كبير (موصولا) أى متصلا (بخفض) عيش هنىء (غض) ناعم جديد (غشى) قصد ودخل (معهد) موضع يعهد بجلوسه (وهم غبى) غلط جاهل (قوله املاء رسالته) أى القائها عليه ليكتبها (جلى) كشف (الهيجاء) الحرب وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب (بسالته) شجاعته (أوسعته) كثرت له (حفاوة) اكرام و (الطول) الانعام (الشعوب) القبائل واحدها شعب بفتح الشين وهو الاب الكبير تعلب الشعب الاب الاكبر الذى ينتهون اليه والقبيلة دونه (نجاره) أصله (الشعاب) الطرق فى الجبال (وجاره) جحره وأراد بيته لانهم سألوه من أى قبيلة هو وعن مسكنه فى أى موضع هو (قوله غسان أسرتى) أى هذه القبيلة أصلى وقرابتى (الصميمة) الصريحة الخالصة (تربتى) بلدتى (اشراقا) ضياء ونقاء من العيب (جسيمة) عظيمة (الفردوس) الجنة سميت بذلك لعرائشها والفردوس المعرش من الكرم (مطيبة) أى سروج مثل الجنة فى طيب الهواء وفى نزهتها وحسنها وفى قدرها وأراد بالبيت غسان وبالربع سروج أو يريد بيته فى غسان فى الشرف كالشمس ومنزله فى سروج كالجنة فى طيبها ونزهتها وقد قال فى أخرى

من رآها قال مرسى　　جنة الدنيا سروج

ومثل قوله فى البيت مثل الشمس قول أبى الطمحان القيسى

وانى من القوم الذين هم هم　　اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب　　بدا كوكب تاوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم　　دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(وقال حسان بن ثابت)

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم　　شم الانوف من الطراز الاول

وزاد عليه فى الاضاءة والاشراق حجة بن المضرب فقال

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت * لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس فى علو الهمة وتبعيد منازلها من منازل الكواكب حيث يقول وعزمة بعثتها همة زحل * من تحتها بمكان الترب من زحل

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة وهذا من غلو المتنبى الذى يخرج به عن الناس حتى يعاب لانه لو جعلها مع زحل فى منزلة واحدة كما جعل الحريرى منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية وزاد على غيره فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل كما يعلو زحل على الارض ومن هذا الافراط فى شعره كثير وأكثر النقاد يعيبون عليه وبعد هذا فمعجزاته فى الشعر زاد بها على المتقدمين والمتاخرين عند الاكثر فلا يجارى فى كثير منها (واها) تعجبا كأنه قال ما أعجب ما كان عيشى بها (عميه) كثيرة (أسحب مطرفى) أى أجر ثوبى المعلم فى طرفه اعجابا بنفسى (أختال) أمشى الخيلاء متكبرا (برد الشباب) ثوب الفتوة (أجتلى) أنظر (الوسيمة) الحسان و(النوب والحوادث) والنوازل والمصائب كلها بمعنى واحد وهى ما ينوب الانسان أو يحدث عليه أو ينزل به أو يصيبه من البلاء بعد العافية (المليمة) التى تأتى بما يلام عليه (كربى المقيمة) همومى الثابتة (مهجتى) نفسى وأصلها دم القلب (تقتاده) تسوقه (برة) حلقة من صفر تجعل فى وترة أنف البعير يذلل بها (الصغار) الذلة (العظيمة) داهية يستعظم أمرها (والهضيمة) المحقرة لشأنه عند الناس فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد ويذلل بالبرة وبالعظيمة سؤاله الناس وبالهضيمة احتقارهم له اذا سألهم فيردونه خائبا (والسباع) هنا الاسود (تنوشها) تتناولها وتخدشها (والضباع) جمع ضبع وهو نوع من سباع الارض وهى مضادة فى الخلقة لسبع الاندلس لانها عظيمة الكفل والفخذين رقيقة الصدر وهذا السبع أزل عظيم الصدر والضبع عظيم البطن ولذلك سمى حضاجر بالجمع والحضجر العظيم البطن والحضجر الوطب الكبير من اللبن ويشبه به العظيم البطن وهى عرجاء مثل هذا السبع ويضرب بحمقها المثل فيقال أحمق من ضبع وأحمق من أم عامر وهى كنيتها ومن حمقها ان الصائد يدخل وجارها فيقول لها خامرى أم عامر ومعناه الجئى الى أقصى مغارك واستترى فتنقبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول ابشرى ام عامر بكمر الرجال أبشرى أم عامر بشاة هزلاء وجراد عضلاء فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ولو شاءت ان تقتله لامكنها ولا يدخل عليها الاعريانا وان دخل بثوب قتلته ثم يخرج لاصحابه بالحبال وهم على فم الوجار باسلحتهم فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها * ومن حمقها انها تترك جراءها اذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء أخرى قد خرجت أيضا لذلك وتركت جراءها فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها فربما ضاعت جراؤها فا كلها الذئب قال الشاعر

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت * بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد والضباع لا تفترس شيأ انما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته وليس لها بالنهار كبير عمل قال الهذلى

تبيت الليل لا يخفى عليها * حمار حيث جر ولا قتيل

(قوله المستضيمة) أى المذلة والضيم الذل يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالاسود والضباع

واها العيش كان لى
فيها ولذات عميه
أيام أسحب مطرفى
فى روضها ماضى العزيمه
اختال فى برد الشباب
وأجتلى النعم الوسيمه
لا أتقى نوب الزمان
ولا حوادثه المليمه
فلو آن كربا متلف
لتلفت من كربى المقيمه
أو يفتدى عيش مضى
لفدته مهجتى الكريمه
فالموت خير للفتى
من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار
الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها
ايدى الضباع المستضيمه

(ذكر الضبع)

فقال ان الضباع المحتقرة عند الاسود تتناول الاسود بالضرر وكذلك الزمان يرفع الحقير والهين ويكثر رزقه ويضع الرفيع ويقتر عليه ويملك الهجناء والاراذل الخطط الجسام ويجرع النبلاء والاعيان غصص المخازى وكؤس الحمام وهذه أحوال مشاهدة تنسب الى الدهر لوقوعها فيه وقدرها البارى عزوجل اختبارا للعباده وليبصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه وان الكل تحت قهره وان كل انسان من أهل الحزم والرأى عاجز عن ادراك مالم يقدر له وقال محمد بن الفضل

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللئاما

فهم فيها يعيشو * ن ويلحون الكراما

(وقال المعرى فى معنى بيت الحريرى)

ومن صحب الليالى علمته * خداع الالف والقيل المحالا

وغيرت الخطوب عليه حتى * تريه الذر يحملن الجبالا

(وقال يزيد المهلبى يرثى المتوكل)

علتك أسياف من لادونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد

وأصبح الناس فوضى يعجبون به * لينا صريعا تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب

من لم يعاين أبا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقه سبع

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * افناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

هكذا ينتظم سحر الكلام ويعتذر لموت الكرام وتنفى عنهم شماتة اللئام وقد أحسن الاعتذار أيضا لابى نصر بأغرب من هذا وجعله قاتل نفسه اذ لا نظير له فى شجاعته فيقتله وانما قتله أمر الله الذى لا يغالب كما قال أبو الطيب

ألا انما كانت وفاة محمد * دليلا على أن ليس لله غالب

وكذلك قوله

فان ترم عن عمر تواني به المدى * لما بك حتى لم يجد فيك مصرعا

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها حتى انثنى فتقطعا

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه وأبو نصر هو محمد بن حميد قتله بابك الجرمى ومما قال فيه حبيب وهو أشجع بيت قيل قوله

ونفس تعاف العار حتى كأنما * هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

والذنب للايام لو لا شؤمها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الا حوال فيها مستقيمه

(ذم الزمان)

(قوله والذنب للايام) نسب الذنب اليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم (تنب) ترتفع (شيمه) طبعه أى لولا شؤم الايام لم تتغير الطباع أى لو استقامت هى لاستقامت أحوال الناس فيها فكان كل انسان يدرك منها على قدر منزلته ومما قيل فى ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى ان عبد الملك بن مروان سأل مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين فقال أى الملوك رأيت أكمل وأى الزمان رأيت أفضل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم *أبو جعفر الشيبانى قال

أنا نا بوما أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة فقال ما أنتم فيه قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا ان الزمان وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله ثم أنشأ يقول

أرى حللا تصان على رجال * واخلاقا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر
أيا دهران كنت عاديتنا * فها قد صنعت بنا ما كفا كا
جعلت الشرار علينا خيارا * وأوليتنا بعد وجه قفا كا

(وقال أبو العتاهية)

كفاك عن الدنيا الذميمة مخبرا * غنى باخليها وافتقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها * وان رجال الضر فوق سنامها

(وقال ابن لنكك)

يا زمانا ألبس الاحرار ذلا ومهانه * لست عندي بزمان * انما أنت زمانه

وقال ابن الرومي
دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل في الميزان ما رجحا

وقال آخر
رب يوم بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقال آخر
لم أبك من زمن نكد أساء به * الا بكيت عليه حين أفقده
ولا جزعت على ميت فجعت به * الا ظللت بسكنى القبر أحسده
ولا ذممت زمانا في تقلبه * الا وفي زمني قد صرت أحمده

(وقال ابن أبي عيزارة)

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد تفويت غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

(وأنشد المبرد)

حياة أبي العباس زيدت بقربه * أخا ثقة قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو قضى * لكنا على الباقي من الناس اعتبا

قال عروة بن الزبير الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم أخذه أبو الطيب فقال

وشبه الشيء منجذب اليه * واشبهنا بدنيانا الطغام
ولولم يعل الا ذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام
ودهر ناسه ناس صغار * وان كانت لهم جثث عظام
وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام

ثم ان خبره نما الى الوالي فلا فامبااللآلي وسامه أن ينضوي الى أحشائه ويلي دوان انشائه فأحسبه الحباء وطلقه عن الولاية الاباء

الطغام السفلة (قوله نما) أي ارتفع ووصل (اللآلي) الدرر (سامه) كلفه (ينضوي) ينضم و(احشائه) خاصته (يلي دوان انشائه) يتولى دار كتابته أي يكون هو الذي ينشئ الكتب وينسخها الكتاب وتنفذ الى البلاد (أحسبه) كفاه (الحباء) العطاء (طلقه) منعه (الاباء)

الامتناع وقد أبيت من كذا أى امتنعت منه ويكنى به عن نزاهة النفس (عود شجرته) يريد انه كان عرفه قبل أن يتكلم وأن يعرف نفسه و (ايناع الثمرة) ادراكها ونضج ثمرتها (ايماض جفنه) اشارة عينه (عضبه) سيفه (جفنه) غمده أى أشار على أن أستره (بطين) مملوء (الخرج) وعاء معلوم وهذا كقول الشاعر

يبيتون بالدهنا خفافا عيابهم * ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وقد أخذ هذا النمط فى مقامة أخرى فقال حتى آل ذا عيبة خضراء وحقيبة بجراء أى مملوأة والى هذا المعنى أشار نصيب فى قوله

أقول لركب قافلين رأيتهم . قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثناؤها عليه أن بدت للناس مملوأة من معروفه فأتى أبو العتاهية فزاد المعنى بيانا بقوله

ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا

فاذا أتين بنا أتين مخفة * واذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(قوله فصل) أى زال رتحى (الفلج) الظفر بما أراد (الرعاية) حفظ الصحبة (الاحيا) لاثما (رفض) ترك (مترنما) مطربا أى لما خرج ممتلئ الوعاء ظافرا بما أراد دلته على ترك خدمة الامير التى كلفه فأنشد معتذرا (المتربة) أى الفقر (المرتبة) المنزلة الرفيعة وهذا البيت ينظر الى حكاية الاصمعى وقد روى راكبا حمارا فقيل له ابعد برا ذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت الا اطرافا بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا

شربنا بريق من هواها مكدر . وليس يعاف الريق من كان صاديا

يقول هذا وامثلد ى ونفسى أحب الى من ذلك مع ذهابهما أطرف الشئ وتطرفه استفاده وقيل استجاده (نبوة) ارتفاع وقلة ثبات (معتبة) سخط (يالها) تعجب كأنه قال ياعجبا لها ما أشدها (يرب) يصلح ويقوى (الصنيع) الفعل الجميل (يشيد) يرفع ويتم (رتبه) بناه وهيأه (السراب) ما يظهر نصف النهار كأنه ماء (اشتبه) أشكل (الحالم) من يرى فى منامه رؤيا وقد حلم يحلم و (الروع) الفزع يقول مثل المترفه بالخطة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميرا فانتبه فى أيدى أعاديه أسيرا أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزئير اسود ولصفير ثعابين وكذلك الامراء ان رفعوا الخديم ببعض انعامهم كدروه بتعجيل انتقامهم ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر الى الله أشكو كل يوم وليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا كان لاشك واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول اشعب الطماع قال رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قيل وكيف ذلك قال كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى فانتبهت فاذا السلح ولا بدرة قال الفنجديهى ومن أحسن ما سمعت فى هذا المعنى أبيات لطف المعانى ظريفة المبانى شرفنى بانشادها وامدنيها على السيد الاجل أبو الظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم وزارنى طيف من أهوى على وجل من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

(قال الراوى) وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره فاوحى الى بايماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شعته قاضيا حق الرعاية ولاحياله على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه
احب الى من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة
ومعتبة يا لها معتبه

ومافيهم من يرب الصنيع
ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب
ولا تأت أمرا اذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه
وأدركه الروع لما انتبه

فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيبني * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

ومن ملح هذا الباب أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة فقال أيها الامير اني رأيت رؤيا فأذن لي بقصها فقال قل فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد * في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتني بوليدة * مغنوجة حسن على قيامها
وببدرة حملت الي وبغلة * شهباء ناجية يصل لجامها

فقال له بشر كل شيء رأيته فهو عندك الا البغلة فانها دهماء قال امرأتي طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الادهماء ولكني غلطت قال البطين الشاعر قدمت على علي بن يحيي الارميني فكتبت اليه

رأيت في النوم أني راكب فرسا * ولي غلام وفي كفي دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * تحقيق ذاك وللفال التباشير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لي بالفعل تبشير

فوقع في أسفل كتابي اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم امر لي بكل ما رأيته في منامي

(المقامة السابعة البرقعيدية)

(حكى الحرث بن همام) قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله

(شرح المقامة السابعة وهي البرقعيدية)

(ازمعت الشخوص) أي عزمت على الخروج (برقعيد) بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخا (شمت) نظرت ويريد (برق عيد) مقدمات العيد التي ينظر الناس بها في اسبابه سال رجل الجنيد لماذا سمي يوم العيد فقال لان آدم لما خرج من الجنة واهبط الى الارض ثم تاب الله عليه فرده الى الجنة كان في ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لانه أعيد الى الجنة فيه قال ابن الانباري رحمه الله معنى يوم العيد الذي يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن واصله العود لانه من عاد يعود فلما سكنت الواو وكسر ما قبلها قلبت ياء فصارت من باب ميزان وميقات وهما من الوزن والوقت وكذلك الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها قلبت واوا مثل موسر وموقن وهما من أيسر وأيقن ويقولون في الجمع مياسر (المدينة) البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن اذا أقام فيه فهي فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهي مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له أطعت ويقال للامة مدينة لانها مملوكة قال الشاعر

ربت وربا في كرمها ابن مدينة * يظل على مسحاته يتركل

يعني عبدا (يوم الزينة) يوم العيد لتزين الناس فيه (قوله أظل) أي قرب ودنا حتى دخلنا في ظله (بفرضه) يعني زكاة الفطر (ونفله) يعني صلاة العيد . الفنجديهي فرض العيد صدقة الفطر ونفل العيد مثل الصلاة والغسل ولبس الجديد من الثياب ابن عمر رضي الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين . ابن عباس رضي الله عنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي

وأجلب بخيله ورجله اتبعت
السنة في لبس الجديد
وبرزت مع من برز للتعييد
وحين التأم جمع المصلى
وانتظم وأخذ الزحام
بالكظم طلع شيخ في شملتين
محجوب المقلتين وقد
اعتضد شبه المخلاة واستقاد
لعجوز كالسعلاة فوقف
وقفة متهافت وحيا تحية
خافت ولما فرغ من دعائه
أجال خمسه في وعائه فأبرز
منه رقاعا قد كتبن بألوان
الاصباغ في أوان الفراغ
فناولهن عجوزه الحيزبون
وأمرها أن تتوسم الزبون
فمن آنست ندى يديه ألقت
ورقة منهن لديه فأتاح لي
القدر المعتوب رقعة فيها
مكتوب

لقد أصبحت موقوذا
بأوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال
ومختال ومغتال
وخوان من الاخوان
قال لي لاقلالي
وإعمال من العمال
في تضليع أعمالي
فكم أصلى بأذحال
وإمحال وترحال
وكم أخطر في بال
ولا أخطر في بال
فليت الدهر لما جار
أطفا لي أطفالي
فلولا أن أشبالي
اغلالي وأعلالي

زكاة مقبولة ومن أداها بعدها فهي صدقة من الصدقات (أجلب بخيله ورجله) أي جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ضرب به المثل لاقباله وتصميمه على المجيء * (لبس) لباس وجاء في لبس الجديد حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبي مهنته لجمعته ولعيده * جابر كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة (برزت) خرجت (التأم) التحم والتصق (المصلى) موضع صلاة العيد (الزحام) الضيق لكثرة الناس (الكظم) تضييق النفس من شدة الزحام (شملتين) عباءتين والشملة نوع من الاكسية وقيل لها شملة لان صاحبها يشتمل بها أي يديرها حواليه (محجوب) مستور (المقلتين) العينين أراد أنه أعمى (اعتضد) علقها في عضده (استقاد) جعلها تقوده (السعلاة) أنثى الغول وذكرها يسمى الكعنكع وأنشدوا غولا تراعى شرسا كعنكعا * والغول جن مسكنها الصحارى تتراءى للانسان كأنها انسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك (قوله متهافت) أي متساقط لضعفه وتهافت الشيء في يدي تناثر (خافت) خفي الصوت وقد خفت الرجل اذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك وأصل خفت مات هزالا (فرغ) أتم (أجال) مشى وصرف (خمسه) أصابعه (في وعائه) يعني المخلاة التي اعتضدها وهي تعليقة يعلقها السائل في عنقه أو ذراعه ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة (أبرز) أخرج (أوان) وقت (الفراغ) قلة الشغل (ناولهن) أعطاهن (الحيزبون) المسنة القوية الخلق (تتوسم) تنظر (الزبون) المنخدع عن ماله فعول بمعنى مفعول وهو من ألفاظ أهل المشرق وأراد به الكثير الصدقة (آنست) أبصرت (ندى) كرم (أتاح) ساق (القدر المعتوب) الملوم (قوله موقوذا) أي مشرفا على الموت من شدة الاوجاع والاوجال والموقوذة في القرآن المقتولة بالخشب والوقذ شدة الضرب (أوجال) مخاوف (ممنوا) مبتلى (محتال) ماكر كثير الحيلة (مختال) متكبر (مغتال) مهلك (خوان) كثير الخيانة * ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به (قال) مبغض (اقلالي) فقري (اعمال) جد وبحث تقول أعملت الشيء في الشيء اذا جعلته يعمل فيه و(العمال) عامل وكل شيء (تضليع) افساد (أعمال) جمع عمل يريد أنه مطلوب يبحث على اعماله اذا أتى بها مجموعة فتنقض اعماله وتصير له اضلاعا بعد اجتماعها ذلك فسادها ويحتمل أن يكون التضليع من ضلعك مع فلان أي ميلك معه فأعماله تميل عن طرقها فتفسد وقيل تضليع الاعمال تثقيلها قال الازهري رحمه الله ضلع الدين ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله وفي الحديث أعوذ بالله من ضلع الدين (أصلى) احترق (أذحال) احقاد وعداوات (امحال) فقر (ترحال) سفر ونقلة من بلد الى بلد (أخطر) امشي متبخترا وقد خطر الرجل اذا أميل بيديه وأدبر بهما وهي مشية الشبان (بال) خلق (اخطر في بال) أمر على بال أحد ولا خاطره (جار) مال عن الحق ولم يعدل (اطفا) أمات (أطفالي) أولادي ومثله (أشبالي) * الفجيهي يقول ليت الدهر لما ظلم أولادي وجار عليهم أماتني لأتخلص فان مقاساة الولائد سبب الوقوع في المصائد قال ابن عيينة قلت لصياد أي طائر أسرع الى مصايدكم قال الذي يرق يعني الذي يطعم ولده (اغلالي) قيودي و(الاعلال) جمع عل وهو القراد الضخم وهو الذي يلصق بأخفاف الدواب وهو كثير التشبث والالتصاق لا يقلع الا بجهد فيريد بالاغلال أولاده

لانهم

لانهم قيوده فلا يسرح بسيبهم و بالاعلال انهم قد تعلقوا به يطلبون ما عنده وقال الشاعر يصف ناقته

ولو طل فى أوصالها العل يرتقى * ويقال للقراد الطلح والقينق والحمير والعل والبرام والقرشوم واللبود فى بعض اللغات (جهزت) أرسلت (آل) قريب وآل أهل أو يكون آل أمر او ساس نسا قال عمر رضى الله عنه ألنا وايل علينا أى سسنا الناس وساسنا غيرنا فيكون على هذا مقلوبا من آيل كما يل سار فى سائر (مسحب) طريق يقول لولا ذل الاولاد ما قصدت والياً ولا جررت ذيلى فى طريق ذل ويقال سحب ذيله سحبا اذا جره والمسحب موضع جره ثوبه (محرابى) مسجدى (أحرى) أحق بى (اسمالى) أثوابى الخلقة و(أسمى لى) اعزلى وأرفع لقدرى (أثقالى) همومى أو ديونى أو كثرة عيالى واحدها ثقل وثقل الشئ ثقلا ضد خف وأثقل الرجل كثر عياله (بلبالى) حزنى والبلبال وسواس الهموم (سربال) قميص و(السروال) معروف وفى الحديث أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها فقالوا انها متسرولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمتسرولات من أمتى ثلاثا يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن ومن ملح الصاحب بن عباد أن بعض الشعراء كتب له

أيا من عطاياه تعطى الغنى * الى راحتى من نأى أودنا

كسوت المقيمين والزائرين * كسا لم يخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون فى * ثياب من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له احملنى أيها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا غير هذا من الخز لاعطيناكه ثم أمر بادخاله الى الخزانة وصب تلك الخلع عليه وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح (قوله ملحمها) ناسجها ولما جعل الشعر حلة جعل لها ناسجا وراقما (ناجانى) حدثنى (الوصلة) الموصلة (استعرضت) أى نظرت وعرضتها على نفسى (تقت) اشتقت (أفتانى) أعلمنى (الحلوان) اجر الكهان وأراد اجرة العراف وهو الذى يعرف بالبلاد ثف المتلقطة أربابها فيتكونها منه بما اتفقوا عليه فمذهب مالك أن من عرف لقطة وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل ذلك فله أجرة مثله والشافعى لا يوجب له حقا سواء كان من شأنه أن يعرف باللقطة أو لم يكن تعب فى ذلك أو لم يتعب الا أن يشرط قبل الطلب (رصدتها) ارتقبتها (تستقرى) تتبع واقتريت الارض واستقريتها تتبعتها متاملا (تستوكف) تستمطر (ينجح) ينفع ويؤثر يقال نجحت الحاجة اذا انقضت ونجح طالبها اذا لم يخب وأنجح أشهر يقول ان مشيها عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها وقصد (برشح الاناء) كرم الكف يقول لم يرشح لها كف بعطية (أكدى) خاب وصعب ويقال أكدى الحافر وهو أن يحفر البئر يطلب الماء فاذا بلغ الى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على الحفر قيل له أكدى فهو مكد والكدية هى الصلابة التى يتعذر حفرها (استعطافها) تليينها القلوب (كدها) اتعبها (مطافها) مشيها

لما جهزت آمالى
الى آل ولا والى

ولا جررت أذيالى
على مسحب اذلالى

فمحرابى أحرى بى
وأسمالى أسمى لى

فهل حر يرى تخفيف
أثقالى بمثقال

ويطفى حر بلبالى
بسربال وسروال

(قال الحرث بن همام) فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجانى الفكر بأن الوصلة اليه العجوز وأفتانى بأن حلوان المعترف يجوز فرصدتها وهى تستقرى الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف كفا كفا وما ان ينجح لها عناء ولا يرشح على يدها اناء فلما أكدى استعطافها وكدها مطافها

عادت بالاسترجاع ومالت
الى ارتجاع الرقاع وأنساها
الشيطان ذكر رقعتي فلم
تعج الى بقعتي وآبت الى
الشيخ باكية للحرمان
شاكية تحامل الزمان
فقال انا لله وأفوض أمرى
الى الله ولا حول ولا قوة
الا بالله ثم أنشد
لم يبق صاف ولا مصاف
ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي
فلا أمين ولا ثمين
ثم قال لها منى النفس
وعديها واجي الرقاع
وعديها فقالت لقد عدتها
لما استعدتها فوجدت يد
الضياع قد عالت احدى
الرقاع فقال تعسا لك
يا لكاع أنحرم ويحك
القنص والحبالة

وطوفها على الناس ويحسن أن ينشد هنا في حالها لابي نواس

اذا لم يعنك الله فيما تريده * فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك * ضللت ولو أن السماك دليل

غيره

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

(عاذت) تعوذت ولاذت (الاسترجاع) قولهم انا لله وانا اليه راجعون وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما قال أحد عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا استجيب له (ارتجاع) رد (تعج) تمل وترجع (بقعتي) موضعي (آبت) رجعت (الحرمان) الخيبة والمنع (تحامل) مشقات وتحاملت في الامر تكلفته على مشقة (أفوض) أرد (لا حول) أي لا حيلة يقال ماله حيلة ولا حول وماله احتيال ولا محتال ولا محالة ولا محيلة كله بمعنى ويقال ماله محال بالفتح أي حول ومحال بالكسر أي مكر ثعلب هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك ومحل به القرآن شهد عليه بالتقصير وقال الفراء المحالة على ثلاثة أقسام هي الحيلة والتي تجعل على رأس البئر كالبكرة وواحدة محال الظهر وهي فقاره ويقال أخذت في الحولقة والحوقلة اذا قلت لا حول ولا قوة الا بالله وينتصب لا حول ولا قوة بالتبرئة وان شئت رفعتهما بالابتداء وبالله خبر قوة وحذفت خبر لا حول لدلالة الثاني عليه وان شئت رفعت حولا بالابتداء ونصبت قوة بالتبرئة وان شئت نصبت حولا بالتبرئة ورفعت قوة بالعطف على موضع لا حول وان شئت نصبت قوة بالتنوين عطفا على اللفظ (قوله صاف) أي خالص الود (مصاف) صادق في وده (معين) ماء كثير يريد صاحب كرم كثير (معين) يعين بماله (المساوي) ضد المحاسن واحدها سوء على غير قياس وقيل لا واحد لها (بدا) ظهر (الثمين) النفيس العالي الثمن يقول ان الناس قد استووا في الافعال السيئة وأراد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا اهلكوا ومعناه ان الناس في الغالب انما يتساوون في الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء لان الخير قليل قال أبو العباس التطيلي فيما يتعلق بهذا المعنى

والناس كالناس الا ان تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات في منابتها * وانما يقع التفضيل بالثمر

وقال التهامي

ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودراري
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لا خير في يمنى بغير يسار
والناس مشتبهون في ايرادهم * وتفاضل الاقوام بالاصدار

(قوله عديها) أي طمعيها (استعدتها) رددتها (عالت) أهلكت واستعار للتضييع يدا مجازا (تعسا) هلاكا والتعس الدعاء أن لا تقال عثرته (يا لكاع) يا لئيمة يا منتنة واللكاع وسخ الفرج واللكع ولد الحمار (القنص) الصيد (الحبالة) الشبكة وصفة الحبالة أن يعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف فذلك أقوى له فيعقد في أحد طرفيه عين يجري فيها الحبل ويربط في الطرف الثاني خشبة وربما حددوا طرفها ثم يأتون الى الطريق الذي يدخل منه الصيد الى الماء فيحفرون فيه حفرة فيغطونها بورق الشجر وشبهها ويفتحون عليها عين الحبل ثم يغطونها بالتراب

والزبل

والزبل حتى تصير فى طبع الارض فاذا أقبل الصيد للماء فوضع يده أو رجله فى الحفرة سقطت به وانضم على يده أو رجله الحبل فيثب فزعا ويفر فتتبعه تلك الخشبة فكلما انتفض أقبلت عليه فتضربه فى يديه ورجليه وبطنه وظهره فتوهى أعضاءه وربما كسرت يديه أو رجليه فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف موقوذا منها فيأتيه الصائد فيأخذه وأنواع الحبالة كثيرة (قوله القبس) يريد به نور المصباح و (الذبالة) الفتيلة (ضغث) حزمة من حشيش صغيرة وأصلها جماعة القضبان وشبهها من النبات يجمعها أصل واحد وكل ما جمعت عليه كفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضغث (ابالة) حزمة كبيرة والضغث على الابالة مثل حزمة الحطاب اذا حملها للبيع وجعل فوقها حزيمة صغيرة لنفسه فالكبيرة ابالة والصغيرة ضغث فكأنه قال انها خسارة على خسارة ويقال لها ابالة وابيل وابيلة وبيل وبيلة وضغث على ابالة مثل أخذه من قول الشاعر

فى كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على اباله

(وقال آخر وذكر ناقته)

ردت عوارى غيطان الفلا وبجت * بمثل ابالة من خالص الشعر

(وهذا مثل قول حبيب)

فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت أمسكته جوانبه

(قوله انصاعت) أى ذهبت نافرة وانثنت مسرعة وكل ما ثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعا وكذلك اذا جمعته وفرقته فذهب عنك بسرعة وصاع الشجاع القوم فى الحرب اذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ففروا سراعا متفرقين وكل نافر مسرع منصاع قال ذو الرمة فى الحمر

فرت من الرامى فانصاعت * والويل هجيراه والحرب

(تقتص) أى تتبع (مدرجها) طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ويقال درج الشيخ والصبى درجا ودرجانا اذا تقاربت خطاهما والمدرج الموضع الذى درجا فيه والمدرجة قارعة الطريق (تنشد) تطلب من نشدت الضالة و (مدرجها) رقعتها ويقال أدرجت الكتاب والثوب طويتهما (القطعة) عند أهل المشرق الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس يعمدون الى دراهمه فيقطعونها قطعا فهى صرفهم وبها يتصدقون فأراد أنه قرن برقعة الشعر درهما وقطعة من الخندوس وقال لها ان خبرتنى بقائل الشعر فخذى الدرهم أجرة وان أبيت أن تعرفينى به فخذى القطعة صدقة وانصرفى (المشوف) المصقول المجلو والشوف الجلاء و (المعلم) المنقوش ونقشه علامته وقيل هو الذى عليه علامة الملك وأخذه من قول عنترة

ولقد شربت من المدامة بعدما * ركد الهواجر بالمشوف المعلم

(بوحى) تكلمى (المبهم) المغلق الملبس (أبيت) امتنعت (اسرحى) أذهبى (استخلاص) تخليص واستخلص الشئ جعله خالصا (التم) الكامل (والابلج) النقى الابيض وفعله ابلاج كاحمار (الهم) الكبير الذى يهم به من رآه وشيخ هم مسن والهم الرقيق النحيف وهو من همته النار اذا أذابته وهممت الشحم أذبته (استطلعتها طلعه) استخبرتها خبره وسألتها أن تطلعنى عليه وتقول استطلعت طلع الشئ اذا حاولت الاطلاع عليه وأردت معرفة خبره الذى تطلع منه عليه وطلع بالكسر (بردته) ثوبه (وشى) زين ورقم (خطفت) أخذت بسرعة (الباشق) من جوارح الطير

والقبس والذبالة انها الضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتنى قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت فى المشوف المعلم وأشرت الى الدرهم فبوحى بالسر المبهم وان أبيت أن تشرحى فخذى القطعة واسرحى فمالت الى استخلاص البدر التم والابلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدالك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من أهل سروج وهو الذى وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق

(مرقت) خرجت بسرعة (الراشق) الذى يرشق الصيد اى ينشبه و يكون الراشق بمعنى المرشوق كقوله تعالى من ماء دافق أى مدفوق (قوله خالج) أى داخل وجاذب (تأجج) اشتعل (كربى) همى والتأجج التفعل من الاجيج وهو تصويت النار ولهبها اذا اشتعلت وعظمت (آثرت) اخترت وفضلت وآثرته بكذا فضلته به والايثار المصدر (أفاجيه) آتيه بغأة وهو لايشعر (أناجيه) أحدثه (أعجم) أجرب (فراستى) نظرى وجعل لها عودا مجازا (تخطى رقاب الجمع) الجواز على أعناق الناس خرج الترمذى فى النهى عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم (عفت) كرهت (يتأذى) يصيبهم أذى (يسرى) يصل (اللوم) ضد الحمد وهو أن تأخذ الانسان بلسانك ذما لما فعل (سدكت) التصقت ولزمت (قيدعيانى) غرض نظرى أى قيدت نظرى فيه (انقضت) تمت (حقت الوثبة) أى وجبت القفزة اليه (خففت) أسرعت (توسمته) نظرته (التحام) التصاق وانعلاق (ألمعيتى) ذكائى وصدق ظنى والالمعى هو الذى يظن بك الظن ولا يخطئ وهو اليلمعى من اللمعان كانه يلمع لذكائه وجودة فطنته وقال أوس

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

فلا يبين أحد الالمعى باحسن مما بينه أوس فاذا سئلت ما الالمعى فانشد بيته تأت بالجواب الشافى و (الفراسة) ان تنظر الشئ فتستدل بظاهره على باطنه وبما حضر على ما غاب وقيل الالمعية ان ترى الشئ على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أنمر أو بما يريد أن يفعله فالالمعية فى البعد والفراسة فى القرب وكيف اختلفت الالمعية والفراسة فالظن الصادق يجمع بينهما و (ابن عباس) رضى الله عنه هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى السنة التى مات فيها ما بين ثمان وستين فى الاقل وأربع وسبعين فى الاكثر وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الامة وضرب على قبره فسطاط روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقها وفى حديث آخر اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وكلها أحاديث صحاح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع وفور جلة الصحابة رضى الله عنهم وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول ابن عباس فتى الكهول له لسان سول وقلب عقول * عبد الله بن عبد الله ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا ولا أثبت نظرا من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين * عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والانساب والشعر * عطاء كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والانساب وناس يأتون لايام العرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه فما منهم صنف الا يقبل عليهم بما يشاؤن * مسروق كنت اذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا تحدث قلت أعلم الناس * أبو وائل خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت

ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبى ان أبا زيد هو المشار اليه وتأجج كربى لمصابه بناظريه وآثرت أن أفاجيه وأناجيه لاعجم عود فراستى فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطى رقاب الجمع المنهى عنه فى الشرع وعفت أن يتأذى بى قوم أو يسرى الى لوم فسدكت بمكانى وجعلت شخصه قيد عيانى الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة خففت اليه وتوسمته على التحام جفنيه فاذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس وفراستى

* (ترجمة ابن عباس رضى الله عنهما) *

أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ولو سمعته فارس والترك والروم لاسلمت * طاوس أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا ابن عباس خالفوه فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا الى قوله * ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس ولو أدرك اسناننا ماعاشره منا رجل * يزيد الاصم خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم * القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر وذكر أبو العباس في الكامل أن عمرو بن أبي ربيعة أنشده قصيدته

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

فحفظها من سمعها وهي ثمانون بيتا * مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما رأيت جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا لي بالحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وروى عنه انه رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك فعمي بعد ذلك في آخر عمره وهو القائل في ذلك ويروى لحسان رضي الله عنهما

فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قصى

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور

قلب ذكي وعقل غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

نظر اليه الحطيئة في مجلس عمر رضي الله عنهما فقال من هذا الذي برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه فقيل له عبد الله بن عباس وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنهما

اذا ما ابن عباس بدا لك وجهه * رأيت له في كل أحواله فضلا

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بمنتظمات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

ونظر اليه معاوية يوما يتكلم معه فأتبعه بصره فقال متمثلا

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * مصيب ولم يثن اللسان على هجر

يسرّف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائرا أبيض خرج من قبره فتأولوه علمه خرج الى الناس وقيل دخل قبره طائر أبيض فقيل هو بصره قال أبو الزبير مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل في نعشه حين حمل فما رؤي خارجا منه وفضائله كثيرة مشهورة فلنقتصر منها على هذا القدر (وأما

(ترجمة اياس القاضي)

اياس) فهو أبو واثلة بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال بن رباب المزني قاضي البصرة وسبب قضائه أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب الى عدي بن ارطاة عامله على البصرة ان اجمع اياس بن معاوية المزني والقاسم بن ربيعة الحارثي فول القضاء أنفذهما وأفقههما فجمع بينهما فقال كل واحد ان صاحبه أنفذ وأفقه فقال له اياس سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا لأفقه مني وأعلم بالقضاء مني فان كنت كاذبا

فما عليك أن لا تولينى وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها و ينجو مما يخاف فقال له عدى أما انك اذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه وقال اياس رحمه الله أرسل الى ابن هبيرة فأتيته فسألنى فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيأ قلت أنا بها أعرف قال انى أريد أن استعين بك على عملى قلت ان فى خصالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهى قلت أنا دميم كما ترى وأنا عيى وأنا حديد قال أما دمامتك فانى لا أريد أن أحاسن بك الناس وأما العى فانى أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قم فولانى القضاء وأعطانى عشرة آلاف درهم فهى أول مال تمولته ودخل عليه عدى بن ارطاة فى مجلس القضاء وعدى أمير البصرة وكان أعرابى الطبع فقال ياهناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لاهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فبم تحكم قال بأن لا تخرجها قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك وأول ماظهر من ذكائه أنه دخل دمشق وهو غلام فتقدم مع شيخ عند قاضيها فصال اياس بحجته على الشيخ فقال له القاضى انه شيخ كبير فخفض كلامك فقال له اياس الحق أكبر منه فقال له القاضى اسكت فقال ومن ينطق بحجتى فقال له القاضى ما أراك تقول حقا فقال له اياس لا اله الا الله أحق هذا أم باطل فدخل القاضى من فوره الى عبد الملك بن مروان فأعلمه بما رأى من ذكائه فقال له عبد الملك اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق الى بلاده لئلا يفسد على أهل الشام ولما دخل عبد الملك البصرة رأى اياسا وهو صبى وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال عبد الملك أف لهذه العثانين أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه وقال كم سنك فقال سنى أطال الله بقاء الامير سن اسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة * وأما ذكاؤه وفراسته فقد ألف فى ذلك المدائنى كتابا سماه كتاب زكن اياس والزكن التشبيه يقال زكن عليهم وزكم شبه وخيل وقيل الزكن الظن والتفرس ومن زكنه أنه اختصم اليه رجلان فى قطيفتين حمراء وخضراء فقال أحدهما دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتى ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجنب قطيفتى ثم دخل واغتسل فخرج قبلى وأخذ قطيفتى فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ائتونى بمشط فأتى به فسرح رأس هذا ثم هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر أخضر فقضى بالاخضر لصاحب الاخضر وبالاحمر لصاحب الاحمر وأتى المدينة فصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه أهله حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه معلم وأخرى تزعم أنه قاض ثم وجهوا اليه رجلا فاخبره خبرهم فقال أصاب الذين ذكروا انى قاض ورويدا أخبرك عن القوم أما الذى من صفته كذا فهو كذا وأما الذى يليه فهو كذا وأما ذاك الشيخ فانه نجار فقال الرجل فى كلهم والله أصبت الا فى الشيخ فانه من قريش فقال اياس وان كان من قريش فقام الرجل

الى أصحابه فقال قد جئتكم من عند أعجب الناس والله ان منكم من أحد الا أخبرنى بصناعته الا هذا فزعم أنه نجار فقال صدق والله انى لانجر عيدان جوارى يعنى عود المزمار ونظر الى ثلاث نسوة فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فوجدن كذلك فسئل من أين علم ذلك فقال لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها فوضعت المرضع على ثديها والحامل على بطنها والبكر على فرجها وسمع نباح كلب لم يره فقال هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه عند بئر * ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال لانى وجدت اعتلافه من جهة واحدة ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب بجود حاتم وحلم الاحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب نظمهم حبيب فى بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائة وأخباره كثيرة وفيما أوردناه كفاية (قوله أهبت به) أى دعوته وأصل أهاب دعا لنفسه من بعد وقيل الاهابة دعاء الابل للشرب (والقرص) رغيف صغير سمى قرصا كأنه قرص من العجين أى قطع والتقريص التقطيع (هش) خف فرحا و (العارفة) يريد النعمة وهى المعروف (لبى) أجاب وقال لبيك ومصدره تلبية وهى تفعلة من الالباب وهو اللزوم ولب بالمكان وألب به اقام وأصله لبب بثلاث باآت فأبدلوا الآخر ياء استثقالا لاجتماع الامثال كما قالوا تظنيت وتمطيت فالياء فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ثم اتبعوا الابدال فى المصدر وهى تلبية فاوه ياء وقولهم لبيك معناه اجابة بعد اجابة ولزوما لطاعتك بعد لزوم (رغفان) جمع رغيف يريد أنه لما سمع بذكر الخبز فكان الخبز دعاه فاجابه (زمامه) مقوده (امامه) هاديه (الاثافى) حجارة القدر وهى ثلاث والعرب تقول رماه الله بثالثة الاثافى يعنون بها الجبل لانهم يجعلون حجرين ويلصقونهما بالجبل فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث واحدتها اثفية بالتشديد وقد تخفف وقد أثفيت القدر وأثفتها وثفيتها وتسمى العرب أثافى الحديد المنصب (الرقيب) الحافظ يريد الله تعالى (استحلس وكنى) أى دخل بيتى وجلس على حلسه وهو ما يبسط تحت بسطه يقيها الارض وفلان حلس بيته أى لازم القعود فيه وفى الحديث كن فى الفتنة حلس بيتك أى لا تدخل فيها والحلس كساء يلى ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه فشبه الذين يعرفون الشئ ويلزمونه بالحلس ومنه قولهم لست من احلاسها أى من أصحابها العارفين بها ومنه بنو فلان احلاس الخيل أى الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها واحلاس القوافى المجيدون فى نظم الشعر والوكنة النقبة فى الحائط يسكنها الطائر وقيل هى الموضع من الشجرة وغيرها يقع عليه للمبيت وهى الوكن ووكن الطائر وكنا فهو واكن اذا حضن على فرخه فلزم وكنته (عجالة مكتنى) ما تعجل وأمكن من الطعام (محجوز) ممنوع وحجزت الشئ حزته ومنعته وحجزت بين الشيئين حجزا فانا حاجز اذا جعلت بينهما حائلا والمفعول محجوز ومنه الحجاز لانها أرض حجزت بين نجد والسراة (كريمتيه) عينيه وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه الا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما كريمتاه قال عيناه (رأرأ) قلبهما وأدارهما ادارة كثيرة و (توأمتاه) كريمتاه

وأهبت به الى قرصى فهش
لعارفتى وعرفانى ولبى
دعوة رغفانى وانطلق
ويدى زمامه وظلى امامه
والعجوز ثالثة الاثافى
والرقيب الذى لا يخفى عليه
خاف فلما استحلس وكنى
وأحضرته عجالة مكتنى
قال لى يا حارث أمعنا ثالث
فقلت ليس الا العجوز قال
مادونها ستر محجوز ثم سبح
كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه

وقوله (مسح كريمتيه) يريد أنه حكهما بكفه فانتفض عنهما ما كان الصقهما به حتى التحما وقيل رأرأ أدار العين وحدد نظرها ونوأ متاه عيناه وفى الغريب المصنف رأرأت المرأة بعينها ولألأت اذا برقت عينها وأنشد ابن الاعرابى

عجبت من الحور والكريم نجارها * ترأرئ بالعينين للرجل الحبل

الحبل الداهية (الفرقدان) نجمان منيران فى بنات نعش (ابنه جت) فرحت (سيره) عاداته (يلقى قرار) يحبس سكون وطمأنينة (التعامى) استعمال العمى (المعامى) الطرق المجهولة وقيل القفار البعيدة التى تعمى فيها الآثار فلا يهتدى فيها (الموامى) القفار واحدها موماة (ايغالك) ابعادك ومبالغة دخولك (المرامى) المقاصد والبلاد التى ترميه الى بلاد أخر يقول سألته ما الذى دعاك الى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجوب البلاد البعيدة فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان (تظاهر) استعان و (اللكنة) احتباس اللسان يريد لما امتلأ فمه بالطعام لم يتسرح لسانه بالكلام فوجد ذلك علة لقطع الجواب فكانت اللكنة أعانته على ذلك (اللهنة) الطعام المعجل للضيف قبل الغداء وكل ما تعجلته قبل ادراك الطعام لهنة ولهنت الضيف عللته بذلك (قضى وطره) أتم حاجته من الاكل والوطر المراد ولا فعل له (اثار) تابع نظره وحدده (الورى) الخلق (انحائه) اغراضه (ومقاصده) والنحو القصد (لا غرو) لا عجب (يحذو حذوه) أى يفعل فعله وهذا الاعتذار عن التعامى حسن وقد تقدم اعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه ومما يعزى للحصرى فى ذلك

وقالوا قد عميت فقلت كلا * فانى اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبى * ليجتمعا على فهم الامور

(أحسن من قول بشار)

اذا ولد المولود أعمى وجدته * وجدك أهدى من بصير وأجولا

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال بشار

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدى لكم يهون

تالله ما فى البلاد شئ * تأسى على فقده العيون

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل ما أشد ما عليك فى ذهاب بصرك قال ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك * ومما أستملح من هذا الباب نشأ أعمى بين أعورين فاذا مشيا أو قعدا حاذى عورهذا عورهذا نشأ بينهما أعمى وقال المتنبى يمدح العور ويذمه فى بيت واحد

أيا ابن كروس يا نصف أعمى * وان تفخر فيا نصف البصير

فاذا انضم ابن كروس الى مثله نشأ بينهما أعمى قال الشاعر

ربيتنا أبدا أعمى نؤلفه * قد يخلق الله عميانا من العور

وقال آخر

ألم ترنى وعمرا حين نغدو * الى الحاجات ليس لنا نظير

اسايره

(ذكر العمى وما يتعلق به)

فاذا مرا جاوجهه يقدان
كانهما الفرقدان فابتهجت
بسلامة بصره وعجبت من
غرائب سيره ولم يلقى قرار
ولا طاوعنى اصطبار حتى
سألته ما دعاك الى التعامى
مع سيرك فى المعامى وجوبك
الموامى وايغالك فى المرامى
فتظاهر باللكنة وتشاغل
باللهنة حتى اذا قضى وطره
أثار الى نظره وأنشد
ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى أخو عمى
ولا غرو ان يحذو الفتى حذو
والده

أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

«(وقال آخر فى أعور وعوراء تعاشقا)»

هى عوراء باليمين وهذا * أعور بالشمال وافق شنا

بين شخصيهما ضرير اذا ما * قعدت عن شماله تتغنى

«(فأما قول جميل اليشكرى فى صفة الذئب)»

وأعور من عيناه ان شاء مرة * وان شاء من يسراه ما كان راقدا

لقد فزت دون العور أوس برتبة * وأعطيت نابا يفلق الصخر باردا

فانما وصفه بشدة الحذر وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد بن ثور

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقال ابن المعدل اشتهى فى المقلة القبلا * لا كثيرا يشبه الحولا

واحمرار الخد من خجل * انى استحسن الخلا

وقال آخر وأحول ذى حركه * يملأ بيتى بركه

يريد انه يرى من الشىء اثنين كما قال الآخر

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة * والواحد اثنين مما بورك البصر

لان هذا يصف الكبر واعتذر القاضى أبو محمد عبد الوهاب عن الحول فاحسن حيث يقول

حمدت الهى اذ بليت بحبها * وبى حول يغنى عن النظر الشزر

نظرت اليها والرقيب يظننى * نظرت اليه فاسترحت من العذر

فقوله رفع عنه ثقل مؤنة التكلف الذى ذكر الآخر حين قال

ولما التقينا والعيون نواظر * وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف

تنزهت فى خديك من نظر خفى * ومازلت أخفى الوجد ضعفا على ضعف

فان غفل الواشون فزت بنظرة * وان نظروا نحوى نظرت الى كفى

فلذلك حمد الله على الحول وقال الناشى فى هذا المعنى فأحسن

يتناقلان اللفظ من جفنيهما * فكأنما يتناسخان كتابا

واذا سهت عين الرقيب تخالست * كفاهما خلس السلام سلابا

وللقاضى أبى محمد أنشدنا بعض أشياخنا عبد الوهاب البيت الثانى والآخر من القطعة الثانية وكان كثيرا ما يحرضنا بها على الطلب ويسلينا عن الغربة

ومحجوبة فى الخدر عن كل ناظر * ولو برزت بالليل ما ضل من يسرى

أقول لها والدمع يغلب صبرها * أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر

سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر

أليس من الحرمان ان لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ولم ينشدنا البيت الاول ولا الاوسط وهما من القطعة وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه فهو منقول من مقامة البديع يقول على لسان عيسى بن هشام ثم فارقهم وتبعته وعرفت انه لسرعة ما عرف الدينار فلما انتظمتنا خلوة مددت يمناى الى يسرى عضديه فقلت والله لتريني سرك

أولا هتكن سترك ففتح عن توأمتيه وحدر لثامه عن وجهه فاذا والله أبو الفتح الاسكندرى فقلت له أنت أبو الفتح فقال

أنا أبو قلمون * فى كل لون أكون * اختر من الكسب دونا * فان دهرك دون
زج الزمان بحمق * ان الزمان زبون * لا تكذبن بعقل * ما العقل الا الجنون

وعتب الحريرى على العمى فائق فى النثر وشعره فى الاعتذار عنه رائق فى النظم وهو على انطباعه فى القصيد اذا أتى بالبيتين أتى بالعجب وهو فى ذلك كما قيل فى أبى منصور الثقفيه اذا رمى بزجيه قتل (قوله المخدع) هو بيت داخل بيت قال ابن الانبارى هو الخزانة فى جانب البيت وهو من خدع اذا توارى واستتر واخدعه اخداعا أخفاه فمن ضم ميم مخدع فهو من أخدع ومن فتح فهو من خدع وخدع الضب فى جحره خدعا دخله خوفا من صائده (الغسول) الاشنان وهو المقاوة ويقال أيضا الغاسول وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول (يروق) يعجب و(الطرف) العين و(ينقى) ينظف و(البشرة) ظاهر الجلد و(النكهة) رائحة الفم ونكهت الرجل أنكهه وأنكهه والفتح أقل واستنكهته كله شممت فاه قال الشاعر

نكهت مجالدا فشممت منه * كريح الكلب مات حديث عهد

و(اللثة) اللحم على الاسنان (نظيف الطرف) نقى الوعاء (أريج العرف) عطر الرائحة والارج فوح الطيب وأرج المسك فاح (فتى الدق) طرى الكسر (ناعم) حسن قد بولغ فى سحقه يريد انه فى الحال الذى يسحق يستعمل (الناشق) الشام (والذرور والكافور) من انواع الطيب والذرور هو المعروف بالذريرة والذرور أيضا غبار يذر فى العين وكله مأخوذ من الذر وهو التفرق لان أجزاءه تفترق عند سحقه وفعله ذر واصله ذرر والكافور مأخوذ من الكفر وهو التغطية فلشدة فوحه وحده يستر رائحة غيره من الطيب و(اللامس) الذى يمسه بيده (الخلاله) عود رقيق يخرج به الطعام من خلل الاسنان (انيقة الشكل) معجبة الهيئة وشكل الشئ هيئته التى هو عليها و(مدعاة) داعية والهاء للمبالغة (نحافة الصب) رقة العاشق و(العضب) السيف القاطع (آلة) عدة وأداة يريد انها محددة مصقولة مثل آلة الحرب ويروى آلة بالتشديد وهى الحربة (لدونة) لين (نحافة الصب) ليس هو تشبيها حقيقيا وانما أراد انها أخذت من العاشق نحافته ومن العضب صقالته ومن الغصن لدونته ولو شبه الخلالة فى الرقة بالعاشق ونحوله لكان جائزا وكان من التشبيه المقلوب وكلاهما بديع فى بابه والخلالة التى ذكر أصلها نبات لشجير فى الصيف وتطلع له رؤس يكون فى الواحد منها عدة من قضبان رقاق فيمسك الرجل منها فى جيبه رأسا فمتى أكل طعاما نزع منها قضيبا فتخلل به ويعرف هذا النبات عندنا بالبستنيح فيحتمل أن يكون هذا بعينه هو الذى عندهم فى المشرق والا فصفته التى وصفت موجودة فى البستنيح من الرقة والصفاء واللين والحدة وجاء فى الحديث النهى عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقوا أفواهكم بالخلال فانها مسكن الملكين الكاتبين الحافظين وان قلمهما اللسان ومدادهما الريق وليس عليهما شئ أشد من فضول الطعام * أبو أيوب قال صلى الله عليه وسلم حبذا المتخللون فى الوضوء والطعام * أبو هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم من أكل فليتخلل فما تخلل فليلفظ وما لاك بلسانه فليبتلع والخلالة

ثم قال انهض الى المخدع
فأتنى بغسول يروق الطرف
وينقى الكف وينعم البشرة
ويعطر النكهة ويشد اللثة
ويقوى المعدة وليكن نظيف
الظرف أريج العرف
فتى الدق ناعم السحق
يحسبه اللامس ذرورا
ويخاله الناشق كافورا
واقرن به خلالة نقية الاصل
محبوبة الوصل أنيقة
الشكل مدعاة الى الاكل
لها نحافة الصب وصقالة
العضب وآلة الحرب
ولدونة الغصن الرطب

اذا بلغت من رقتها أن تقع بين الاسنان فالعاشق اذا بلغ الغاية فى النحول هو الذى يشبه بها كما قال فى التاسعة فى وصف الصبى الهزيل من الجوع ولى منه سلالة كانها خلالة وأخذه من قول ديك الجن ارحم اليوم ذلتى وخضوعى * فلقد صرت ناحلا كالخلال

وقال أبو الطيب روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر والتشبيه المقلوب عندهم شئ مستطرف ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

فقلب التشبيه لان العادة أن تشبه الاعجاز بكثبان الرمل كما قال الآخر

*مثل قضيب تحته كثيب * وكما قال الآخر

وبيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الازر رملات عالج

وأخذه وجود الصنعة حبيب حيث قال

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز من كثب

علق قوله من قضب تهتز بأحرزت يلح لك بديع صنعته بسرعة فانه أراد كم أحرزت قضب الهند وهى السيوف اذا أصلتت من اغمادها وهزت من قضب أى قدود نساء تهتز من كثب أى أكفال شبه أكداس رمال وما أعذب وأطرف قول البحترى

أين الغزال المستعير من النقا * كفلا ومن نور الاقاحى مبسما

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه فقلب ذو الرمة العرف والعادة فشبه كثبان النقا بأكفال النساء وتبعه خالد الكاتب وغيره حدث جحظة قال حدثنى خالد الكاتب قال جاءنى يوما رسول ابراهيم بن المهدى فسرت اليه فرأيت رجلا اسود على فرش قد غاص فيها فاستجلسنى وقال أنشدنى من شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض

عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض

ونازعنى كأسا كأن حبابها * دموع لما صد عن مقلتى غمضى

وراح وفعل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فانشدته عاتبت نفسى فى هوا * ك فلم أجدها تقبل

وأطعت داعيها اليـ * ـك ولم أطع من يعذل

لاوالذى جعل الوجو * ه لحسن وجهك تمثل

لاقلت ان الصبر عنـ * ـك من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش ثم قال زدنى فأنشدته

عش فحبك سريعا قاتلى * والضنا ان لم تصلنى واصلى

فانا بين اكتئاب وضنا * تركانى كالقضيب الذابل

فبكى العاذل لى من رحمة * فبكائى لبكاء العاذل

فاستخف طربا ثم قال يا بليق كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون دينارا قال اقسمها بيني وبين خالد فدفع الى نصفها وقد سبق الى قوله كأنه خدود قال المفضل دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيا تشبهه به فأنشأت أقول

كأنه خد معشوق يقبله * فم الحبيب وقد أبقى به خجلا

وقالت الجارية كأنه لون خدي حين تدفعني * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور ولقد أحسن ابن الرقاق في قوله ورياض من الشقائق أضحت * تتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زاهرات تروق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال البحتري في طلعة الشمس شيء من ملاحتها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وقال ابن المعتز سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين في الشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب

وأستطرد الى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذي ذكرنا فأقول اذا صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر

أنحلني الحب فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

قد كان لي فيما مضى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبي بكر بن دريد

ان الذي أبقيت من جسمه * يا متلف الصب ولم يشعر

صبابة لو أنها قطرة * تجول في جفنك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب باضعاف فينقلب التشبيه وكذلك اذا بولغ في وصف الاكمال بالعظم صغرت عندها الكثبان فينقلب التشبيه وقد ترجم ابن جني في خصائصه ترجمة فقال هذا باب من غلبة الاصول الفروع ثم أنشد بعض ما أنشدناه وقرنها بمسائل من العربية حسان تشبه الباب وللمتقدمين والمتأخرين في النحول شعر كثير ويستحسن في ذلك قول المجنون فأصبحت من ليلى العداة كناظر * مع الصبح في اعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

أخذه المؤمل فقال قد صرت من ضعفي الى حالة * تجري لها آماق حسادي

يكاد جسمي من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوادي

وزاد خالد الكاتب فجعله لا يدرك الا بالوهم فقال

يا من تجاهل عما كان يعلمه * عمدا وباح بسر كان يكتمه

غدا خليلك نضو الاحزان به * لم يبق من جسمه الا توهمه

فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال

دسم ... النفر بق في أمله * أصناه سيده طلما عرتحله

فدق حتى لو آن الدهر قاداه * حتفا لما أبصرته مقلتا أجله

فاعدمه

فاعدمه المنبي واستريح منه فقال

أراك حسبت السلك جسمي فعقته * عليك بدرّ من لطاء الترائب

ولو قلم ألقيت في شق بريه * من السقم ما غيرت من خط كاتب

(قوله أدرأ) أي أزيل (العمر) الود (أهم) أظن ويذهب وهمي (تطنيت) حسبت وأبدل احدى نوني ظنّ ياء تخفيفا للتضعيف (سخر) هزأ (الملتمس) المطلوب (الجو) هنا داخل البيت (أجفلا) هربا وأسرعا (قوله استشطت) اشتد غضبي (مكره) خداعه (أوغلت) بالغت وباعدت (قس) غمس (عرج به) طلع به (عنان) بفتح العين سحاب والعنانة السحابة وأعنت السماء صار لها عنان والله الموفق للصواب

(شرح المقامة الثامنة وهي المعرّية) *

(معرّة النعمان) هي بلدة بالشأم والنعمان اسم جبل مطل عليها والمعرة اسم البلدة فأضيفت اليه ولها سبعة أبواب وعلى جبل منها دير سمعان فيه قبر عمر بن عبد العزيز وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها وداخلها قبر يوشع بن نون وله يوم حفيل في كل عام والى المعرة ينسب الشاعر المعري قال شيخنا ابن جبير انه خرج من قنسرين يريد حمص قال فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من أخصب البلاد وأكثرها أرزاقا ووراءها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفي سفح الجبل حصون للملحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادّعت الالهية فيض لهم شيطان يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موّه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها فاتخذوه الها يعبدونه ويبذلون الانفس دونه حصلوا من طاعته بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى المأمور والله يضل من يشاء (قوله الاطيبان) أي الاكل والنكاح أي هو شيخ مسن وقيل الاطيبان النوم والنكاح وقيل طيب النكاح وطيب السكهة أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الاطيبان التمر واللبن وسئل شيخ مسن من العرب عن حاله فقال ذهب مني الاطيبان السير والأثر وبقي الارطبان الضراط والسعال و(البان) شجر تشبه بقضبانه القدود الناعمة (المتقاضي) أي المتحاكم الى الذي يطلب من الحاكم قضاءه وعونه على خصمه وهذا الغرض الذي ذكره ضرب من الالغاز لانه مشى كلامه في وصف جارية وغلام وقد ضمن الكلام وصف ابرة ومرود (مملوكة) يعني الابرة جعلها مملوكة لانها مما تمول (رشيقة القد) معتدلة القامة (أسيلة) ملساء خدّ الابرة شق فيه ثقبها وأصل الاسالة دقة مستطيل في الارض والاسالة ملاسة مع طول (صبور على الكد) أي صابرة على المشقة والتعب وفعول بمعنى فاعل يمتنع من الحاق الهاء به اذا وقع صفة لمؤنث قال عنترة

انى امرؤ سهل الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

ومنه امرأة شكور وصبور ولجوج وحكى أبو محمد خواص العراق بقولهم شكورة ولجوجة وصبورة وقال ان هذه الهاء انما تدخل في فعول اذا كانت بمعنى مفعول نحو ناقة ركوبة وشاة

قال فنهضت فيما أمر لأدرأ عنه العمر ولم أهم الى أنه قصد أن يخدع بادخالي المخدع ولا تطنيت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في اثره طلبا فكان كمن قس في الماء أو عرج به الى عنان السماء

(المقامة الثامنة المعرّية) *

(أخبر الحرث بن همام) قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد

حاوية قال وذكر النحويون فى امتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل للمؤنث عللا أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذى تخصصت به فأسقطت الهاء من صبور وفتاة معطار وتظائره كما ألحقت بصفة المذكر فى رجل علامة ونسابة لتدل على تحقيق المبالغة وتؤذن بحدوث معنى زائد فى الصفة وامتناع الهاء المذكورة أصل مطرد الاعدوة فانهم ألحقوه بصديقة والشئ فى أصول العربية يحمل على ضده ونقضه كما يحمل على نظيره ورسله (تخب) تشب فى الثوب بسرعة (النهد) الفرس الضخم (أطوارا) احيانا ودهدهة تمر الخائط الذى يمسك فيه ابرته (تموز) أحد الشهور وهو يوليه و(البرد) أن يبردها الحداد بالمبرد لتقومها ويعدلها فالبرد هنا فعل صانعها قال ابن طفر ذهب بالبرد الى ما طبع عليه الحديد من البرد فى القيظ (قوله ذات عقل وعنان) أراد بالعنان الخيط لانها ترسل فى الخياطة والعقل شدها بالخيط حين تمسك فى الثوب (سنان) طرفها المسنون أى المحدد (كف بنان) الكف والتضريب شيآن معروفان فى الخياطة فيريد ان الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهى البنان ويكفه بالابرة (فم) يريد ثقب الابرة (تلدغ) تضرب الاصبع و(اللسان النضناض) للحية والنضنضة قيل هى صوت الحية وقيل حركة لسانها وانما اختلف فيها لان الحية اذا ضيق عليها افتحت فاها وصفرت وحركت لسانها فيقال ضنضت وشبه طرف الابرة بلسان الحية لكثرة حركته فى الثوب وما أحسن قول الشاعر فى تشبيه لسان الافعى بنور السراج

وقنديل كأن النور منه * محيا من أحب اذا تجلى
أشار على الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلى فى شمعة

يطعن صدر الدجى بعالية * صنوبرى لسان كوكبها
كحية باللسان لاحسة * ما أدركت من سواد غيهبها

وللبيتين الاولين حكاية مستظرفة حدثنى بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لامرين لشهرتها ولانى وجدت البيتين مثبتين فى بعض النسخ من القلائد لاحد رجالها ثم عزم على بعض الادباء أن أذكرها فذكرت على اختصار فائدتها وذلك ان الشاعر المعروف بالبكى الهجاء دخل عليه فى ليلة ماطرة ذات رعد وبرق فى بيت فندق دواب شخص فى الظلام لا يعرفه وعلى البكى بقية من سلهامه خلقة لا يواريه غيرها وعلى الثانى بقية من قميص قد اسود من طول البلى وكثرة الاوساخ حتى لا يعرف رائيه من أى ثوب هو وقد بلل كل واحد منهما المطر وهما فى بلاء من القر والجوع والبرد فرق لهما خادم الفندق فدخل عليهما بقنديل فعندما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيرا فى الشقاء فقال البكى لجليسه أى شئ أنت فقال شاعر وشؤم الادب بلغ بى ما ترى قال فاجز فقال وقنديل كأن النور منه فقال الآخر محيا من أحب اذا تجلى * فقال البكى * أشار على الدجى بلسان أفعى فقال الآخر فشمر ذيله فرقا وولى * فقال له البكى وقد أعجب به بمن تعرف فقال بعنق البرة قال له وأنا البكى فجعلا يتناظران بقية ليلهما فى أيهما أكثر حرمانا حتى أصبحا وكانا بتلمسان فقال عنق البرة للبكى هلم لنقترع أينا يقيم ههنا وأينا يرتحل فانا ان بقينا فى موضع واحد أدركنا الناس

من

تخب أحيانا كالنهد
وترقد أطوارا فى المهد
وتجد فى تموز مس البرد
ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف بنان وفم
بلا أسنان تلدغ بلسان
نضناض

قوله سلهامه فى نسخة سهامه وكلاهما غير مناسب ولعله محرف من مسهمة كمعظمة بردة مخططة كما فى القاموس وحرر اه مصححه

من شؤمنا ما يؤدّى بهم الى الهلاك فاقترعا فخرجت قرعة البكى بالرحيل فارتحل ونزل بقاس فحل باهلها من بلائه ما قد شهر ولمن كان البيتان فلقد أجاد وأحسن ماشاء (قوله ترفل فى ذيل فضفاض) أى عشى فى خيط طويل (تجلى فى سواد و بياض) أى تبرز فى خيط أسود لخياطة السواد وأبيض لخياطة البياض (تسقى) أراد سقى الحداد لها اذا أخرجها من النار ألقاها فى الماء لتصلب (ناصحة) خائطة والنصاح الخيط ونصحت الثوب خطته (خدعة) تخدع الخائط كثيرا فتهبط وجه الثوب الاعلى وتترك الأسفل والهاء فى هذه الصفات للمبالغة (خبأة طلعة) يصف حالها فى الخياطة حين تختبئ فى الثوب ثم تطلع فى يد الخائط (مطبوعة) أى مصنوعة لينتفع بها (مطواعة فى الضيق والسعة) يريد اذا دفعتها فى الثوب دخلت فيه سواء اتسع موضع دخولها أوضاق (اذا قطعت وصلت) يريد اذا قطعت الثوب وفصلته ألفته (فصلتها عنك) نحيتها وجعلتها فى مئبرها (خدمتك) أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك (جملت) ألفت قطع الثوب (جنت عليك فآلمت) أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم (مللت) أى جعلتك متقلبا لشدة الوجع (قوله استخدمنيها) أى طلب منى خدمتها (العرض) حاجة وأصل العرض ماقصدته سهام الرامى ثم سميت الحاجة غرضا لانها قصدت بالرغبة فيها (وسعها) طاقتها وقدر ماتحتمل مما تكلف (أولج فيها متاعه) أى أدخل فيها خيطه (أفضاها) خرق عينها وفى المرأة خلط مسلكيها من أفضيت الى الشئ وصلت الى متسعه ومنه القوم فوضى أى متسعون مختلطون (بذل) أعطى (القطا) طائر يصيح قطا قطا فسمى بصياحه وبما يفهم من صوته ولذلك تسميه العرب الصدوق ويقال أنسب من قطاة لانها اذا صاحت عرفت وقال الشاعر

تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت * ياصدقها حين تدعوها فتنتسب

حمراء مقبلة سكاء مدبرة * للماء فى النحر منها نوطة عجب

* (وقال الكميت) *

لاتكذب القول ان قالت قطا صدقت * اذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وقال أبو زجرة

مازلن ينسبن وهنا كل صادقة * باتت تباشر عرما غير أزواج

يريد أن الحمير وردت الماء ليلا فأثارت القطا عن أفاحيصه فصاحت قطا قطا فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا والعرم بيضها لان فيها سوادا وبياضا وبيض القطا افراد ثلاثة أو خمسة قال مزاحم العقيلى فى القطا وفراخها

فلما دعته بالقطاة أجابها * بمثل الذى قالت له لم يبدّل

وقال المعرى عرفت جدودك اذ نطقت وطالما * لفظ القطا فأبان عن أنسابها

وقال الاصمعى القطا لاتصيح الا اذا رأت الماء فاذا عدم الماء وسمعت العرب صياح القطا فرحوا به وعزفوا اقراب الماء من بعده وقيل سمى قطا لثقل مشيه يقال قطا الرجل يقطو اذا ثقل مشيه (قوله فرط) أى سبق (عن خطا) أى عن غير تعمد (رهنته) أعطيته رهنا وأرهنتك أعطيتك ما ترهنه و (الارش) قيمة العيب أى دية الجرح مأخوذ من أرش بين القوم لان الارش يختصم فى قدره (أوهنته) أفسدته ووهن الشئ يوهن ويهن ضعف وأوهنته أنا اذا أضعفته (مملوكا)

وترفل فى ذيل فضفاض وتجلى فى سواد و بياض وتسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة على المنفعة ومطواعة فى الضيق والسعة اذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فجملت وربما جنت عليك فآلمت ومللت وان هذا الفتى استخدمنيها العرض فأخدمته اياها بلاعوض على أن يجتنى نفعها ولا يكلفها الا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه ثم أعادها الى وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لاأرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الافضاء ففرط عن خطا وقد رهنته عن أرش ما أوهنته مملوكا لى

يعني المرود (متناسب الطرفين) أي هذا الطرف مثل هذا الطرف تكتحل بايهما شئت (القين) الحداد الذي صنعه (الدرن) وسخ الحديد والشين العيب أي هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب (يقارن محله سواد العين) أي عند التكحل به (يفشي) يحدث ويظهر واحسان الكحل في العين لا يخفى (ينشي الاستحسان) أي ينشئ للناظر العين استحسان الكحل في العين و (الانسان) انسان العين تغذيه بالكحل والانسان السواد الذي في وسط العين اذا رأيته رأيت فيه شخصا والشخص هو الانسان فسمي السواد به (يحامي) يبعد عنه يريد انه يكحل العين ولا يقرب من العمى (ان سوّد) أي جعل فيه الكحل (جاد) أعطاه العين (وسم) العين بالكحل (أجاد) عمله فيها (فلما ينكح الامنى) أي لا ينكح عينا واحدة في الغالب وقد نظم هذا الشرفي المائة والاربعين (جوده) أي يجود بكحله للعين (ويسمو) يطلع للعين وجعل له الكحل غذاء لانه يأخذ ويرتفع به للعين (قرينته) مكحلته (من طينته) من جنسه (زينته) تزيينه للعين (يطمع في لينته) أي لا يطمع أن يكون الحديد لينا وكل لفظة فسر بها المرود والابرة لها لفظ في ظاهرها غيره فسرت به (تبينا) توضحا وتفسرا حديثكما المبهم الملغز (فبينا) ابعدا وارتفعا (قوله أرفو) أي اخيط ويروى لأرتأ يقال رفأت الثوب ارفؤه ورفوته أرفوه والرفو من أدق أنواع الخياطة وهو نسج الخرق في الثوب حتى يعود كأنه لم يكن فيه خرق وقال ابن القابلة السبتي في غلام رفاء

يا رافيا قطع كل ثوب ... ويا رشا حبه اعتمادي

عدّ بخيط الوصال ترفو * ماقطع الهجر من فؤادي

(وقال الحلواني في خياط)

ربّ خياط فتنت به ، فتنة أوهنت قوى جلدي

لاعب بالخيط يفتله ... أثراه ظنه جسدي

ليت أني كنته فاري ... بين ذاك الدرّ والبرد

فعلت بالثوب ابرته ... فعل سهم الشوق في خلدي

وجرى المراض في يده * جرى عينيه على كبدي

ومن مجون أبي نواس انه كان يأكل اسمعيل بن أبي سهل فعرضت له على مائدة رقاقة في جانبها خرق قد ضم فرفعها باحدى يديه ونقرها بالاخرى فانفرجت وقال وهو يضحك أخبز كم مرفوء فلما خرج قال

خبز اسمعيل كالوشى اذا ما انشق يرفا

عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى

انّ رفاءك هذا ، ألطف الأمة كفا

فاذا قابل بالنصف من الخبز نصفا

ألطف الصنعة حتى * لا ترى مغرز اشفى

مثل ماجاء من التنور ما غادر حرفا

و (الاطمار) الثياب الخلقة واحدها طمر (عفاها البلى) غيرها القدم ودرسها (وسوّدها) بالاوساخ حتى صارت في طبع الترب فتى غسلت لم تزل ومما قالت الشعراء في الاطمار البالية مما استحسن قول الحمدوني في طيلسان وهبه له أحمد بن حرب المهلبي

متناسب الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين يفشي الاحسان ويُنشي الاستحسان ويغذي الانسان ويحامي اللسان ان سوّد جاد أو وسم أجاد واذا زوّد وهب الزاد ومتى استريد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح الامثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما أن تبينا والا فبينا فابتدر الغلام وقال
أعارني ابرة لأرفو أطمارا عفاها البلى وسوّدها

يا ابن حرب أطلت حمى برفوى ... طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العر ... ض على النار بكرة وعشيا

وقال أيضا فيه
طيلسان لابن حرب ... يتداعى لامساسا
قد طوى قرنا فقرنا ... وأنا سافانا سا
لبس الايام حتى ... لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحس حتى ... لا يرى الا اقباسا

وقال فيه أيضا
قل لابن حرب مقالة العاتب ... ولست فيما أقول بالكاذب
أما رأيت الرفاء يحزننى ... برفوه ط لسانك الذاهب
أفناه جور البلى عليه كما ... أفنى الهوى عمر خالد الكاتب

وقال فيه أيضا
ان ابن حرب جادلى كاسيا ... بطيلسان هرم قشعم
انظر الى كثرة تمزيقه ... كأنما تمزق فى مأتم
رفوى له وهو رميم كمن ... يبنى بناء فوق مستهدم
يصدعه اللحظ بايماضه ... صدع فؤاد العاشق المغرم
يذكرنى كثرة تمزيقه ... تفرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضا
يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا ... مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده الى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى
فحسبنا نسج العناكب قد جـ ... ـئن الى ضعف طيلسانك شدا

وقال أيضا فيه
يا قاتل الله ابن حرب لقد ... أطال اتعابى على عمد
بطيلسان خلت أن البلى ... يطلبه بالوتر والحقد
أجد فى رفوى له والبلى ... يلهو به فى الهزل والجد
ان أتهم الرافى فى رفوه ... مضى به التمزيق فى نجد
غنيته لما مضى راحلا ... تركتنى يا واحدى وحدى

والحمدونى هو اسمعيل بن ابراهيم بن حمدويه نسب الى جده وهو من أهل ميسان وكان حلو التصرف مليح الافتنان وهو القائل

من كان فى الدنيا له شارة ... فنحن من نظارة الدنيا
نلحظها من كسب حسرة ... كأننا لفظ بلا معنى

(وقال ابن الرومى فى طيلسانه)

ولى طيلسان ناحل غير أنه ... ثوت لهبات الرياح الزعازع
وما ذاك الا انه متهتك ... يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه ضوء الشمس بالعين رؤية ... وتنعنى من لمسه بالاصابع
شكا ثقل اسم الطيلسان لضعفه ... فسميته سابا فهل ذاك نافعى

(وقال ابن سارة فى فروة)

أودت بدا تيدى فرية أرنب ... كفؤاد عروة فى الضنا والرقة

فانخرمت فى يدى على خطا
منى لما جذبت مقودها
فلم يرا الشيخ أن يسامحنى
بارشها اذ رأى تأودها
بل قال هات ابرة تماثلها
أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق مبلى رهنا لديه ونا
هيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه ويدى
تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بدا الشرح غور مسكنتى
وارث لمن لم يكن تعودها
فأقبل القاضى على الشيخ
وقال ايه بغير تمويه فقال
أقسمت بالشعر الحرام ومن
ضم من الناسكين خيف منى
لوساعفتنى الايام لم ترنى
مرتهنا سلبه الذى رهنا
ولا تصديت أبتغى بدلا
من ابرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقنى
بعصميات من ههنا وهنا
وخبر حالى كخبرتى به
ضرا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا
نظيره فى الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مروده
لما غدا فى يدى مرتهنا
ولا مجالى لديه ذات يدى
فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتى وقصته
فانظر اليناو بيننا ولنا
فلما وعى القاضى قصصهما
رتبين خصاصتهما
وتخصصهما أبرز لهما دينارا

يتجشم الرفاء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وله فيها أيضا
لى فروة وصفى لجائحتى بها * يأتيك بين مقرط ومشنف
عطات كتب أبى عبيد بالذى * ألفت فيها من غريب مصنف
يسطو على العرم فى ترقيعها * سطو الغرام على فؤاد المدنف
فأنا وفروى خوف تزبيق لها * أحكى معاوية بجنب الاحنف

وله فى طيلسانه
وطيلسان هرم يحتمى * عليه أكل الخل والبقل
كانى كفى اذا انضمتا * عليه خوف الريح فى غل

(ولبعض أصحابه فيه)
على منكب ابن على سمل * تقطعه لحظات المقل
اذا غيم الجو أبصرته * رهين الذبول بكف البلل
نسوا طيلسان ابن حرب به * وصاروا به يضربون المثل

وله فى غفارته
لاحمد بن على * غفارة كالسراب
ان هب أدنى نسيم * تمر مر السحاب

والشعر فى هذا الباب كثير (قوله انخرمت) أى انكسرت (مقودها) خيطها (تأودها) انكسارها وأصله الاعوجاج (اعتاق مبلى) حبس مرودى (ناهيك) كافيك ومعناه المبالغة كأنه بلغ النهاية فى العيب الذى فعل (سبة) عيب يسب به (مرهى) خالية من الكحل وقد مره الرحل مرها اذا لم يتعهد الكحل والمرهى من النساء البيضاء البينة الزرق الذى يختص الكحل فى زرقها (اسبر) قس (غور) نماية وقدر (ارث) ارحم وتوجع (ايه) كلمة يستزاد بها الحديث (والتمويه) الكذب وفى الحديث كالتعمية وقد موه عليه اذا خيل له انه على شئ وهو على ضده وأصل التمويه الصقل كأن على ألفاظه المموهة صقالة وهو من لفظ الماء (المشعر) المزدلفة وهو جمع سمى مشعرا لانه من علامات الحج وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدى بمكة المفضل سمى مشعرا لانه أشعر أنه حرام كالبيت (الناسكين) الحجاج الذين يشعرون الهدى وما ينحر نسك ونسك ينسك منسكا ونسكا ونسكا اذا ذبح النسك وأصلها ذبائح الجاهلية ثم سميت الاضاحى والهدى بمكة نسكا بها والناسك أيضا الزاهد (خيف) موضع بمنى (قوله ساعفتنى) ساعدتنى (تصديت) تعرضت (غالها) أهلكها (الخطوب) الامور الشداد (ترشقنى) تصيبنى (بعصميات) بسهام قاتلة (بؤس) شدة حال (ضنا) ضعف ومرض (وهو أنا) أى هو مثلى فى ضيق الحال (مجالى) موضع تصرفى (ذات يدى) مالى وذات اليد ما يملك (العفو) الغفران (جنى) أذنب (قصتى) حديثى يقول فانظر الينا بعين الشفقة والرحمة وأصلح بيننا بما تصرف به شاكرين لك وهب لنا ما نثنى به عليك وجعل النظر عاما لا فى الجميع لان من وجوه النظر الاصلاح بينهم والتكرم عليهم (قصصهما) أى حديثهما وهو جمع قصة (خصاصتهما) فقرهما (تخصصهما) رفعهما وانقباضهما وقد تخصص الرجل اذا انقبض عن العامة وتشبه بالخاصة (أبرز) اخرج

(مصلاه) بساطه الذى يصلى عليه (افصلاه) اقطعاه وأزيلاه (استخلصه) حازه لنفسه خالصا (الجد) التحقيق (العبث) الهزل (سهم) نصيب (مبرّتى) اكرامى الذى وصلنى به القاضى (أسيل) أخرج وأعدل عنه (عرا) قصد ونزل به (حدث) ظهر (اكتئاب) حزن وهم (وجم) غضب والوجوم السكون على غضب (هيج) حرك (أسفه) حزنه (باله) فكره (بلباله) حزنه ووسواسه (رضخ) كثر العطاء (اجتنبا) باعدا (المعاملات) المعاوضات والعوارى (ادرءا) ادفعا (كيس) وعاء الدراهم (رفده) عطاؤه (يخبو ضجره) يسكن غضبه (بض حجره) رشحت كفه قال الاخطل

كف اليدين من العطية ممسك * ما ان نبض صفاته ببلال

(ينصل كده) يزول حزنه و(الجلمد) الحجر الصلب كنى به عن كفه وأنه بخيل ويد البخيل تشبه بالحجر وقال جرير

كأنما خلقت كفاه من حجر * فليس بين يديه والندى عمل

يرى التيمم فى بر وفى بحر * مخافة أن يرى فى كفه بلل

(وقال ابن عبد ربه)

يا راعة غرّنى منها وميض سنا * حتى مددت اليه الكف مقتبسا

فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا

كأنما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

أين هذه الاكف من التى ذكرها جبة بن المضرب حين قال

اناس اذا ما الدهر أظلم وجهه * فأيديهم بيض وأوجههم غر

يصونون أحسابا ومجدا مؤثلا * ببذل أكف دونها المزن والبحر

فلو لامس الصخر الاصم أكفهم * أفاض ينابيع الندى ذلك الصخر

(وقال ابو الشيص)

انّ الامان من الزمان وريبه * يا عقب شطا بحرك الفياض

بحر يلوذ المعتفون بسيله * فعم الجداول مترع الاعراض

لابى محمد المؤمّل راحتا * ملك الى أعلى العلا نهاض

فيد تدفق بالغنى لصديقه * ويد على الاعداء سم قاضى

وقال أبو تمام

تعوّد بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال البحترى

قد قلت للغيث الركام ولج فى * ابراقه وألح فى ارعاده

لا تعرضن لجعفر متشبها * بندى يديه فلست من أنداده

الله شرّفه وأعلى ذكره * ورآه غيث بلاده وعباده

(وقال ابن الرومى)

مقبل ظهر الكف وهاب بطنها * له راحة فيها الحطيم وزمزم

فظاهرها للناس ركن مقبل * وباطنها عين من الجود غيلم

(قوله غشيته) أى ذهاب عقله بأن يغشى عليه و(غاشيته) زوّاره ومن يغشى موضعه (أشرب) دوخل (حسى) ادراكى وفهمى (نبأنى) حدثنى وأخبرنى (حدسى) ظنى قال الفرّاء رحمه الله

من تحت مصلاه وقال لهما اقطعابه الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لى بسهم مبرّتى وسهمك لى عن أرش ابرتى ولست عن الحق أميل فقم وخذ المبل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب واكفهرّ على سمائه سحاب وجم له القاضى وهيج أسفه على الدينار الماضى الا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضرانى فى المحاكمات فما عندى كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضى ما يخبو ضجره مذ بض حجره ولا ينصل كده مذ رشح جلمده حتى اذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسى ونبأنى حدسى

قوله غيلم بالغين المعجمة المفتوحة منبع الماء كما فى القاموس اه مصححه

حدست أحدس اذا قلت فى الشئ برأيك * غيره حدست ظننت ظنا بلغت منه غاية الشئ فى عدده أو وزنه وأصله من قول العرب بلغت الحداس أى الشئ الذى تطلب لحاقه و(الدهاء) فى الرجل الحذق والتبصر فى الاشياء (لاخصما ادعاء) أى ليس بينهما ادعاء وعلى الحقيقة فيختصمان فيها (سبرهما) اختبارهما (استنباط) استخراج (نحرير) حاذق (زمرته) جماعته وجعله (شرارة) لنفوذ ذهنه واتقاده ولذلك يسمى نحريرا أى ماهرا بالاشياء كلها كأنه لادراكه وفهمه بالاشياء ينحرها بطلبه الصادق (خبثهما) حتى تعدهما (نفاقهما) أنفعهما (والعون) الشرطى لانه يعين من يتصرف له (مثلا) وقفا يقال مثل الشئ فهو ماثل اذا قام وانتصب واذا لطئ بالارض أو ذهب وهو من الاضداد (سن بكركما) حقيقة خبركما والبكر الفتى من الابل وسنه مبلغ عمره لان بالسن يعرف كم بلغ من العمر واللفظ المثل صدقنى سن بكره وروى البكرى عن ابن الاعرابى ان رجلا سام رجلا بكرا على ان يشتريه منه فقال البائع هذا جمل لبكره وقال المشترى هذا بكر فقال البائع بل هو مسن فبينماهما يتنازعان اذ نفر البكر فقال صاحبه ليسكن نفاره هدع هدع وهى كلمة من العرب يسكن بها صغار الابل عند نفارها ولا تقال للكبار فقال المشترى عند ذلك صدقنى سن بكره (تبعة) شرحت فى الصدر (أحجم) تاخر فزعا (أقدم) تقدم متشجعا (استقال) طلب الاقالة (الشبل) ولد الاسد (المخبر) التجربة والخبرة (تعدت) ظلمت والمتعدى الظالم المجاوز الحد فى الظلم (مال بنا) أى حطنا (نجتدى) نسأل الناس الجدا وهو العطاء (ندى الراحة) كريم الكف و(جعد الكف) ضده وأراد يسأل كل كريم سهل العطاء وكل لئيم صعبه وأصل الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لنبض الكف من اللؤم ومثله مغلول اليد أى كأن يده محبوسة بغل اللؤم او السائل كأنه يتناول بسطها بالجود فيده محبوسة بغل اللؤم وفى الكتاب العزيز ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فهذا نهى عن البخل ولا تبسطها كل البسط فهذا نهى عن التبذير وقال حبيب فى قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدى ويذكر ابله ووده وهى

يرى الوعد أحدى العار اذ هو لم تكن ... مواهبه تأتى مقدمة الوعد
فان كان ما يعطيه غيثا لأمطرت ... سحائبه من غير برق ولا رعد
من الكرم جعدا بين الوجه والندى ... وليس بنان يجتدى منه بالجعد

وقال البحترى

صنتنى عن معاشر لا أسمى ... أوليهم الاعداء سبابى
من جعاد الاكف غير جعاد ... وغضاب الوجوه غير غضاب
خطروا خطرة الجهام وساروا ... فى نواحى الظنون سير السحاب

(وقال أيضا فى نحوه)

وخلفنى الزمان على أناس ... وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض ... وأخلاق قبحن فهن سود
أناس لو تأملهم لبيد ... بكى الخلف الذى يشكو لبيد

(قوله الدد) ضد الجد وهو اللهو واللعب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا الدد منى أى لست من باطل ولا الباطل منى (اجدى) نفع (الحظ) البخت والنصيب (والصدى) العطشان وأراد انه عطشان فى الدنيا قليل الحظ فهو سئ لا يجاب رزقا يكثر به حظه (تنكد) تنغص (أنكد) مشؤم وكل

أنهما صاحبا دهاء لاخصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما نقفاهما فلما عونا يرجعهما اليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقانى سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال أنا السروجى وهذا ولدى والشبل فى المخبر مثل الاسد وما تعدت يده ولا يدى فى ابرديه ولانى مرود وانما الدهر المسئ المعتدى مال بنا حتى غدونا نجتدى كل ندى الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد بكل فن وبكل مقصد بالجد ان أجدى والا بالدد لنجلب الرشح الى الحظ الصدى وننقد العمر بعيش أنكد

ما

ماجلب شرّافه وأنكدونكدو (المرصد) الموضع الذى ترتقب فيه من تريد أخذه وقد رصدته رصدا ترقبته (يفاجح) يأت على غفلة وأصل فاجا بالهمز فسهله (قوله لله درك) أى ما أحسن كلامك والدر أصله اللبن وكأنه سمى بحكاية صوته عند الحلب ولله أصله القسم ولا تدخل اللام فى القسم الاعلى اسم الله تعالى والتعجب معها لازم فاذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب الناقة لله درك فكأنه قال والله ان درك هذا الكثير ثم استعير للفصيح فى كلامه ولكل من أحسن فى شئ فكأنه قيل ما أحسن ما جئت به وقيل معناه لله اللبن الذى شربته من أمك قال الفراء رحمه الله ربما قالوا در درك ولم يقولوا لله درك وأنشد

درّ درّ الشباب والشعر الاسـ ... ـود والضامرات تحت الرجال

(قوله نفثات) أى كلمات (واها) عجبا و(المنذر) المعلم بما يخاف (تماكر) تخادع (سطوة) بطشة (المتحكم) الذى يتحكم بما شاء فيمتثل حكمه (مسيطر) أمير مسلط (بقيل) يغفر الزلة (أوان) وقت (عاهده) حالفه (مشورته) أخذ رأيه (الارتداع) الكف (تلبيس) تخليط (صورته) قصته (فصل) زال (الختر) الخداع (يلع) يمضى يريد أنه انفصل عنه على وجهه علامة الغدر وان يمينه التى حلف له كاذبة وأول من نظم هذا المعنى فى اليمين الشماخ حين قال

أتتنى تميم قضها بقضيضها ... تمسح حولى بالبقيع سبالها

يقولون لى احلف ولست بحالف ... أخادعهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عنى بحلفة ... كما شقت الشقراء عنى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة قول ابن الرومى

وانى لذو حلف كاذب ... اذا ما استمحت وفى المال ضيق

وهل من جناح على معسر ... يدافع بالله ما لا يطيق

وقال فيه أيضا

اذا حلت على ضيق ديونى ... وباكرنى التجار وخوفونى

دفعتهم بمن لو شاء أدى ... حقوقهم اليهم منذ حين

ولدعبل

سألونى اليمين فارتعت عنها ... كى يغروا بذلك الارتياع

ثم أرسلتها كمنحدر السيـ ... ـل تدلى من المكان اليفاع

(وأنشد أبو على)

لا شئ يدفع حق خصم شاغب ... الا كحلف عبيدة بن سميدع

يمضى اليمين على اليمين لحاجة ... غض الجموح على اللجام المقدع

فاذا يذكر حلفة أصغى لها ... واذا يذكر بالتقى لم يسمع

(قوله تصاريف) أراد التصرف بالجولان فى البلدان و(الاسفار) الاول جمع السفر فى البلاد والثانى جمع سفر وهو الكتاب قال الفراء رحمه الله الاسفار الكتب العظام و(التصانيف) التآليف المنوعة والمصنف الذى فيه أنواع شتى

(شرح المقامة التاسعة وهى الاسكندرية)

(طحا) بك قلبك وهمك طحوا وطحيا ذهب بك وطحا الله الارض ودحاها بسطها * ابن الانبارى

والموت من بعد لنا بالمرصد ان لم يفاجح اليوم فاحى فى غد فقال له القاضى لله درك فما أعذب نفثات فيك وواها لك لولا خداع فيك وانى لك لمن المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته والختر يلع من جهته (قال الحرث ابن همام) فلم أر أعجب منها فى تصاريف الاسفار ولا قرأت مثلها فى تصانيف الاسفار

(المقامة التاسعة الاسكندرية)

(قال الحرث بن همام) طحا بى

طماقلبه فى الهوى واللهو اذا تطاول وتمادى قال طرفة * طحابك قلب فى الحسان طروب * (مرح الشباب) نشاط الفتوة (جبت) قطعت ومشيت (فرغانة) مدينة فى أقصى خراسان وكان فيها بيت يسمى هيكل الشمس بناه فارس الملك وخربه المعتصم وبها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين و بينها و بين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا قال اليعقوبى من سمرقند الى اسروشنة خمس مراحل شرقا ومن أسروشنة الى فرغانة مرحلتان ومدينة فرغانة التى ينزلها الملك يقال لها كاسان وهى مدينة جليلة الصدر عظيمة الامر وكل هذه المدن مضافة الى عمل سمرقند وكان أنوشروان بنى فرغانة ونقل اليها من كل بيت قوما وسماها ازهرخانه أى من كل بيت (وغانة) بلد من بلاد السودان واليها ينتهى التجار والمدخل اليها من سجلماسة ومن سجلماسة اليها مسافة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك أن الرفاق تجهز اليها من سجلماسة بالامتاع والاثقال فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر اليها بثلاثين جملا يرجع منها بثلاثة أجمال أو بجملين واحد لركوبه وثان للماء بسبب المفازة التى فى طريقها حدثنى غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة فى ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء الا على ظهور الابل فأثمان أجمال الثلاثين جملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل فى مزود واحد فيطوون المراحل المخيفة وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى و يقيمون بها عند أميرها فى غاية الكرامة والحلم فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة فى خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الابدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح وكان ابن الرومى وصف واحدة منهن بقوله

مرح الشباب وهوى الاكتساب الى أن جبت ما بين فرغانة وغانة

تذكرك المسك والغوالى والـــــشذوات النسيم والعبق
ليست من العبس الاكف ولا الـ * فلج الشفاه الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق
يفتر ذاك السواد عن يقق * من ثغرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يضحكها * ليل تعرى دجاه عن فلق
لها حر يستعير وقدته * من قلب صب وصدر ذى حنق
يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق
غصن من الآبنوس ركب فى * مؤزر معجب ومنتطـــــق

(وقال الشريف الرضى)

أحبك يا لون السواد فاننى * رأيتك فى العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها * ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم * جنونى على الظبى الذى كله لمى

(وقال ابن مسلمة)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من * يراها كلها فى العين خالا

وله أيضا
لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنما في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * اني أهيم بشخص كله خال

ولابن رباح
وسوداء الاديم اذا تبدت * يرى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظري فصبا اليها * وشبه الشيء منجذب اليه

ولابن رشيق
دعابك الحسن فاستجيبي * يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي * تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * في أعين الناس والقلوب

قال ابن رشيق أخذته من قول الآخر أنشده الجاحظ

مشبهات الشباب والمسك تفديـ * ـهن نفسي من الردى والخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وصال الـ * بيض والبيض مشبهات المشيب

وأخذ بيته الآخر من قول الآخر أنشده الجاحظ

وان سواد العين في العين نورها * وما لبياض العين نور فيعلم

فاخذه أيضا أبو الطيب فقال في كافور وأحسن

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وأماقيا

ولابن الجهم
وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذي محك
قولوا له المعنى أما تستحي * من يجعل الكافور كالمسك

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجي والناس تبع له حيث قال

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

(علي بن العباس بن الاحنف معاصره قال)

أحب النساء السود من أجل تكتم * ومن أجلها أحببت ما كان أسودا
فجئني بمثل المسك أطيب نكهة * وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا

(أخذ بيته الاول من قول ابن الاعرابي)

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال ابن الرومي في تفضيل السواد على البياض)

وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا تعيب السواد حلكته * وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الاقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على تحسين القبيح والامر المجمع عليه تفضيل البياض قال الجاحظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه وأنشد

لهم ديباجة عرفت قديما * بياض في الوجوه وفي الجلود

(وأحسن كشاجم فيما قصد اليه بقوله)

يامشبها في فعله لونه * لم تعد ما أوجبت القسمه
خلقك من خلقك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(قوله جبت ما بين فرغانة وغانة) ما ههنا بمعنى الذي كأنه قال جبت الذي بين فرغانة التي هي أقصى المشرق وغانة التي هي أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال فما هي التي أوجبت لما بين البلاد تبن مما ذكر أن يعم بالمشي ولو سقطت ما لم يلزم العموم وكأنه يشير بهذا التبعيد الى قول حبيب

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

أخوض الغمار لاجني الثمار وأقتحم الاخطار لكي أدرك الاوطار

(قوله أخوض الغمار) أي أدخل المياه الغزيرة فأجوزها (أقتحم الاخطار) أي أترامى في المخاوف والخطر الغرور (الاوطار) الحاجات وقال أبو عمرو القصطلي فيما يتعلق بهذا

تخوفني طول السفار وانني * لتقبيل كف العامري سفير
دعيني أرد ماء المفاوز آجنا * الى حيث ماء المكرمات نمير
ألم تعلمي أن الثواء هو النوى * وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير

(وقال النابغة الجعدي)

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكا الفقر أولام الصديق فأكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(وقال ابن سارة)

سافر فان الفتى من بات مفتتحا * قفل النجاح بمفتاح من السفر
ان شئت خضرتها يا ابن الرخا فكن * في طي غمر الفيافي بائن الحضر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه * قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لا بد أن يقع المطلوب في شرك * ولو بني وكره في دارة القمر

ذكر السفر والحض عليه وترك العجز

ومما ينتظم في باب الحض على السفر وترك العجز قولهم لا ينبغي للعاقل أن يكون الا في احدى المنزلتين اما في الغاية من طلب الدنيا واما في الغاية من تركها ولا ينبغي للعاقل أن يرى الا في أحد مكانين اما مع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا يعد العرم غرما اذا ساق غنما ولا الغنم غنما اذا ساق غرما ونظم هذا المعري فقال

ذر الدنيا اذا لم تحظ فيها * وكن فيها كثيرا أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين اما * مليكا في العشائر أو أبيلا

الابيل الراهب وفي كتاب الهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وفي التوراة ابن آدم خلقت من الحركة الى الحركة فتحرك وأنا معك وفي بعض الكتب امدد يدك الى باب من العمل افتح لك بابا من الرزق وقالوا من ضعف عن عمله اتكل على رزق غيره وقال علي رضي الله عنه الحرص مقدمة السكون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ما المروأة فيكم قالوا العفة والحرفة وروى عكرمة وراء نهر بلخ فقيل له ما جاء بك ههنا فقال بنات وقال رجل لمعروف الكرخي يا أبا محفوظ

أتحرك لطلب الرزق أم أجلس قال لا بل تحرك فانه أصلح لك فقال أتقول هذا قال وما أنا قلته ولكن الله عز وجل أمر به قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ولو شاء لانزله عليها وأنشد الثعالبي

ألم تر أن الله أوحى لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال موسى بن عمران عليه السلام لا تلوموا السفر فاني ادركت فيه مالم يدركه أحد يريد ان الله كلمه ونظم هذا المعنى حبيب فقال

فان موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس
صار نبيا وعظم بغيته * في جذوة للصلاء والقبس

قال المأمون لا شيء ألذ من السفر في كفاية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم * الثعالبي من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الامصار وبدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما بقدرة الله ويدعوه الى شكر نعمته وفي الاثر الصحيح سافروا تصحوا وتغنموا * آخر السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهي الطعام * آخر ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك قال ابن رشيق كتب الى بعض اخواني مثل الرجل القاعد أعزك الله كمثل الماء الراكد ان ترك تغير وان تحرك تكدر ومثل المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه رحمة وهؤلاء يدعونه نقمة فاذا اتصلت أيامه ثقل مقامه وكثر لوامه فاجمع لنفسك فرحة الغيبة وفرحة الاوبة والسلام وقال ابن رشيق

غب عن بلادك وارج حسن مغبة * ان كنت حقا تشتكي الاقلالا
فالبدر لم يجحف به ادباره * أن لا يسافر يطلب الاقبالا

وقال أبو الطيب وما بلد الانسان غير الموافق * ولا أهله الأدنون غير الاصادق
وقال البحتري واذا ما تنكرت لي بلاد * أو صديق فانني بالخيار
وقال أبو الطيب اذا لم أجد في بلدة ما أريده * فعندي لاخرى غربة وركاب

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

أي لا يمنعك الشوق الى الوطن في الغربة من الاستمتاع بلذة العيش فالارض واحدة والناس جنس واحد وفي غير الحماسة

لا يمنعنك خفض العيش في دعة * من أن تبدل أوطانا بأوطان

برفع خفض أي لا يمنعك عيشك الهني في بلدك أن تجول في البلدان وترى الناس فتستفيد النزهة والتجربة قالوا المسافر يسمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب أوحش أهلك اذا كان انسك في ايحاشهم واهجر وطنك اذا نبت نفسك عنه قيل لاعشى بكر الى كم ذا الاغتراب أما ترضى بالدعة قال لو دامت الشمس عليكم يوما لمللتموها أخذه حبيب فقال

وطول مقام المرء في الحي مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء لاتنال الراحة الا بالتعب ولاتدرك الدعة الا بالنصب وقال حبيب

على أنى لم أحو وفرا مجمعا * ففزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطنى الايام نوما مسكنا * ألذ به الا بنوم مشرد

وقال ابن عبد ربه هل يحول فى عقل أو يمثل فى وهم أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو يثمر مال بغير طلب أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح وقد يكون الاكداء مع الكد والخيبة مع الغيبة وقال الشاعر

ومازلت أقطع عرض البلاد * من المشرقين الى المغربين
وأدرع الخوف تحت الدجى * وأستصحب الجدى والفرقدين
وأطوى وأنشر ثوب الهموم * الى أن رجعت بخفى حنين

(وقال ابن رشيق)

يعطى الفتى فينال فى دعة * مالم ينل بالكد والتعب
فاطلب لنفسك فضل راحتها * اذليست الاشياء بالطلب
ان كان لا رزق بلا سبب * فرجاء ربك أعظم السبب

(وقال محمد بن بشير)

قد يرزق الخافض المقيم وما * شد لعيس رحلا ولا قتبا
ويحرم المال ذو المطية والرحل ومن لايزال مغتربا

(وقال آخر)

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله * ويحرم الرزق بالاسفار والتعب
انى وعمرك ما أحصى ذوى حمق * الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ولآخر ألا رب باغى حاجة لاينالها * وآخر قد تقضى له وهو جالس

آخر قد يرزق المرء لامن حسن حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
مامسنى من غنى يوما ولا عدم * الا وقولى فيه الحمد لله

آخر لو كان باللب يزداد اللبيب غنى * لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم * يقصى اللبيب ويعطى كل ماخور

ومثل هذا قليل فى كثير وانما يحكم بالاغلب والنجح مع الطلب أكثر والحرمان للعاجز أصحب وشرح حبيب هذا المعنى فقال

همة الفتى فى الارض أغصان المنى * غرست وليست كل حين تورق

أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا فقال انك تدخل بلدا لاتعرفه ولايعرفك أهله فتمسك بوصيتى تنفق بها عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ونظافة البزة فانها تشهد بالنشء فى النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروأة والادب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والانفة فانك ان استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة وان أنفت من الغلبة

لم يتقدمك نظير فى مرتبة (قوله لقفت) أخذت واللقف أخذ ما يرمى اليك بيدك (ثقفت) قيدت ويمدح الرجل الحازم به فيقال فلان ثقف لقف و (الاريب) العاقل وقد أرب ارابة وأرباصار أريبا والاريب من أربت العقدة أرباشددتها (يستميل) يستنزل ويدعوه أن يميل اليه (يستخلص مراضيه) أى يحوزها لنفسه ومراضيه ما يرضى القاضى ويوافقه وهو جمع مرضاة ويقال صلة الرحم مرضاة للرب أى يرضيه بها يقول العاقل اذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه بحسن تخدمه له حتى يخف عليه (ليشتد) ليتقوى (جور) ظلم (اماما) قدوة (زماما) حبلا أقودها به (ولجت) دخلت (عرينة) بالمد وأصلها بيت الاسد (الراح) اسم الخمر وأبهم على بن الرمى م اشتق اسمها حين قال

والله ما أدرى لأية علة * يدعونها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاح

وانظر الامتراج الذى ذكر فى الخامسة والاربعين (عنايته) اعتناؤه به واهتمامه (الاسكندرية) مدينة عظيمة من بلاد مصر بناها الاسكندر ذو القرنين وهو الذى مشى مشارق الارض ومغاربها قال السدى لما سال أهل الكتاب النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين قال سأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ان أول أمره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية وقال الهمدانى ذو القرنين ينسب اليه التاريخ قبل الاسلام ومؤدبه ارسطاطاليس الحكيم وكان ملكه الذى بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر عاما والاسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام واذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط فى خرق الابرة من بياض رخامها وقيل انها مكثت سبعين عاما لا يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ورخامها ولم يحتج لها فى تلك المدة الى سراج بالليل من ضيائها وقيل كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور قال ابن جبير ما شهدنا بلدا أوسع مسالك ولا أعلى بناء ولا أعتق ولا أحفل من الاسكندرية وأسواقها فى نهاية الاحتفال ومن أعجب ما فى وضعها ان بناءها تحت الارض كبنائها فوق وأعتق لان الماء اذا جاء من النيل يخترق جميع ابارها وأزقتها تحت الارض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا وعاينا فيها من سوارى الرخام وألواحه كبرا وعلوا واتساقا وحسنا مالا يتخيل الا بالوهم حتى انك تلقى بعض سواريها يغص بها الجو صعودا لا يدرى معناها ولا لاى شئ وضعت الا ما يتحدث أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنارة آية للمتوسمين وهداية للمسافرين لولاهو ما اهتدوا فى البحر الى بر الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا ومبناه فى نهاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا يزاحم الجو سموا وارتفاعا ينحصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع ذرعنا أحد جوانبه الاربع فألفينا فيه نيفا وخمسين باعا ويذكر أن فى طوله أزيد من مائة وخمسين قامة وأما داخله فمرأى هائل اتساع معارج ودواخل وكثرة مساكن حتى ان الوالج فى مسالكه ربما ضل وفى أعلاه مسجد موصوف بالبركة فيتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا اليه وشهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه

وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن فى الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحى زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوى الاجساد بالارواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية

وصف واصف والله تعالى لا يخليه من عزة الاسلام (قوله عشية عرية) أى باردة (يفضه) يفرقه (ذوى الفاقات) أهل الفقر والحاجات (عفرية) يقال رجل عفرية وعفرو عفير اذا كان صحيحا شديدا موثق الخلق أخذ من عفر الارض وهو التراب أى من علق به عفره بالارض ومنه ليث عفرين أى ليث ليوث معفر لفريسته قال الخليل رجل عفار بين العفارة اذا وصف بالشيطنة والعفير أيضا الظريف الكيس ويقال للشيطان عفريت وعفرية وعفارية وقرئ قال عفرية من الجن وفى الحديث ان الله ليبغض العفريت النفريت قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدى دخل رجل عظيم الجسم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما أعرفها قال فبالصداع قال ما أدرى ما هو قال أفأصبت بمالك قال لا قال أفرزئت بولدك قال لا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض العفريت النفريت وهو الذى لا يرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله وقوله (تعتله) أى تسوقه بعنف وكذلك تدعه (مصبية) لهاصبى (جرثومة) أصل وكذلك (أرومة ميسمى) علامتى (الصون) الصيانة والانقباض (شيمتى) طبيعتى (الهون) الرفق (بون) بعد (بناة) جمع بان و (المجد) الشرف الضخم وأصله من الابل المواجد وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت وأمجدها راعيها اذا رعاها بحيث تمجد ومجدت هى تمجد رعت فامتلأت وحكى الاصمعى قال أتيت شعبة يوما وعنده حماد بن سلمة وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة يا أبا سلمة هذا الفتى الذى ذكرت لك فقال حماد يا بنى كيف تنشد بيت الحطيئة أولئك قوم فابتدأت القصيدة من أولها

الا طرقتنا بعدما هجعت هند ... وقد سرن خمسا واتلأبت بها الجد

الى ان بلغت قوله

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا ... وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

فقال لى حماد يا بنى ان العرب تقول بنى يبنى بناء فى العمران ويقولون فى الشرف بنا ينبو بنا فانشد هذا البيت أحسنوا البنا فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد الا كالقنى (قوله أرباب الجد) أى أصحاب السعد والمال والعرب تقول لفلان جد فى الدنيا أى حظ وبخت قال امرؤ القيس * وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وقال آخر

عش بجد ولا يضرك نوك ... انما عيش من ترى بالجدود

وجد الرجل صار له جد وأجده الله جعل له جدا وما كنت ذا جد ولقد جددت تجد ورجل جديد حظيظ من الجد والحظ أبو عبيد قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى ولا ينفع ذا الغنى منك غناه انما تنفعه طاعته يعقوب أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة (بكتهم) قطع كلامهم واهانهم (عاف) كره (وصلتهم) اتصالهم به والوصلة سبب التواصل وهى فى الآدميين ما يصل واحدا بآخر من حب وغيره والوصلة بالفتح ما جعلته بين عود وعود أو حبل وحبل فوصلتهما به (صلتهم) عطيتهم (حلفة) يمين (يصاهر) يخاتن (حرفة) صنعة ومكسب وهى فعلة من الحرف وهو الحرمان والمحارف المحروم كأن صاحبها منع الرزق فصار يعالج كسبه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح سهل بن سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة

فى عشية عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوى الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله القاضى وأدام به التراضى انى امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة وعمومة ميسمى الصون وشيمتى الهون وخلقى نعم العون وبينى وبين جاراتى بون وكان أبى اذا خطبنى بناة المجد وأرباب الجد بكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذى حرفة

ومن النساء الغزل (قوله قيض) أى قدر وساق (نصبى) تعبى (ووصبى) مرضى ونصب الرجل نصبا أعيا من التعب ووصب وصبا أتعبه المرض فهو نصب ووصب (الخدعة) الكثير الخداع لغيره وبسكون الدال الذى يخدعه غيره كثيرا التحريك للفاعل والسكون للمفعول مما يأتى على فعلة من الصفات (نادى) مجلس (رهطه) قومه وهو اسم لجماعة من ثلاثة الى عشرة ويجمع أرهط وأراهط (وفق شرطه) أى موافق ما اشترط (نظم درة) يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ (بدرة) عشرة آلاف درهم وأراد بالدرة هنا الكلمة ويعبر بها عن الحكمة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تدعوا الدرة فى أفواه الكلاب يعنى العلم (اغتر) انخدع وهو افتعل من الغرور (زخرفة محاله) تزيين باطله وأصل زخرف زين الشئ بالزخرف وهو الذهب (كناسى) بيتى وأصله للظبى وهو من قوله تعالى الجوار الكنس تشبيها لها بالظباء على ما ذكره ابن قتيبة ويقال له كناس ومكنس من الكنس كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأته (رحلى) نقلى وحملى على الرحل (كسره) بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء لان جانب الخباء قد انكسر عن يمينه (أسره) حبسه (قعدة) كثير القعود (جثمة) كثير الجثوم وهو ملازمة الموضع (ضجعة) كثير الاضطجاع وهو الامتداد على الارض للنوم (نومة) كثير النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم المقت من الله فذكر الذى يكثر النوم بالنهار ولم يأخذ من الليل شيأ وفى حديث آخر خير أهل شر الزمان مؤمن نومة أبو عبيدة هو الخامل الذكر الذى لا يعرف الشر وأهله فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها فان تصرفت فيه اعترضها ممتدا فلا تجد معه راحة (رياش) ثياب فعال من الريش لانها تكسو البدن كما يكسو الريش الطائر (زى) هيئة حسنة من اللباس (أثاث) متاع (رى) حالة حسنة وأصله الهمز فسهل وأدغم ليوافق زيا قال ابن الانبارى الاثاث المتاع والرؤى والرؤاء المنظر وماله رؤاء أى ماله منظر ولا لسان والحرفان من رأيت أرى (مابرح) مازال (الهضم) النقصان (الخضم) الاكل بالفم كله و(القضم) الاكل باطراف الاسنان (مزق) قطع وأفسد (حالى) غناى ويروى مالى مكان حالى وما فيه بمعنى الذى كأنه قال فرق الذى لى ورواية ابن ظفر بالى بالباء وقال والبال الخاطر وما لهذا الشئ بال اذا حقرته والبال كالخلد تقول خطر ببالى كما تقول خطر بخلدى ونفسى وكان هذا هو الاصل والبال الحال أيضا ومنه قوله * وخالف بال أهل الدار بالى (عسره) أى فقره (الراحة) القرار والعيش الهنئ وأراد (بأنقى من الراحة) خلو الكف من الشعر (مخبأ) ستر (بؤس) شدة وفقر (عطر) طيب (ولا عطر بعد عروس) مثل يضرب لتأخير الشئ عن وقت الحاجة اليه وأصله ان رجلا تزوج امرأة فوجدها تفلة فقال لها أين عطرك قالت خبأته لغير هذا الوقت فقال لها لا مخبأ لعطر بعد عروس وبهذا اللفظ روى أبو زيد الانصارى المثل * البكرى عروس رجل كانت عنده ابنة عم له فمات عنها فتزوجها بعده ابن عم لها آخر وهى كارهة وانطلق بها الى أهله وقد زودها طيبا فى سفط فمر بها بقبر عروس فأقبلت تبكيه وترفع صوتها وتقول يا عروس الاعراس ويا شديد الباس مع أشياء لا يعلمها الناس فانتهرها زوجها وقال ما تلك الاشياء فقالت كان عن المكارم غير نعاس يعمل السيف صبيحة الباس ثم قالت يا عروس الاعراس الازهر الكريم المحضر مع أشياء كانت تذكر فازداد زوجها غضبا وقال ما تلك الاشياء

فقيض القدر لنصبى ووصبى أن حضر هذا الخدعة نادى أبى فأقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبى بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجنى من كناسى ورحلنى عن أناسى ونقلنى الى كسره وحصلنى تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزى وأثاث ورى فما برح يبيعه فى سوق الهضم ويتلف ثمنه فى الخضم والقضم الى أن مزق حالى بأسره وأنفق مالى فى عسره فلما أنسانى طعم الراحة وغادر بيتى أنقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر بعد عروس

فانهض للاكتساب
بصناعتك وأجنى ثمرة
براعتك فزعم ان صناعته
قدرميت بالكساد لما ظهر
فى الارض من الفساد ولى
منه سلالة كأنه خلالة
وكلانا ما ينال معه شبعة
ولا ترقأ له من الطوى دمعة
وقد قدته اليك واحضرته
لديك لتعجم عود دعواه
وتحكم بيننا بما أراك الله
فأقبل القاضى عليه وقال
له قد وعيت قصص عرسك
فبرهن الآن عن نفسك
والا كشفت عن لبسك
وأمرت بحبسك فأطرق
اطراق الافعوان ثم شمر
للحرب العوان وقال
اسمع حديثى فانه عجب
يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس فى خصائصه
عيب ولا فى فخاره ريب
سروج دارى التى ولدت بها
والاصل غسان حين أنتسب
وشغلى الدرس والتبحر فى
الـ* علم طلابى وحبذا
الطلب
ورأس مالى سحر الكلام الذى
منه يصاغ القريض والخطب
أغوص فى لجة البيان فاخـ
ـ* تار اللآلى منها وانتخب

فقالت كان عبوفا للغنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر ثم أخذت السفط وكسرته على قبر عروس ثم قالت لاعطر بعد عروس فذهب مثلا فقال زوجها ارجعى الى أهلك أنت طالق فقالت اذا انصرفت مغتبطة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عروسا هذا رجل من هذيل وامرأته هذلية اسمها اسماء (قوله براعتك) أى جودة تدبيرك (سلالة) ولد صغير كأنه سل من بطن أمه ولهذا سمى ولد الناقة عند النتاج قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى سليل ثم اتسعوا فى السلالة فقالوا فلان كريم السلالة و (الخلالة) عود ينقى به الاضراس من الطعام شبهت ولدها به فى رقته (ترقأ) تنقطع (الطوى) الجوع وقال النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت (تعجم) تختبر (دعواه) ما ادعاه من الصنعة وعجمت العود عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه (وعيت) حفظت (قصص عرسك) حديث زوجتك (برهن) أظهر حجتك والبرهان الحجة (لبسك) تخليطك والتباس أمرك (أطرق) امال رأسه الى الارض ساكتا (الافعوان) ذكر الافاعى وهذا منقول من قول المتلمس

فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

ووقع لنا فى رواية لناباه وهى لغة (شمر) احتزم (العوان) التى قوتل فيها مرة بعد أخرى وهى أشد والمرأة العوان التى علت فى السن ولم تهرم والعوان الثيب كانت ذات زوج أولم تكن وعونت المرأة تعوينا والجمع عون (قوله ينتحب) أى يبكى ونحب نحيبا أعلن بالبكاء (خصائصه) فضائله وما يختص به من الافعال المحمودة (ريب) شكوك (التبحر) التوسع (طلابى) أى طلبى انما هو للعلم وذكر التبحر واللآلى والغوص وغير ذلك مجازا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما انتعل رجل قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدو فى طلب علم يتعلمه الا غفر الله له حيث يخطو عتبة بيته روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انتعل ليتعلم خيرا غفر الله له قبل ان يخطو * ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح فى تعليم العلم خير عند الله من الجهاد فى سبيله * ابن مسعود رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به ضلالا الى هدى أو باطلا الى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة (قوله يصاغ) أى يصنع (القريض) الشعر (اغوص) أغيب فى الماء الى قعره (واللجة) معظم الماء جعله للبيان مجازا (اللآلى) جمع لؤلؤة (انتخب) اختار وقال المسيب بن على فى وصف الغائص وانتخابه الدرة وتشبيه المرأة بها

كجمانة البحرى جاء بها * غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامره * وشريكه بالغيب مايدرى
فأصاب منيته فجاء بها * صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا فيمنعها * ويقول صاحبه ألا تشرى
وترى الصرارى يسجدون لها * ويضمها بيديه للنحر

(وقال عبد الرحمن بن حسان)

وهى بيضاء مثل جوهرة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون

(وقال النابغة)

وأجتنى اليانع الجنى من الـ * قول وغيرى العود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا * ماصغته قيل انه ذهب

وكنت من قبل أمترى نشبا
بالادب المنتقى وأحتلب
و يمتطى أخمصى لحرمته
مراتبا الدس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى
ربعى فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به
اكسد شئ فى سوقه الادب
لاعرض ابنائه يصان ولا
يرقب فيهم ال ّ ولا سبب
كأنهم فى عراصهم جيف
يبعد من نتنها و يجتنب
فحار لبى لما منيت به
من الليالى وصرفها عجب
وضاق ذرعى لضيق ذات يدى
وساورتنى الهموم والكرب
وقادنى دهرى المليم الى
سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لى لبد
ولا بتات اليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سالفتى
بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشى على سغب
خمسا فلما أمضنى السغب
لم أر الا جهازها عرضا
أجول فى بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة
والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به
حد التراضى فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها
أن سنانى بالنظم تكتسب
أو أننى اذ عزمت خطبتها
زخرفت قولى لينجح الارب

أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل و يسجد

(قوله اليانع) أى الناعم (الجنى) الطرى (أمترى نشبا) أى استخرج مالا ومريت ضرع الناقة مسحته وحككته ليدر اللبن والنشب قيل هو العقار وما لا ينقل وكان ماله قد نشب اليه حيث لا ينتقل به كالذى ماله الماشية أو الذهب والفضة (المنتقى) المختار ويروى المقتنى وهو المكتسب ويقال احتلب وحلب حلبا والحلب اللبن وهو الحلاب والحلاب أيضا الاناء يحلب فيه وأصله السيلان وتحلب الضرع سال وانحلبت عينه سال دمعها (يمتطى) يركب (أخمصى) باطن قدمى وهو ما ضمر منها وارتفع عن الارض (لحرمته) أى لرفعته وشرفه (مراتبا) منازلا والمرتبة منزلة الشرف من الرتب وهو ما أشرف من الارض (والرتب) جمع رتبة وهى بمعنى المرتبة وأصل الرتب الدرج تقطع فى الحجر ليصعد بها الى أعلى الجبل ومنه رتب كلامه اذا أتبع بعضه بعضا على نظام واعتدال (زفت) حملت من زففت العروس الى زوجها اذا أهديتها له (الصلات) العطايا (ربعى) منزلى (لم أرض كل من يهب) أى لا أرضى أن أكون تحت منة كل أحد (من يعلق) معنى من استفهام ٣ (يرقب) يرعى (ال ّ) قرابة وال ّ بقاء عهد و (سبب) معرفة وصحبة والسبب العلم ومنه وآتيناه من كل شئ سببا وأصله الحبل ثم يستعمل فى كل ما يربط شيأ بشئ من كلام أو غيره (عراصهم) مواضعهم وأصل العرصة فناء الدار يقال لب الرجل يلب لبابة ورجل ملبوب موصوف باللبابة ولب كل شئ من الثمار ولبابه داخله واب كل شئ خالصه (منيت) ابتليت وقدر لى (صرفها) تقلبها وتصرفها بما يكره (ذرعى) كناية عن صدرى وخلقى وأصل الذرع كيل الشئ بالذراع ثم صار مثلا يقال ضاق ذرعى بكذا اذا لم تحتمله وضاق تصرفى فيه (ذات يدى) أى مالى (ساورتنى) واثبتنى (الكرب) الهموم وكررها لاختلاف اللفظ (المليم) الذى أتى بما يلام عليه (سلوك) دخول (يستشينه) يستعيبه والشين العيب (لبد) شئ لا قليل ولا كثير وأصله الصوف وأكثر ما يستعمل مزدوجا مع سبد يقال ما عنده سبد ولا لبد أى لا شعر ولا صوف و يراد به انثى الابل والغنم ثم صار نفيا لكل شئ من المال (بتات) زاد (أنقلب) أرجع (ادنت) أخذت بالدين وفى حديث عمر فادان معرضا (والسالفة) صفحة العنق يريد ان هذا الدين لثقله ومقاساة همومه فوق العطب و (العطب) الذى هو الهلاك دونه فى الشدة عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار وروى جابر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (الحشى) اسقاط الجوف (سغب) جوع (أمضنى) أحرقنى (جهازها) متاعها الذى جاءت به والجهاز متاع البيت يريد شوارها (عرضا) أراد عرضا فحركه ضرورة والعرض الامتعة هنا اخبرنى بهذا من يوثق به فى اللغة والعرض خلاف النقد مشهور فى اللغة وفى العين العرض بفتح الراء كثرة المال فيقول لما لم يبق لى مال لم أر مالا الا جهازها فيكون على هذا أتم معنى ويخرج عن الضرورة التى ألزمته ذلك التحريك (أجول) أتصرف (أضطرب) أكثر الترداد والتصرف (عبرى) باكية (مكتئب) حزين (عبثت) لعبت وتحكمت فيه يقول ما تصرفت فى بيعه الا برضا منها ومنى ٤ (قوله توهمها) أى ظنها (خطبتها) مراسلتها فى النكاح (لينجح الارب)

٣ قوله معنى من استفهام الظاهر ان من موصولة وعبارة غيره أى ان من يتعلق به الامل و يرجى منه النوال لا يستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده اه بالحرف اه مصححه ٤ قوله ومنى لا حاجة اليه اه مصححه

فوالذي سارت الرفاق الى
كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من شيمي
ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها
الا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا
كفي وشعري المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى
ما كنت أحوي بها واجتلب
فاذن لشرحي كما أذنت لها
ولا تراقب واحكم بما يجب
(قال) فلما أحكم ماشاده
وأكمل انشاده عطف القاضي
الى الفتاة بعد أن شغف
بالابيات وقال أما انه قد ثبت
عند جميع الحكام وولاة
الاحكام انقراض جيل
الكرام وميل الايام الى
اللئام واني لاخال بعلك
صدوقا في الكلام بريا من
الملام وها هو قد اعترف لك
بالقرض وصرح عن المحض
وبين مصداق النظم وتبين
انه معروق العظم واعنات
المعذر ملائمة وحبس المعسر
مائمة وكتمان الفقر زهادة
وانتظار الفرج بالصبر عبادة
فارجعي الى خدرك واعذري
أبا عذرك ونهنهي عن غربك
وسلمي لقضاء ربك ثم انه
فرض لهما في الصدقات
حصة وناولهما من دراهمها
قبصة وقال لهما تعللا بهذه
العلالة وتنديا بهذه البلالة
واصبرا على كيد الزمان وكده

لتقضي الحاجة (تستحثها) تستعجلها (النجب) الابل الكرام (المكر) الخداع (المحصنات) العفائف (شيمي) طبائعي (شعاري) علامتي (التمويه) تقدم في الثامنة (نيط) علق وناط الشيء نوطا علقه (اليراع) الاقلام و (المواضي) المسرعة في الكتابة يريد انه فصيح لا يتوقف قلمه (السخب) جمع سخاب وهي قلادة قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ قال ابن ظفر السخب العقود من اللؤلؤ وغيره ومن الطيب أيضا (أحوي) أحوز وأجمع (فأذن) اسمع (لا تراقب) لا تراع منا أحدا ولا تؤثره على صاحبه (واحكم) بيننا (بما يجب) وأخذ معنى الابيات المتقدمة من قول ابن هرمة

اني امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله * كفاي لكن لساني صائغ الكلم

(وقال آخر)

واني لنظام القلائد للعلا * ولست بنظام القلائد للنحر

(قوله أحكم) أي اتقن (شاده) بناه وزينه وشاد البناء أطاله وعمله بالشيد وهو الجص ويقال فيه أشاد ويقال شاد عمله بالشيد وأشاده أطاله وهو الاول وأشاد الحديث رفعه و (عطف) ثنى عنقه وردها وكل ما تثنيه من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته (شغف) أعجب (انقراض) انقطاع وهلاك (جيل) صنف وجيلك أهل عصرك (بعلك) زوجك وبعل الرجل بعولة تزوج و (القرض) السلف أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلفا (صرح) بين (وصرح عن المحض) مثل يضرب لسر الامر اذا انكشف وقالوا أمر صراح أي منكشف ظاهر والصريح من اللبن المحض الخالص الذي لا رغوة فيه قال الشاعر *وتحت الرغوة اللبن الصريح* ثم قالوا لكل شيء خالص صريح وقوله (بين مصداق النظم) يريد ان نظمه انما هو للشعر لا للجوهر (معروق) لا لحم على عظمه أي هو فقير (اعنات) مشقة (المعذر) الذي يجهد نفسه في الشيء ثم لا يستطيعه يقال قد أعذر أي قد بين عذره انه لا يقدر عليه وعذر فهو معذر اذا قصر في طلب الشيء وقال تعالى وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقال ابن دريد *حكم المعذر غير حكم المعذر* (الملائمة والمأثمة) اللوم والاثم و (المعسر) الفقير و (الزهادة) قلة الرغبة قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله كان حقا على الله ان يفتح عليه رزق سنة من حلال وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثا الا أتاهم الله عز وجل برزق (خدرك) بيتك وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة (أبا عذرك) زوجك المفتض لك (نهنهي) كفي (غربك) حد لسانك وقيل معنى نهنهي من غربك أي غضي من دموعك والغرب فيض الدمع والاول أشبه (سلمي) انقادي (فرض) أي أوجب (حصة) نصيب (ناولهما) أعطاهما (قبصة) ما أخذت باطراف أصابعك (العلالة) الشيء القليل (تعللا) خذا منه شيأ بعد شيء وكذلك (تنديا) وأصل العلالة بقية الماء في الاناء وبقية اللبن في الضرع بعد الحلب قال الراجز *يرضعها الدرة والعلالة* و (البلالة) الندى القليل يبل وجه الارض (كيد) مكر (كده) جهده وأنشد أبو محجن الثقفي

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر
عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى * له فرجا مما ألح به الدهر

اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

(الاسار) الحبل يشد به الاسير (هزة) طرب (الموسر) الغنى (الاعسار) الفقر وسئل حكيم أى الاشياء أحلى قال النصرة على العدو بعد الهزيمة والاستغناء بعد الحاجة والغلبة للمتكلم (قوله بزغت) أى طلعت (ونزغت) نشزت وقابلته بالشر والذكر القبيح وأراد انه عرفه حين ساقته زوجته الى القاضى (أفصح) أبين (افتنانه) تنوعه (اثمار) اخراج الثمر وهو حمل كل شجرة (أفنانه) أغصانه (أشفقت) خفت (عثور) ظهور وعثر على الامر اطلع عليه (بهتانه) باطله وكذبه (تزويق) تزيين وهو من الزاووق الذى يعرفه العامة بالزواق أى انه تزيين فى الظاهر وليس له ثبات (عرفانه) تقدم معرفته (يرشحه) يهيئه وفلان يرشح لكذا أى يؤهل له من رشحت الام ولدها باللبن اذا جعلته فى فيه شيأ بعد شئ حتى يقوى وقيل الترشيح التربية وقيل هو تحنن الام على ولدها من الشدة (أحجمت) تأخرت (المرتاب) صاحب الريبة (طويت) سترت (السجل) الورق و(الكتاب) المكتوب فيها وقوله تعالى كطى السجل للكتاب قيل السجل اسم كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل ملك فى السماء الثالثة ترفع اليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين (فصل) زال وانفصل (بفص خبره) بحقيقة أمره (ينشر) يظهر (حبره) حسن كلامه وأصله ثياب يمانية مزينة ونشرها حلها من طيها (التجسس) البحث (أنبائه) أخباره (مالبث) أى ما أقام والمعنى ما أبطأ شيأ حتى رجع (متدهدها) متحركا والتدهده قذف الحجر من أعلى الى أسفل (قهقر) رجع الى خلف (مقهقها) مبالغا فى الضحك والقهقهة حكاية صوت الضاحك (مهيم) كلمة استفهام معناها ما الامر (عاينت) رأيت (أنشأ) أحدث وتقديره سمعت شيأ أحدث لى ذلك الشئ المسموع الطرب ولا يكون أنشأ فعلا لابى زيد انما هو فعل لما من قوله ما أنشأ (وعيت) حفظت (يصفق بيديه) يضرب بكفيه (يخالف بين رجليه) يعبث بهما فى مشيه فيضع كل رجل موضع الاخرى وهى من أنواع الرقص أراد أنه يضرب بكفيه ويرقص (يغرد) يغنى (بملء شدقيه) أى بصوت شديد يمتلئ به أشداقه وملء القدح قدر ما يملؤه. أبو يعقوب يقال أعطنى ملء القدح ماء وأعطنى ملأيه وأعطنى ثلاثة أملائه (أصلى ببليه) أى قربت أن أحترق بها وأصلى بها والبلية المصيبة يبتلى بها (وقاح) جمع وقاحة وهى صلابة الوجه وأصلها من الحافر الصلب وقال بعضهم فى صلابة الوجه

لا يعمل المبرد فى وجهه * بل وجهه يعمل فى المبرد

فجعل وجهه لصلابته يؤثر فى الحديد (شمريه) أى شديدة القحة قال الاصمعى سألت اعرابيا وقد خرج من الصلاة ما قرأ الامام قال ما أدرى الا انه وقع بين موسى وفرعون شمرية (هوت) سقطت (دنيته) قلنسوته وهذه اللفظة انما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ودنينته بنونين لتوافق سكينته والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الاولى وهى قلنسوة محددة الطرف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب انما هى من الالفاظ المستعملة فى العراق وقد استعملها شعراؤهم قال اين لنكك

نفسى تقيك أبا الهندام يا أملى * انى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما كان أيرى فقيها اذ ظفرت به * فكيف ألبسته دنية القاضى

فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فنهضنا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة الموسر بعد الاعسار (قال الراوى) وكنت عرفت انه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه واثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضى على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لاحسانه فأحجمت عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطى السجل للكتاب الى أن قلت بعد ما فصل ووصل الى ما وصل لو أن لنا من ينطلق فى أثره لاتانا بفص خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضى أحد أمنائه وأمره بالتجسس عن أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقر مقهقها فقال له القاضى مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لى طربا فقال له ماذا رأيت وما الذى وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببليه
من وقاح شمريه
وأزور السجن لولا
حاكم الاسكندريه

فضحك القاضى حتى هوت دنينته

وقال الصابى   وفوقه دنية * تذهب طوراً وتجى

(زوت) زالت وخفت (سكينته) وقاره وأصل زوى فى الشئ الذى فيه بلل وندوة فيجف بلله فاستعاره للسكينة (فاء) رجع (وعقب) اتبع (الاستغراب) كثرة الضحك حتى تدمع العينان أراد انه اتبع ضحكه (الاستغفار) ليكون كفارة له وهذا الذى حكى عن القاضى يحكى مثاله عن الحجاج يقال انه كان استغرب ضحكا فولى الى من الاستغفار وقال عبد الله بن مسعود فى كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له الاولى قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية والثانية قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه خمس مرات غفر له ولو فر من الزحف * شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى وأنا عبدك (٢) أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وذنوبى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وأصل غفر واستغفر غطى قال قطرب اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى غطها من قول العرب غفرت المتاع فى الوعاء اغفره غفرا أى غطيته ثعلب غفر الرجل فى مرضه يغفر غفرا أى نكس فكأن المرض غطى عليه وقال الاصمعى رحمه الله اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى استرها علينا ومنه اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أى أستر وهذه معان متقاربة (قوله على به) أى جئنى به (مجدا) مجتهدا فى طلبه (لأيه) ابطائه (نأيه) بعده (الحذر) الخوف (أوليته) بمعنى وليته وأعطيته (أولى) أحق يريد انه لو رجع اليه كان يصله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أول مرة (قوله صغو) أى ميل (فوت) ذهاب (التنبيه) الاعلام (غشيتنى) غطتنى ولحقتنى (أبان) طلق (النوار) بنت عم الفرزدق وزوجه (استبان) تبين وقال الشاعر

لو أن صدور الامر يبرز للفتى * كأعقابه لم تلفه يتندم

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمى من أشراف تميم والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه والفرزدق قطع العجين وقيل الرغيف الضخم * وخبره مع النوار بنت أعين المجاشعى أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم فبعثت الى الفرزدق أن يكون وليها اذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو أقرب اليك منى ولاء وأنا أحذر من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك على فأشهدى انك جعلت أمرك الى فجعلت له أمرها أن يزوجها ممن يرى وأشهدت له بذلك فقال لها أرسلى الى القوم أن زوجك من خطبت فلما غص مسجد بنى مجاشع ببنى تميم جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار ولتنى أمرها وأشهدكم انى قد زوجتها من نفسى فنشزت عليه ونافرته من البصرة الى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعياها أمراء البصرة أن يطلقوها منه وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره فلم يقدر أحد على حملها حتى تحمل قوم من بنى عدى يقال لهم بنو بشير الى مكة فصحبتهم النوار فقال الفرزدق

وقد سخطت منى النوار الذى ارتضى * به قبلها الازواج خاب رحيلها
أطاعت بنى أم البشير فأصبحت * على شارف ورقاء صعب ذلولها
وان امرأ يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

وزوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسى على المتأدبين ثم قال لذلك الامين على به فانطلق مجدا فى طلبه ثم عاد بعد لأيه مخبرا بنأيه فقال له القاضى أما انه لو حضر لكفى الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الاولى (قال الحرث بن همام) فلما رأيت صغو القاضى اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتنى ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعى لما استبان النهار

(ترجمة الفرزدق)

(٢) قوله اصبحت على عهدك الخ كذا بالاصل ولعله رواية ولا تخفى الرواية المشهورة اهـ مصححه

ومن دون أحوال الاسود بسالة * وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وانّ أمير المؤمنين لعالم * بتأويل ما وصى العباد رسولها

ثم ارتحل فى اثرها حتى وصلا مكة فنزلت النوار على بنت منظور بن زبان زوجة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ونزل الفرزدق على ابنه حمزة وقال

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى * ان المنوّه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطئ الحصا * وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارىّ الاغرّ وهاشم * ثم الخليفة بعد والصديق

فكان كل ما أصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارا أفسدته بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار وقضى ابن الزبير عليه فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مئتزرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره توقف فى أمره فلقيه يوما بباب المسجد فضمه الى الحائط حتى كادت تزهق نفس الفرزدق وكان ابن الزبير فى غاية من القوة ثم هزه وتركه خائفا ثم دخل على النوار فقال لها اما أن تمى زواج ابن عمك والاقتلته وأرحت المسلمين من شرّ لسانه فقالت له ولا بدّ أن تقتله قال ولا بدّ فعطفها عليه رحم القرابة وقالت لا والله لا أدعه للقتل قد رضيته فتزوجها فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم بن زياد وكان ابن الزبير قد حبسه فقال

دعى مغلق الابواب دون فعالهم * ومرّى بمسرى فى هبيب الى سلم
الى من يرى المعروف سهلا سبيله * ويفعل أفعال الكرام التى تنمى

ثم دخل على سلم وأنشده القصيدة فقال هى لك ومثلها للنفقة فقبض عشرين ألفا فدفع مهرها فدخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان فى محمل وكانت أبدا تخالفه وتسبه لانها كانت صالحة الدين وكان هو ردىء الدين زانيا قاذفا للمحصنات فكانت تكرهه *ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه فتهددها بالهجاء فاستعانت بالنوار فقالت واعديه ليلة ثم اعلمينى ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية فأطفأت السراج وبادر الحجلة والنوار فيها وهو لا يشك انها صاحبة الدار فواقعها فلما فرغ قالت له يا عدو الله يا فاسق فعرفها وعلم انه قد خدع فقال لها وأنت هى يا سبحان الله ما أطيبك حراما وأبردك حلالا فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها فحدث أبو معقل راويته قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف ان تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد قال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال لتعلمن أن النوار طالق منى ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا فقال الفرزدق يا هذا انّ فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعىّ لما * غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أني ملكت يدي ونفسي * لأصبح لي على القدر اختيار
وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح ما يضيء له نهار

وتوفي سنة عشر ومائة وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن فقالت امرأة بصرية كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه وأضافت جريرا الى البصرة لكثرة قدومه اليها ومسكنه باليمامة واخباره تطول وانما ذكرنا منها ما تعلق بالنوار معه ـ وأما الكسعي فرجل منسوب الى كسع قبيلة باليمن واسمه محارب بن قيس وبندامته يضرب المثل يقال اندم من الكسعي وقيل انه من بني سعد بن ذبيان وقيل اسمه عامر بن الحرث ومن حديثه أنه كان يرعى ابلا بواد كثير العشب والحمط فبينما هو يرعاها ابصر نبعة على صخرة فقال ينبغي أن تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها فلما جفت اتخذ منها قوسا وأنشأ يقول

(ترجمة الكسعي)

يارب وفقني لنحت قوسي ـ فانها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي ـ انحتها صفراء مثل الورس
*صلداء ليست كالقسي النكس ـ

ثم دهنها وخطمها بوتر واتخذ من براياتها خمسة أسهم وجعل يقلبها في كفه وينشد

هن وربي أسهم حسان * يلذ للرامي بها البنان
كأنما قومها ميزان * فابشروا بالخصب يا صبيان
ـ ان لم يعقني الشؤم والحرمان*

ثم أتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع فرمى عيرا منها بسهم فأمخطه أي نفذه وجازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطاه فأنشأ يقول

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان ـ يوري شرارا مثل لون العقيان
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

لابارك الرحمن في رمي القتر * أعوذ بالخالق من شر القدر
أأمخط السهم لارهاق الضرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر
* أم ليس يغني حذر عند قدر ـ

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعه الاول فأنشأ يقول

ما بال سهمي يوقد الحباحبا * قد كنت أرجو أن يكون صائبا
فأخطأ العير وولى جانبا ـ فصار رأيي فيه رأيا خائبا

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأمخطه السهم وصنع ما صنع أولا فأنشأ يقول

يا أسفا للشؤم والجد النكد * في قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ما أرجو لأهل وولد ـ فيها ولم يغن الحذار والجلد
ـ فخاب ظن الاهل جمعا والولد*

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا بسهم فأخطأه السهم وصنع كما صنع أولا فأنشأ يقول

أبعد خمس قد حفظت عدها . احمل قوسي وأريد ردها
أخزى الاله لينها وشدها .. والله لا تسلم مني بعدها
ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر وبات فلما أصبح أبصر الاعيار الخمسة مطروحة حوله فأسف وندم على كسر القوس وعض على ابهامه فقطعها تلهفا وأنشأ يقول

ندمت ندامة لو أن نفسي . تطاوعني اذا لقطعت خمسي
تبين لي سفاه الرأي مني .. لعمر أبيك حين كسرت قوسي

(شرح المقامة العاشرة وتعرف بالرحبية)

(المقامة العاشرة الرحبية)

(حكى الحرث بن همام) قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد سبت راسي

(هتف بي) أي دعاني يقال هتف بي هتفا وهتافا دعاء وهتفت الحمامة مدت صوتها و (الشوق) تحرك الحب يريد أن شوقه الى الرحبة يهيج عليه حتى سار اليها وجعل له داعيا مجازا (والرحبة) مدينة شهيرة من عمالة الفرات بناها مالك بن طوق ووليها فنسبت اليه واليها تنسب الثياب الرحبية وتعرف برحبة الشأم وهي على يسار الطريق هي والرقة في استقبالك الفرات جائيا من حران وهي في آخر ديار ربيعة وأول بلاد الشأم والفرات بين ديار ربيعة والشأم فاذا عبرته صرت في حد الشام و (مالك) كنيته أبو كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة

يامال قد علمت ربيعة أنه * ما كان مثلك في الاراقم أرقم
طالت يدي لما رأيتك سالما . وأبيح عن خدي ذل العظلم
وشممت ترب الرحبة العبق الثرا * وشفى صداي البحر منها الخضرم
كم حل في أكنافها من معدم * أمسى بها يأوي اليه المعدم

وقال فيه

رأته في النوم عتاب فقال لها * ذووا النراسة هذا صفوة الكرم
نجاء والنسب الوضاح جانبه . كأنه بهمة فيه من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونابله * ان السيور التي قدت من الادم
لو كان يامل عمرو مثله خلفا . من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم وأين هذا من قول دعبل يهجوه

الناس كلهم يعدو لحاجته . ما بين ذي فرح منه ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته .. يروم منها بناء غير مهدوم
يبني بيوتا خرابا لا أنيس بها .. ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم

وكان ملكا شجاعا جوادا ممدوحا أميرا على الجزيرة مسكن قومه بني تغلب (قوله لبيته) أي أجبته (ممتطيا) راكبا (شملة) ناقة سريعة (منتضيا) مجردا (عزمة مشمعلة) أي عزمة سريعة لا توانى فيها (المراسي) هي محابس السفينة (امراسي) حبالي يريد أنه استعد للاقامة وترك السفر وضرب لذلك المثل بالقاء المراسي وشد الامراس (برزت) خرجت وظهرت (سبت) حلق ودق

دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤسهم (أفرغ) وضع ليصنع و (القالب) الذى تطبع فيه الدراهم ودرهم مفرغ اذا أذيبت فضته وصبت فى قالبه فيريد أن هذا الغلام لافراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال * ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ونضيف الى ذلك ما قيل فى الغلمان من الاشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعها من كل مقامة يقع فيها ذكر الغلمان قال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الادحى وقال أعرابى

ذكر الحسن والجمال وما قيل فى الغلمان الحسان

وماتطيبت من صفراء خالية * كالعاج صفرها الاكنان والطيب

وقال آخر كأن لون البيض فى الادحى * لونك لولا صفرة الجادى

يريد أنها تضمخ بالجادى وهو الزعفران وصفرة النعمة لا تبلغ صفرته وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء قال الاعشى

رأيت غلاما أفرغ فى قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعراره

العرار البهار وقال الحريرى فى الدرة فأما قولهم فى الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه من الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الحمراء للمجدبة وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر وأما قوله

هجان عليها حمرة فى بياضها * تروق لها العينان والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم والمليحة البيضاء من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته وقال عدى بن زيد فى تلون الوجه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال ابن عبد ربه فى ذلك)

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأعاد معنى * درا يعود من الحياء عقيقا * فى بيت آخر فقال وأحسن

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فأصاره وردا على وجناته

قالت امرأة خالد بن صفوان لخالد لقد أصبحت جميلا قال وكيف ذاك وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وما ذاك قال عموده الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وقالوا الحلاوة فى العينين والجمال فى الانف والحسن فى الوجه والملاحة فى الفم وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الاطراف والخصر والشأن كله فى الكلام والمدار على العقل

الشطاط كسحاب وكتاب الطول وحسن القوام أو اعتداله قاله المجد اه مصححه

وقال علي بن عبيدة الريحاني الحسن تناسب الصورة وزينته اعتدال الحركة ثم ما لا يحسن اللسان الترجمة عنه من خفة الروح والقبول وسئل عن اختياره من الحسن فقال أما ما يمكن نعته فخلتان وثلاثة بينهما ليست من صفة اللسان تعجبني صورة أكثر نعتها الملاحة وبراعة بفصاحة والخلة الثالثة نسميها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل فهذه زبدة هذا الباب وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين وتضييق وتحلية وتزويق وأطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة ومزاج معتدل وثغر نقي

قال امرؤ القيس ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

ويحكى ان سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقبا لئلا يشغله بحسنه عن تعلمه ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وكان يقال انه أطيب الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه فكان اذا استأذن عليه سيبويه يقول مرحبا بزائر لا يمل وكان أبو حاتم السجستاني يختم القرآن في كل أسبوع ويتصدق كل يوم بدينار ومع هذا الفضل كان يميل بحبه الى أبي العباس المبرد وكان أبو العباس يلزم حلقته وهو غلام وسيم فقال فيه

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خنث الكلام
وقف الجمال بوجهه * فسمت له حدق الانام
حركاته وسكونه * يجنى بها ثمر الاثام
فاذا خلوت بمثله * وعزمت فيه على اعتزام
لم أعد أفعال العفا * ف وذاك آكد للغرام
نفسي فداؤك يا أبا الـ * ـعباس جل بك اعتصام
فارحم أخاك فانه * نزر الكرى بادي السقام
وأنله ما دون الحرا * م فليس يرغب في الحرام

والولوع في الجمال سجية ركبها الله في الاولياء وأكابر العلماء فمن دونهم من السوقة والغوغاء وعلى قدر ذكاء الارض يطيب زرعها وعلى قدر طيب التربة يطيب ينبوعها فمنها العذب والاجاج وما بينهما وعلى قدر شرف النفس يكون حبها فمنه المستحسن ومنه المستقبح

* وكل اناء بالذي فيه ينضح * وفي كتاب الوشاح العشق اذا تزين بالعفاف فهو معنى شريف ويتلو قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فمن اتقى الله فهو خليل وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين الى أن الله تعالى انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى لانه لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج اليهم ورازقهم مبتدئ المن عليهم فاذا أوجبوا على أنفسهم طاعة لسواه كان هو تعالى أولى ان يتبع رضاه قالوا ولا ينبغي للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص وحنين شكل الى شكل ومؤالفة الف الى الف فالقلوب صافية قابلة والعيون اليها ناقلة وقالوا الاعاشق على الاغلب الاموفور النعماء كفي نكد المعيشة لانه من فراغ نفسه ورقة حاشيته وقد قيل ان جميلا وبثينة لو قعدا الليلتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويطمع ويستتر ويلمع ويدنو ويحجب

ويلين ويصعب ويرضى ويسخط ويقرب ويشحط كما قال أبو الطيب

وأحلى الهوى ماشك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلة المترقرق

والحسن أول سعادة المرء ورائد اليمن وسائق النجح لان الله تعالى بلطف الحكمة وبشرف الابداع والصنعة لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الاعن فضل الاحتفاء ولم يطابقها من الاخلاق الاما يناسب جمالها من العقل والصفاء وقلما تجد الخلق الاتبعا للخلقة تناسبا يطرد وأصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نساقط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته لاول وهلة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولى مرتبة وأعلى منقبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق وورد عليه وفد عبد القيس وفيه غلام وضيء الوجه فأقعده وراء ظهره وقال انما أتي أخي داود من النظر وقد أكثر الشعراء في وصف الحسن فمن أحسن ذلك ما قال علي بن بسام وكأنه يصف الفتى الذي ذكره الحريري

يا من تسربل بالملاحة وارتدى * فعليه تعتكف العيون اذا بدا

فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيـ * ـبا ناضرا ويرى كثيبا أملدا

فاذا نهضت ترجرجا واذا سفر * ت تبلجا واذا مشيت تأودا

فترى الجبين كتاج ملك زانه درّ تراه مفرقا ومنضدا

ويجول ذاك الرشح في أقطاره كالياسمين جرى به قطر الندا

الوجه فضي أحاط بوجنتي ذهب فأنبت عارضين زبرجدا

وفم عقيق تضمن لؤلؤا رطبا ونظم فوق ذاك زمردا

(ولابي اسحق الخفاجي)

وأغيد أهدى نرجسا من محاجر وثنى فأبدى سوسنا من سوالف

وقد ماج في عطفيه ماء شبيبة * يعب ولا أمواج غير الروادف

تطلع مثل الرمح بسطة قامة وفتكة الحاظ ولين معاطف

ولابن وكيع

يا من اذا لاحت محاسن وجهه * غفرت بدائعها جميع ذنوبه

ان كان في تعذيب قلبي راحة * لك فاجتهد بالله في تعذيبه

(ولابي اسحق الخفاجي)

يا رب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحتيه كتاب

تغري بطلعته العيون ملاحة * وتبيت تعشق عقله الالباب

جعلت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السحاب نقاب

ولابي نواس

أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان فهو حبيب

يعد علي الواشيان ذنوبه * ومن أين للوجه الجميل ذنوب

(ولابي اسحق الخفاجي)

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دوني ولي دونها السكر

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه ويذكى على قلبي ووجنته الجمر
أرق لسبي فيه رقة حسنه فلم أدر أيا قبلها هو ما السحر
وطيب معا ثغرا وشعرا كانما له منطق ثغر ولى ثغره شعر

(قوله وقد اعتلق شيخ بردنه) أى تعلق بكمه واطراف ثوبه (فتك) قتل والفتك ان تأتى رجلا آمنا منك وتقتله أو تكمن له فى موضع لا يعرف بك فاذا أتاك قتلته ثم سمى من هجم على الامور العظام فاتكا فاذا أدخلت رجلا منزلك أو موضعا الا مغشك له فيه فقتلته فذلك الغيلة فان كان رجلا يخافك فأمنته وآنسته حتى امنك ثم قتلته فذلك الغدر (عرفته) معرفته (يكبر) يراه أمرا كبيرا (قرفته) تهمته وقد قرفته بذنب اذا اجلته عليه واتهمته به وشبه ما يلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار (اشتطاط اللدد) اشتداد الخصام (التنافر) التحاكم (يزن بالهنات) يتهم بالقبائح والهنات الدواهى والهن والهنة من الكنايات العامة التى يكنى بها عن كل شئ ولا يقتصر بها على شئ دون شئ (قوله و يغلب حب البنين على البنات) ذكر هنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات ما يليق بالموضع قال أهل الاخبار ان القاضى يحيى بن أكثم كان مشتهرا بحب الغلمان وان أهل البصرة رفعوا بأمره الى المأمون قبل اتصاله به وقالوا فيه انه قد أفسد أولادهم وظهرت منه الفواحش وانه القائل فى صفة الغلمان

أربعة تعشق ألحاظهم وعين من نعشقهم ساهره
هواحد دنياه فى وجهه منافق ليست له آخره
وآخر دنياه منفوصة من خلفه آخرة وافره
وثالث فاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخره
ورابع قد ضاع ما بينهم ليست له دنيا ولا آخره

فاستعظمها المامون وعزله عنهم ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ونادمه فخرج معه فى يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ويحيى يحادثه ويضاحكه فنظر الى غلام أمرد من أولاد الجند فى غاية الفراهة عليه ثوب حرير أخضر ودرع موشاة مزررة بالذهب فالتفت الى يحيى وقال له ما تقول فى هذه البضاعة فقال يا أمير المؤمنين ان هذا القبيح من امامه سلاح فقبه منلى قال فمن الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناة ولا يرى على من يلوط من باس
قال من عليه لعنة الله وغضبه ابن أبى نعيم الذى يقول
أميرنا يرتشى وحاكمنا يلوط والشر بين ناراسى

قاض يرى الحد البيت وبعده

لا أحسب الموت ينقضى وعلى الا مة وال لآل عباس

قال وصحيح هذا قال نعم قال ينفى الى السند وانما مازحناك ثم قال المأمون فى الغلام

أيها الراكب ثوبا من حرير وحديد
جئت للعيد وفى وجهك للاعين عيد
أنت جندى ولكن فيك للحسن جنود

وقد اعتلق شيخ بردنه يدعى أنه قتل ابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والى البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى

(وفى يحيى يقول ابن أبى نعيم)

يا ليت يحيى لم تلده أكثمه * ولم تطأ أرض العراق قدمه

ألوط قاض فى البلاد نعلمه * أى دواة لم يلقها قلمه

وأى بحر لم يلجه أرقمه

وهذا كقول الآخر * يدخل الافعى الى حبس الاسد * ويحيى خراسانى من مرو وبلغ من تحكمه على المأمون ان فرض لاربعمائة غلام مرد واختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه فقال راشد بن اسحق

خليلى انظرا متعجبين * لاطرف منظر تقلاه عينى

لفرض ليس يقبل فيه الا * أسيل الخد حلو المقلتين

يقودهم الى الهيجاء قاض * شديد الطعن بالرمح الردينى

اذا شهد الوغى منهم غلام * تجدل لليدين وللبدين

وبات الشيخ منحنيا عليه * وصدغاه تحاذى الركبتين

وقال فيه وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وكان القاضى أبو القاسم على بن محمد التنوخى مولعا بالغلمان وكان له غلام اسمه نسيم فى نهاية من الحسن وكان يؤثره على سائر غلمانه ويخصه بتقريبه واستخدانه فكتب اليه بعض من يأنس به

هل على لامه مدغمة * لاضطرار الشعر فى ميم نسيم

فوقع تحت البيت نعم ولم لا وسنذكر من شعره فى هذه المقامة ما يستملح وممن كان يميل الى الغلمان من الامراء أبو العشائر الهمذانى الذى يقول فيه المتنبى

فيا بحر البحور ولا أورى * ويا ملك الملوك ولا أحاشى

كأنك ناظر فى كل قلب * فما يخفى عليك محل غاش

(قال بعض الرواة) دخلت على أبى العشائر أعوده من علة فقلت ما يجد الامير فأشار الى غلام قائم بين يديه كأن رضوان قد غفل عنه فأبق من الجنة ثم أنشأ يقول

أسقم هذا الغلام جسمى * بما بعينيه من سقام

فتور عينيه من دلال * أهدى فتورا الى عظامى

وامتزجت روحه بروحى * تمازج الماء بالمدام

(ولابى العشائر)

سطا علينا رشا حاز الجمال سطا * ظبى من الجنة الفردوس قد هبطا

له عذاران قد خطا بوجنته * فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا

وظل يخطو فقال الكل من شغف * يا ليته فى سواد الناظرين خطا

ومع هذا الميل كان نزيه النفس رفيع الهمة سليم الناحية وكان فى الجود غاية وفى الشجاعة نهاية وفى الشعر آية واذا كان المتنبى الذى هو أشعر الناس عند الاكثر يقول حين عوتب فى آخر أيامه على فتور شعره قد تجوزت فى شعرى وأعفيت طبعى واغتنمت الراحة مذ فارقت آل حمدان

ومنهم

ومنهم الذى يقول يعنى أبا العشائر

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفى ، والخيل من تحت الاسنة تخط
لقرأت منها ماتخط يد الوغى ، والبيض تشكل والاسنة تنقط

فهكذا تستعار المعانى البديعة فى الالفاظ الرفيعة فما ظنك بمن يثنى عليه المتنبى هذا الثناء

*وممن وصف غلاما فأحسن الامير تميم بن المعز صاحب مصر حيث قال

وبات ضجيعى منه أهيف ناعم * وأدعج وسنان وألعس أشنب
كان الدجى من لون صدغيه طالع * وشمس الضحى فى صحن خديه تغرب

وقال أيضا ياليلة بات فيها البدر معتنقى * وكانت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

وقال أيضا ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الانو * ف وذا يقبله الفم
فاذا عدلت فأفضل الـ * وردين ورد يلثم

(قوله ندوته) أى مجلسه و(السليك) هو ابن السلكة معروف بامه وكانت أمه سوداء شديدة السواد وكان هو اسود وأبوه عمرو بن سنان بن عمير بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم السعدى التميمى وكان يسبق الخيل على رجليه وكان من العدائين ومن رجلى العرب وهم الذين يسعون على أقدامهم ويسبقون الخيل فيستغنون بأرجلهم عنها وكان من أشجع الناس وكان لايغير الا وحده وكان يقال له الرئبال وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معديكرب فقال أى العرب كان أبغض لك أن تلقاه فقال أما من معد فعدى بن فزارة ومرة بن ذبيان وكلاب ابن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والاراقم من تغلب ثم لوجلت بفرسى على مياه سعد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها أو عبداها فقال اما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث ابن شهاب وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب وأما عدوته المذكورة فيقال انه أحاط به عدوه فنزا نزوة عد فيها أربع وعشرون خطوة وعدا ينسانى نزوة للشنفرى احدى وعشرون خطوة ويقال فى المثل أعدى من الشنفرى وأعدى من السليك فأما الشنفرى فانه أغار على بجيلة مع تأبط شرا وعمرو بن براق فرصدتهم بجيلة على الماء فقال تأبط شرا ان بالماء رصدا فقالا ليس عليه أحد ولا بد من وروده فورد الشنفرى ثم عمرو فقال تأبط شرا القوم انما يدونى فلذلك لم يعرضوا لكما واذا وردت أنا الماء فسيشدون على ويأسرونى فاذهب ياشنفرى كأنك تهرب وكن فى أصل ذلك القرن فاذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لعمرو وانى سآمرك ان تستأسر لهم فلا تبعد ولا تمكنهم من نفسك ثم ورد الماء فشدوا عليه وكتفوه وفعلا ما أمرهما فقال تأبط شرا يامعشر بجيلة هل لكم فى أن تيسروا وفداءنا وتستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال ياعمرو وهل لك أن تستأسر ويياسرونا فى الفداء قال حتى أروض نفسى شوطا أو شوطين فجرى الاول كالريح والثانى كالخيل ثم أراد ان يجرى ثالثا فجعل يقع ويقوم فشلا يطمعهم بذلك فقال لهم تأبط شرا خذوا خذوا فاسرعوا اليه بأجمعهم وهوى الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ثم أحضروا ثلاثتهم فنجوا فقال تأبط شرا من قصيدة

ندوته كالسليك

(ترجمة السليك بن السلكة)

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم * بالعيكتين لدى عمرو بن براق
لا شيء أسرع مني غير ذي عذر * أو ذي جناح بجنب البرد خفاق

فالثلاثة عداؤون والمثل مقصور على الشنفرى وأما السليك فرأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما صاحاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه يوما أجمع ثم قالا اذا كان الليل أعيا فنأخذه ووجدا أثر بوله قد خد في الارض فقالا قاتله الله ما أشد متنه فتبعاه ليلهما فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة فندرت كنانته وسقطت قوسه في جريه فانحطمت فوجدا قطعة منها قد ارتزت بالارض فقالا ما بعد هذا شيء والله لا تبعناه بعد هذا ومر السليك الى أهله فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه آخرون فورد عليهم الجيش فاكتسحهم ومن شعر السليك يرثي فرسه وكان يقال لها النحام وأنشدها المبرد في باب التشبيه من الكامل

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتي أصلا محار
على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار
وما يدريك ما فقري اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا
ويحضر فوق جهد الحضر نصا * يصيدك نافلا والمخ رار

أي يصيدلك نافلا ثانيا ورار ذائب من الهزال وحكاية السليك عن أبي عبيدة وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني وكلتاهما على اختصار ونزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه وجعوا له ابلا كثيرة وأعطوه اياها وكان قد كبر وشاخ وذهبت قوته وانتقص عدوه فقالوا له ان رأيت أن تريناما بقي من عدولك قال نعم ابغوا الى أربعين شابا وأتوني بدرع ثقيلة عظيمة فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء عدائين فلبس سليك الدرع ثم قال للشبان الحقوني ثم عدا عدوا وسطا وعدا الشبان وراءه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم كر راجعا حتى عاد الى القوم وحده يخطر والدرع عليه وسبق الشبان وخرج في ليلة مقمرة يطلب الاغارة فغلب عليه النوم آخر الليل فبينما هو نائم ملتف بكساء جثم عليه رجل مثله شديد البأس عظيم القوة وأمسك على يديه ومنعه التحرك وجعل يلزه ويؤذيه ويقول له استأسر يا خبيث فاجتهد سليك حتى خلص احدى يديه فضم الرجل اليه ضمة وعصره عصرة فضرط فقال له أضرطا وأنت الاعلى فارسلها مثلا فلما تخلص منه قال له من أنت قال أنا رجل افتقرت فقلت لاخرجن ولا أرجع الى أهلي حتى آتيهم وأنا غني فقال له السليك انطلق معي فانطلقا فوجدا ثالثا قصته قصتهما فاصطحبوا حتى أتوا واديا لمراد فلما أشرفوا عليه اذا فيه نعم قد ملأ نواحيه من كثرته فقال لهما السليك كونا قريبا مني حتى آتي الرعاء فاعلم علم الحي أهو قريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت وان كان بعيدا أوحيت اليكما بقولي فأغيرا فأتى الرعاء فاستخبرهم عن الحي فاخبروه ببعد الحي وانهم ان طلبوا

لم يدركوا قال للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته فغنى

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي ... سوى عبيد وآم بين أذواد

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تعدوان فإن الريح للعادي

فلما سمعوا ذلك أتوه وطردوا الابل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوا بالابل قال ابن الاعرابي آم جمع أمة وهم العزاب جمع أمة وكان السليك من أدل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها وكان يستودع الماء بيض النعام في الشتاء ويدفنه في المفاوز لعلمه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار على ربيعة وشرب من ذلك الماء وكان يقول اللهم انى أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة (قوله عدوته) العدوة بالكسر الحالة وبالفتح المرة الواحدة فيريد الحريري أن اسراعه الى الوالي كان كعدوة السليك (واستدعى عدواه) أى طلب اغاثته وأعداه الحاكم اغاثه (استنطق) أمره أن ينطق وقد بين سر هذا الامتحان في الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام قال ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته وكذلك لم يرد الوالي أن يستنطقه ليقول حجته بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته وقد ذكرنا أن فائدة الحسن انما تدور على اللسان وهذا الاستنطاق هو الذي ذهب بابراهيم بن سيار النظام الذي هو امام في علم الكلام الى علاقة غلام وذلك أنه لقي غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فقال له يا غلام انه لولا ما سبق من قول الحكماء لما جعلوا السبيل لمثلي الى مثلك بقولهم لا ينبغي لاحد أن يصغر عن أن يقول ولا أن يكبر عن أن يقال له لما أنست الى مخاطبتك ولا انشرح صدري الى محادثتك لكنه سبب الاخاء وعقد المودة ومحلك من قلبي محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذلك أيها الرجل لقد قال استاذنا ابراهيم بن سيار النظام الطباع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة وتميل الى ما قارنها بالموافقة وكيانى مائل الى كيانك بكليتي ولو كان الذي أنطوى عليه لك عرضا لم أعتد به ودا ولكنه جوهر جسمي فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلي

في عدوته فلما حضراه جدّد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن

فتبيني أني بكم كلف ... ثم اصنعي ما شئت عن علم

فقال له النظام انما كلمتك بما سمعت وأنت عندي حسن الصورة غلام ولولا أن محلك محل مقيم وأصحابه في الجدل ما تعرضت لك ثم اعتلقه النظام بعد وقال فيه جريا على علمه

توهمه طرفي فآلم خده ... فصار مكان الوهم من نظري أثر

وصافحه كفي فآلم كفه ... فمن لمس كفي في أنامله عقر

ومر بفكري خاطرا فجرحته ... ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

وقال فيه أيضا

واذا تأمل في الزجاج خياله ... جرحته لحظة عينه الظل

وقال فيه أيضا

أفرغ من نور سماوي ... صور في جسم انسي

وافتقر الحسن الى حسنه ... فجل عن تحديد كيفي

وقال فيه

يا مشرقا ملأ العيون فلحظها ما يستقل

أوفى على شمس الضحى حتى كأن الشمس ظل

أتريد قتلي عامدا * وكقتل مثلي ما يحل

فصرّف في شعره من صناعته وأبدع في تخيله ببراعته (قوله غرّته) أي وجهه (طرّ) أي قطع وأذهب (تصفيف طرّته) شعرها المعتدل على جبهته (أفيكة أفاك) كذبة كذاب (سفاك) قتال (عضيهة) بهتان وباطل (مغتال) قاتل الغيلة (استوف) استكمل (جدله) صرعه والقاه على الجدالة وهي الارض (خاسيا) متباعدا ممنوع الكلام كأنه قهره ومنعه أن يصيح عنده ولذلك لم يجد عليه شاهدا وأصله الهمز فسهله ليوافق (خاليا) ان أخذته من خسأت الكلب وان أخذته من خسي البصر اذا كل فلا تسهيل فيه ومعناه قريب من الاول أي انه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله (افاح دمه) بحاء مهملة أراقه قال أبو زيد في نوادره أفحت دمه فقاح فيحا وفيحا وأنشد

نحن قتلنا الملك الجحاجحا * ولم ندع لسارح مراحا * ولا ديارا أو دما مفاحا

* وقال أبو حاتم * أراد ودما مفاحا أي مهراقا (خاليا) يعني منفردا (أنى) يعني كيف (مشاهد) من شاهد حاله وحضر عليها (ولي) مكني (تلقينه) تفهيمه والقاءه عليه (يمن) يكذب (وجدك) حزنك (المتهالك) الكثير التفاوت وتهالكت المرأة عليه تراخت عليه وتكاسلت قال الاعشى

تهالك حتى يشكر المرء عقله * وتسبي الحكيم ذا الحجى بالتنقل

(قوله والذي زين الجباه بالطرر) الى آخر يمينه انما ذكر صفات الحسن شيأ بعد شئ ليرى هذا الوالي كمال الغلام فيشتد حبه فيه فاذا ذكر صفة من صفاته نبه الوالي بذكرها على النظر اليها فوجدها كما يصف فهو الآن في هذه اليمين يحلو بمحاسن الغلام عليه (الطرر) جمع طرة وهو اعتدال الشعر على الجبهة والطرة عندهم أن يقطع للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها فيبقى ما بين شعر ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقيا والشعر عليها معتدل كطرة الثوب ثم تسمى الشعور الحسان طررا * أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن * عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال فيقولون سبحان الذي زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها وقالوا الشعر الحسن يزيد الوجه حسنا وجمالا وقال ابن صارمة وكأنه وصف طرة هذا الغلام يصف بها أبا الفضل بن الاعلم وكان من أجمل الناس وأذكرهم في علم النحو والادب وقرأ النحو قبل أن يلتحي فقال فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * ما زال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول في ضحضاح
ما خده جرحته عيني انما * صبغت غلالته دماء جراح
لله راء زبرجد في عسجد * في جوهر في كوثر في راح
ذي طرة سجية ذي غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد الثرى ولحظه * أبدا شريك الموت في الارواح

* وذكر بعد هذا الحور في العينين وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل وكل ذلك عندهم

غرته وطرّ عقله بتصفيف طرته فقال انها أفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ انه جدله خاسيا وأفاح دمه خاليا فأنى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور

ممدوح وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر على أنا نلم ببعض ماقيل في ذلك وأما ما زهدفيه من ذلك ويقل ذكره في أشعارهم فالزرق على انه قد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزرق في العينين يمن وقال معاوية لصفاري العبدي انك أحمر قال والذهب أحمر قال انك لازرق قال والبازي أزرق ولبعض أصحابنا

احبك أن قالوا بعينيك زرقة * كذلك عتاق الطير زرق عيونها

(وقال الصنوبري)

قالوا به زرقة فقلت لهم بذاك تمت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها * كم بين ياقوتة الى سبجه

وقال آخر
ماسئل ذا الظبي في الظباء * الا زرق الازرق النباء
يجول في مقلتيه طرفي * في زرقة الماء والسماء
يا آبى الشقر ما عليهم * من ذلك النور والبهاء
شقرة شعر على بياض * شعاع شمس على هواء

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الالوان ولسواد الالوان في التاسعة فصل مستطرف فقف عليه واختلفوا في الحور فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض بياض العين في شدة سواد سوادها وقال أبو عمرو الطيبة الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس انما يكون في الوحوش وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت واشتقاق ح ور يدل على صحة قول يعقوب وأبي عبيدة لانهم انما يوقعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض ونحوه وقلما يتفق شدة بياض العين الامع شدة سوادها الاترى أن بياضها مع الزرق ليس هنالك في النقاء وقال القاضي التنوخي في أحور

حور بعينيه أطال تحيري * ترك الدموع بخدي المتعصفر
غصن تأود فوق غصن من نقا * ليل تبلج عن نهار مسفر
كالشمس الا أنه متنفس * عن مسكة تبسم عن جوهر

والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف

(والبلج) أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو من علامات السيادة عند العرب و تمدح به ويتيمن بصاحبه ويتطيرون بمقرون الحاجبين ويقال أبلج وأبلد وهي البلجة والبلدة قال كثير

جميل المحيا أبلج الوجه واضح * حليم اذا ما زلزلته الزلازل

(الفلج) أن يكون بين منابت الاسنان تباعد وقد فلج ثغره فلجا وهو مستحب في الثغر قال وجيه الدولة وهو مما يليق بهذا الموضع اذكره أوصافا ذكرها الحريري رحمه الله هنا

اذا عدم الروض المنور ناظري * أرانيه ظبي فاتر الطرف أدعج
فصدغاه ريحاني وعيناه نرجسي * ومن ثغره لي اقحوان مفلج
و واحر باس حسن ورد بخده * يطيف به من عارضيه بنفسج

(الجفون) اغطية العيون ثم تسمى العين جفنا مجازا و (السقم) فتور العين ومن حسن التشبيه

فى ذلك قول أبى نواس

قطب بحديث من نديم مساعد .. وساقية بين المراهق والحلم
ضعيفة كر الطرف تحسب انها . قريبة عهد بالافاقة من سقم

وقال أيضا وشادن قال لى لما رأى سقمى وضعف جسمى والدمع الذى انسجما
أخذت دمعك من لحظى وجسمك من حصرى وسقمك من طرفى الذى سقما

(وقال ابن الرومى)

قلبى من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو اليه رحيم

(وقال ابن الزقاق)

ومقله شادن أودت بجسمى . كأن السقم لى ولها الباس
يسل اللحظ منها مشرفيا لتتلى ثم يغمده النعاس

(ولابى العلاء بن زهر فى مثل ذلك)

ياراشقى بسهام مالها غرض الا فؤادى ومالى منها له عوض
ومرضى بجفون كلها سقم صحت وفى طبعها التمريض والمرض
امن ولو بخيال منك يؤنسنى فقد يسد مسد الجوهر العرض

بالشمم والخدود باللهب

(الشمم) ارتفاع فى لين الانف وهو من علامات الجمال والسودد قال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

وقال آخر فى باعه طول وفى وجهه نور وفى العرنين منه شمم

وقال النابغة * شم العرانين ضرابون للهام (اللهب) اشتعال النار بغير دخان فشبه الحمرة فى الخد وضياءه بحمرة النار وكنى به أبو لهب لجماله وقال ابن وكيع فجمع السقم واللهب

واحزنى من جفون ظبى . أقام عذرى بها عذاره
أسقم جسمى بسقم طرف . حيرنى فى الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه . يحرقنى دونه استعاره
هو اختيارى فابصروه . شاهد عقل الفتى اختياره

وله قريب منه كأن صدغاه تراه . وهو على خده مدار
بيت من الحسن لى اليه . حج مدى الدهر واعتمار

ولابن الزقاق بابى من لم يدع لى لحظه . فى الهوى من رمق منذ رمق
جعلت نكهته فى ثغره . عبقا فى نسق نسبى الحدق
وبدت جلنته فى خده * شفقا فى فلق تحت غسق

وقال الخفاجى يابانه تهتز فى سانة . وروضه تنفح معطارا
كم دمع عين فيك قد أجريت وقلب صب فيك قد طارا
كنى سمى قوسه حاجبا . رمز او سمى النبل أشفارا
فان رمى يجرحنى طرفه .. لحظته أجرحه ثارا

فيصبغ الدرّ عقيقاته * رأصبغ الاراك أزهارا
يلوح للاعين من وجهه * كعبة حسن حيثما دارا
قد طبع الحسن به درهما * تبين منه العين دينارا
قلبي به عين وسيه * تبيد من وجنته نارا

غيره
وأعيد تدمي وجناه من اللمى * تعلق الامن صدودي بالشح
غدا قائلي ان طلت أجرح خده * مني صار بالتقبيل القصاص من الجرح

(الثغور) جمع ثغر وهو السن ونقدم الشنب في الثانية وقال أبو العباس بن الاحنف في طيب الفم

ذكرتك بالتفاح لما شممته * وبالراح لما أقبلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سرالنا * وبالراح طعما من مقبلك العذب

(وقال ديك الجن وابنه عبد السلام)

دابي فم شهد الضمير له * قبل المذاق بأنه عذب
كشهادة لله خالصة * قبل العيان بأنه الرب

(وقال أحمد بن محمد المسانى)

له مبسم برقه طف * عقول الرجال اذا ما ابتسم
أقول له اذ بدا درّه * شهدنا بالصانع الحكم
أرى الدر نقبه الناظمون * ومثغر اذا فكيف انتظم

(وقال أبو بكر البلوفي)

نقطف من ثغره ووجنته * أنامل الطرف زهرة عجبا
شقيقها مذهبا يرى خجلا * واقحوانا مفضضا شنبا

(وقال ابن بشر الكاتب)

ولم نزل والظلام حارسنا * نجمين مستودعين في جسم
ألثمه في الدجى وبرق ثنا * ياه يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصباح وقد * أثرفيه كهيئة الختم

(وقال الشريف الرضي)

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي * مواقع اللثم في داج من الظلم

وقال المتنبي
حسان التثني ينقش الوشي مثله * اذا مس في أبدانهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله * كأن التراقي وشحت بالمباسم

فهذه معان مختلفة في أوصاف الثغر كاحسان قوله وابنت بالترف أي الاصابع باللين والنعمة وأحسن ما قيل في ذلك قول النابغة

بمخضب رخص كأن بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فهذا تشبيه بديع وقال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أومساويك اسحل

والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف أي ما قبلت ابنك

وقال غيره
ياقمرا ابصرت في مأتم * يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المأتم لى كارها * من بين دايات وحجاب
تبكي فتلقي الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وقال عكاشة
سقيا لمنزلنا الذي كانه * يوم الخميس عشية أصحابا
اذ نحن نسقاها شمولا قرقفا * تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكأن يمناها اذا ضربت بها * تلقي على يدها الشمال حسابا

وقال آخر
وحوراء اللواحظ بين قلبي * وبين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها * كمثل الخمر في صافي الكؤوس
كأن بنانها أقلام عاج * مرصعة الرؤس بآبنوس

. ووصف الخصور بالهيف وهو الضمر والرقة وسنذكر معها ما يستطرف وقد تقدم قول ابن عبد ربه
يامن تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وقال ابن الرومي
وهبت له عيني الهجوعا * فأثابها منه الدموعا
ظبي كأن بخصره * من ضمره ظما وجوعا

(وقال عبد الله بن عبد الله)

سلمى وما سلمى تفوق المنى * والحسن أوصافا وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها * كجائع يحسد شبعانا

(وقال كشاجم في مقلوبه)

مساولة الكل غير بطن * مثقل فهي عنكبوت
يجولها الدهر في اضطراب * ووشحها كاتم صموت

وقال حبيب
سها الوحش الا أن هاتي أوانس * قنا الخط الا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

(أخذه القاضي بن ليال فقال)

جلوت لنا شمسا من الدر عاطلا * بعيشك لم جنبته الجيد والنحرا
فقالت ولم تكذب خشيت سقوطه * وأومت الى فيها فنظمته ثغرا
كذلك ان عض السوار بمعصمي * وحاذرت أن يدميه حلته الخصرا

وأكثر ما يذكرون الخصر بالرقة مع ذكر الكفل بالعظم كما قال ديك الجن
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها * وردية ومدامة من ثغرها

(وقال القاضي أبو حفص بن عمر)

مشت كالغصن يثنيه النسيم * ويعدوه النسيم نسيم
لها ردف تعلق من ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبني اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وماحى لها الاعذاب * عليه من نضارتها نعيم

(قوله سهوا) أى خطأ و (الهامة) الرأس (والافرى الله جفنى بالعمش) انما ذكر العمش والعش وما بعده لانها اضداد لما تقدم وعند الاشارة لما يتبين من الاعلام عند الوالى اضدادها فيزداد حسناً وبضدها تتبين الاشياء والعمش انتشار شعر العينين و (العش) أخفى من البرش (الجلح) الصلع وهو انحسار الشعر من النزعتين وفعله جلح الرجل واجلح كاسود و (الطالع) قد تقدم فى الثانية واذا علته خضرة سمى بلحار (البهار) نرجس المغرب وهو أصفر والورد أحمر فدعا له بعلة تذهب جمال وجهه وتصفر حمرة خده و (البخار) كالبخر النتن و (المسكة) أطيب العطر فدعا له بتغير الرائحة وتقدم أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة وتقدم فى الثانية معنى قوله وو ردتى بالبهار منظوما وقال الصابى فى أبخر

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة * فى العالمين لنتن فيه الفاسد

فكأن أهل الارض كلهم فسوا * متواطئين على اتفاق واحد

(وقالت جنان فى أبى نواس)

فاذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شكرا

فليكن ذا الشكر بالضمير فنسبح بالقسو نال اثما ووزرا

وقال آخر أهدى زريق قطه لقمة * قد لاكها فى فمه الابخر

فبادر القط الى دفنها * يحسبها من بعض ما قد خرى

(قوله وبدرى بالمحاق) المحاق أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شئ واحتراق الفضة اسودادها (وشعاعى بالظلام) أى صباحة وجهه ووضاءته بسواد اللحية أى عاجلنى الله بالالتحاء ويريد بهذا كله أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر فيكسد ولا يلتفت اليه وقال ابن المعتز فى مثل هذا الدعاء

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * وليس لى فرج من طول هجرته

فاشف السقام الذى فى طرف مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسن الثغرى وهو من شعراء اليتيمة

لى حبيب يزهى بحسن عجيب * وبقد مثل القضيب الرطيب

أحدقت بالسواد فضة خديه فقد أحرقت سواد القلوب

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح به وذم قال ابن عبد ربه

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن ان سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(وقال ابن صارمة)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال عبد المحسن الصورى)

ومعتذر العذار الى فؤادى * بجرم سابق من مقلتيه

وكم أعرضت عنه فأعرضت بى * عن الاعراض خضرة عارضيه

سهوا ولا عمدا ولا جعلت ها مة لسيفى عمدا والافرى الله جفنى بالعمش وخصتنى بالعمش وطرتى بالجلح وطلعى بالبلح ووردتى بالبهار ومسكتى بالبخار وبدرى بالمحاق وفضتى بالاحتراق وشعاعى بالاظلام

(ذكر العذار والالتحاء)

ولما قلت ان الشعر يسعى * لقلبى فى الخلاص سعى عليه

*(وقال أبو القاسم الراهى)

لولا عذارك ما خلعت عذارى * ولكنت فى وزر من الاوزار
ما كنت أحسب ان أعاين أو أرى * تخطيط ليل فى بياض نهار
حتى نظرت الى عذارك فاغتدى * سم القلوب ونزهة الابصار

وللمعتمد بن عباد
تم له الحسن بالعذار * واحتاط الليل بالنهار
اخضر فى أبيض تبدى * ذلك آسى وذا بهارى
لقد حوى مجلسى تماما * ان يك من ريقه عقارى

*(وقال ابن حمدون)

طل على شمه العذار * فانتقص الآس والبهار
وابيض هذا واسود هذا * واجتمع الليل والنهار
أغض عينى عنه لانى * عليه من مرة لتى اغار

فهذا كله حسن فى مدح العذار وان كان الندر بعوت الجمال فاذا تقوى العذار واسود صاروا الى نعيه كما قال أبو بكر البلوى

انظر الى ميت وابكه * خلو من الاكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده * بالشعر هذا آخر الباطل

وله فى ضده
لما التحى من قد هويت * وقلت رسم قد دثر
عاينت من طلابه * زمرا مواصلة زمر
وكذلك أصحاب الحديث * يتباقون عند الكبر

(وكما قال أبو الحسن بن الحاج)

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فاصبح ينبت شوك القتاد
أبن لى متى كان بدر السما * يبدل بالكون أو بالعباد
وهل كنت فى الملك من عبد شمس * فأخنى عليك ظهور السواد

*(وقال سعيد بن حميد فى غلام التحى)

هلا وأنت بماء وجهك تشتفى * وروض الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحية * ذهبت بحسنك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذاذة مثل خل الحامض

(وقال على بن بسام فى أخيه جعفر)

يا من نعته الى الاخوان لحيته * ادبرت والدهر اقبال وادبار
قد كنت ممن يهش الناظرون له * تغص دونك أسماع وأبصار
أيام وجهك مصقول عوارضه * وللرياض على خديك أنوار
فيا لدهر مضى ما كان أحسنه * اذ أنت ممتنع والشرط دينار

ـه نـ سيـ ـه قاسودة عارضـه ‏ ‏ كـماسرّ د بدالات الدار

(وفيه قول أيضا)

حانت وفاتك يا أبا العباس ‏ ‏ فدع المكاس فلات حين مكاس

مابال وجهك بعد كثرة نوره ‏ * ‏ قد سرّدوه بحالك الانفاس

أين الدنانير التى عززتها ‏ * ‏ هيهات جاء لشعر بالافلاس

كانت بجدتها به ديباجة ‏ * ‏ فاستبدلت حلسا من الاحلاس

وكذا البناء فعير مرتفع اذا ‏ * ‏ كانت بليته من الاساس

(وقال مصعب الماجن)

قد صافحت أقطار خدّك لحية ‏ * ‏ تركت وهو مسوّد الاقطار

فكأن خط الشعر فى جنباته ‏ * ‏ ليل أقام على نجوم نهار

وكان لمحمد بن بشر باباب يدخل من الاكبر أصحابه ومن الاصغر أحبابه فنما يوما غلام مليح وأراد الدخول من الاصغر على عادته فمنع فجعل يخاصم البواب لادلاله فبلغ ذلك ابن بشر فكتب ليه

قل لمن رام مجلسا ‏ ‏ مدخل الظبى الغرير

بعد أن علق فى خديه شعر الشعير

ليته يدخل ان جا ‏ ‏ من الباب الكبير

وقال ابن الابار ‏ ‏ لست بصاب الى معذر ‏ * ‏ ل ... فى حمه ... در

لاأعشق الظبى ذا الجام ‏ * ‏ لانه فى الظبا منكر

أحسن مافيه ان تراه ‏ * ‏ بين مهاة وبين جؤذر

ينظر قوله لانه فى الظبا منكر الى قول حبيب

تعشقتك الكاريد لى عدى ‏ * ‏ على أن الرحى قلبت تسالا

وقال آخر ‏ ‏ لى فى أبى يحيى ومعشوقه ‏ * ‏ شغل على ذى شغل شاغل

ياليت شعرى تول ذى حيرة ‏ * ‏ من منهما المدخول والداخل

(وقال ابن حصين فى محبوب صغير)

بأبى ظبى صغير السن حازت ثاشنى

سرنى انْ ليس يدرى ما مدحى فيه ووى

فهو يدعونى حسا ‏ ‏ وأنا أدعوه باى

(وللغازورى)

قالوا عشقت صغيرا قلت أرتع فى ‏ * ‏ روض المحاسن حتى يدرك الثمر

ربيع حسن دعانى لاتباع هوى ‏ ‏ لماتفتح فيه النور والزهر

* (وقال التسوحى فى جسيم)*

من أين استروجدى ومهتك ‏ * ‏ مالامتيم فى نيل الهوى درك

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم ‏ ‏ الشمس أعظم جسم ضمه الفلك

(وللفقيه ابن حزم)

وذى عذل فيمن سبانى حسنه * يطيل ملامى فى الهوى و يقول
أفى حسن وجه لاح لم ترغيره * ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت فى اللوم ظاهرا * وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى * على مابدا حتى يقوم دليل

(وأحسن حبيب حين قال)

قال الوشاة بدا فى الخد عارضه * فقلت لا تنكروا ماذا الذى عابه
الحسن منه على ما كنت أعهده * والشعر حرز له ممن يطالبه
أحلى وأعذب ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى فى مودته * ان سيل عنى وعنه قال صاحبه

(وقال الحلوانى)

قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته * فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
خطت يد الحسن فيه فوق وجنته * هذى محاسن يا أهل الهوى أخر

وله أيضا

لى حبيب اذا شكوت اليه * سامنى بالهوى عذابا شديدا
لست أدعو بالشعر غيظا عليه * خيفة أن يكون حسنا جديدا
غير أنى أدعو بقلب قريح * أن أراه مثلى محبا عميدا

وقال غيره

قد حل فى سوقك الكساد * مذ لاح فى خدك السواد
كأنما الشعر فيه زرع * والنتف منه له حصاد

ودواتى بالاقلام

وقوله (ودواتى بالاقلام) أى ابتلاه الله أن يلاط به قال الفنجديهى أنشدنى بعض الشعراء بمرورو زلبعضهم

دوادار الامير له دواة * كمثل الياسمين بغير صوف
يرى قلم الامير يغوص فيها * مغاص عصيدة فى حلق صوفى

ونقل لفظ الدواة والاقلام من قول ديك الجن وكان يهوى غلاما من حمص اسمه بكر فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر فقام بكر ليمشى فقال

دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر * اذا ما تجلى عن محاسنك الشعر
اذا ما انقضى سحر الذين ببابل * فأنت لنا سحر وريقك لى خمر
ولو قيل لى قم فادع أحسن من ترى * لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع فاحتال عليه قوم من حمص فأخرجوه الى متنزه فأسكروه وفسقوا به فبلغ ذلك ديك الجن فقال

يا بكر ما فعلت بك الارطام * يا دار ما فعلت بك الايام
فى الدار بعد بقية مستامة * أم ليس فيك بقية تستام
شغل الظلام كرالذى أبوابهم * فتقرعت لدواتك الاقلام

(وله فيه أيضا)

قولا لبكر بن مهدى اذا اعتكرت * عساكر الليل بين الطاس والجام

ألم أقل لك ان الكبر مهلكة * والبغى والعجب افساد لاقوام
قد كنت تفرق من سهم تعاينه * فصرت غير ذميم وقصة الرامى
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل * وقد ذللت لاسراج والجام
ان تدم نخذاك من ركض فربتما * أمسى وقلبى منك الموجع الدامى

قال أبو على بن رشيق كنت أوصى غلاما أو نبيا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه فأوقع به فأخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

(وهذا من قول ابن المعتز)

مضى خالد والمال تسعون درهما * وآب ورأس المال ثلث الدراهم

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين فى اليد وقال ابن رشيق

سقطت ثنيته فاوجع قلبه * لسقوطها وجرى عليه عظيم
فاذا مررت به فسل فؤاده * عنها وقل صبرا كذاك الريم
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها * والسلك لاواه ولا مفصوم
أتعديا ياخطب وهو مصون * أبدا بخاتم ربه مختوم

ويستحب لمن وسم بوسمة الجمال أن يكون شديد التصاون قليل التبذل فذلك أدعى للسلامة وقد قال ابن وكيع فى ذلك

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لوجاد هان وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

فاذا ابتذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ونبت عن محاسنه العيون لان النفس الحرة لا تنفك من غيرة وقد قال العباس بن الاحنف

ياقوم لم أهجركم لملالة * منى ولا لمقال واش حاسدا
لكننى جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحد

(وقال الوليد بن حزم)

لما استمالك معشر لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتى فتماسكت * من بعد ما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وله أيضا

يقول وقد لمته فى الهوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الازار * وقد سلك الناس تلك السبيلا

(وقال محمد بن السرى)

قايست بين جماله وفعاله * فاذا الملاحة بالخيانة لاتفى
والله لا كلمته ولو أنه * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

(وقال آخر)

أبا حسنا أزرت تبائع فعله . عليه كما أزرى الكسوف على البدر
لقد فقت كل الناس حسنا وزينة . ولكنما قبحت ذلك بالغدر

(وقال ابن عيينة)

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ . فى حفظه عجب وفى تضييعك
ان تقتلبه وتذهبى بفؤاده . فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

(قوله الاصطلاء) اى الاتصال والتلبس و(البليه) أراد دعوة الباطل التى ادّعى عليه الشيخ و(الايلاء) الحلف و(الالية) اليمين و(القود) قتل النفس بالنفس فيقول الصبر على الضرب او القتل أهون من هذه اليمين التى لم يحلف بها أحد (اخترعها) استنبطها (أمقر) أمر من المقر وهو الصبر وهذه اليمين المخترعة حكى الاصمعى شبهها فقال اختصم اعرابيان عند بعض الولاة فى دين فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال المدعى دعنى من هذه الأيمان واحلف بما أقول لك فقال وما أقول قال قل لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا وحتك من أهلك وولدك كما تحات الورق من الشجر ان كان بتى لى هذا الحق قبلك فأطاح حقه ولم يحلف له وحكى المسعودى أن الفضل بن الربيع قال سار الى عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فقال ان موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أرادنى على بيعته فأخبرت الرشيد بذلك فجمع بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا فقال له موسى ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه الى السقف لئلا يظهر منه الضحك ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا المشنع على خرج مع أخى محمد على جدك المنصور وهو القائل

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا . ان الخلافة فيكم يا بنى الحسن

وليست سعايته حبا لك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت وأنا أسأله يمينا فان حلف بها انى قلت ذلك فدمى حلال لأمير المؤمنين فقال له الرشيد احلف له فامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت أنه قال ذلك قال فانى أحلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته الى حولى وقوتى ان لم يكن ما قلته حقا فحلف فقال موسى الله أكبر حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة وها أنا ذا بين يدى أمير المؤمنين فى قبضته فان مضت ثلاث ولم يحدث له حادث فدمى حلال لأمير المؤمنين قال الفضل فوالله ما صليت العصر فى ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من داره فدخلت عليه فوالله ما كدت أعرفه لانه صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فعرقت الرشيد فى الحين فما انقضى كلامنا حتى عرفنا انه قد مات فبادرت بتجهيزه وتوليت الصلاة عليه فلما وورى فى قبره انخسف به وخرجت رائحة مفرطة النتن ورميت احمال شوك على الطريق فأمرت بها فطرحت فى قبره فانخسف ثانية فأمرت بألواح ساج فطرحت على قبره وألقى التراب عليها وانصرفت وأعلمت الرشيد فأكثر التعجب وأحضر موسى فأعطاه ألف دينار وقال له لم عدلت عن اليمين المتعارفة عند الناس فقال أخبرت بالسند المتقدم عن النبى صلى

فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الايلاء بهذه الالية والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ الا تجريعه اليمين التى اخترعها وأمقر له جرعها

الله

الله عليه وسلم أنه قال من حلف بيمين كاذبة ... الله فيها الستعجلها الله من تعجيل عقوبته ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته وعجل الله العقوبة قبل ثلاث (قوله التلاحى) السباب والتشاتم. علي رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من لاحى الرجال سقطت مروأته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الاوثان وفى المثل من لاحاك فقد عاداك (يسعر) يتقد (محجة التراضى) أى طريق الرضا (تعر) تصعب و (فى ضمن تأبيه) أى فى أثناء كلامه وامتناعه (يخلب) يخدع ويأخذ قلبه (تلويه) انعطافه (يطمعه) يدعوه للطمع (يلبيه) يجيبه لمراده و (ران) غلب وغطى ... أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقلت وان عاد زادت حتى تعظم فى قلبه فذلك الران قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ... (آلبه) أقام (لبه) عقله (سوّل) زين (الوجد) حرقة القلب (تيمه) عبده وذلله والمتيم المستعبد لهواه (تهممه) لشأنه (يستخلصه) يخصه لنفسه (حبالة) آلة الصيد (يقتنصه) يصيد يقول ان هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ يطمع الوالى فى الانقياد له وانه اذا دعاه لما يريد منه أجابه وانما فعل هذا حين رأى ادامة نظر الوالى وجهه واستحسانه كلامه ولو ... الوالى ... ل العلام عنظوم لانشد

يهدى لك الدر من لفظ ومبتسم ... فيا لك منتثره ... ه ومنظوم
يجنى الذنوب وأحذر أن أراخذه ... من أجل ذلك قيل الحسن محروم

(ولا نشد اذا غلب عليه هواه)

هو آية الشمس ولا قمر ... وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه ... ان بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت ... نفسى عليك فرفقا أيها القمر

هذه الابيات للوليد بن حزم وقد كرر معنى البيت الاخير فقال

أذكيت من قلبى بنأيك لوعة ... حتى خشيت على محلك منه

(ومما يلتحق بهذا المعنى قول الآخر)

ولما رمانى بالسهام تعمدا ... وفيها نصال الهجر حتى استلا صدرى
فقلت له لا ترم قلبى فانه ... مكانك والمرمى أنت ولا تدرى

وقال آخر

جعلتك فى قلبى فهل أنت عالم ... بأنك محمول وأنت مقيم
ألا ان شخصا فى فؤادى محله ... وأشتاقه شخص على كريم

وقال التهامى

قلبى فداؤك وهو قلب لم يزل ... تذكى شهاب الشوق فى أثنائه
جاورته شر الجوار وزرته ... لما حللت فناءه بفنائه
حرق سوى قلبى ودعه فاننى ... أخشى عليك وأنت فى سودائه

وقال آخر

أودع فؤادى حرقا أودع ... نفسك تؤذى أنت فى أضلعى
أمسك سهام اللحظ أو فارمها ... أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها القلب وأنت الذى ... مسكنه فى ذلك الموضع

ولم يزل التلاحى بينهما يستعر ومحجة التراضى تعر والغلام فى ضمن تأبيه يخلب قلب الوالى بتلويه ويطمعه فى أن يلبيه الى أن ران هواه عليه وتاب به رأى لبه فسوّل له الوجد الذى تيمه والطمع الذى توهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه

فقال للشيخ هل لك فيما هو ألبق بالاقوى وأقرب للتقوى فقال الام تشير لا تقفه ولا أقف لك فيه فقال أرى ان تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لا تحمل منها بعضا وأجتبى الباقى لك عرضا فقال الشيخ ما منى خلاف فلا يكن لوعدك اخلاف فنقده الوالى عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع عنك اللجاج وعلى فى غد أن أتوصل الى أن ينض لك الباقى ويتحصل فقال الشيخ أقبل منك على أن ألازمه ليلتى ويرعاه انسان مقلتى حتى اذا أغفى بعد اسفار الصبح بما بقى من مال الصلح تخلصت قائبة من قوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالى ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا

(قال الحرث بن همام) *فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية

(ترجمة ابن سريج)

(قوله ألبق) أى أشكل وأصقل (بالاقوى) صاحب القوة والذى هو أقرب للتقوى هو العفو لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى (أقفه) أتبعه (لاأقف لك فيه) أى لا أتوقف فيما تشير به (تقصر) تكف (عن القيل والقال) أى عن كل كلام (أجتبى) أجمع (عرضا) كل ما ليس فيه روح من الامتعة غير العين وهو ما ليس بنقد من السلع التى يتجر فيها من متاع ورقيق وغير ذلك (أتحمل) أضمن وفلان حميل بكذا أى ضامن له (اخلاف) كذب وعد (نقده) أعطاه نقدا (وزع) فرق (وزعته) شرطته الذين يكفون عنه الناس واحدهم وازع مثل كافر وكفرة وقد وزعته وزعا كففته وأبضا دفعته وقال الحسن البصرى رحمه الله لابد للسلطان من وزعة (الاصيل) العشى *وثوبه ضوء الشمس وهو فى ذلك الوقت رقيق (صوب) وقع وصاب السهم صوبا وصيبا وقع بالرمية وصاب السحاب الموضع أمطره و(التحصيل) ان يحصل بقية المال (راج) حضر وتيسر ويقال راج الشئ روجا فهو رائج اذا جاء سريعا (قوله انسان مقلتى) أى سواد عينى (برعاه) يحفظه ويتطره (أغفى) أى بالبقية والعفاوة بقية المرق فى القدر (تخلصت) انفصلت و(القائبة) البيضة (والقوب) الفرخ وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة وجاء مقلوبا بالاثر الذى ينفصل ويخرج انما هو الفرخ من البيضة والقوب من تقوب الشئ اذا انقشر ومنه القوباء الداء الحزاز و(ابن يعقوب) هو يوسف عليهما السلام وبراءة الذئب من دمه هو ما يحكى أن اخوته لما جاؤا الى أبيهم يبكون على يوسف علموا أنه لا يصدقهم فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم وأتوه يبكون وقالوا ان هذا الذئب قد ضرى أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا قال لهم أطلقوه ودعا الله يعقوب أن ينطقه له فقال للذئب ادن منى فجعل يبصبص بذنبه ويدنو منه حتى وضع خده على فخذ يعقوب فقال له لم أكلت ابنى وفجعتنى فيه فقال لا والله يا نبى الله ما رأيته ولا أكلته وانى لغريب فى أرضكم اليوم وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقدته فأوثقنى هؤلاء وساقونى اليك فقال لهم يعقوب عليه السلام الذئب مع أخيه أوفى منكم مع أخيكم (قوله سمت) أى كلفت (شططا) شيأ بعيدا والشطط مجاوزة القدر (ورمت فرطا) طلبت شيأ متفاوتا وكيف لم يسمه شططا وقد حرمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجى حيث يقول

وليلة طلقة قضتنى * من موعد الحبيب دينا
بتنا نجرر الذيول فيها * والخمر تمشى بنا الهوينا
أرسل فى روض وجنتيه * لحظة عين تفيض عينا
كأنما اللحظ كيمياء * تذهب من وجهه لجينا
وما توهمت أن طرفا * يقلب عين اللجين عينا

(أو ليلة الاسعردى حين يقول)

لما رأى من ظلت فيه متيما * جسمى ضئيلا والفؤاد مولها
جادت شمائله على بليلة * أهدت الى الصب المعنى ما اشتهى
عانقت فيها البدر ليلة تمه * يا من رأى بدرا يعانقه السها

(قوله الحجج السريجية) منسوبة الى أحمد بن سريج وهو من كبار أصحاب الشافعى وكان حسن الاحتجاج مليح المناظرة وقال الفنجديهى السريجية منسوبة الى الامام أبى العباس أحمد بن

عمر بن سريج امام أصحاب الشافعي على الاطلاق ومن لا نفست ذات در بمثله في الآفاق حججه في أحكام الشرع أوضح الحجج وأقواها وأمتنها على مرور الايام والحجج وكان يلقب بالبازي الاشهب وبالشافعي الثاني لبحره في استنباط المعاني من غوامض الاخبار والمثاني دلائله في فنون العلم متينة وبراهينه مبينة وقال رأيت في المنام كأنا أمطرنا كبريتاً أحمر فملأت كمي وحجري وجيبي منه فعبر لي اني أرزق علماً عزيزاً كعزة الكبريت الاحمر وسمع يتمثل بهذه الابيات

فلا تحسد الكلب أكل العظام * فعند الخراءة ماترحمه
تراه وشيكا اشتكا استه * كلوما جناها عليه فمه
اذا ما أهان امرؤ نفسه * فلا أكرم الله من يكرمه

وكان يناظر محمد بن داود فقال له ابن داود يوماً وقد أكثر عليه السؤال أبلعني ريقي فقال له قد أبلعتك الدجلة والفرات وقال له مرة أمهلني ساعة فقال قد أمهلتك من الساعة الى أن تقوم الساعة وقال له ابن داود يوماً أكلك من الرجل وتجيبني من الرأس فقال له كذلك البقر اذا حفيت أظلافها دهنت قرونها واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الاصبهاني في مجلس عيسى بن الجراح الوزير فتناظرا في الايلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام في الايلاء فقال له ابن داود لئن قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال له ابن سريج م تفتخر ولو شئت قلت

ومساهر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
أصبو لحسن كلامه وحديثه * وأكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال له أبو بكر أصلح الله الوزير يحفظ عليه ماقال حتى يقيم عليه شاهدين عدلين أنه ولى بخاتم ربه وبراءته فقال له ابن سريج فيلزمني في هذا ما يلزمك في قولك * وأمنع نفسي أن تنال محرما * فضحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وعلما وفهما * اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم والفضل والدين كانا يرتاحان الى التعشق على سبيل التطرف والتزام التعفف على ما يليق ويشكل بمنصبهما واذا كان التعشق بشرط العفاف فانما يزيد الرجل الفاضل رقة طبع وحلاوة شمايل وقال ابن سريج في مرضه الذي مات فيه أريت في المنام البارحة كأن قائلا يقول هذا ربك يخاطبك فسمعته يقول ماذا أجبتم المرسلين فقلت بالايمان والتصديق قال فقيل ماذا أجبتم المرسلين فوقع في نفسي انه يراد مني زيادة في الجواب فقلت بالايمان والتصديق غير انا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال اما انى سأغفرها لك وتوفي لخمس مضين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وبلغ سنه سبعا وخمسين سنة وستة أشهر ودفن في حجرة بسويقة غالب ببغداد رحمة الله عليه ونذكر الآن من نفيس الشعر المضمن من ظفر من محبوبه

بمراده من الوصال ثم عف عما يخل باهل الجلال قال ادريس بن اليمان

لم تدر ما خلدت عيناك فى خلدى * من الغرام ولا ما كابدت كبدى
أفديك من زائر رام الدنو فلم * يسطعه من حرق فى الدمع متقد
خاف العيون فوافانى على عجل * معطلا جيده الا من الغيد
عاطيته الكاس فاستحيت مداء تها * من ذلك الشنب المعسول والبرد
حتى اذا غازلت أجفانه سنة * وصيرته يد الصهباء طوع يدى
اردت توسيده خدى وقل له * فقال كفك عندى أفضل الوسد
فبات فى حرم لا غدر يذعره * وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد
بدر ألم وبدر التم منمحق * والافق محلولك الارجاء من حسد
تحير الليل فيه أين مطلعه * أما درى الليل أن البدر فى عضدى

(وقال الرمادى)

وليلة راقبت فيها الهوى * على رقيب غير وسنان
والراح ما تنزل من راحتى * وقد اومن راحة ندمان
ورب يوم قيظه منضج * كأنه احشاء ظمآن
أبرز من خديه لى رشحه * طلى على وردو سوسان
وكان فى تحليل أزراره * أتودلى من ألف شيطان
فتحت الجنة من جيبه * فبت فى جنة رضوان
مروأة فى الحب تنهى بأن * يجاهر الله بعصيان

(وقال سعيد بن حميد)

زائر زارنا على غير وعد * أهيف الكشح مثقل الارداف
غالب الخوف حين غالبه الشو * ق فأخفى الهوى وليس بخافى
غض طرفى عنه تقى الله واختر * ت على بذله بقاء التصافى
ثم ولى والخوف قد هز عطفيه * ولم يخل من لباس العفاف

(وقال بعض الطالبين)

رعونى واياها بشنعاء هم بها * أحق أدال الله منهم وعجلا
بامر تركناه ورب محمد * جميعا فاما عفة أو تجملا

علمت أنه علم السروجية فلبثت الى أن زهرت نجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء لوالى فاذا الشيخ للفتى كالى فنشدته الله أهو أبو زيد فقال اى ومحل الصيد فقلت من هذا الغلام الذى هفت له الاحلام قال هو فى النسب فرخى وفى المكتسب فخى قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالى الافتتان بطرته فقال لولم تبرز جبهته السين

وسنزيد ما يستحسن فى العفاف وضده فى الثانية عشرة (قوله علم السروجية) أى مشهورها والعلم الجبل (لبثت) أقمت (عقود) جمع عقد أراد ما يعقد من جموع الناس فى الزحام (انتثرت) افترقت (زهرت) أضاءت (الفناء) ما حول الدار (ناشدته) سألته (هفت) أى طارت (الاحلام) العقول (فطرته) خلقته (تبرز) تظهر و(الطرة) قد تقدمت وشبه امتداد الشعر على الجبهة بشكل السين على السطر وأخذه من قول التهامى

يارب معنى بعيد الشأن نسلكه * فى سلك لفظ قريب الفهم مختصر

لفظ يكون لعقد القول واسطة * ما بين منزلة الاسهاب والحصر
ان الكتابة طارت تحت أنمله * والجود فالتقيا منه على قدر
تردّ اقلامه الارماح صاغرة * عكسا كعكس شعاع الشمس للقمر
وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما فى أحسن الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر

(ومن ملح الخابزرزى)

وبنفسى من اذا خشّته * نثر الورد عليه ورقه
واذا مست يدى طرّته * اقلقت منه فعادت حلقه

أخذها من حكاية لعمر بن أبى ربيعة حدّث المغيرة بن عبد الرحمن قال حججت مع ابى وانا غلام على جمة فجئت عمر فسلمت عليه فجلست عنده فجعل يمدّ الخصلة من شعرى ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ويقول واشباباه حتى فعل ذلك مرارا ثم قال لى يا ابن اخى قد سمعتنى أقول فى شعرى قالت وقلت وكل مملوك لى حرّ ان كنت كشفت عن فرج امرأة حرام قط فسألت عن رقيقه فقيل لى أما فى الحول فسبعون سوى غيرهم وساير عمر عروة بن الزبير يحدثه فقال وأين زين المواكب يعنى ابنه محمدا وكان يعرف بذلك لجماله فقال عروة هو أمامك فركد يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب أولسنا اكفاء كراما لمحادثتك قال بلى بأبى أنت وامى ولكنى مغرى بهذا الجمال حيث كان ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولع بالحسن أتبعه * لاحظ لى فيه الالذة النظر

أخذه العباس بن الاحنف فقال

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طالت اقامته * عف الضمير ولكن فاسق النظر

ومما يتعلق بذكر الشعر حلاقه والشعر فيه كثير فلنلم منه باليسير وأول من قرع هذا الباب فيما يذكر القائل

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا * غيرة منهم عليه وشحا
كان من قبل ذاك ليلا وصبحا * فمحوا ليله وأبقوه صبحا

(وقال أبو العباس القريعى)

كان الاقرا تحت دجى * فانجلى الليل ولاح القمر
أو كزهر فى كمام كامن * شققت عنه فتم الزهر

(وقال أبو العباس بن حيون)

حلقوك فى تغيير حسنك رغبة * فازداد حسنك بهجة وضياء
كالجمر فض ختامه فتشعشعت * والشمع قط ذباله فاضاء

(قوله قنفشت) اى أخذت بسرعة تقول قفشت الشئ قفشا اذا جمعت عليه كفك بسرعة وقد انقفشت العنكبوت اذا دخلت جحرها (قوله الجوى) أى مرض القلب (نديل) نعوض والادالة أن يكون الشئ لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدولة (النوى) البعد ويريد هلم لنجدد

لما قنفشت الخمسين ثم قال
بت الليلة عنلى لنطفئ نار
الجوى ونديل الهوى من
النوى فقد أجمعت على أن
أنسل بسحرة

المودة فى هذه السلة ويكون ذلك عوضا من طول الفراق فقد عزمت على ان أنسل بالسحر وأفر والانسلال الخروج مستخفيا (أصلى قلب الوالى) أجعله متحرقا بالحسر والتفجع (قضيت) أتممت (سمر) حديث بالليل يسمر عليه (آنق) أحسن (حديقة) بستان ولا تكون الا تحت حائط أو زرب (زهر) نور (خميلة) روضة فيها شجر (لألأ) لمع واضاء (الافق) جهات السماء (ذنب السرحان) هو الفجر الكاذب وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد الى السماء والسرحان الذئب شبه ضوءه بذنبه (آن) حان وقرب (انبلاج الفجر) ظهور ضوئه (متن) ظهر (الحريق) النار (سلم) ترك (محكمة الالصاق) متقنة الطى (القرار) السكينة يريد أن الوالى اذا أخبر بهربنا ذهب عقله فجعل يتململ ولا يقر (فضضتها) كسرت ختامها و(المتلمس) شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وسمى المتلمس بقوله

فهذا أوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

وهو مأخوذ من تلمس الرجل الحاجة اذا طلبها سرًّا من غيره وأصل ذلك من اللمس باليد كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيأ ضاع منه أو كلمس الاعمى شيأ بيده ومن كلام عامتنا فلان يتلمس بسكون التاء أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به والمتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين فى الجاهلية وهم المتلمس والمسيب بن عبس وحصين بن الحمام و(المتملس) بالميم قبل اللام هو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة وقد أملس اذا أخرج من بين القوم هاربا وهم لا يشعرون وقد أملس الشئ اذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته و(الصحيفة) الكتاب * وقصتها أن المتلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيئ الخلق شديده وهو الذى حرق من تميم مائة رجل فهجوه فقال فيه المتلمس وكان طرده لشئ بلغه عنه

أطردتنى حذر الهجاء ولا * واللات والانصاب لا تئل

أى لا تنجو وقال فيه أيضا

ان الخيانة والمقالة والخنا * والغدر تتركه ببلدة مفسد

ملك يلاعب أمه وقطينها * رخو المفاصل أيره كالمبرد

فاذا حللت ودون بيتى غاوة * فابرق بارضك ما بدا لك وارعد

وقال طرفة

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

فى أبيات شهرتها تنبى وتغنى عن ذكرها فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينهما ادلال المنادمة فكتب لهما بصحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا الى عاملى بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز فذهبا فمرا بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمقى أخرج الداء وآكل الدواء وأقتل الاعداء ويروى أقتل عدوا وأدخل طيبا وأخرج خبيثا أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس أتقرأ يا غلام قال نعم ففك الصحيفة

وأصلى قلب الوالى نار حسرة قال فقضيت الليلة معه فى سمر آنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالى عذاب الحريق وسلم الى ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار فنضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب

(قصة المتلمس)

فاذا فيها فاذا اتاك المتلمس فاقطع يديه و رجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ على وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال قذفت بها في اليم من جنب كافر * كذلك أقفو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشأم وقال ألق الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

أراد أنه تخفف للفرار فالقى ما لا ينقل وما لابد للسفر منه وقال حين نجا

من مبلغ الشعراء عن اخويهم * خبرا فتصدقهم بذاك الانفس

اودى الذى علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حيائه المتلمس

ألق الصحيفة لا ابالك انما * يخشى عليك من الحباء النقرس

وأما طرفة فوصل الى البحرين فلما اقرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فاخبره بفراره عفا عنه لصدقه و رعايته لطابع الملك حيث لم يفكه وقيل انه سجنه و بعث الى عمرو بن هند وقال له ما كنت لاقتل طرفة وأعادى قبيلته فاذا أردت قتله فابعث اليه من يقتله ففعل وخير في قتله فاختار أن يسقى الخمر و يفصد أكحلاه ففعل به ذلك حتى مات نزفا ودفن بهجر وقيل في قتله غير ذلك وقال البحترى يصدق ما تقدم

٣ ولقد سكنت الى الصدود من النوى * والشرى أرى عند طعم الحنظل

وكذاك طرفة حين أوجس ضربة * في الرأس هان عليه فصد الاكحل

وقال وهو في السجن يخاطب قومه

أسلمنى قومى ولم يغضبوا * لسوأة حلت بهم فادحه

كل خليل كنت خاللته * لاترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب * ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال يخاطب عمرو بن هند في السجن

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى * ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقتل وهو ابن عشرين سنة والعرب تقول أشعر الناس ابن العشرين وتعنيه الا أن أبا العباس أنشد لاخيه يرثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفى واستوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على غير حال لا وليدا ولا قحما

وهلك المتلمس في الجاهلية ببصرى (قوله غادرته) أى تركته (بعض اليدين) تندما (سادما) متغيرا والسادم المتغير العقل من الغم من قولهم ماء سدم ومياه سدم وأسدام أى متغيرة وقيل السديم الحزين الذى لا يطيق ذهابا ولا مجيأ من قولهم بعير مسدم اذا منع من الضراب فكان الحزين منع من الذهاب والمجىء فيقول تركته يعض يديه تندما وتلهفا (اللظى) لهب النار وقد لظت النار علا لهبها فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين (جاد) سمح (العين) الذهب (هواه) تعشقه وميله (انثنى) رجع (بلا عينين) أى بغير مال ولا بصر (خفض) سكن

قل لوالٍ غادرته بعد بينى
سادما نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه
لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه
عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فانما
يوجدي
طلاب الآثار من بعد عين

٣ قوله ولقد سكنت الخ هكذا في بعض النسخ وفي بعضها ولقد سكنت من الصدود الى النوى الخ اهـ مصححه

(معنى) معذب (يجدى) ينفع و(العين) ههنا الشخص * وقولهم طلب أثرا بعد عين كأن رجلا تمكن من عدوه أو من صيد ليرميه فتراخى عنه حتى فاته ثم شد فى طلبه بعد الفوت وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العاملى وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكا بسبب قتيل كان له فى عمالته فحبسهما زمانا ثم قال لهما انى قاتل أحدكما فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فقتل سماكا وخلى مالكا فقال سماك حين ظن أنه مقتول

وأقسم لو قتلوا مالكا * لكنت لهم حية راصده
برأس سبيل على مرقب / ويوما على طرق وارده
أأم سماك فلا تجزعى - فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك الى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان ركبا مروا وأحدهم يغنى بهذا البيت وأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج فى طلب ثار أخيك فخرج فلقى قاتل أخيه فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فعرفوه فقالوا له لك مائة من الابل وكف عنه فقال لا أطلب أثرا بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله (قوله جل) أى عظم (عراك) قصدك (رزء الحسين) المصاب بقتله حين قتل بكربلاء * وحديثه ان معاوية لما مات أرسل اليه أهل الكوفة ان قد حبسنا أنفسنا على بيعتك وطولب بالمدينة أن يبايع يزيد فخرج الى مكة وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة وقال له ان كان حقا ما كتبوا به فعرفنى ألحق بك فخرج من مكة للنصف من رمضان وقدم لخمس خلون من شوال وأميرها النعمان بن بشير فدخل مستترا فبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفا فكاتبه بذلك فلما هم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له يا ابن عم أهل العراق أهل غدر وانما يدعونك للحرب فقال له يا ابن عم كتب الى مسلم باجتماع أهل الكوفة على فقال له قد جربتهم وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم اذا بلغ ابن زياد خبرك استنفرهم فكان الذين كتبوا اليك أشد عليك من عدوك فان أبيت الا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فرد عليه لان أقتل بموضع كذا أحب الى من ان أستحل بمكة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة فخرج مسرعا فدخلها فى حشمه وهو ملثم والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ويقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر فسر اللثام ففتح له النعمان الباب وتنادى الناس ابن مرجانة فحصبوه بالحصباء ففاتهم ووضع الرصد فى طلب مسلم فصاح مسلم يا منصور وكان شعارهم فاجتمع لهم فى ساعة واحدة ثمانية عشر ألفا فأحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد فلم يمس المساء ومعه مائة رجل فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كندة فبلغ الباب ومعه ثلاثة فخرج وليس معه أحد فبقى حائرا لا يدرى أين يتوجه فنزل من على فرسه ودخل أزقة الكوفة فانتهى الى باب مولاة لمحمد بن الاشعث فاستسقاها فسقته وأعلمها حاله فرقت له فآوته وأعلمت محمد بن الاشعث بمكانه فمشى الى ابن زياد فأعلمه فوجه معه سبعين رجلا فاقتحموا عليه فقاتلهم مسلم فأمنه محمد بن الاشعث وحمله الى ابن زياد فضرب عنقه وبعث برأسه الى يزيد بن معاوية فصلب جثته وانتهى الامر الى الحسين وقد بلغ القادسية فهم

ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين

(حديث رزء الحسين)

بالرجوع فقال له اخوة مسلم لا نرجع أو نقتل أو نأخذ ثارنا فقال الحسن لا خير فى العيش بعدكم فسار حتى لقى خيلا لابن زياد وعليها عمرو بن سعد بن أبى وقاص فعدل الى كربلاء وهو فى نحو خمسمائة فارس فلما كثرت العساكر أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقاتلوننا ثم خطب قومه فقال يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد أو بقى عليها أحد لكانت الانبياء أحق بها وبالبقاء غير أن الله خلقها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والدار قلعة والمنزل تلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم قاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وتولى قتله سنان بن أنس النخعى واحتز رأسه وانطلق به مسرعا الى ابن زياد وهو يقول

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا

وبعث معه الرأس الى يزيد بن معاوية وعنده أبو برزة فجعل ينكت بالقضيب على فيه وهو يقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه وقتل يوم عاشوراء سنة احدى وستين وقتل معه سبعة وثمانون منهم على ابنه الاكبر ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ومن اخوته العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو على ومن بنى عمه جعفر ومحمد وعون أبناء عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم وقتلوا هم من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين (قوله اعتضت) افتعلت من العوض (يبغى ذين) يطلب هذين (الظباء) الغزلان (يلج) يدخل (محدقا باللجين) أى محلقا بالفضة والصائد يفرق حول الفخ حب القمح وشبهه فيلقطه الطائر حتى يتوصل الى ما نصب له فيقع فقال ما كل طائر يخدع ولو حلق له الفخ بحب اللجين بدلا من القمح وانى من هذا الصنف (قوله ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد) من قول الصابى

يا قمرا كالخشف فى نظرته * وكالقضيب اللدن فى نضرته

خلتك صيدا كان فى قبضتى * فصرت من صيدى فى قبضته

(والسابق له كعب بن زهير فى قوله)

طاف الرماة بصيد راعهم فاذا * بعض الرماة بنبل الصيد مقتول

(وخفا حنين) يضرب بهما المثل للخائب الخاسر . واختلف فى حنين فقال يعقوب انه كان رجلا مدعيا فجاء الى عبد المطلب وعليه خفان فقال يا عم انى من ولد هاشم فأنعم النظر فيه وقال لا وعظام هاشم ما أرى فيك شمائل هاشم فارجع فرجع خائبا خاسرا وقيل كان رجلا مغنيا فدعاه قوم من أهل الكوفة ليطربهم فى نزهة فخرجوا به الى الصحراء فضربوه وسلبوا ثيابه وتركوا عليه خفيه فلما رجع الى زوجته وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمة النزهة ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها رجع حنين بخفيه وقيل انه كان صانعا فساومه أعرابى بخفين وما كسه حتى أخرجه فلما ارتحل الاعرابى أخذ حنين احدى الخفين فوضعها

فقد اعتضت منه فهما وحزما
والليبب الاريب يبغى ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم
ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ
خ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى ليصطاد
فاصطيد *
ولم يلق غير خفى حنين

على الطريق ثم مشى وألقى الاخرى فى موضع آخر على الطريق وكمن له فلما مر الاعرابى بالخف قال ما أشبه هذه بخف حنين ولو كان معها الاخرى لاخذتها فلما انتهى الى الاخرى ندم على ترك الاولى فأناخ راحلته وأخذها ورجع الى الاولى فلما غيب عمد حنين الى راحلته بما عليها فركبها ومضى بها ورجع الاعرابى الى قومه بالخفين فكان اذا سئل عن حاله قال رجعت بخفى حنين فصار مثلا وقيل كان حنين لصا حقيرا فأخذ وصلب فجاءته أمه وعليه خفان فانتزعتهما ورجعت فقيل رجعت بخفى حنين أى رضيت منه بذلك (قوله تبصر) اى أحسن النظر (حين) هلاك (والصاعقة) نار ترسل مع الرعد والبرق وجمعها صواعق وصعق الرجل اذا أصابته وصعق اذا مات وقيس تقول صاعقة وبنو تميم صاقعة وقد صقع (غرام) عذاب الحب (شين) عيب و (البذر) زرع الحب فى الارض (طموح) ارتفاع يريد ان أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى عليه السلام لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك وقد تقدم من كثرت لحظاته دامت حسراته وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة ۔ وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافنا للشر بالخير تسترح * من الشر ان الخير للشر دافن

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال المتنبى)

عزيز أسى من داؤه الاعين النجل * عناء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الى فمنظرى * نذير الى من ظن ان الهوى سهل
وماهى الا لحظة بعد لحظة * اذا نزلت فى قلبه رحل العقل

(وقال ابن زيدون)

من يسأل الناس عن حالى فشاهده * محض العيان الذى يغنى عن الخبر
أما الضنى فجنته نظرة علق * كأنها والردى جاآ على قدر
فهمت طرق الهوى من وحى طرفك لى * ان الحوار لمفهوم من الحور

(وقال العباس بن الاحنف)

الحب أول ما يكون لجاجة * تأتى به وتسوقه الاقدار
حتى اذا اقتحم الفتى لجج الهوى * جاءت أمور لا تطاق كبار

فهذا كله يبين بيت الحريرى (قوله مزقت) قطعت (شذر مذر) قطعا متفرقة فى كل جهة وأصل الشذر قطع الذهب ومذر اتباع لها (لم أبل) أى لم أبال (عذل) لام (عذر) قبل العذر

فتبصر ولا تشم كل برق
رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح
من غرام
تكتسى فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى
النفس
وبذر الهوى طموح العين
(قال الراوى) فمزقت رقعته
شذر مذر ولم أبل أعذل
أم عذر

(المقامة الحادية عشرة الساوية)

(حدث الحرث بن همام
قال آنست من قلبى القساوة

(شرح المقامة الحادية عشرة وهى الساوية)

الحادية عشرة تبنى على الفتح كبناء احد عشر (آنست) أدركت وأحسست (القساوة) غلظ القلب وقلب قاس وقسى أى صلب وقلوب قاسية وقسية وهما عند الكسائى والفراء لغتان بمعنى واحد * أبو عبيدة القاسية مأخوذة من القسوة والقسية التى ليست بخالصة الايمان

كالدرهم تقسى" وهو الذى خالطه غش من نحاس أو غيره وقد قسا القلب يقسو قساوة وقساء صلب (ساوة) بلد بينه و بين الرى اثنان وعشرون فرسخا وهى فى الطريق مابين همذان والرى (الخبر المأثور) اى المحدث به وهو قوله صلى الله عليه وسلم عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة وسأل رجل عائشة رضى الله عنها فقال يا أم المؤمنين ان لى داء فهل عندك دواؤه قالت وما داؤك قال القسوة قالت بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت وقيل لعلى رضى الله عنه ما شأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وكانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فاذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب فاذا جاء النهار خرجت الى المقبرة فعوتبت فى اتيان القبور فقالت ان القلب القاسى اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى وانى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القوم بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلا ثم بكى وقال والله لا أعلم أحدا أنعم ممن صار الى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله * استنشد المتوكل أبا الحسن على بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقال انى لقليل الرواية فى الشعر فقال لابد فأنشده

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

كان عمر لو أنشد شعرا فى أوصاف آبائه و بنى عمه ملوك بنى أمية وانحطاطهم من عز المملكة الى ذل المقبرة لم يكن الا هذا الشعر وأبو الحسن القلوى كان قد سعى به الى المتوكل وقيل له ان فى بيته سلاحا وكتبا وغير ذلك فوجه اليه بعدة من الاتراك فهجموا عليه على غفلة ممن فى داره فوجدوه فى بيت مغلق عليه وحده وعليه مسح شعر ولا بساط فى البيت الا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة صوف متوجه الى ربه يترنم بالقرآن فمثل بين يدى المتوكل على حاله والمتوكل يشرب وفى يده كأس فلما رآه عظمه وأجلسه الى جنبه وعلم أنه لم يوجد عنده شئ مما قيل فناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ولا دمى قط فاعفنى عنه فأعفاه ثم قال أنشدنى شعرا أستحسنه فأنشده الابيات المتقدمة فأشفق من حضر عليه من المتوكل فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا وبكى من حضر وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال أربعة آلاف درهم فدفعه

حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور فى مداواتها بزيارة القبور

السه ورد الى منزله مكرما وقال له مايقول ولدأ بيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقولون يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم وانما أراد طاعة الله على بنيه فعرض * وقال سابق البربرى فى المعاريض

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن * على الاثم والعدوان ممن يعاون
وداهن اذا ماخفت يوما مسلطا * عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولا بد ذا الوسنين يبدى بشاشة * وفى صدره ضب من الغل كامس

رجعت الى عرض المقامة * عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى مايدرك الولد من الرقة وكان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور ولا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت وكان رجل يشهد الجنائز فاذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذا شيأ قال فأمسيت ليلة ولم أدع فبينما أنا نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت من أنتم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك كنت عودتنا هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وماهى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك (قوله محلة الاموات) هى المقابر التى يحلون بها (كفات) قبور وأوعية وكفت الشئ ضمته وقبضته وكفات الشئ ماضمه وستره وقوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا قيل كفات الاحياء بيوتهم وكفات الاموات قبورهم و (الرفات) العظام البالية وقال ابن المعتز فى مقبرة

وسكان دار لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى التجاور من بعض
كأن خواتيما من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

* (وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) *

انظر لنفسك يا مسكين فى مهل * مادام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها * لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة * وفيهم لك يا مغتر معتبر

وقال مالك بن دينار مررت بالمقابر فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر
فنوديت من بينهم لا أرى * شخوصا لهم ولا من أثر
تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر

تروح وتغدو بنات الثرى * وتمحى محاسن تلك الصور

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

تناجيك أجداث وهن سكوت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(ومما وجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

قال اعرابى من خاف الموت بادر الفوت ومن لم يقمع النفس عن الشهوات بادرت به الى الهلكات والجنة والنار أمامك * مرض اعرابى فقيل له انك تموت قال واذا مت فالى أين أذهب قالوا الى الله قال فما كراهتى ان أذهب الى من لم أر الخير الا منه وقال اعرابى ما بقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله الى الثواب الذى أحيا له ليله وأظمأ له نهاره وقال آخر من كانت مطيتاه الليل والنهار سارا به وان لم يسر وبلغا به وان لم يبلغ * آخر تصرف الليل والنهار لا تبقى معه الاعمار ولا لاحد فيه الخيار (قوله مجنوز) أى ميت وحكى ابن سيده قول بعضهم جنزت الميت اذا سترته بالكفن وقال الحسن لما أنذر بجنازة النوار امرأة الفرزدق المنذر بها اذا جنزتموها فآذنونى بالجنازة والجنازة من جنزت وهى بالفتح الميت وبالكسر النعش وقيل معناهما واحد وهو الميت والمختار الكسر (يقبر) يدفن (انحرفت) ملت (المآل) المرجع (مذكرا) متذكرا (درج) هلك (الآل) الاهل (ألحدوا) دفنوا وألقوه فى اللحد وهو حفير فى جانب القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقبرة يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وكان على رضى الله عنه اذا دخلها يقول السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم واعف عنا وعنهم ثم يقول الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا منها خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضى عن الله وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا دخل قال اللهم رب الاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منا (قوله أشرف) أى طلع (الرباوة) الكدية و(متخصر) أى جاعلها مما يلى خصره (هراوة) عصا (لفع) غطى (نكر) غيره تنته (لدهاته) لمكره * ويقال قصر فهو مقصر اذا ترك الشئ وهو قادر عليه وشمر اجتهد (والمتبصر) الناظر فى الشئ على وجه التفهم فقد يصيب وقد يخطئ ولذلك قالوا أحسنوا النظر (الاتراب) الاصحاب المتقاربون فى الموالد كانهم قطعوا من تربة واحدة وأكثر ما يقع للنساء وذامات للانسان صاحب على سنه كان

ومجنوز يقبر فانحرفت اليهم متفكرا فى المآل متذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب

ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبؤن بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون نعى يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره فى استخلاص نصيبه ويخلى بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما

أو قع لحزنه فلذا نبه بالترب قال الالبيرى

فانّ الردى غل أهل التقى * فلم يبق الا الغشوم العنيد
وأودى بكل خليل ودود * فأين ولا أين خل ودود
وكم من أخى ثقة قد حدث * فلله ما غيبته اللحود *
وأثكلنى الانس ثكل اللدات * فصرت كأنى غريب وحيد
وكم من شقى يوارى التراب * وكم من سعيد يوارى الصعيد

(قوله يهولكم) أى يفزعكم (الهيل) الصب الكثير من أعلى الى أسفل فى مثل كدس الرمل وعند صب التراب على الميت تطير القلوب اشفاقا وتسيل العيون رحمة قال أبو العتاهية

بكيتك يا أخى بدموع عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أبو على الرازى مررت بصبيان فى طريق الشأم يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت مهلا قد غبرتم فقال صبى منهم ياشيخ أين تنتر اداهيل عليك التراب فى القبر فغشى على فافقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون فقلت له أعندك حيلة فى الفرار من التراب قال أنا لا أعلم ولكن سل غيرى فقلت زمن غيرك قال عقلك (تعبؤن) تبالون وتهتمون و (النوازل) جمع نازلة وهى المصيبة (الاحداث) ما يحدث على الانسان من الخير والشرو (الاجداث) بالجيم القبور واحدها جدث وجدف (تستعبرون) تبكون (تعتبرون) تتعظون وترونه عبرة (والنعى) ذكر موت الانسان وكانت العرب اذا مات منها سيد ركب رجل فرسه ومشى فى الاحياء فيقول نعاء فلانا والناعى المخبر بموت الرجل وقد نعاه نعيا (ترتاعون) تخافون (الف) صاحب وهو فى الاصل مصدر ألفت الشئ فالفسمى به ويقال فى معناه أليف (تلتاعون) تحترقون من الحزن واللوعة حرقة من الهم (المناحة) اجتماع النساء للبكاء على الميت (تعقد) تجمع وتؤلف (وقلبه تلقاء البيت) أى وقلبه مستقبل لبيت الميت يفكر فيما ترك لبرثه (مواراة) دفن وقد واراه اذا ستره (استخلاص) تحصيل (ودده) الاول محبوبه الذى يوده (ودوده) الثانى جمع دودة والواو للعطف *وقال سابق البربرى فى معنى ما تقدم

نلهو وناسل أياما تعدلنا * سريعة المر تطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته * ذلا وضاحكة يوما سنبكيها
وللحتوف تربى كل مرضعة * وللحساب برى الارواح باريها
لا تبرح النفس تنعى وهى سالمة * حتى يقوم بنادى القوم ناعيها
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة * حتى تقيم بواد غير واديها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(وقال آخر)

اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل يحصى عليك وما خلفت موروث

اسيتم على انثلام الحبة
وتناسيتم اخترام الاحبة
واستكنتم لاعتراض
العسرة واستهنتم بانقراض
الاسرة وضحكتم عند الدفن
ولا ضحككم ساعة الزفن
وتبخترتم خلف الجنائز ولا
تبخترتم يوم قبض الجوائز
وأعرضتم عن تعديد
النوادب الى اعداد
المآدب وعن تحرق
الثواكل الى التأنق في
المآكل لا تبالون بمن هو

وقال الحسن ابن آدم أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضي ومن نعيمها بما يمضي ومن ملكها بما ينفد تجمع لنفسك الاوزار ولاهلك الاموال فاذا استحملت أوزارك الى قبرك وتركت أموالك لاهلك أخذه أبو العتاهية فقال

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * يا ليت شعري ما أبقى لك المال
القوم بعدك في حال تسرهم * فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل في الميراث والقال

(وقال ابن عبد ربه)

أيا من عنده أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك في القبور
هي الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها * كعارية ترد الى المعير

(وقال جبلة بن حرب)

يا قلب انك في الاحياء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
تريد أمرا ولا تدري أعاجله * خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبطا * اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور
حتى كأن لم يكن الا تذكره * والدهر أية ما حين دهارير
وذاك آخر عهدهم من أخيك اذا * بالموت ضمنه اللحد الخناصير

(قوله أسيتم) أي حزنتم (انثلام) انكسار ونقصان (اخترام) هلاك يقول اذا انتقص لكم من المال أدنى شيء حزنتم عليه ولا تحزنون على نقص أحبابكم * أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله (قوله استكنتم) ذللتم واستكان استفعل من لفظ السكين وهو لحم باطن الفرج (اعتراض العسرة) ظهور الفقر (انقراض الاسرة) موت القرابة (الزفن) الرقص (ضحكتم عند الدفن) جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في الجنائز ورأى ابن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال تضحك وأنت في جنازة والله لا أكلمك أبدا ونظر عبد الله بن ثعلبة الى رجل يضحك في جنازة مستغربا فقال أتضحك ولعلك قد أخذت أكفانك من القصار وفي الحديث كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء المؤمن (قوله تبخترتم) أي تعظمتم وأظهرتم الاعجاب في مشيكم (الجوائز) الصلات وهم يظهرون في أحسن الثياب عند الملوك لتكثر لهم العطاء (أعرضتم) تنحيتم وهو من العرض كأنك اذا القيت من تكره استقبلته بعرضك أي بجانبك (النوادب) النوائح اللواتي يندبن الميت أي يبكينه فيقول أعرضتم عن الباكيات حين عددن خصال الميت المحمودة ولم تفكروا في تلك الحال (اعداد) أي استعداد (المآدب) المطاعم للاعراس (تحرق) توجع (الثواكل) الفاقدات لاحبابهن و (التأنق) التحسين وقد

تأنق في الشيء اذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه (بال) دارس متغير يريد الميت (ببال) بفكر وخاطر (الحمام) الموت وأصله القدر وهو من حم أي قدر وذات الشيء نفسه وحقيقته (مسالمة) متاركة ومصالحة، أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت وقال الالبيري في معنى ما تقدم

كم آمن للمنون لاه * عن الردى بات مطمئنا
صبحه وافد المنايا * فعاين الموت حين عنا
حتى اذا ما قضى بكاه * حميمه معولا مرنا *
واروه في لحده وسنوا * عليه قيد التراب سنا
وانتهبوا ماله وشنوا الـ * غارات فيما حواه شنا
لمثل هذا فكن معدا * ماقد أعد الهداة منا
وارتقب الموت فهو حتم * يخترم الطفل والمسنا

(قوله كلا) زجر أي ليس الامر كما ظننتم وقوله (أيا من يدعى الفهم * الى كم يا أخا الوهم) يسمى هذا من أنواع الشعر المسمط أي المفصل مأخوذ من السمط وهو سلك الجوهر اذ تفصل بالزمرد والذهب وغير ذلك (الوهم) الغلط (الجم) الكثير وعلى قوله * وتخطى الخطأ الجم ذكر الحريري في الدرة ان قول الخواص أخطأ لمن يأتي بالذنب متعمدا تحريف للفظ والمعنى ولا يقال أخطأ الا لمن لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد ولم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وانما أوجب له الاجر على اجتهاده اصابة الحق الذي هو نوع من انواع العبادة لا على الخطأ الذي يكفي صاحبه أن يعذر فيه ويرفع اثمه عنه والفاعل من أخطأ مخطئ والاسم الخطأ قال الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ وأما المتعمد فيقال فيه خطئ فهو خاطئ والمصدر الخطء قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا والاسم منه الخطيئة ويقع على الصغيرة قال الله تعالى أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين اخبارا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى الكبيرة كقوله تعالى وأحاطت به خطيئته الآية قال أبو محمد الحريري ولي في تضمين هاتين اللفظتين وتخصيص معنييهما المتنافيين

لا تخطون الى خطء ولا خطأ * من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
فأي عذر لمن شابت مفارقه * اذا جرى في ميادين الهوى وخطا

وهذه التفرقة منه مستحسنة وكذا يقع في أكثر كلامهم وأما على القطع فلا لانه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد في الجمهرة ان العرب تقول خطئت الشيء أخطؤه خطأ وخطئي وأخطأته خطأ في معنى واحد قال

والناس يلحون الامير اذا هم * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

(أما) حرف استفتاح واخبار (بان) ظهر (أما أنذرك الشيب) سيأتي مستوفيا وقال في الشيب الفقيه الزاهد أبو عمران رحمه الله

ذهب الشباب بجهله وبعاره * وأتى المشيب بحلمه ووقاره
شتان بين مبعد من ربه * بغروره ومبشر بجواره

بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هاذم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم أنشد

أيا من يدعى الفهم
الى كم يا أخا الوهم
تعبي الذنب والذم
وتخطى الخطأ الجم
أما بان لك العيب
أما أنذرك الشيب

مازلت أمرح بالشباب جهالة * كالطرف يمرح معجبا بعذاره
وسحبت أثواب البطالة لاهيا * وجررت من بطر فضول ازاره
حتى تقلص ظله فتكشفت * عوراته وبدا قبيح عواره
لم أحظ منه بطائل غير الاسى * وتندم منى على أوزاره
والآن قد خط المشيب بمفرقى * بمواعظ والحق فى تذكاره
والنفس تركب غيها لا ترعوى * عنه ولا تصغى الى انذاره
لهفى على عمر تقضى ضيعا * محصى على بليله ونهاره

* كان شاب فى بنى اسرائيل عبد الله عشرين سنة وعصاه عشرين سنة فنظر يوما فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع صوتا من زاوية البيت أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت الينا قبلناك قال ابن وضاح اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح ابليس على وجهه وقال بأبى وجه لا يفلح أبدا وأنشدوا

واذا امنى للمرء من أعوامه * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
ركدت عليه المخزيات وقلن قد * أرضيتنا فأقم لذا لا تبرح
واذا رأى ابليس غرة وجهه * حيا وقال فديت من لم يفلح

وقال آخر

تلاحظنى المنية من قريب * وتلحظنى ملاحظة الرقيب
وتنشر لى كتابا فيه طى * بخط الدهر أسطره مشيبى
كتاب فى معانيه غموض * تلوح لكل أواب منيب
أزال الله يا صاحى شبابى * فعوضت البغيض من الحبيب
وبدلت التكاسل من نشاطى * ومن حسن النضارة بالشحوب
كذاك الشمس يعلوها اصفرار * اذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كاف هنا فى ذكر الشيب (قوله ريب) شك (أما أسمعك الصوت) الصوت هنا النياحة على الميت و(الفوت) بعد الشئ (الاحتياط) من الحوطة وهى الوقاية (تسدر) تتحير (تختال) تتكبر (الزهو) الكبر (عم) شمل ولابى العتاهية فى معناه

حتى متى ذو التيه فى تيهه * أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم * وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العز ليبقى به * فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه * من ليس يرجوه ويخشاه

(ولمحمد بن حازم)

فيا شامخا أقصر عنانك مقصرا * فان مطايا الدهر تكبو وتعثر
ستقرع سنا أو تعض ندامة * يديك اذا خان الزمان وتبصر
ويلقاك رشد بعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والامر مدبر

(قوله تجافيك) أى تباعدك من فعل الخير (ابطاء) تأخر (تلافيك) تداركك (طباعا) أخلاقا

ومافى نعمه ريب
ولا سمعك قد صم
أما نادى بك الموت
أما أسمعك الصوت
أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم
فكم تسدر فى السهو
وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو
كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك
وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم
اذا أسخطت مولاك
فما تقلق من ذاك

يريد أن اخلاقك قد جمعت فيك عيوبا انضم عليك شملها (أخفق) خاب (مسعالك) طلبك ومشيك فى اكتساب الرزق (تلظيت) احترقت واشتعلت وهو تفعلت من اللظى (الاصفر) الدينار ونقشه الكتاب الذى فيه (تهتش) تخف وتهتز طربا (تغاممت) أظهرت الغم (ولاغم) أى ليس عندك غم على الحقيقة كان أبو الدرداء رضى الله عنه اذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحى فانا غادون * أبو عمرو بن العلاء قال جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه ودع أمامة حان منك رحيل * ثم طلعت جنازة فامسك وقال شيبتنى هذه الجنازة قلت فلم تساب الناس قال يبدؤنى ثم لا أعفو وأعتدى ولا أبتدى

ثم أنشأ يقول
روعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة هجمة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

(وقال آخر)

وتعد كثرة من يموت تجبا * عما قريب سوف تدخل فى العدد
وأراك تحملهم ولست تردهم * وكأنى بك قد حملت ولا ترد

(قوله تعاصى الناصح البر) أى تعاصى من ينصحك ويبرك (تعتاص) تتصعب وهو تفتعل من العصيان على القلب (تزور) تنقبض (غر) خدع (مان) كذب و(نم) مشى بالنميمة (الرمس) القبر (لاحظك الحظ) نظرك السعد (طاح بك) أذهبك وأهلكك واللحظ النظر بمؤخر العين وقد لحظه لحظا ولاحظه ملاحظة وكله من اللحاظ وهو طرف العين مما يلى الصدغ و(جلا) كشف (تذرى) تصب وترسل متفرقا * أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فلو أن السفن أجريت فى دموعهم لجرت (لاجع) أى لا قبيل ولا عشير يحميك ولا ينعشك يوم القيامة (يقى) يمنع (عرصة الجمع) موضع اجتماع الناس فى الحشر (تنحط) تنزل (اللحد) حفير فى جانب القبر (وتنغط) تنضم وتنقبض يقال غططته فى الماء اذا أغرقته فيه وغمسته (أسلمك الرهط) تركك قومك (سم) عين الابرة يريد ضيق القبر على الميت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ وعن أنس رضى الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه قلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا فم ذلك قال ذكرت ضغطة بنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين (قوله ينخر) أى يبلى و(العود) تابوت الميت و(رم) بلى قال الفصيح يعنى الى ان ينخر العود أى الى ان يبلى الجسم الناعم الذى هو مثل القضيب وقال الالبيرى

كأنى بنفسى وهى فى السكرات * تعالج ان ترقى الى اللهوات
وقد زم رحلى واستقلت ركائبى * وقد آذنتنى بالرحيل حداتى
الى منزل فيه عذاب ورحمة * وكم فيه من زجر لنا وعظات
ومن أعين سالت على وجناتها * ومن أوجه فى الترب منعفرات

وان أخفق مسعالك
تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش
من الاصفر تهتش
وان مر بك النعش
تغاممت ولاغم
تعاصى الناصح البر
وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم
وتسعى فى هوى النفس
وتحتال على الفلس
وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ
لما طاح بك اللحظ
ولا كنت اذا الوعظ
جلا الاحزان تغتم
ستذرى الدم لا الدمع
اذا عاينت لاجع
يقى فى عرصة الجمع
ولا خال ولا عم
كأنى بك تنحط
الى اللحد وتنغط
وقد أسلمك الرهط
الى أضيق من سم
هنالك الجسم ممدود
ليستأكله الدود
الى ان ينخر العود
ويمسى العظم قد رم

وكم

ومن بعد فلا بدّ
من العرض اذا اعتد
صراط جسره مد
على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل
ومن ذى عزة ذل
وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر
لما يحلو به المر
فقد كاد يهى العمر
وما أقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر
وان لان وان سر
فتلفى كمن اغتر
بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك
فان الموت لاقيك
وسار فى تراقيك
وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد
اذا ساعدك الجد
وزم اللفظ ان ند
فما أسعد من زم
ونفس عن أخى البث
وصدقه اذا انث
ورم العمل الرث
فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص
بما عم وما خص
ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل
وعوّد كفك لبذل
ولا تسمع العذل
ونزهها عن الضم

وكم وارد فيه على ما يسرّه * وكم وارد فيه على الحسرات

(قوله اعتد) أى استعد روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء التقادع التهافت كأن كل واحد منهم يقدع صاحبه كى يسبقه (والجسر) بناء على النار يجاز عليه من جهة الى أخرى و (أم) قصد (مرشد) هاد (ضل) تحير (الخطب) الامر الشديد (طم) عظم (الغمر) الجاهل بالامور (والذى يحلو به المر) هو التوبة والاعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد (يهى) يضعف (أقلعت عن ذم) أى رجعت عن أمر مذموم وقال ابن عبد ربه بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يعدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا
(قوله لا تركن) تقول ركنت الى فلان اذا اتخذته ركنا تلجأ اليه (تلفى) توجد (اغتر) انخدع (تنفث) تبصق عند لدغها (خفض) سكن (تراقيك) ارتفاعك وتكبرك (سار) ماش (والتراقى) العظمان المعوجان على الصدر (ينكل) يضعف وينقطع (ان هم) ان أرادك وهم بك وفى معنى هذا قول أبى نواس قال غانم الورّاق دخلت عليه قبل وفاته بيوم فقال لى أمعك ألواحك قلت نعم قال اكتب

دبّ فىّ السقام سفلا وعلوا * وأرانى أموت عضوا فعضوا
ليس تمضى من لحظة لى الا * نقصتنى بمرّها بى جزوا
ذهبت حدّتى بطاعة نفسى * وتذكرت طاعة الله نضوا
لهف نفسى على ليال وأيا * م تجاوزتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فاللهمّ * صفحا عنا وغفرا وعفوا

(قوله نفس) أى وسع نفسه كأنه خنق فضاق نفسه فأمر بحله (أخى البث) صاحب الحزن (نث) نطق وكشف له سره (رم) أصلح وقد رممت الشئ رما أصلحته (الرث) الخلق (رش) اجعل له ريشا (انحص) انتتف ريشه تقول رشت الرجل أى أعنته وأنمنيته (بما عم وما خص) أى بما كثر من العطية وقل (تأس) تحزن (على النقص) أى على النقصان فى الصدقة والمعروف ولا تكن أيضا حريصا على جمعه ومنعه ممن احتاج اليه و (اللم) جمع المال ولممت الشئ لما (الرذل) الردئ يريد عاد اخلاق البخل أو الخلق السوء عن عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسئ الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق لانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شرّ منه و (البذل) العطاء وبذلت الشئ بذلا أى أبحته عن طيب نفس و (العذل) اللوم أى من لامك على العطاء لا تسمعه وأعط واحسن ما قيل فى ردّ العذل على كثرته قول زهير

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله
بكرت اليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه * وأعيى فما يدرين أين مخاتله
فأقصرن فيه عن كريم مرزا * صبور على الامر الذى هو فاعله

(قوله نزهها) أى باعدها (عن الضم) أى عن ضم الاصابع على ما فى الكف يقول ابسط كفك

وزود نفسك الخير
ودع ما يعقب الضير
وهيء مركب السير
* وخف من لجة اليم *
بذا أوصيت يا صاح
وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح
* بآدابي يأتم *
ثم حسر ردنه عن ساعد
شديد الاسر قد شد عليه
جبائر المكر لا الكسر
متعرضا للاستماحة في
معرض الوقاحة فاحتلب
به أولئك الملأ حتى أترع
كه وملأ ثم انحدر من
الربوة جذلا بالحبوة
(قال الراوي) فجاذبته من
ورائه حاشية ردائه فالتفت
الي مستسلما وواجهني
مسلما فاذا هو شيخنا
أبو زيد بعينه ومينه
فقلت له
الى كم يا أبا زيد
أفانينك في الكيد
لينحاش لك الصيد

بالعطية ولا تقبضها على ما فيها شحا قال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لا زالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما الفقد لك في الاحشاء احراق

كانه قلب بيت ابن دريد في رجل من أهل البصرة

يا من يقبل كف كل ممخرق هذا ابن يحيى ليس بالمخراق
قبل أنامله ولسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

أخذه ابن دريد من ابراهيم بن العباس الصولي يمدح الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل
فبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل
وباطنها للندى * وظاهرها للقبل

(وسرقه ابن الرومي فقال)

أصبحت بين خصاصة ومذلة * والحر بينهما يموت ذليلا
فامدد الي يدا تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

(وقال ابن عبد ربه)

وما خلقت كفاه الا لاربع عقائل لم يعقل لهن ثواني
لتقبيل أفواه واعطاء نائل وتقليب هندي وحبس عنان

(قوله ودع ما يعقب الضير) أي دع عملك شيأ يجيئك في اثره ضرر (المركب) السفينة هنا و(اليم) البحر (واللجة) معظم الماء وجعل الميت كالمسافر وضرب له بالبحر مثلا لكثرة ما يرى من الاهوال فأمره بالاستعداد لذلك (يا صاح) يا صاحب (بحت) نطقت يريد أن كل ما قدم من الوصية انما هو على وجه النصح كما وصى هو بها قبل ذلك وأراد بقوله صاح كل من يسمع وصيته لا صاحبا معينا (طوبى) شجرة في الجنة وهي عندهم فعلى من الطيب (يأتم) يقتدي بها في الظاهر يريد أنه من اقتدى بهذه الوصية طوبى له وهو يريد من حصل آداب المقامات كلها رأس (قوله حسر) أي كشف (ردنه) كمه (الاسر) الخلقة ومنه قوله تعالى وشددنا أسرهم أي خلقهم وهو من الاسار وهو القد الذي يشد به الاسير فشرك الجلد هي الاسار ويراد بها في الخلقة العصب التي يشتبك بها الجسد وتلتئم بها الاعضاء واليها حكم حركة البدن من القيام والقعود فسبحان الذي أنشأ الخليقة كيف شاء (الاستماحة) الطلب استفعالة من ماح الرجل يميحه اذا أعطاه وأصل ذلك من المائح وهو النازل في قعر البئر ليغرف ماءها ويعرقه على دلاء المستقين وقد ماح البئر يميحها (الوقاحة) ترك الحياء وصلابة الوجه من الحافر الوقاح وهو الصلب ومعرضها موضع عرضها ونشرها وان كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة لبسه لان المعرض الثوب الذي تعرض فيه الجارية للبيع والوقاحة اظهار ذراعه صحيحا مشدودا عليه بخرق ليوهم من رآه أنه مكسور (احتلب) خدع واحتلب بالحاء حلب ما عندهم كما تحلب الشاة (الملأ) الجماعة (اترع) ملأ (انحدر) هبط والربوة لغة في الرباوة التي تقدمت (جذلا) مسرورا (الحبوة) العطية (جاذبته) نازعته (مينه) كذبه (أفانينك) أنواع كذبك وحيلك (ينحاش) ينضم ويجتمع وحشت

الصيد

الصيد أحوشه اذا جئته من حواليه لتصرفه الى الحبالة (لا تعبأ) أى لا تبالى من عبأت الحلم للجهل والخيل للحرب اذا استعددته واذا لم يبال بالشئ لم يستعدله (ارتياء) ابطاء وهو افتعال من رؤية القلب التى معناها التدبر والتفكر وأصل بابه الهمز فنقلها لمكان همزة اللام يقول أجاب من غير فكرة (يقمر) يغلب وتقول قامرت الرجل قمارا فقمرته أقمره أى غلبته (دسته) أى حيلته والدست الذى يكون لك فيه الغلب فى الشطرنج تقول الدست لى والدست على ومن ألفاظ عامة المشرق أن يقول الرجل لصاحبه هل نأخذ دستا (تم) كمل (قوله زاملة) أى حاملة والزاملة الدابة يحمل عليها (طلاوة علانيتك) أى حسن ظاهرك (خبث نيتك) فساد باطنك وفى معنى هذا قال لقمان لابنه احذر واحذر وهى أهل الحذر اياك أن ترى انك تخشى الله وقلبك فاجر يحذره من الرياء وفى الحديث من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقيل لرجل مراء ما أحسن صلاتك قال ومع هذا فانى صائم قال الشاعر

وإذا أظهرت شيأ حسنا فليكن أحسن منه ما يسر

فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(وقال محمود الوراق لابن أخيه)

تصوّف كى يقال له أمين * وما معنى التصوّف والامانه

ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه

(وقال فيه أيضا)

شمر ثيابك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاء بثوم

وعليك بالتقوى فاجلس عنده * حتى تصيب وديعة ليتيم

(وقال الابيض الالبيرى)

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يصبح فى الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم

وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال آخر لا شئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدى سبا * ويذيله حرصا لجمع المال

لا خير فى كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب لحلال

فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أى سؤال

(قوله مفضض) مطلى بالفضة (والكنيف) المستراح (ذات) جهة وناحية (ناوحت) قابلت (مهب) ناحية هبوبها (الجنوب) الريح القبلية و (الشمال) ٣ الجنوبية

(شرح المقامة الثانية عشرة وهى الدمشقية)

(شخصت) أى خرجت (الغوطة) موضع بالشأم خصيب بخارج دمشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الشأم فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الشأم وفسطاط المؤمنين بارض منها يقال لها الغوطة قال الاصمعى أحسن أنهار الدنيا ثلاثة أنهار الغوطة

ولا تعبا بمن ذم فاجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال تبصر ودع اللوم وقل لى هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم متى ما دسته تم فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك فى طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث مفضض أو كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

(المقامة الثانية عشرة الدمشقية)

حكى الحرث بن همام قال شخصت من العراق الى الغوطة

٣ قوله الجنوبية كذا بالاصل ولعل الصواب مقابل الجنوب أو مقابل الجنوبية اه مصححه

وسمرقند ونهر الابلة وهو قريب من البصرة وحشوشها ثلاثة عمان وأردبيل وهيت وسميت دمشق باسم صاحبها الذى بناها وهى ارم ذات العماد وقال اليعقوبى مدينة دمشق جليلة المقدار قديمة وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والاسلام وليس لها نظير فى جميع بلاد الشأم فى أنهارها وبساتينها ومبانيها وكثرة عمارتها وافتتحت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة وقال شيخنا ابن جبير مدينة دمشق هى جنة المشرق ومطلع حسنه المونق وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين وحلت من وضع الحسن بمكان مكين وتجلت فى منصتها بأجمل تزيين وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل ينساب انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض تحيى النفوس بنسيمها العليل تبرز لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم ألا هلموا الى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت أرضها كثرة المياه حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الاكمام للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظته بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد النظر ولقد صدق القائلون عنها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها وقال فيها البحترى

اذا أردت ملأت الطرف من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * وياقعا خضرا أوطائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد وقدته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهينى خلو الذرع ويزدهينى حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس ألفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت أفض فيها ختوم الشهوات وأجتنى قطوف اللذات الى أن شرع سفر فى الاعراق وقد أشفقت من الاغراق فعادنى عيد من تذكار الوطن

(قوله جرد) أى خيل قصيرة شعر الجسد (جدة) غنى (مغبوطة) محسودة أراد مغبوط عليها مالكها فقلب (يلهينى) يدعونى الى اللهو (خلو الذرع) فراغ البال والصدر من الهم (يزدهينى) يحملنى على الزهو (حفول الضرع) كثرة المال والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدى للمرأة وحفوله امتلاؤه باللبن (شق) مشقة (انضاء) اهزال و(العنس) الناقة القوية (الفيتها) وجدتها (النوى) البعد والانتقال من بلد الى بلد وأراد أنه شكر سفره (ويد النوى) النعمة التى أنعم بها عليه بأن أوصله الى الغوطة (الهوى) ما تهواه النفس وتشتهيه (طفقت) أخذت (أفض) أكسر (ختوم) ربوط يريد ان شهوته التى كانت قد شدت وربطت أخذ يكسر ختومها ويسرحها فى المآكل والمشارب واللذات (اجتنى) أجمع جناه (قطوف) ما يجنى من الثمار وجعله للذات اتساعا (شرع) أخذوا بتدأ من شرعت الدابة فى الماء اذا دخلته لتشرب (سفر) مسافرون (الاعراق) المشى الى العراق (أشفقت) خفت (الاغراق) الفقر من أجل الزاد والمأكل وكأنه غرق فى ذلك فهو يرجع الى الغرق والاغراق المبالغة فى الشئ يقال أغرق الرجل فى القول والرمى بالقوس اذا بالغ فيهما (عادنى) زارنى (عيد) شوق وكل ما تذكرته واشتقت اليه عيد كانه عاد الى قلبه بعد نسيانه وتمثل لفظ الشاعر

عاد قلبى من الطويلة عيد * واعترانى من حبها تسهيد

*ابن الانبارى العيد هنا الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق وقال تأبط شرا

يا عيد مالك من شوق وايراق * ومر طيف على الاهوال طراق

العيد ما يعتاد من الحزن والشوق ومعنى يا لك من شوق ما أعظمك من شوق (الحنين) الشوق (العطن) مبارك الابل حول الماء وأراد به بلده (قوضت) هدمت (خيام) بيوت (الاوبة) الرجوع وأراد قطعت أسباب الاقامة (استتب) تهيأ وأقام (الحنا) خفنا (الخفير) المجير وهو الذى يمشى الرفاق فى ذمته وتسميه العامة الغفير (ردناه) طلبناه (أعوز) عدم الاحياء الاول القبائل والثانى ضد الموتى (حالت) تغيرت (لعوزه) لفقده (عزوم) جمع عزم وهو الجد (السيارة) الرفقة وهى فعالة من السير (اتدوا) اجتمعوا (باب جيرون) من أبواب جامع دمشق وجيرون هذا هو جيرون بن سعد بن عاد وهو الذى بنى دمشق ونقل اليها الرخام وسماها ارم وعلى هذا نقلة الاخبار ان ارم ذات العماد هى دمشق يقال انه كان فيها أربعمائة ألف عمود وقد تقدم أيضا ان دمشق سميت باسم بانيها وهو دماشق بن نمرود بن كنعان وقيل بانيها دمشق بن عابر بن ملك بن أرفخشذ بن سام بن نوح قال اليعقوبى جامع دمشق ليس فى الاسلام أحسن منه بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين مفروش بالرخام الابيض المختم بالازرق وسقفه لا خشب فيه مذهب كله ومنائره ثلاث الواحدة فى مؤخر المسجد مذهب كلها من أعلاها الى أسفلها وذكر شيخنا ابن جبير فى وصف هذا الجامع ووصف دمشق غرائب لا تتسع لها هذا الكتاب فلنلمّ هنا ببعض ما وصف فى هذا الجامع لنفى بشرطنا قال هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ومن عجيب شأنه أنه لا يلم به نسج العنكبوت ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف اتدب لبنائه الوليد ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثنى عشر ألف صانع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد فى ذلك ان توقف فامتثل أمره مذعنا فشرع فى بنائه وبلغت الغاية فى التأنق فيه وأنزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه صالح النصارى لما دخلها بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى فصيره مسجدا وبقى النصف الغربى للنصارى فأخذه الوليد وأدخله فى الجامع بعد أن رغب اليهم أن يعوضهم عنه فأبوا فأخذه قهرا وكانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون فأكملوا هدمها ثم أرضاهم عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذرعه مائتا خطوة وهى ثلثمائة ذراع وذرعه فى السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وتكسيره بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم غير ان طوله من القبلة الى الشمال وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامة البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها ثمانية أرجل تتخللها

والحنين الى العطن
فقوضت خيام الغيبة
وأسرجت جواد الاوبة
ولما تأهبت الرفاق واستتب
الاتفاق ألحنا من المسير
دون استصحاب الخفير
فردناه من كل قبيلة وأعملنا
فى تحصيله ألف حيلة
فأعوز وجدانه فى الاحياء
حتى خلنا أنه ليس من
الاحياء فحالت لعوزه
عزوم السيارة واتدوا
بباب جيرون

واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة وأربعة أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالا غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرا ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سعته عشر خطا عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلا والباقي سوار وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص وأعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد أغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة الملونة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله قد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سواريات مفتولات فتل الاسورة قائمات مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان لم ير شيء أجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام طولها أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها بجهة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر والثالثة بالجانب الغربي يجتمع الحنفية فيها للتدريس وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي يعرف بباب الناطفين وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها وله وللغربي دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها ثم ذكر في الصحن عجائب من الابنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه واختصاره أنه قال هذا الصحن من أجل المناظر وأحسنها وفيه مجتمع أهل البلد ومفترجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من باب جيرون الى باب البريد لا يزالون على هذه الحالة الى انقضاء صلاة العشاء الاخيرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ فهذا دأبهم أبدا بالعشي والغداة والاحفل بالعشي وأهل البطالة يسمونهم الحرائين * وللجامع أربع سقايات في كل جهة سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون وذكر أن حول باب جيرون من الابنية الغريبة ما يطول وصفه وذكر باب جيرون فقال يخرج من دهليزه الى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهي كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبي الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز وفوقها سطح يبيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام وفي وسط الحوض أنبوب صفر تزعج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علوا فتخرج

منها

منها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائسة ومنظرها أبدع من أن يوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه شبه غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فمند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمى بازين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازين يمدان أعناقهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا فعند وقوعهما يسمع لهما دوى فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة ويتغلق الباب تلك الساعة بلوح أصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان فى القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة فى كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضى ساعات الليل وقد وكل بها من يدير شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنج الى موضعه وهى التى تسمى الميقاتة ثم ذكر فى باب جيرون وفى الجامع وفى خارج البلد عجائب ليس من شرطنا وانما ذكرنا منها مادعت اليه الحاجة من ذكر باب جيرون (قوله الاستخارة) أى طلب الخيرة واستخرت الله سألته أن يهب لى الخيرة (شزر) عقد (سحل) حل وشزرت الحبل شزرا شددت فتله وسحلت النسج سحلا أفردت سداه ولم تفتله (نند) تم وفرغ (التناجى) التحدث سرا (قنط) يئس (الراجى) الطامع (حذتهم) قريبا منهم تقول دارى حذوه وحذوته وحذته أى حذاءه (ميسمه) علامته وأصل الميسم الموسم لانه من وسمت الشئ فقلبت الواو ياء لسكونها وكسر ماقبلها (لبوسه) ثيابه (الرهبان) العباد والترهب ترك النساء (سبحة) خيط ينظم فيه خرز يعد به التسبيح وكانت لابى هريرة رضى الله عنه سبحة من النوى المجزع وهو الذى حك حتى اختلف لونه وفرغ من سبحته أى من صلاته ومايتبعها من الذكر (ترجمة) علامة (النشوان) السكران (قيد لحظه) ربط نظره أى شخص فيهم (أرهف) أحد (آن) حان وقرب ويروى ناء مقلوب آن (انكفاؤهم) انقلابهم ورجوعهم (برح) انكشف (خفاؤهم) سرهم (ليفرخ كربكم) ليزل ويسكن ومثل العرب أفرخ روعك ومعناه انجلى وانكشف كما ينكشف مافى البيضة اذا انشق عن الفرخ وقيل معنى أفرخ ذهب وقال الفارسى فى التذكرة معنى أفرخ روعك صار له فرخ واذا أفرخ الطائر طار لانه فارق الحضن وهذا قول حسن وقال عروة بن مضرس أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلى الصبح فقلت يارسول الله طويت الجبلين ولقيت شدة فقال أفرخ روعك من أدرك افاضتنا هذه فقد أدرك الحج وقال الاخطل يصف الثور والكلاب

حتى اذا ما الثور أفرخ روعه ... وأفاق أقبل نحوها يتذمر
أضما وهزلهن روقى رأسه ... أن قد أتيح لهن موت أحمر

فقوله أفاق بعد أفرخ روعه يدل على أنه أراد ذهب فزعه وزال ويتذمر يحض نفسه على الاقدام يقال ذمرته اذا خصصته وأضما أى غضبان والموت الاحمر مذكور فى المقامة بعد هذه (قوله كربكم) أى همكم (سربكم) أى جمعكم أى تأمنوا فى نفوسكم (سأخبركم) سأجبركم

للاستخارة فما زالوا بين عقد وحل وشزر وسحل الى أن نند التناجى وقنط الراجى وكان حذتهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفى عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح لهم خفاؤهم قال لهم ياقوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخبركم بما

(يسرو) يكشف ويزيل (روعكم) فزعكم (يبدو) يظهر (طوعكم) منقاداً لكم وأراد سأجيركم
بشيء يزيل عنكم الفزع ويكون منقاداً لكم وذلك الشيء هو الكلمات التي يأتي بها (استطلعنا
منه طلع الخفارة) أي استخبرناه عن خبر الاجارة قال ابن الانباري معنى السفارة في كلامهم
الاصلاح والسفير المصلح قال الشاعر

وما أدع السفارة بين قومي ، وما أمشي بغش ان مشيت

(وأسنيناله الجعالة عن السفارة) أي كثرنا له العطاء ليدلنا على المجير وان يكون رسولا بيننا
وبينه ويمكن ان تكون السفارة فعالة من لفظ السفير فيكون اسما للحرفة كالتجارة والخياطة
(لقنها) حفظها (ليحترس) ليمتنع (يومض) يشير (لحظ) نظر بطرف عينيه (غض) كسر النظر
أي جعلوا يتغامزون عليه استضعافا لخبره (استشعرنا الخور) أي ظهر علينا الفزع والضعف
من كلامه (العبث) اللعب (تبري) ذهبي والتبر كل مالم يصنع من الجواهر من نحاس وغيره
(خبثا) فاسدا (جبت) قطعت (مخاوف) مواضع الخوف (الاقطار) نواحي الارض (ولجت)
دخلت (مقاحم) مهالك والقحمة الامر العظيم لا يركبه أحد لهوله (الاخطار) جمع خطر وهو
الغرر (جفير) جعبة السهام (رابكم) شككم (استسل) أزيل (الحذر) الخوف (نابكم) قصدكم
(أوافقكم) أساعدكم وأمشي معكم مصاحبا لكم (أرافقكم) أسافر معكم والرفيق الصاحب
في السفر (السماوة) مفازة بين الشأم والعراق وسماوة كل شيء شخصه وبذلك سميت السماوة
لانها منازل ثمود وفيها الى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم (أجدّوه) ردوه ذا جد وهو السعد
والحظ والمعنى أنه يقول ان كان سعدي قليلا فاجدّوه أي كثروا حظه بعطيتكم حتى يعود
صاحبه كثير السعد وكذلك يقدّر (أسعدوا جدي) فيريد ان صدقتكم وعدي وسلمتم فهبوا الى
من أموالكم ما يتقوّى به سعدي الضعيف ويكثر حظي القليل ويقال أيضا أجدّ الشيء اذا صيره
جديدا (مزقوا) قطعوا (أدمي) جلدي (اريقوا) صبوا (ألهمنا) أي ألقي في قلوبنا (نزعنا) أقلعنا
(مجادلته) مخالفته (استهمنا) ضربنا السهام وتخاطرنا على من يركب معه رفيقا و(معادلته)
الركوب معه في المحمل وهو ان يركب هذا في الايمن وهذا في الايسر مأخوذة من العدل * ونذكر
هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بيانا كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكاف وكان يعجب
الصورة والحديث فقال المعتصم لابن حماد اذهب الى ابن الجنيد وقل له يتهيأ ليزاملني فأتاه فقال
له تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة فقال كيف أتهيأ لها أصيب رأسا غير رأسي
اشتري لحية غير لحيتي قال ابن حماد شروطها الامتاع بالحديث والمذاكرة والمنادمة وأن لا تبصق
ولا تسعل ولا تمخط ولا تتنحنح وأن تتقدم في الركوب اشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك في
النزول فمتى لم يفعل هذا المعادل كان ومثقلة الرصاص التي يعدل بها القبة واحدا فقال لابن
حماد اذهب قل له ما يزاملك الا من أمه زانية فرجع الى المعتصم وأعلمه فضحك وقال علي به فلما
جاء قال يا علي أبعث اليك أن تزاملني فلا تفعل فقال له ان رسولك هذا الارعن جاءني بشروط
حسان السامي وخالويه الحاكي فقال لا تبصق ولا تعطس وجعل يقرقع بصاداته وهذا لا أقدر
عليه فان رضيت أن أزاملك فاذا جاءني الفساء والضراط فسوت وضرطت والافلس بيني
وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال نعم زاملني على هذه الشروط فسارا ساعة

يسرو روعكم ويبدو
طوعكم (قال الراوي)
فاستطلعنا منه طلع الخفارة
وأسنينا له الجعالة عن
السفارة فزعم أنها كلمات
لقنها في المنام ليحترس بها
من كيد الانام فجعل بعضنا
يومض الى بعض ويقلب
طرفه بين لحظ وغض
وتبين له أنا استضعفنا الخبر
واستشعرنا الخور فقال
ما بالكم اتخذتم جدي عبثا
وجعلتم تبري خبثا ولطالما
والله جبت مخاوف الاقطار
وولجت مقاحم الاخطار
فغنيت بها عن مصاحبة
خفير واستصحاب جفير
ثم اني سأنفي ما رابكم
واستسل الحذر الذي نابكم
بأن أوافقكم في البداوة
وأرافقكم في السماوة
فان صدقكم وعدي فاجدّوا
سعدي وأسعدوا جدّي
وان كذبكم فمي فمزقوا أدمي
وأريقوا دمي (قال الحرث
ابن همام) فألهمنا تصديق
رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا
عن مجادلته واستهمنا على
معادلته

وفصمنا بقوله عرا الربائث · وألغينا اتقاء العابث والعائث · ولما عكمت الرحال · وأزف الترحال استنزلنا كلماته الراقية

لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع
وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافآت ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم من جور المجاورين ومجاورة الجائرين وسطوة الجبارين وكف عني أكف الضائمين وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني وحولي وحالي ومالي ومآلي ولا تلحق بي تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية

فلما توسط البر قال يا أمير المؤمنين قد حضر ذلك المتساح قال ذلك البث قال يحضر ابن حماد فحضر فناوله كمه فقال أجد في كمي دبيب شيء فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيئا ولكني أعلم أن في جوف ثيابك كنيفا والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا و يقول لابن حماد قلت لي لا تسعل أو لا تمخط نخريت عليك ثم قال قد نضجت القدر وأريد أخرأ فأخرج المعتصم رأسه من العمارية حين كثر عليه الضحك وصاح ويلك يا غلام الارض الساعة أموت (قوله فصمنا) أي قطعنا وحللنا و(العرا) عيون من شريط أو غيره يشد بها فم الخرج أو العدل واحدها عروة و(الربائث) العلق واحدها ربيثة وهو ما يثبط الانسان ويحبسه عن أمر يريده وقد ربثته عن الامر ربثا وتربثت أنا تربثا اذا ثبطت (ألغينا) اطرحنا (اتقاء) خوف (العابث) الذي يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها والعائث المفسد ويقال عبث بفتح الباء عبثا خلط و بكسرها عبثا لعب واستخف * وعاث عيثا أفسد (عكمت الرحال) أي شدت الاحمال بالعكام والعكام ما يشد به فم العكم وهو العدل وقيل ان أصل العكام كامة تربط على فم البعير ومثله اللجام يستعار لما تشد به المتاع ويقال عكمت المتاع كما شددته في العكم أو شددته بالعكام وعكمت البعير شددت عليه العكم أو ربطت العكام على فمه وأعكمتك أعنتك (أزف) دنا وقرب (استنزلنا) طلبنا منه انزالها أي تلطفنا به ليذكرها (الراقية) الرفيعة من رقي في الدرجة أو المعوذة لنا من رقيت المريض وهو أشبه لموافقها لمعنى (الواقية) وهي الكافية لما يخاف من الشر (أظل) الامر قرب ودنا كأنه ألقى عليك ظله (الملوان) الليل والنهار و(الخاضع) الذليل وخضع خضوعا أقر بالذل و(الخاشع) المتواضع وخشع خشوعا خفض صوته ورمى ببصره الى الارض والخضوع قريب منه الا أن أكثر ما يستعمل الخشوع في الصوت والخضوع في الاعناق (الرفات) العظام البالية (الآفات) المضرات (المكافاة) المجازاة (موئل) ملجأ (العفاة) جمع عاف وهو سائل العفو (ولي العفو) صاحب المغفرة و(المعافاة) المباعدة من الضرر وقد عافاه مما يكره وأعفاه (أنبائك) أخبارك والنبأ الخبر (أسرته) رهطه وأراد بالمصابيح المهاجرين وبالمفاتيح الانصار (أعذني) أجرني (النزغات) الافساد نزغ الشيطان بين القوم أي أفسد ذات بينهم والشيطان البعيد من الخير من قولهم دار شطون أي بعيدة ونوى شطون قال النابغة * نأت بسعاد عنك نوى شطون *

وقال نابغة بني شيبان فاضحت بعد ما وصلت بدار * شطون لا تعاد ولا تعود

(نزوات) وثوب وقد نزا نزوا ونزوا اذا وثب ونزا على الشيء ارتفع (اعنات) مشقة الباغين (المتعدين) وقد بغى عليه بغيا تعدى عليه (معاناة) معالجة ومقاساة (الطاغين) المسرفين في الظلم والمعاصي و(العادين) المتجاوزين الحد في الظلم (غيل) جمع غيلة وهي الهلاك (والمغتال) المهلك (أجرني) أمني (سطوة) بطش وتهديد (الضائمين) المذلين (قوله اللهم حطني في تربتي) أي احفظني في بلدتي (أوبتي) رجعتي (نجعتي) سفري في طلب الرزق (نفائسي) كرائم مالي (عرضي) نفسي (وعرضي) مالي (عددي) أهلي (عددي) آلاتي وما أستعده (سكني) أهلي (حولي) قوتي (حالي) بالي (مآلي) مرجعي (منك) احسانك (تولني) كن لي وليا (تكلني) تحوجني (كلاءة) حفظ وحراسة و(عافية) عيش سالم من الآفات، أبو الدرداء

رضى الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء وما أعد الله لصاحبه من الثواب اذا صبر
وذكر العافية وما أعد الله لصاحبها من الثواب اذا شكر فقلت يارسول الله أعافى فأشكر أحب
الى من ان أبتلى فاصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحب معك العافية (غير عافية) أى غير
دارسة (رفاهية) غنى متسع (واهية) ناقصة ضعيفة (محاشى) مايخشى ويخاف (اللأواء)
الشدة (اكنفنى) استرنى (غواشى) أى ما يغشى به أى يتغطى (الآلاء) النعم (أطرق) أى نظر
الى الارض ساكنا وقد فسر قوله أطرق بقوله (لايدير لحظا ولايحير لفظا) فيدير لحظا يجيل نظره
فى الجهات الاربع ويحير لفظا يرد كلاما و (الغشية) أن يغشى على عقله (أقنع) رفع (صعد)
جعلها تصعد أى ترتفع (الابراج) أى منازل القمر (الفجاج) أى المسالك واحدها فج والفج
الطريق الواسع فى الجبل وقيل هو المتسع بين مرتفعين وقيل هو الفتح بين الشيئين (الثجاج)
السيال الكثير الصب (السراج) الشمس (الوهاج) الوقاد المتلألئ وهو من وهج النار وهو
اتقادها وحرها (العجاج) المصوت لاضطراب أمواجه (الهواء) مابين السماء والارض
(والعجاج) الغبار (والعوذ) الرقى (أغنى) أجزأ وأكفى والغنى الكفاية وأغنى فلان مغنى فلان
أى كفاه الحضور وقام مقامه (والخوذ) بالخاء المهملة الدرع وبنقط الخاء بيض السلاح
(ابتسام الفلق) ظهور الفجر (يشفق) يخاف (خطب) أمر شديد (الشفق) الحمرة بعد غروب
الشمس (نابجى) تكلم بها سرا (طليعة الغسق) أول طلوع الظلام (تلقناها) أى فهمناها
(أتقناها) أحكمناها (تدارسناها) الدرس فى كلامهم الرياضة والتذليل وطريق مدروس كثر
مشى الناس فيه فذللوه وأثروا فيه فمعنى درس القرآن أو الدعاء ذلل لسانه وراضه ونصل هذا
الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق اذا صحب الدعاء به الاخلاص والتضرع بأدعية ينتفع بها
ان شاء الله تعالى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا قال اللهم أنت الصاحب فى
السفر والخليفة فى الحضر اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد
الكور ومن سوء المنظر فى الاهل والمال والولد وقالت أم سلمة رضى الله عنها من خرج فى طاعة
الله تعالى فقال اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكنى خرجت ابتغاء مرضاتك
واتقاء سخطك فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو وتصرف
عنى من الشر أكثر مما أخاف استجيب له باذن الله تعالى وقالوا كلمات الفرج عند الكرب لا اله
الا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال جعفر بن محمد
لسفيان الثورى اذا كثرت همومك فأكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم واذا
درت عليك النعم فأكثر من الحمد لله رب العالمين واذا أبطأ عليك الرزق فأكثر من الاستغفار
ومن قال فى ليل أو نهار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم
ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن اعلم أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم
انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم لم يضره
شئ ومن قال بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ليلا
أو نهارا أمن مما يخاف ومن قال سبحان الله وبحمده ولاحول ولاقوة الا بالله ثلاث مرات بعد
صلاة الصبح أمن من كل غم وجذام وبرص وفالج ومن قال باسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ماشاء

غير عافية وارزقنى رفاهية
غير واهية واكفنى
محاشى اللأواء واكنفنى
بغواشى الآلاء ولا
تظفر بى أظفار الاعداء
انك سميع الدعاء ثم أطرق
لايدير لحظا ولايحير لفظا
حتى قلنا قد أبلسته خشية
أو أخرسته غشية ثم
أقنع راسه وصعد أنفاسه
وقال اقسم بالسماء ذات
الابراج والارض ذات
الفجاج والماء الثجاج
والسراج الوهاج والبحر
العجاج والهواء والعجاج
انها لمن أيمن العوذ وأغنى
عنكم من لابس الخوذ من
درسها عند ابتسام الفلق
لم يشفق من خطب الى
الشفق ومن نابجى بها طليعة
الغسق أمن ليلته من
السرق قال فتلقناها حتى
أتقناها وتدارسناها لكى
لا ننساها ثم سرنا

الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها اذا أصبح أمن من الحرق والغرق ومن دخل على سلطان يخاف سطوته فقال الله أعز وأكبر مما أخاف واحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من عبدك فلان وجنوده وأشياعه وأتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك ثلاث مرات أمن من شره وقال المنصور للربيع على بجعفر قتلنى الله ان لم أقتله فلما مثل بين يديه حرك شفتيه ثم قرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل فى ملكى قتلنى الله ان لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطى فشكر وان أيوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر عليهم السلام وأنت على أثرتهم وأحق من تأسى بهم فنكس المنصور رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال الى أبا عبد الله فأنت القريب القرابة وأنت ذو الرحم الواشجة والسليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأجلسه معه على فراشه وأقبل يسائله ويحادثه ثم قال عجلوا لابى عبد الله اذنه وجائزته وكسوته فلما خرج أمسكه الربيع وقال له رأيتك قد حركت شفتيك فانجلى الامر وأنا خادم السلطان ولا غنى لى عنه فعلمنى اياه فقال نعم قلت اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بحفظك الذى لا يرام لا أهلك وأنت رجائى فكم من نعمة أنعمتها على قل عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره * ومن قال اذا سمع المؤذن رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا غفرت له ذنوبه * ومن دعاء الاعراب قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما من قوم أشبه بالسلف من الاعراب لولا جفاء فيهم وقال غيلان اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الاعراب وقال الاصمعى سمعت أعرابيا بفلاة من الارض يقول اللهم ان استغفارى اياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتى سعة رحمتك لعجز الهى كم تتحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك يا من اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين قال وسمعت آخر يقول فى دعائه اللهم انى أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت اللهم أعذنى من سطواتك وأجرنى من نقماتك قال وودعت أعرابية لابن لها خرج مسافرا فقالت كان الله صاحبك فى السفر وخليفتك فى أهلك وأنجح طلبتك امش مصاحبا مكلوأ لا أشمت الله بك عدوا ولا أرى فيك لمحبك سوأ وهذا الباب كثير وانما ذكرنا من الادعية ما جرب واستحسن والله ينفع بها آمين * قال أعرابى يصف دعوة

وسارية لم تسر فى الليل تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط * بأوراقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لوفدها * اذا قرع الابواب منهن قارع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وانى لارجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(قوله نزجى) أى نسوق (الحمولات) بفتح الحاء الابل وبضمها الاحمال (الحداة) خدمة الابل

نزجى الحمولات بالدعوات لا بالحداة

بمنزلة المكارين للدواب (نحمى) نمنع (الكماة) الشجعان (يتعهدنا) يتفقدنا (يستنجز) يطلب احضار ما وعد به (عانة) بعين غير منقوطة قرية بالجزيرة كثيرة الاعناب وقال امرؤ القيس

من خمر عانة أو كروم شبام (واطلالها) آثارها يريد أنه لما أشرف على عانة قال لهم اعطونى ما أستعين به (المعلوم) الظاهر (والمكتوم) المستور (والمعكوم) المجعول فى عكم قال يعقوب العكم نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها أو يكون المعكوم المشدود بالعكام وقد تقدم آنفا (والمختوم) المطبوع عليه يريد أريناه أنواع أموالنا (استخف) استحقر (الخف) الخفيف (الهين) الهين (حلى) حسن (الحلى) ما يتحلى به النساء (والعين) الذهب والفضة يريد أنه استحقر الخفيف القدر الهين القيمة مثل الامتاع وشبهها فتركها وأعجبه الحلى والذهب فحملهما أو يكون معنى استخف وجده خفيفا والخف والهين يريد الخفيف عليه حمله الهين عليه نقله يريد الذهب والجوهر ويكون قوله حلى بعينه وما بعده مفسرا ومؤكدا لاستخف وما بعده وهذا أشبه من الاول (وقره) حمله (ناء) نهض بثقل (خالسنا) سارقنا وتسلل عنا (الطرار) الذى يشق الجيوب ويستخرج ما فيها والطر القطع وقد طر طرا وطرة الشعر منه لانها مقطوعة من جملته منفصلة عنه والمنتهز الذى يختطف من يدك الشئ بسرعة (انصلت) انسل ولم يشعر به (والانصلات) سقوط السيف من الغمد و(القرار) هو الزاووق ويسمى الزئبق سمى قرارا لانه سريع السيلان لا يستقر فى موضع والفرار من كثر فراره (أوحشنا) اذهب انسنا (أدهشنا) حيرنا (امتراقه) خروجه مسرعا ومرق السهم خرج من القوس ومن الرمية (ننشده) نطلبه (مغوو هاد) مضل ومرشد (الحانة) بغير نقط بيت الخمار أو حانوته والحان والحانة هى الدسكرة التى ذكر وقال ابن شهيد فيه

يارب حان قد أدرت بديره * خمر الصبا مزجت بصفو خموره

فى فتية جعلوا الزقاق تكاهم * متصارعين تخشعا لكثيره

يهدى اليها الراح كل مصفق * كالخشف خفره المنا بخفيره

والى على بطرفه وبكفه * فأمال من رأسى لعب كبيره

وترنم الناقوس عند صلاتهم * ففتحت من عينى لرجع هديره

(زايل) فارق (أغرانى) حثنى (سبكه) تجريبه (الانسلاك) الدخول (سلكه) شكله وانسلكت حبة اللؤلؤ جرت فى السلك وهو خيط النظام (أدلجت) مشيت بالليل (الدسكرة) بناء كالقصر حوله بيوت يسكنها الخمار والحشم قال الجعدى

ودسكرة صوت أبوابها * كصوت المراتج بالحوأب

سبقت صياح فراريجها * وصوت نواقيس لم تضرب

برنة ذى عتب شارف * وصهباء كالمسك لم تقطب

المراتج البكرات والحوأب اسم ماء الفراريج الدبوك عتب أوتار وشارف اسم العود شبهه بالشارف من الابل لانها أغن صوتا وأطرب به قال متمم

اذا شارف منهن قامت فرجعت * حنينا فابكى شجوها البرك أجمعا .

(ممصرة) مصبوغة بالمصرة وهى العصفر قبل ان يوضع فيه الخل فلونها أصفر فاذا وضع فيها الخل

ونحمى الجولات بالكلمات
لا بالكماة وصاحبنا
يتعهدنا بالعشى والغداة
ولا يستنجزنا العدات
حتى اذا عاينا أطلال عانة
قال لنا الاعانة الاعانة
فأحضرناه المعلوم والمكتوم
وأريناه المعكوم والمختوم
وقلنا له اقض ما أنت قاض
فما تجد فينا غير راض فما
استخف سوى الخف والهين
ولا حلى بعينه غير الحلى
والعين فاحتمل منهما وقره
وناء بما يستقفره ثم خالسنا
مخالسة الطرار وانصلت
منا انصلات القرار فأوحشنا
فراقه وادهشنا امتراقه
ولم نزل ننشده بكل ناد
ونستخبر عنه كل مغو
وهاد الى أن قيل انه مذ
دخل عانة ما زايل الحانة
فأغرانى خبث هذا القول
بسبكه والانسلاك فيما
لست من سلكه فأدلجت
الى الدسكرة فى هيئة منكرة
فاذا الشيخ فى حلة ممصرة

احمر ما يصبغ به وسمى معصفرا (والحلة) ثوبان ازار ورداء وسميت حلة لانها تحل على لابسها كما يحل الرجل على الارض (دنان) جمع دن وهو نوع من الخوابى طويل الاسفل ضيقه ويسمى الراقود وهذه الحالة التى وجد عليها الحريرى السروجى بعد ذلك الترهب الذى كان عليه فى أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفضل حكى الثعالبى فى يتيمته وقد ذكر القاضى التنوخى فقال هو أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم من أعيان أهل العلم والادب وأفراد ذوى الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأت فى فصل للصاحب ان أردت فانى سجة ناسك أو أحببت فانى تفاحة فاتك أو اقترحت فانى مدرعة راهب أو اخترت فانى نخبة شارب وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين وكان المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جدا و يعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء يعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير اشعاره ناظم حاشيتى البر والبحر وناحيتى الشرق والغرب وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى و يجتمعون اليه فى الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة منهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى الاندرجى وغيرهم وما منهم الا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى واذا تكمل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب فيهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع بين يدى كل واحد منهم طست من ذهب من ألف مثقال مملوء شرابا فيغمس فيه لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثره ويرش بعضهم بعضا ويرقصون بأجمعهم وعليهم مصبغات الثياب ومخانق البرم ويقولون بكرا أسرهم هوهر وفيهم يقول السرى

مجالس ترقص القضاة بها ٭ اذا انتشوا فى مخانق البرم

واذا أصبحوا اعادوا العادتهم فى الترهب والتوقر والتحفظ وأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء وقال فى ابن معروف كان كما قرأته فى فصل للصاحب شجرة فضل عودها أدب وأغصانها علم وثمرها عقل وعروقها شرف تسقيها سماء الحرية وتغذوها أرض المروة وفيه يقول الصابى

أقسمت بالله ما يرجى لمعروف ٭ فى الحادثات سوى القاضى ابن معروف

٭(ومن شعر ابن معروف)٭

لو كنت تدرى ما الذى صنع الهوى ٭ والشوق فى الجسم النحيل البالى
لهجرت هجرى واجتنبت تجنبى ٭ ووصلت من بعد النعيم وصالى

٭(وقال القاضى التنوخى فى غلام جسيم)٭

له فى كل عضو دعص رمل ٭ ثقيل الجسم ذو روح خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحول ٭ كأنى لست ذا الخلق الظريف
اذا لمسته كفى لم تلامس ٭ سوى جلد على عظم ضعيف

٭شرب المأمون وعبد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضى فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى فغمزا به الساقى فاسكره وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان فامر المأمون فشق له قبر فى الردم وصير فيه وعمل بيتى شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وغنت بهما وهما

ناديته وهو حى لا حراك به ٭ مكفن فى ثياب من رياحين

بين دنان ومعصرة وحوله سقاة

فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني * فقلت خذ قال كفي لا تواتيني

(فانتبه يحيى لزنة العود فقال)

يا سيدي وأمير الناس كلهم * قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضا قد وهى قدمي * ولا أجيب لداع حين يدعوني
فانظر لنفسك في قاض يكون لكم * اني غدوت دفينا في الرياحين

والحالة التي وصف بها أبو زيد خلعت الامين عن الملك ونقلته الى المأمون قال الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع على ثمانمائة قصة فلقد أصاب فما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع أتراني لا أحسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى الي وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والامراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة (قوله تبهر) أي تسقيه بالبهار وهو شبه الابريق وقيل تبهر تغلب العقول بحسنها يقال بهره بهرا اذا غلبه وبهر القمر السماء ملأها بنوره (تزهر) تضيء (شموع) مصابيح الشمع (آس) ريحان (عبهر) نرجس وقيل ياسمين قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس ولو في اليوم مرة واحدة ولو في الشهر مرة واحدة ولو في الدهر مرة واحدة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها الا شم النرجس وقال علي رضي الله عنه حباني النبي صلى الله عليه وسلم بالورد وقال أما انه سيد ريحان الجنة بعد الآس وقال أردشير بن بابك الورد در أبيض وياقوت أحمر على كراسي زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر *ونذكر هنا طرفا من المنظوم في الازهار يليق بالموضع بحول الله تعالى قال محمد بن عبد الله بن طاهر ملما بقول أردشير

تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر وخزمار

كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستطرف حسن * من خمرة مزجت كالجمر في اللهب

(وللمعتمد بن عباد)

كأنما ياسميننا الغض * كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه * كخد عذراء مسه عض

(ولابي الفضل الميكالي)

وما ضم شمل الانس يوما كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فأحداقه أحداق تبر وساقه * كقامة ساق في غلائله الخضر

(ولعضد الدولة)

يا طيب رائحة من نفحة الخير * اذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد واعتبقت * به دواخن ند عند تبخير
كأن أوراقه في القد أجنحة * حمر وصفر وبيض من زنابير

(ولعلي بن بسام)

أماترى الوردية عوللورود على * حمراء صافيــة فى لونها صهب
مــداهن من يواقيت مركبــة * على الزبرجد فى أفواهها ذهب
(وقال آخر) نرجســة عينها محـبرة * لم تكتحل قط آفة الغـمض
باكرها الطل فهى باهتة * تنظر فعل السماء فى الارض

(وللاسعد بن بليط)

بنفسج بانت أكف الصبا * تنشره فى زرقـة لاتحـد
كانمـا قط بمنشوره * رؤس أقلام من اللازورد

(وقال آخر فى نو ر الباقلا)

نوارة الباقلا اذراق منظرها * تحكى الفراشـة تنقيطا وتريشا
كأنما هى ماحول الذبالة اذ * مدت جناحا كان الكف مرقوشا

والباب كثير (قوله مزهر) عود الغناء (يستبزل) يستسـقى منها شرابا والمبزل الثقب فى جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ويبقى العكر فى قعرها قال الاخطل

لما أتوها بمصباح ومبزلهـم * شارت اليهم شراء الابجل الضارى
تدمى اذا طعنوا فيها بجائفة * وفى الزجاج عقيـق غير مسـطار

أراد أن الخمر خرجت خروج الدم من الابجل وهو عرق وقال ابن حصين

فجعت عنها الدن فاستعبرت * جريا كما قوس احليـل
كأنها فى الكأس منصبة * خيط من الفضة مفتول

(وقال آخر فى قمع الشراب)

ولما رأى الناس فضل المدام * وخافوا على جرمها أن يسيلا
تواخوا الى شربهـا بينهـم * سبيل حفاظ فكنت السبيلا

ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

(قوله يستنطق) يأمر بضربها ليسمع صوتها (يستنشـق) يشم (يغازل) يلاعب (عثرت) اطلعت واعثرت فى معناه (لبسـه) تخليطه (تفاوت) تباعد (أولى لك) كلمة تهديد معناها قد وليك الشر فاحذر و (الملعون) المطرود ولعنـه الله طرده و (الاستغراب) الضحك الكثير ومما يوافق شعره وحاله قول الببغا

غادنى بالصـبوح قبـل الصباح * واجر فى حلبة الصبا والمراح
عاطنيهـا كالجلنـار اذا ما * كللت من حبابها بالاقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحمـ * ـرة لا فى كثافة التفاح
خادمتهـا الاجسـام بالطبـع لما * شاهدت قربها من الارواح
فتـدارك بهـا حشاشـة نفسى * أو فخل بها سكون ارتياحى
بين وردين من نبات وخـد * وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث * وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خالـط العـا * قل فيها افساده بالصلاح

(وله أيضا فى مثله)

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زارفى أشرف الدهـر فصل فيه أشرف الاخوان
وأدرها عـذراء وانهـز الامـ * ـكان من قبل عائق الامكان
فى كـؤس كأنها زهـر الخشـ * ـخاش ضمت شقائق النعمان
واجـترعها عنـد البزال بالفا * ظ المثانى ومطربات الاغانى

(وقال وكيع فى الخشخاش)

وخشخاش كأنامنه نفرى * قبص زبرجد عن جسم در
كأقداح من البلور صينت * بأغشية من الديباج خضر

(وقال آخر فى شقائق النعمان)

كأن الشقائق اذ برزت غـلالة دروثو بأحم
قصاع من الجمر مشوبة باوساطها لمع من حمم

(قوله السـفار) مصـدر سافرت (جبت) قطعت (عفت) كرهت (خضت) جزت ومشيت فيها (رضت) ذللت وركبت (المرح) النشاط والعجب (مطت) نحيت وأزلت ويقال ماط وأماط باعد وأيضا باعد غـيره والاصمعى يقول ماط هو وأماط غـيره (العقار) المال الثابت الذى لا ينتقـل (حسو) شرب (العقار) الخمر (رشـف) مص (الطـماح) ارتفاع النظر (باح) تكلم و(الملح) الكلام الحلو يريد أنه فعل ماذكر ليرتاح وبشرب الخمر ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها وذهابها بالهموم والاسقام وذكر أنها من أفضل الاشياء وأن بيع أشرف الاعلاق فيها سداد وان ترك الاصغاء فيها الى العذل رشاد وأن كمال لذتها مع السقاة الحسان والتطريب بأنواع الغناء والالحان الى غير ذلك مما أشار اليه ونبه عليه وأنا أسوق هنا فى وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والادباء وسائر الافاضل من الملوك ومهرة الشعراء جريا معه فى أغراضـه حسبما فعله لنا فى العاشرة فى أوصاف الغلمان وفى الحادية عشرة فى فضائل أهل الاديان وأكثر اعتمـادى فى هـذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كـتاب قطب السرور وضممت اليها ما يلائمها من غيره وهو فصـل بديع فى بابه ذكر مؤلفه فى منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وقال تعالى فى الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسـل مصفى فلم يذكر الماء واللبن الا بالسلامة من التغير والعسل الا بانه مصفى وجعل الخمر لذة للشاربين فكان هذا من التفضـيل وقال تعالى يطوف عليهـم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصـدعون عنها ولا ينزفون فنفى عنها عيوب خمر الدنيا وهى ذهاب العقل بالسـكر والصداع بالخمار وذهاب المال كما قال تعالى فى فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فاكهة الدنيا التى تأتى فى وقت وتنقطع فى آخر وتمنع الا بالثمن وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وأما ماذكره تعالى من أن فيها منافع للناس فان منافعها لا تحصى كثرة فمن منافعها ما يصيب الناس من أثمانها ولو لم تعصر الاعناب لبارت على أهلها ومنها صـلاح الجسم لانها ترق الدم وتفتق اللسان وتزيد فى الهـمة وتهون الرزية وتعد فى الامنيـة قال جالينوس

لزمت السفار
وجبت القفار
وعفت النفار
* لاجنى الفرح *
وخضت السيول
ورضت الخيول
بجر ذيول
* الصبا والمرح *
ومطت الوقار
وبعت العقار
لحسو العقار
* ورشف القدح *
ولولا الطماح
الى شرب راح
لما كان باح
* فمى بالملح *
ولا كان ساق

الخمر تدرّ الدم وتصفي اللون وتقوي المنعة وتبعث النشاط قال افلاطون انما كان النبيذ يثمر السرور ويولد الضحك ويطيب النفس لشبهه بالدم وانه يفعل في الجسد اذا اعتدل فعله لانه أحمر حار رطب والدم أحمر حار رطب فاذا اصبح جوهره وتمت اجزاؤه ولد في النفس السرور والضحك والنشاط * الحرث بن كلدة طبيب العرب الطلاء مصلحة للبدن ومطيبة للنفس تفتح له العروق أفواهها كما تفتح الفراخ أفواهها للطعام * بعث قيصر الى قس بن ساعدة فسأله أي الاشربة أفضل فقال ما صفا في العين ولذ على الذوق وطاب في الانف من شراب الخمر قال ما تقول في مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال ميت أحيي وفيه بعض المنفعة وما يكاد يحيا من مات قال ما تقول في نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فنبيذ التمر قال أوساخ تدعو اليها ضرورات تذم عاقبتها في الابدان قال فما الذي يذهب بالهموم عند الشراب قال جوهر فيه لا تبلغه عقول العباد قال فما أصلح أوقات الشراب قال أول النهار ألا ترى ان الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أذكى والفطن أصح قال فمن أي شيء يكون الخمار قال من ضعف قوة الجوارح عن جذب ما يصعد الى الدماغ من البخار حتى يفشيه الهواء قليلا قليلا قال فالصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والممزوج سلطان عادل والعادل مصلح والجائر مفسد قال أفتشربه أنت قال نعم ولا أبلغ ما يغير عقلي قال ولم قال أصونه لسؤال مثلك أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة فلما قدم عليه قال يا ابن شراعة والله ما أرسلت اليك أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه قال يا أمير المؤمنين لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا قال أرسلت اليك أسألك عن القهوة قال دهقانها الحكيم وطبيبها الرفيق العليم فاسأل عما بدا لك قال فاخبرني عن الماء قال لا بد لي منه والكلب والحمار شريكاي فيه قال فما تقول في اللبن قال ما رأيته الا استحييت من أمي لطول ما أرضعتني اياه قال فالسويق قال شراب المحزون والعجلان والمسافر قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش ضراط كله قال فما تقول في نبيذ الزبيب قال حوموا حاموا حول الحق فلم يصيبوه قال فما تقول في الخمر قال تلك صديقة روحي جلت عن المثل تلك التي تزيد النفس اشراقا قال فأنت يا ابن شراعة صديقي اجلس أي الطعام أحب اليك قال يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير ان أنفعه أدسمه وأشهاه أمرؤه قال فأي المجالس أحب اليك أن يكون شربنا فيه قال ما لم تخف الشمس أن تحرقه أو السماء أن تعرقه ولا تشرب الا على وجه السماء فوالله يا أمير المؤمنين ما نادم الناس أصبح من وجهها قال فابرز بنا فلم يزل بعد ذلك يشرب الا تحت السماء * كان أبو السائب فتيها ورعا ظريفا فسأله بعض المجان فقال يا أبا السائب ما تقول في نبيذ الجر قال اشربه حتى تجر قال فنبيذ الدن قال أشربه حتى تجن قال فالرازقي قال أحلى من العسل الماذي قال فنبيذ الزبيب والعسل فرفع يديه وقال العظمة لله قال فما تقول في الخمر قال لا أشربها قال ولم قال أخاف ان لا أؤدي شكرها فتنزع مني * قيل لابي نواس صف لنا الاشربة قال أما الماء فيعظم خطره بقدر تعززه وأما السويق فبلغة العجلان وري الظمآن وأما العسل فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فهي شقيقة الروح وصديقة النفس ما ارتضعت ممزوجة وصرفها غير مأمون على نهك البدن وغرس السقم المؤدي

الى العطب * قالت الهندات الشراب مبارك يزيد في الدم بحرارته ويكسر البلغم بحدته ويشهي الطعام بلطافته واما السكر فحرم في كل ملة وسبيل من سبل الضلالة واسم من أسماء الوسوسة قبيح الافعال مذموم الاحوال * وقالت الحكماء من فضائل الشراب ان كل مشروب وان راق وصفا وحلا وعذب فأوله طيب ثم يعود في نقصان حتى يعود مكروها الا الشراب فانك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا وكان أوسطه اليك أعجب وآخره أطرب حتى اذا سرا في العروق برقته وعم البدن بلطافته ودب في الاعضاء والمفاصل دبيب النمل في نقى الرمل وخادع عقلك فامتلأت بهجة وسرورا وعدت ملكا محبورا تضرب في الخلافة بأوفر سهم ثم أسلمك الى النوم الذي هو حياتك وصحتك فاجتذبت النفس ماشاكلها من لطيفه وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ثم لايزال الهواء يخرج بالانفاس متصعدا ببخاره ويجتذب ما تحت الدماغ من استاره فحينئذ تهب بجذل ونشاط كأنما أنشطت من رباط وذلك تقدير العزيز العليم * وقالوا الشراب مصباح الظلام وشفاء الاسقام واذا تمشى في عظامك جعلك خالى الذرع فسيح الباع رخي البال قليل الاشتغال رحب الهمة واسع النعمة فهو أخو الصبوة وقسيم الشهوة ولو لم يكن من منته عليك الا انه اذا مزجته بروحك وخلطته بدمك بغض اليك الحرص ونصبه والشره وتعبه وحبب اليك المروأة والسماح وحسن لك الفكاهة والمزاح * وقالوا الشراب يلذ لك في السفر كلذته في الحضر ويطيب استعماله في الصحو كما يطيب في المطر فهو أصل اللذات الذي عليه تتفرع وعنصرها الذي عنه تتبع وبه تتصل واليه ترجع يرد الشيوخ في طبع الشبان ويدعو الشبان الى نشاط النشوان وقال أبو نواس في ذلك

ما العيش الا في جنون الصبا * فان تولى فجنون المدام
راح اذا ما الشيخ والى بها * خمسا تردى برداء الغلام

فلله در من استنبطه ودل عليه وسقيا لمن بحث عنه واهتدى اليه ماذا أثار وأي شئ أظهر * قالوا ومدار قوامه على اثنى عشر شيأ المواد الثلاث والقوى الاربع والحواس الخمس فالثلاث هي نسيم الهواء وعذوبة الماء ومألوف الاهواء والاربع هي القوة الجاذبة التي تطيب الطعام وتبرده والماسكة التي تمسكه وتجذبه والهاضمة التي تهديه وتنضجه والدافعة التي تدفع الى كل عضو سهمه من جوهره فتخرج عنه ثقله والحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكل شئ من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه في حال ضعفه ويصفيه من أوساخه فلم يجد اهل التجارب الماضون لذلك سببا أبين أثرا ولا أخف محملا ولا ألطف دبيبا في الابدان من ماء الكرم فاستعملوه لذلك استعمالا دائما فهو ريحانة النفس وترياقها فيشرب في كل حين وينفع كل حاسة وتحيد عنه النوازل والاحزان وحق للنفس أن تألفه وللطبيعة أن تلائمه اذ كان حبيبها وشقيق روحها فتراه يحدث في النفس الشجاعة والتكرم والاناة والتحلم ومن علامات الكريم اذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهو والسرور والبذل لما في يديه وكسوة جليسه من أنفس ثيابه واذا بلغ المدى في شربها توسد يساره ونام حيدا كريما ومن علامات اللئيم المماراة والسفه وفتل الشارب والتلفت الى العربدة وشدة الغضب وربما بكى وعوى عواء الذئاب ونبح نباح الكلاب فشرب الماء يحرم مع مثل هذا

فكيف الشراب * ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة في كل زمان من فصول السنة يشربه المحرور ممزوجا فيبرده والمقرور صرفا فيسخنه واليابس معتدلا فيرطبه والمرطوب صرفا فيجففه فمن شربه في الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت الظلال وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح وان كان في الشتاء فبخلاف ذلك من الجلوس في الاكنان واستعمال الكوانين ولبس الاحمر والممثل وشم فتيت المسك والعنبر والمرزنجوش واما الربيع والخريف فبين ذلك لاخذهما من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف واذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهي والعيدان تعاونا على اذهاب الغموم والاحزان فلله در من استنبطه ماذا أثار وعلى أي شئ دل ولو لم يكن الشراب أغلب شئ على العقول وأقربه للقلوب وألطف محلا في النفوس وأشد ملاءمة للاجسام وأجمعه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذة ولا تساويه شهوة ولا تعدله خصلة من خصال المسرات لما حلت الاشراف وذوو العقول أنفسهم على معاقرته لا يردهم ما ينالهم فيه عن معاودته من شنيع الاقوال ولوم العذال فيما أنفقوا عليه من الذخائر وبذلوا من الاموال * كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله في الشراب فباع ضيعته فلما تم البيع قال له المشتري تأتيني بالعشي أدفع لك المال وأشاهدك فقال لو كنت ممن يرى بالعشي ما بعت الضيعة قال محمود بن الحسن الكاتب بعت داري فأصابني مثل هذا فقلت

اتلفت مالي في العقار * وخرجت فيها عن عقاري
حتى اذا كتب الكتا * ب وجاءني رسل التجاري
قالوا الشهادة بالعشي ونحن في صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتا * ب ولا تعنوا باتظاري
لو كنت أظهر بالعشي لما سمعت ببيع داري

(وقال ابن الرومي)

أنا أهوى ذات الخمار على الجيـ * ـب وذات الوشاح والدملجين
وأرى في النبيذ رأي صواب * لشيوخ العراق والكوفتين
واذا ما الغناء خاض ذوو الالـ * ـباب فيه اعتصمت بالحرمين
كلما جاءت الرخائص فيه * كان أخذي له بكلتا اليدين

(وقال العطوي)

جارة لي أجارها الـ * ـحسن من كل عائب
فهي بين النساء كالـ * ـبدر بين الكواكب
سألتني هل النبيـ * ـذ حلال لشارب
قلت اي والذي يريـ * ـك دون الرقائب
فاشربيه فان فيـ * ـه لاحدى العجائب
ينبت الورد في ريا * ض خدود الكواعب

(ولبعض المتقدمين)

قوله والممثل هكذا في النسخ التي بأيدينا ولم نر له معنى مناسبا هنا ولعله الممشق أو الممسك فتأمل وحرر اه

من ذا يحرّم ماء المزن خالطه * في جوف خابية ماء العناقيد
انى لاكره تشديد الرواة لنا * فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

(وقال ابن الرومى)

أحل "العراقى" النبيذ وشربه * وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد * فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها لا فارق الوازر الوزر

* خرج الحسن بن هانئ ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دير خمار فقال الحسن لمطيط ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار فدخلا فسلما فرد عليهما السلام فقال له الحسن أعندك خمر عتيق قال عندى منها أجناس فأى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

حجبت حقبة وصينت فجاءت * كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الاكف تصبغ من ضو * ء سناها بالورس والزعفران

فجاء له الخمار قدحا من خمرة صفراء كأنها ذهب محلول فشربه الحسن وقال أحسن من هذا أريد فقال له الخمار من أى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر

رقصتها أيدى الهواجر حتى * صيرت جسمها كجسم الهواء
فهى كالنور فى الاناء وكالما * ء اذا ما تصير فى الاحشاء

فجاء له الخمار قدحا من خمرة كأنها العقيق فشربه وقال ارفع من هذا أريد قال أى نوع تريد قال التى يقول فيها الشاعر

فاذا حسا منها الوصيع ثلاثة * سمح الوضيع كفعل ذى القدر
فى لون ماء المزن الا انها * بين الضلوع كواقد الجمر

فجاء له الخمار قدحا من خمرة بيضاء كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار أتعرفنى قال اى والله يا سيدى أنا أعرف الناس بك قال فمن أنا قال أنت الذى سكر من غير وزن فضحك الحسن وقال لمطيط ادفع اليه ما معك من النفقة فأعطاه مائة درهم وانصرف *وقال أبو عثمان الناجم دخلت على أبى العباس عبد الله بن المعتز وهو مخمور طيب النفس فقال يا أبا عثمان أنشدنى ما شئت حتى اعارضك باحسن منه أو مثله فأنشدته لابى نواس

وعاشق دنف نبهته سحرا * فقام للراح والتذكار مصطبحا
ودارت الخمر من صهباء صافية * فما احتسى قدحا حتى بكى قدحا

(فسكر ساعة وضحك وقال)

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى فى قعره شبحا
اذا تعاطيتها لم تدر من لطف * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

وقالوا ما دار ربيع الخمر والسرور بأدفأ من الشراب للمصرور والمقرور وقال بعضهم كنت فى منزلى واذا شيخ مسن على علوة معه صبى فى يوم بارد فكنت أسمع الصبى يقول للشيخ اعطنى فروتى فيناوله شيأ لا أتبينه فبعثت غلامى ينظر اليه فاذا عند الشيخ قنينة كلما طلب الصبى فروته سقاه قدحا قال وأنشدوا للهدهد الاصبهانى

انا أناس حسن ديننا * لبيعنا الآجل بالعاجل
اذا شربنا خمسة خمسة * فقد لبسنا الفرو من داخل

وقال عمرو الضبابي

أعددت لليل اذا الليل برد * خابيتين من طلاء قد ركد
* فتطرد الهم وتكفيك الصرد *

وقال آخر اذا هبت الارواح فاجعل دثارها * اذا التحف الاقوام ذكي المطارف
ثلاثة أرطال شرابا معتقا * تكن آمنا منها ولست بخائف
فان دثار المرء من تحت جلده * أخف وأدفأ من دثار الملاحف

قال الجاحظ جلست عجوز من العرب الى فتيان يشربون فسقوها قدحا فطابت نفسها ثم سقوها آخر فاحمر وجهها وضحكت ثم سقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله لا يدري أحدكم من أبوه * وسقى اعرابي قدحا من شراب ولم يكن يعرفه فحركته الاريحية فسألوه عنها فقال والله ما أدري ماهي غير أني أراكم تحببون الي وأراني أسر بكم وما وهب الي أحد منكم شيأ * ومر أعرابي بقوم يشربون فدعوه فنزل وعقل بعيره وشرب معهم فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره وشوى لهم من كبده وسنامه ثم رفع عقيرته يتغنى

علاني انما الدنيا علل * واسقياني عللا بعد نهل
بادرا باللهو يوما صالحا * ودعاني من عتاب وعذل
وانشلا ما اغبر من قدريكما * واسقياني أبعد الله الجمل

وقال اسحق الموصلي سمعت اعرابيا نبيذا فقال ما على هذا شيء يطيب النفس ويطرد الحزن ويعين الخير ويعد الغنى ثم أنشأ يقول

ألا خذها كماء الزعفران * رمتها بالنحول يد الزمان
تصوغ اذا علاها الماء طوقا * من الياقوت فصل بالجمان
وتترك من أراد الشرب منها * صحيح الجسم منكسر اللسان
كأن الشمس طالعة بكفي * اذا أخذت زجاجتها بناني

ومر الفرزدق بالحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقاه ماء فقال هلا لبنا يا أبا فراس قال ذلك اليك فلاله عسا من خمر وأمر فلبس عليه لقحة فصعدت الرغوة فوق الشراب وأتاه به فشربه حتى صك بالعس جبهته وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه فمسح سباله وقال جزاك الله خيرا فانك ما زلت تحفي الصدقات وتعماهي * ودخل الاخطل على عبد الملك فقال ليت شعري ما يعجبك من ادمان الخمر وأولها التقطب والكراهة وآخرها السكر والسفاهة فقال ولكن بينهما حالة ما يسرني بها ملكك هذا نظمه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها * ويكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة * وصفها بالسرور لن يستطاعا

(وأنشد ابن قتيبة لابي محجن الثقفي)

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني * أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

قال فأخبرني من رأى قبره بارمينية أنه بين شجرات الكروم والفتيان يشربون عندها وينشدون شعره واذا ب‍ قدحه صبوه على قبره * ومنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الشأم شرب الخمر فقال شاعرهم

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * ولا يملك الانسان صرف المقادر
صبرت ولم أجزع وقدمات اخوتي * وما أنا عن شرب المدام بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها * فخلانها يبكون حول المعاصر

(ورأى ذؤيب السلمي خمرا اهراقها السلطان فقال)

* يا لقومي لما أتى السلطان * لا يكن للذي أهانوا هوان
سكبوا في التراب من حلب الكر * م عقارا كأنها الزعفران
سكبت في مكان نحس لقد صا * دف سعد السعود ذاك المكان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصـ * ـبر عن بعض نفسه انسان

ولما انهمك الوليد بن يزيد في الشراب والتبذل مع الندماء اجتمع وجوه بني أمية فلاموه وعنفوه فقال لهم اسمعوا ما عندي

أشهد الله والملائكة الابـ * ـرار والعابدين أهل الصلاح
انني أشتهي السماع وشرب الراح والعض في الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا * ره يسعى علي بالاقداح
وظريف الحديث والكاعب الطفـ * ـلة ترتج في سموط الوشاح

انصرفوا فيئسوا منه فدبروا في افساد دولته * ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء وبين يديه جام زجاج فيه رطل شراب فدبه يده المأمون الى الرجل فقال يا أمير المؤمنين والله ما شربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرتده الى عمرو فأخذها منه وقال الله الله يا أمير المؤمنين انى آليت في الكعبة أن لا أشربها ففكر طويلا والكأس في يد عمرو ثم قال

ردا علي الكأس انكما * لا تعلمان الكأس ما تجدي
لو ذقتما ما ذقت ما امتزجت * الا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعماها اذا اشتملت * الا اشتمال فم على خد
خوفتماني الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندي
ان كنتما لا تشربان معي * خوف العقاب شربتها وحدي

(وقال الحسن بن هانئ وهو الامام في الخمريات)

ساع بكأس الى ناس على طرب * كلاهما عجب في منظر عجب
قامت تريني وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وله أيضا قال ابتغي المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا

فسكبت

فسكبت منها فى الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فألبسها المزاج وشاحا
شق البزال فؤادها فكأنها * أهدت اليك بريحها تفاحا
فأتتك فى صور تداولها البلى * فأزالهن وأثبت الارواحا

وقال ابن المعتز
ونار قدحناها سراعا بسحرة * متى ما يرق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء فى جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

وقال ابن وكيع
وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواعب در فى سماء عقيق

الطوق حاشية الكأس وقال ابن المعتز فى الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيه بجميعه

أسقى مخدرة الدنا * ن سلاف خمر قرقفا
راحا تخال حبابها * درا يجول مجوفا

وقال الحسن
بنت عشر لم تعاين * غير نار الشمس نارا
ثم سحت فأدارت * فوقها طوقا فدارا
كاقترا ن الدر بالدر * صغارا وكبارا
فاذا ما اعترضته الشمس من حيث استدارا
خلته فى جنبات الكأس وأوات صغارا

(وله أيضا فى مثل ذلك)

والكأس أهواها وان رزئت * بلغ المعاش وقلت فضلى
ذخرت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بخطوة القبل
فأنالك شئ لا تلامسه * الا بحسن غريزة العقل
فاذا علاها الماء ألبسها * غشا كمثل خلاخل الحجل
حتى اذا سكنت جوانحها * كتبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع * غفل من الاعجام والشكل

(وقال ابن المعتز)

كأن فى كأسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم

(وقال حبيب)

ضعفت وراض المزج سيئ خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلاعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها * نار ونور قيدا بوعاء
أو درة بيضاء بكر أطبقت * حبلا على ياقوتة حمراء

(وقال ابن ليال)

ومدامة لبست غلالة نرجس * وتنفست فى الكأس أى تنفس

باكرتها والورد يوقظه الندى * وتبل خديه عيون النرجس
والشمس تنظر من وراء غمامة * لبست من الكافور أحسن ملبس
نبهتها بيد المزاج فأصبحت * ترنو الى بأعين لم تنعس
وتوردت حتى توقد كأسها * فحسبنها في الكف جذوة قبس

(قوله دهاني) أي تشيطني ومكري (السبح) جمع سبحة وقد تقدمت (تعجبن) ترفعن صوتك بالصياح (تعتبن) تلومن (وضح) طهر (أبن) أقام (مغنى) منزل (أغن) كثير الاشجار فاذا هبت الريح فيها سمعت لها غنة ومن هذا قولهم روضة غناء لان صوت الريح يخرج من بين أشجارها وعشبها أغن ومن فسرها بأن الذباب يغنى فيها فهو صحيح في المعنى فاسد في التصريف لان يغنى أصله غ ن ى وأغن أصله غ ن ن فيريد بالمعنى الاغن منزلا كثير الاشجار وفسره بعضهم كثير الاهل والاول أولى (طفح) امتلأ خمرا و(المدام) الخمر (وقوله تقوى العظام، وتشفى السقام قد تجاوز هنا قوم حتى جعلوها تشفى من العاهات قال الاقيشر ويروى لابى نواس

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحها * اذا شمها الحاني من الدن كبرا
توقد في أيدى السقاة كؤسها * اذا ما رآها صائم القوم أفطرا

وقال آخر

أباهاشم هل لى سبيل الى التى * أرى شربة منها قواما لاحدب

(قوله وتنفى الترح) أي تزيل الحزن وقال الحسن بن هانى في أن الخمر تزيل الحزن والهم

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى منهاى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر * فطل من وجهها في البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها بالعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى لا يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها * حتى تولد أنوار وأضواء

(وقال البحترى)

فاشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد طل في الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها * في الكأس قائمة بغير اناء

(وقال حبيب)

بمدامة يغدو الفتى لكؤسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق في الاحشاء
عنبية ذهبية سبكت لها * ذهب المعاني صاغة الشعراء

(قوله أماط) أي أزال (اطرح) رمى بها وهذا منتزع من قول على بن الخليل

لا تكمل اللذات الا بالقيان وبالخمور
هتك الستور وفاعما الـلذات في هتك الستور

دهاني الرفاق
لارض العراق
بحمل السبح
فلا تغضبن
ولا تعجبن
ولا تعتبن
فعذرى وضح
ولا تعجبن
لشيخ أبن
بمغنى أغن
ودن طفح
فان المدام
تقوى العظام
وتشفى السقام
وتنفى الترح
وأصفى السرور
اذا ما الوقور
أماط ستور
الحيا واطرح

فدع العوادل لا يتفتش عليك من دون الصدور
واعلم بأنك راجع * حقا الى رب غفور

(قوله الغرام) شدة الحب (المستهام) الذى حمله الحب على أن يهيم أى يذهب ولا يدرى أين يتوجه (افتضح) اشتهر يقول أصفى ما يكون السرور اذا أزال الوقور ثياب الحياء واطرحها عنه وأحلى ما يكون العشق اذا ازال العاشق الكتم وشهر نفسه به ومن هذا قول أبى نواس

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(قوله زند أسالك) الزند الذى يقدح به النار والاسى الحزن يقول برد تلبك بذكر من تهوى فانك ان رمت كتمه قدح به زند حزنك ونحو هذا ما يحكى أن أبا الفضل الدارمى كان له هوى بغلام فاذا رآه أنكر حبه والعلام يعرف شدة وجده به فدمعت يوما عينا أبى الفضل فقال له العلام دمعك شاهد عليك فقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * ستأتى أملاها ودمعى خطها

(وقال المتنبى)

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

والشعر فى هذا كثير وكله تبع لقول العباس بن الاحنف

لا جزى الله دمع عينى خيرا * وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيأ * ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذى ذكر فانما يأخذ به أهل التماجن ومن لا يبالى واما أهل المروآت والتصاون فغايتهم اعلام المحبوب بشأنهم وكتمه عن الناس وذلك شديد ولا يقوم به الا من كمل عقله وأما أن يكتمه عن محبوبه كحكاية أبى الفضل فاشد أحوال هذا الباب ان يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم ويألفونه فيعلمون بشأنك كما فعل أبو الاصبع بن رشيد المرتكى أنشدنيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون

أبا قاسم ان قسمت الهوى * كؤسا فحظى أوفى الكؤس
وبين جفونك يا قاتلى * وبين فؤادى حرب البسوس
وبين الجوانح نار الجوى * كما قد سمعت بنار المجوس
أسارقك اللحظ فى خفية * كما يتناول قيد الشموس
فهما بدوت ومهما رنوت * فشغل العيون وشغل النفوس
مررت به بين أصحابه * فمدوا اللحاظ وهزوا الرؤس
وهذا على خطرة فذة * فكيف لو أنى نويت الجلوس

(قوله داوالكلوم) يريد جراح قلبه من أنكاد الدهر ولذلك اتبعه بـ(سل الهموم) لانه فى معنى داو الكلوم وهذا كقول العطوى

وأحلى الغرام
اذا المستهام
أزال اكتتام
الهوى وافتضح
فبح بهواك
وبرد حشاك
فزند أساك
به قد قدح
وداو الكلوم
وسل الهموم
بنت الكروم

أعجبتني أن أناخ بي الدهر ففاصمته الى الاقداح
لاتذادالهموم أنشبن أظفا * راحـدادابشرب ماء قراح
أحمدالله صارت الكأس تأسو * دون اخوانى الثقات جراحى

(قوله تقترح) تمنى (الغبوق) شرب العشى و (المشوق) المحب (وطمح) ارتفع بالنظر يقول خص شرابك بالعشى مع غلام حسن يسقيك ويبيت معلقاً على شرابك ويكون لافراط حسنه يجلب عذاب العاشق اذا نظره * ومما قيل فى السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبى نواس

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل فى داج من الليل كوكبا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا * ومالم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها ساق أغن ترى له * على مستدار الخد صدغا معقربا
سقانى ومنانى بعينيه منية * فكانت الى نفسى ألذ وأعجبا

(وقال ابن الرومى فأحسن)

ومهفهف كملت محاسنه * حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكؤس الى مراشفه * وتضج فى يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها * قمر يقبل عارض الشمس

(وقال ابن المعتز)

ظبى خلى من الاحزان أودعنى * مايعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الكاس فى يده * هلال أول شهر غاب فى شفق

وقال أيضا
ياحسن أحمد غادبا أمس * بمدامة صفراء كالورس
وكأن كفيه تقسم فى * اقداحنا قطعا من الشمس

ولابى طالب الرقاء فى معنى آخر

لها فى كف شاربها شعاع * تطرف منه مبيض البنان

(ولابى بكر الخالدى)

تومى اليك بأطراف مطرفة * فيها خضابان للعناب والعنب

فهذا فى انتقال حمرتها الاصابع حابسها فاذا انتقلت لخد شاربها احدث للشعراء فى ذلك معنى بديع من صنع البديع يسمى المطابقة وهو الوصف بالغروب والطلوع وقال فى ذلك الطليق المروانى

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فمه * أطلعت فى الخد منه شفقا

(ولابى مطروح بن فتوح)

صهباء تغرب ان بدت من كفه * فى فيه ثم تلوح فى وجناته

وقال غيره
بدر بدا يشرب شمسا بدت * وحدها فى الحسن من جده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

وقال آخر
أقول والكأس على فيه وقد * صوبها كالكوكب الصائب

التى تقترح
وخص الغبوق
بساق يسوق
بلاء المشوق
اذا ماطمح

ذا كوكب يغرب فى كوكب * ويلى على الطالع والغارب

(رجعنا الى ذكر السقاة قال ابن المعتز)

تدور علينا الكأس من كف شادن * له لحظ عين يشتكي السقم مدنف
كأن سلاف الخمر من ماء خده * وعنقودها من شعره الجعد يقطف

(وقال أبو بكر الخالدى)

أهلا بشمس مدام من يدى قمر * تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن جرتها اذ قام يمزجها * من خده اعتصرت أو من ثناياه
فى وجهه كل ريحان تراح له * منا قلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرته * بنفسج وجنى الورد خداه

(ولابن الرقاق)

وساق يحث الكأس وهى كأنما * تلألأ منها مثل ضوء جبينه
سقانى بها صرف الجباعشية * وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشا ذو وجنة عندمية * تريك قطاف الورد فى غير حينه
فأشرب من عيناه ما فوق خده * وألثم من خديه ما بيمينه

(وقال الخوارزمى)

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم
بدور بها ظبي تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال ابن المعتز

وندامای فى شباب وشيب * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * وهو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كما ناح فى الغصون الحمام
وكأن السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور قيام

وشاد يشيد
بصوت تميد
جبال الحديد
له ان صدح

(قوله شاد) أى مغن (يشيد) يتقن غناءه ويحكمه (تميد) تميل (صدح) رفع صوته بالغناء والصداح الصوت الشديد يقول وأحضر الخمر مغنيا تميل الجبال لحسن غنائه وهذا مثل ما حكى المنجم قال حكى لى ان ابراهيم بن المهدى كان أحسن الناس غناء ببرهان وذلك أنى كنت أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يعنى المغنون فاذا ابتدأ هو لم يبق أحد من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار الا وقد ترك ما فى يده وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغيا اليه لاهيا عما كان فيه مادام يغنى فاذا أمسك وغنى غيره رجعوا الى اشغالهم ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة واتفاق الطبائع على الميل اليه مع اختلافها فى غير ذلك وقال منصور بن المهدى غنى أخى ابراهيم الامين يوما فقال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى امرؤ * أتيت الفتوة من بابها

وكان الامين مشرفا على حمر الوحش وهو مخمور وكان من عادته أن لا يشرب وهو مخمور فاستوى

جالسا وطرب وقال أحسنت والله يا عم وأحييت لى طربا وغنى يومئذ على أشد طبقة ينتهى اليها وما سمعت مثل غنائه قط وقد رأيت منه شيأ عجيبا لو حدثت به ما صدقته كان اذا اشتد أبعنى أصغت الوحش ومدت أعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تضع رؤسها على الدكان الذى كنا عليه فاذا سكت نفرت عنا حتى تنتهى الى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها وجعل الامين يعجب من ذلك (قوله يديم) أى يجعله مباحا يقول اعص من يعدلك فى وصل المليح متى سمح بوصله وكان أعرابى قد طال تعشقه لجارية فقيل له ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعل أهون الناظرين لكنى كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عذب واعراض عما يسخط الرب ويقطع الحب فان تلق وصال المليح اذا سمح بمثل هذا فهو بيان النصيح واجب وأكثر الناس يرى ان الظفر بالمعشوق يسقط نصف عشقه وأن النكاح يفسد الحب وقال الأحوص

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
وكتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

(وقال حبيب فى نقيضه وأجاد)

وقالت نكاح الحب يفسد شكله * وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

(وقالت أم الضحاك المحاربية)

شفاء الحب تقبيل وضم * وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقال الحسن

اذا هجع النيام نخل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
فانى عالم فطن أريب * ولم يخبر لك مثل فتى أريب
ألذ الفعل تأخذه سرورا * بجنح الحب أو منع الرقيب

وبعد هذا ما يقبح ذكره وشعر الحسن يكثر فى هذا الباب وقال ابن الابار رحمه الله وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيبه

فوثبنا على الغزال وثوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وقال ابن بسام لقد طرف ابن الابار واستهتر ما شاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذى تولى له هذا المذهب لدب عليه وابن المعتز كنى ولم يصرح فقال

فكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أين ما قدمناه لابن الابار من قول الآخر فى ضده

ومنعم غض القطاف * عذب لماه للارتشاف
فوردت جنة نحره * ونعيمها دون اقتطاف
وعصيت سلطان الهوى * وأطعت سلطان العفاف

(وقال ابن الابار أيضا)

وعاص النصيح الذى لا يبيح وصال المليح اذا ما سمح

ومعرض

ومعرض بالعصسن فى حركاته * تسل القلوب العفو من لحظاته
عاطيته كاساكان سلافها * من ريقه المعسول أو وجناته
وأطعت سلطان العفاف تكرما * والمرء مجبول على عاداته

(وقال الشريف الرضى فأحسن)

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى * يلفنا الشوق من فرق الى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى * مواقع اللثم فى داج من الظلم
وبيننا الريح كالعذرى تجاذبنا * على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة * حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ما تعلقه * غير العفاف وراء الغيب والكرم

(وقال ابن ورج الجيانى)

وطائعة الوصال صددت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت بالليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت الهوى جماح شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وحل فى المحال * ولنبا المحال

(وقال أيضا فأحسن)

بأيهما أنا فى الشكر بادى * أشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى لى فازدهى أملى ولكن * عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتياد

كانه لما عف فى اليقظة جرى على عادته فى النوم وهذا من قول أبى الطيب

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وهذا أملك شهوة من التهامى وان كان قد أحسن حيث يقول

انى لاصرف طرفى عن محاسنها * تكرما وأكف الكف عن لمم
ولا أهم ولى نفس تنازعنى * أستغفر الله الاساعة الحلم

وقال ابن طباطبا
يقظانه ومنامه شرع * كل بكل منه مشتبه
ان هم فى حلم بفاحشة * زجرته عفته فينتبه

أخذه السرى فكتب الى صديق له وكان اتهمه بغلام بعثه اليه

أبا بكر أسأت الظن فيمن * صحبته التمع والخلاف
وخفت عليه فى الخلوات منى * ولم يك بيننا حال يخاف
جنوت من الصبا ماليس يخفى * وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أنى هممت بقبح فعل * لدى الاغفاء أيقظنى العفاف

(قوله حل) تصرف (المحال) المكر (لذ) تعلق وتستر (المحال) الباطل وما لا يمكن ثبوته

ودع مايقال * وخذ ما صلح
وفارق أباك * اذا ما أبالك
ومد الشباك * وصد من سنح
وصاف الخليل وناف الجبيل
وأول الجميل * ووال المنح
ولذ بالمتاب * أمام الذهاب
فمن دق باب * كريم فتح
فقلت له بخ بخ لروايتك
وأف وتف لغوايتك فبالله
من أى الاعياص عيصك
فقد أعضلنى عويصك
فقال ما أحب أن أفصح
عنى ولكن سأكنى
أنا أطروفة الزما
ن وأعجوبة الامم
وأنا الحول الذى احـ * ـتال
فى العرب والعجم
غير أنى ابن حاجة
هاضه الدهر فاهتضم
وأبو صبية بدوا
مثل لحم على وضم

قوله وأف بضم الهمزة منصوب على الدعاء كذا فى النسخ والمناسب مقصور وقد ذكر فى القاموس فيها أربعين لغة اه

(ودع مايقال) أى لا تلتفت الى من ينقصك باتباع لذاتك وخذ ما يوافقك ويصلح بك وهذا رأى من اشتهر بالمجون كالحسن فى قوله

دع عنك ماجدوا به وتبطل * واذا لقيت أخا الحنيفة فاهزل
لا تركبن من الذنوب خسيسها * واعمد اذا قاربتها للانبل
وخطيئة تغلو على مستامها * يأتيك آخرها بطعم الاول
حلت لاحرج على حرامها * ولربما حلت غير محلل

(وقال ابن وكيع)

لا تقبلن من الرشيد كلامه * واذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع الترهب والتجمل للورى * فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال أيضا

فارقت بعدك عفتى ووقارى * وخلعت فى طرق المجون عذارى
لا تأمرنى بالتستر فى الهوى * فالعيش أجمع فى ركوب العار
لا تكثرن على ان أخا الحجى * يرم بقرب الصاحب المكثار

(قوله أبالك) اى تمنع منك (سنح) تيسر يقال سنح الشئ سنوحا اذا تيسر (صاف الخليل) أى أخلص الود للصاحب (ناف) باعد (أول الجميل) ألصق المعروف بمن يستحقه وقد أولانى فلان المعروف ألصقه بى وجعله بينه وبينى وقيل معنى أولاى ملكنى من قولهم هذا ولى المرأة أى مالك أمرها وقيل معناه عضدنى به وقوانى من قولهم بنو فلان ولاة على بنى فلان أى يعينونهم ويعضدونهم وقيل أولانى أنعم على من الآلاء وهى النعم واحدها الى وألى والاصل ولى وولى أبدل من الواو المكسورة همزة على حد اسادة وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد وامرأة أناة (وال المنح) تابع العطايا (أمام الذهاب) قدام الموت يقول اذا شخت وأيقنت الموت فاضرب باب التوبة فانه يفتح لك اذ كل كريم بابه يفتح * ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يقرع باب الملك وانه من يداوم قرع الباب يوشك أن يفتح له والله تعالى أكرم الكرماء وبابه باب التوبة وقال الالبيرى

فلازم قرع باب التوب دأبا * فان لزومه سبب الدخول

(قوله بخ بخ) أى عجب عجب وتثقل وتخفف وهى كلمة تقال عند الاعجاب بالشئ (أف وتف) الاصمعى الاف وسخ الاذان والتف وسخ الاظفار ثم استعمل ذلك عند كل شئ يضجر منه وقال غيره الاف القلة مأخوذ من الافف وهو القلة ثم نسق التف عليه ومعناه كمعناه ويقال لمن يدعى عليه بالخيبة أف وتف لك وقال ابن الانبارى اذا أفردت أف ففيها عشرة أوجه فتح الفاء وكسرها وضمها على قياس مد وثلاثتها بالتنوين على قياس ويل فنصبه على الدعاء ورفعه بالابتداء وخفضه على التشبيه بالاصوات كمه وصه وأف كقد وأفى بضم الهمزة منصوب على الدعاء وأفى باضافته الى نفسه وأف بضم الهمزة وسكون الفاء تشبيها بالادوات نحو هل وبل (غوايتك) ضلالتك (الاعياص) الاصول والعيص بيت الاسد يريد من أى القبائل والبلاد (أعضلنى) صعب على (عويصك) صعب أمرك ومشكله (أفصح) أبين (أكنى) أورى أى أدل على نفسى بكلام خفى (اطروفة) غريبة (الحول) الكثير الحيلة (هاضه) كسره (اهتضم) ظلم ونقص (الوضم)

خشبة

خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم و (العيلة) الفقر وعال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة وقال الشاعر

ومايدرى الفقير متى غناه * ومايدرى الغنى متى يعيل

والمعيل الكثير العيال وقد أعال يعيل (قوله الريب) اى الريبة (مسود وجه الشيب) نبه به على قوله فى اول المقامة ميسمه ميسم الشبان يريد أنه خضب شيبه وتشبه بالفتيان والخضاب مباح والتدليس مكروه قال النبى صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب وكان ابو بكر رضى الله عنه يخضب بالحناء والكتم وجاء النهى عن الخضاب بالسواد وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة ومن كلام المولدين الخضاب تذكرة الشباب الخضاب أحد الشبابين وقال مالك بن اسماء بن خارجة لجارية له قومى اخضبى رأسى ولحيتى فقالت دعى فقد عييت مما أرقعك فقال

عيرتنى خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وقال آخر ألیس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ماقد كان أخلقه * طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال آخر وقائلة تقول وقد رأتنى * ترقع عارضاى من القتير

عليك الخضب علك أن تدانى * الى بيض ترى منهن حور

فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

(وقال عبدان الاصبهانى)

فى مشيبى شماتة لعداتى * وهو ناع منغص لحياتى

ويعيب الخضاب قوم وفيه * لى أنس الى حضور وفاتى

لا ومن يعلم السرائر منى * ماتطلبت خلة الغانيات

انما رمت أن يغيب عنى * ماتريني كل يوم مراتى

وهو ناع الى نفسى ومن ذا * سره أن يرى وجوه النعاة

وقال آخر بكرت تحسن لى سواد خضابى * لو كان ذلك يعيدنى لشبابى

واذا أديم الوجه أخلقه البلى * لم ينتفع فيه بحسن خضاب

ماذا الذى يبدى عليك خضابه * وخلاف مارضيك فى الاثواب

(وقال ابن عبدربه)

اذا فصل الخضاب بكى عليه * ويفرح كلما وصل الخضابا

كأن حمامة بيضا أظلت * تقاتل فى مفارقه غرابا

(وقال ابن الرومى)

يا أيها الرجل المسود شعره * كيما يعد به من الشبان

أقصر فلو سودت كل حمامة * بيضاء ماعدت من الغربان

(وأملح منه قول الآخر)

وأخو العيلة المعيل * اذا احتال لم يلم

(قال الراوى) فعرفت حينئذ أنه أبو زيد ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب

قالت خضبت الشيب ثم أتيتنا * تبغى لدينا بالخضاب ودادا
فأجبتها لم أختضب لك انما * شيبى صبغت على الشباب حدادا

(وما أحسن ما قال ابن هانئ الاندلسى)

بنتم فلولا أن أغير لمتى * عبثا وألقاكم على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس منه كتابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى أجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

(قوله تمرده) تشيطنه وتمرد اذا كثر شره والمريد الخبيث الذى لا يطاق مكره (تورده) اتيانه بما لا يحل وأصل التورد قصد الماء (الانفة) الغضب (يأن) يحين ويقرب (الخنى) الفساد (تفجر) اشتد غضبه (زمجر) تكلم بما لا يفهم (تنكر) تغير على وتنكر نفسه كانه لا يعرفنى (مراح) طرب ونشاط (تلاح) مشاتمة (نهزة) فرصة وغنيمة (كفاح) قتال (فعد) اصرف واترك (فرقا) فزعا (عربدته) شره وشغبه (الحداد) ثياب الحزن (الخطا) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (نباذ) خمار (عصر) زمان (رحلنا العيس) جعلنا على الابل رحالها (التغليس) الخروج فى الغلس وهى الظلمة التى بين طلوع الفجر والشمس وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لابى دلامة ، حكى الاصبهانى ان موسى بن داود الهاشمى عزم على الحج فقال لابى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعها اليه فأخذها وهرب الى السواد وجعل ينفقها هنالك فى شرب الخمر فطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشى فوت الحج وخرج فلما شارف القادسية اذا هو بأبى دلامة خارج من قرية الى أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرح فى محمل بين يديه فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا * صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب * اذا بدا لك فى أثوابه السود
انى أعوذ بداود وأعظمه * من أن أكلف حجا يا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة * من الشراب وما شربى بتصريد
والله مافى من أجر فتطلبه * ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى ألقوه عن المحمل لعنه الله فألقى وعاد الى موضعه بالسواد حتى أنفق المال وقال آخر

ألم ترنى وبشارا حججنا * وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبى سفر بعيد * فمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا * وأبنا موقرين من الخساره

(وقال أبو نواس فى الحج)

وقائل هل تريد الحج قلت له * نعم اذا فنيت لذات بغداذ
وكيف بالحج لى مادمت منغمسا * فى بيت قوادة أو بيت نباذ

(قوله وخلينا بين الشيخين أبى زيد وابليس) من قول الحسن

وساءنى عظم تمرده وقبح تورده فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنى فتفجر وزمجر وتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مراح لا تلاح ونهزة شرب راح لا كفاح فعد عما بدا الى أن تلاقى غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتى لابسا حداد الندم على نقلى خطا القدم الى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا أحضر بعدها حانة نباذ ولو أعطيت ملك بغداذ وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو رد على عصر الشباب ثم انا رحلنا العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخين أبى زيد وابليس

بت وابليس الى الصبح فى ، كل الذى يؤثمنى خصمى

وانظر هذا فى الثامنة والاربعين والله أعلم

(شرح المقامة الثالثة عشرة وتعرف بالبغدادية)

(المقامة الثالثة عشرة البغدادية)

(روى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء

(ذكر بغداد)

(ندوت) أى خرجت ويقال ندت الابل تندو اذا خرجت من المشرب ترعى فيما اقرب منه وهو الذى قصد لانه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج البلد يستريحون ثم يرجعون و(الضواحى) المواضع البارزة للشمس و(الزوراء) هى فى الجانب الشرقى من بغداد وسميت زوراء لازورار قبلتها أى لانحرافها وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مقطعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم والزوراء هى بغداد ويقال لها الزوراء ومدينة السلام ومدينة المنصور وبغداد وبغداذ وبغدان وبغذان وبغدام وبغذام وبغذاد عن الفراء وبعضهم يقول تفسيره بستان رجل فبغ بستان وداد رجل وقيل بغ صنم وداد عطية وانما اختلفت العرب فى لفظها اذلم تكن من كلامها ولا اشتقاق لها من لغتها وأشهر لغاتها بغداد بدالين وبغدان بالنون وكان الاصمعى رحمه الله لا يقول بغداد وانما يقول مدينة السلام لان بغ عندهم اسم صنم وداد عطية بالفارسية فكانها عطية الصنم وبناها المنصور وبعث رجالا يطلبون له موضعا يبنى فيه مدينة فطلبوا فلم يجدوا حتى جاء ينزل فنزل على البر الذى فى الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة فوجه حينئذ الصناع من الشأم والموصل والكوفة وواسط والبصرة فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة وقال محمد بن أبى سهل لما أراد المنصور بناء بغداد أمرنى أن آخذ الطالع فأخذ ناطالعها فكان المشترى فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول بنائها وكثرة عمارتها ثم قلت وخلة أخرى يا أمير المؤمنين نجدها على ما تدل عليه النجوم لا يموت فيها خليفة فرأيته يتبسم وقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل لرجل كيف رأيت بغداد فقال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها. ابن جبير بغداد هى المدينة العتيقة ولم تزل حضرة الخلافة العباسية وقد ذهب رسمها ووسمها وهى بالاضافة الى ما كانت عليه قبل ايجاد الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس والاثر الطامس وتمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر الا دجلتها التى بين الشرقية والغربية منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين والعقد المنتظم بين لبتين فهى تردها فلا تظمأ وتطلع فى مرآة صقيلة لا تصدأ والهواء المنتظم يتولد بين هوائها ومائها فهى معروفة بفتن الهوى الا أن يعصم الله منها وكما سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى النفس ويبعث دائما على الانبساط والانس فلا تكاد تجد فيها الاجد لان طربا وان كان نازح الدار مغتربا حتى حللت بقرية وزيران وهى على مرحلة منها فلما نفحتنا نوافح هوائها ونقعنا الغلة ببرد مائها أحسسنا من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الاطراب واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالاياب وهفت بنا محركات من الانس ذكرتنا معاهد الاحباب فى عصر الشباب هذا للغريب النازح الوطن فكيف الوافد فيها على أهل وسكن

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب

وبغداد جانبان شرقي وغربي ودجلة بينهما فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه وهو كان المعمور أولا ولكنه مع خرابه يحتوي على سبع عشرة محلة كل واحدة منها مدينة مستقلة لها الحمامان والثلاثة وصلاة الجمعة في ثمان منها وأكبرها القرية وهي على شط دجلة ومقربة من الجسر ثم الكرخ وهي مدينة مشهورة ثم محلة باب البصرة وهي مدينة بها جامع المنصور وهو كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهي مدينة وهذه الاربع أكبر المحلات والوسيطة بين دجلة وبين نهر يتفرع من الفرات وينصب في دجلة يجيء فيها جميع المدائن التي يسقيها الفرات وعلى بابها نهر آخر منه ينصب في دجلة ومنها العتابية وهي مدينة يصنع فيها الثياب العتابية وهي حرير وقطن مختلفات الالوان وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها وأما الشرقية فهي محدثة وهي حفيلة الاسوار عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر كبير لا يحصيهم الا الذي أحصى كل شيء عددا وبالشرقي محلة الرصافة وبها كان باب الطاق المشهور على الشط وبازائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبي حنيفة رحمه الله فيها قبة سامية في الهواء بيضاء فيها قبر الامام أبي حنيفة وبالقرب منها قبر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وحمامات بغداد لا تحصى أخبرني بعض أشياخها أن فيها اليوم ألفي حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر فيها أنه رخام أسود صقيل وأكثر حمامات هذه الجهة على هذه الصفة لكثرة القار عندهم وشأنه عجيب لانه منبع عين بين البصرة والكوفة يصير القار في جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالقه وببغداد من المدارس نحو الثلاثين ما منها مدرسة الا كالقصر العظيم وأعظمها النظامية وبساتين بغداد وحدائقها بالغربية ومنها تجلب الفواكه للشرقية والعادة أبدا أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ومع ذلك فمن يعبر بينهما من الناس في ازوارق لا يحصى وذلك لكثرة الناس وزوارقها لا تحصى والناس ليلا ونهارا من معاينة العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هي اليوم مما كانت عليه هي اليوم داخلة تحت قول حبيب «لا أنت أنت ولا الديار ديار» * ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكل عيب من الكبرياء وبيع الربا ثم استثنى فقهاءها ووعاظها (قوله مع مشيخة من الشعراء) قال الخليل في مدح الشعراء هم أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤا وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته وسئل غيره عنهم فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا بينهم وقال آخر اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى كلمة وقال بعض الظرفاء يذمهم

مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم

(مدح الشعراء وذمهم)

الكلب والشاعر في رتبة * ياليت أني لم أكن شاعرا
هل هو الا باسط كفه * يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا حرفات الهوى * ما كنت الا رجلا تاجرا

(وقال ابن الرومي)

يقولون مالا يفعلون مسبة * من الله مسبوب بها الشعراء

وقال أيضا للناس فيما يكلفون مغارم * عند الكرام لها قضاء زمام

ومعارم الشعراء في أشعارهم * انساق أعمار وهجر منام
وجناذات وهجر مكاسب * لو خولس حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع سابغ الانعام

(قوله مبار) أي معارض (مضمار) طلق (عمار) مجادل (أفضنا) اندفعنا (ينضح) يكشف عيوبها شبه الجماعات في الاكداب بالخيل الجياد في الطلق لا يلحق غبارها من يجاريها وجعل حديثهم بحسن تفننه ينضح الازهار حتى قرن بها ونجعل تفسيرا لهذا المجلس الموصوف باجتماع الشعراء ما حدث به دعبل أنه اجتمع هو ومسلم بن الوليد وأبو الشيص وأبو نواس وهؤلاء مشيخة شعراء عصرهم فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليأت كل امرئ منكم بأحسن ما قال فلينشده فأنشد أبو الشيص

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن أكرم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضي عجبه ثم أنشد مسلم أبياتا منها

فأقسم أنسى الداعيات الى الصبا * فقد فاجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها ثمار نحورها * كأيدي الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لي أبو نواس هات أبا علي وكأني بك قد جئت بأم القلادة لا تعجبي يا سلم فأنشدته

أين الشباب وأية سلكا * لا أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف صبركما * يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تطلبا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

(ثم سألناه أن ينشدنا فأنشد)

لا تبك ليلى ولا تركن الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أجدته حمرتها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة * من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحرا ومن يدها * خمرا فما لك من سكرين من بد
لي سكرتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من بينهم وحدي

فلما بلغ هذا البيت قاموا فسجدوا له فقال أفعلتموها والله لا أكلمكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة في هجر الاخوان كثير وفي بعضها استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة ثم التفت الينا وقال اعلمتم أن حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخي ان أيام العمر أقل من تحمل الهجر نظم ذلك الشاعر فقال

العمر أقصر مدة * من أن يمحق بالعتاب
أو أن يكثر ماصفا * منه بهجر واجتناب

مبار بعبار ولا يجري معهم عمار في مضمار فأفضنا في حديث ينضح الازهار

الى ان نصفنا النهار فلما غاض درّ الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا ان عرتنا حتى اذا ماحضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا ياما ٓل الا ٓمل وثمال الارامل أنى من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا

(وقال ابن طاهر)

الى كم يكون الصدّ فى كل ساعة * ولم لاتملين القطيعة والهجرا
رويدك ان الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال آخر

ولقد عجبت فلا تكن متجنبا * ان الصدود هو الفراق الاول
حسب الاحبة أن يفرق بينهم * ريب الزمان فانّنا نستعجل

(وقال القاضى عبد الوهاب)

لاتعجل قطيعتى فكفى * يوما بدا الدهر بيننا مقطع
عما قريب تجىء فرقتنا * ثمت لا ملتقى ولا مجمع

(وأخذه الكل من قول جميل)

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا و يطول

(قوله نصفنا) أى بلغنا نصفه (غاض) جف (درّ الافكار) كلامها والدر اللبن استعاره لما يتولد من الذهن (صبت) مالت (الاوكار) البيوت هنا (لحنا) أبصرنا (تحضر) تجرى (الجرد) الخيل القصيرة الشعر (استتلت) جعلتهم تلوها يتبعونها (أنحف) أقل لحما (الجوازل) فراخ الحمام واحدها جوزل (عرتنا) قصدتنا (المعارف) الاول الوجوه واحدها معروف قال الشاعر

متلثمين على معارفنا * تثنى لهن حواشى العصب

(وان لم يكن معارف) أى وان كنت لا أعرفهم (ما ٓل) مرجع وقد آل يؤل أولا وما ٓلا اذا رجع و(الا ٓمل) الراجى (وثمال) غياث وملجأ (الارامل) المساكين، يعقوب هن جماعة الرجال والنساء ويقال لهم أرامل وان لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ويقال للرجال الضعفاء المحتاجين أرملة وان لم يكن فيهم نساء وأرمل القوم فنى زادهم وواحد الارامل أرمل وأرملة وانما قيل للفاقدة زوجها أرملة لان أمرها يؤل الى الضيعة والحاجة (سروات) سادات واحدها سراة والسرى السيد الكبير ذو المروأة والسرو المروأة وقد سرى سروا وسرو سراوة جمع السخاء والفضل قال امرؤ القيس * ولها عليه سراوة الفضل * وأنشد يعقوب

ان السرى هو السرى بنفسه * وابن السرى اذا سرى أسراهما

قال ثعلب السرى فى كلامهم الرفيع ماخوذ من السراة وسراة كل شئ أعلاه و (سريات) سيدات (العقائل) كرائم النساء تريد أن آباءها وأمهاتها من السادات (البعل) الزوج و بعل الرجل بعولة تزوج (الصدر) مقدم المجلس (القلب) قلب العسكر والعسكر خمسة أقسام مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب وهو محل الملوك أرادت أن قرابتها منهم (يمطون) يهبون و (الظهر) الابل بأوقارها وأمطاه أعطاه دابة يركب مطاها أى ظهرها (يولون اليد) يهبون النعمة (أردى) أهلك (الاعضاد) جمع عضد وهو غليظ الذراع الذى بين المرفق والمنكب (فجع) أحزن وجمع الفجيعة وهى الرزية يتفجع عليها (الجوارح) عوامل الجسد كاليد والرجل والعين تريد أن الدهر اذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فتعطلت منفعتها (انقلب) تحول (ظهرا لبطن) كناية عن الخلاف أى بعد ان كان مستقيما انقلب (نبا) ارتفع ولم يستقر (الناظر) من ينظر مليها

(الحاجب)

(الحاجب) من يحجبها ويسترها و(العين) الذهب (الراحة) الدعة والسكر ن (صلد) لم يور نارا وأرادت انقطاع الخير عنها (وهنت) استرخت (اليمين) القوة (بانت) ذهبت وبعدت (المرافق) من كان يرتفق بحياته ومنفعته والمرافق كل ما ارتفقت به من مال وغيره (ثنية) صغيرة من الابل و(ناب) مسنة وهذا الكلام كله استعارة كما تقدم في الابرة والمرود لكنه كنى هنا بالجوارح والاعضاء عمن كان يستعين به من القرابة على الدهر ومعاني الاعضاء بينة الا الراحة فانها باطن الكف والزند طرف عظم الساعد والثنية والناب صريحتان ونبا الناظر لم ينم وجفا الحاجب لم يرسل الجفن على العين فتنام كما قال بشار

نبت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

(وقال التهامي)

قصرت جفوني أم تباعد بينها * أم صورت عيني بلا أشفار

(قوله اغبر) أي علته غبرة و(الاخضر) الناعم (ازور) انقبض (الاصفر) هو الدينار (الفود) ناحية الرأس بين الاذن والجبهة وهذا من قول أعرابي ذكر مصيبته فقال، صيبة والله تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وهونت المصائب بعدها

(وقال عبد الله بن الزبير الاسدي)

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

(وقال التهامي)

تسود الشمس منا بيض أوجهنا * ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما في الحكم واحدة * لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

(قوله رثى) بكى وأشفق (العدو الازرق) أراد الروم وهم أعداء العرب (والموت الاحمر) الشديد ومنه الحسن أحمر أي من أحب الحسن احتمل المشقة وفي الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب الى العدو منه فمعناه اشتد وقيل معنى الموت الاحمر القتل وقد قال الاخطل * أن قد أتيح لهن موت أحمر * يريد قتل الثور الكلاب وتقدم في المقامة قبل هذه فلما فيه من الدم سمي أحمر وهو الاظهر من مقصد الحريري لانه علق غيره من الصفات باللون مثل العدو الازرق والروم زرق العيون فكذلك الموت الاحمر، أبو عبيدة الموت الاحمر أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا في عينيه حمراء وردا، والموت الاغبر هو الموت جوعا لانه يغبر في عينيه كل شيء والموت الاسود هو الموت في غمة الماء والموت الابيض هو موت العافية قال الخطابي الموت الابيض أي فجأة لانه يأخذ الانسان ببياض لونه (قوله تلوى) أي خلفي والى جانبي (عينه) شخصه (فراره) معرفته أي شخصه يعرفكم بحاله والعرب تقول عينه فراره للشيء تعرفه اذا أبصرته والفر في البهائم كشف اسنانها حتى يعرف مالها من السن ووقع في المقامات فراره بضم الفاء وكذا في نوادر أبي علي ووقع في النسخ العتاق من الامثال لابي عبيد فراره بكسر الفاء وأنشد أبو علي * هو الحبيب عينه فراره * وفسره فقال نظرك اليه يغنيك عن فره أن تخبره وهما لغتان فراره وفراره (قوله ترجمانه) المتكلم عنه يريد أن صفرة لونه تخبرك أنه

الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره

قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى أمنيته برده وكنت آليت أن لا أبذل الحرّ الا للحرّ ولو أنى مت من الضر وقد

ناجتنى القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتنى فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدّق توسمى ونظر الىّ بعين يقذيها الجود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لا رينكم أولا شعارى ثم لا رونكم اشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وأنشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض
ريب الزمان المتعدى البغيض
ياقوم انى من أناس غنوا
دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع
وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت
فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم
ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا
ولا لروع قال حال الجريض

جائع (قصوى) غاية (بغية) طلب (وقصارى أمنيته) أى منتهى ما يتمناه وغايته (بردة) ثوب أى أقصى ما يطلب ما يأكل وغاية ما يتمنى ما يلبس (آليت) حلفت (أبذل الحر) أهين الخد (الحر) الكثير المروءة (ناجتنى) حدثتنى (القرونة) النفس (المعونة) ما يستعان به (آذنتنى) أعلمتنى (فراسة الحوباء) فطنة النفس (الينابيع) جمع ينبوع وهو ما يخرج من الماء وينبع (الحباء) العطاء (أبر) راعى وأكرم (توسمى) نظرى وتأملى (يقذيها) يجعل فيها القذى (الجود) الشح وقال بعضهم فى ذم التشكى الى المخلوق

لاتشتكى ضرى الى الناس وهم من أعلم
ان إلهى بالضر جواد منعم
أشكو الذى يرحمنى * الى الذى لا يرحم

الكستجى قال أملقت حتى لم يبق فى منزلى الا جارية فدخلت دار المتوكل فلم أزل متفكرا فحضرنى بيتان فأخذت قصبه وكتبت على الحائط الذى كنت الى جانبه

الرزق مقسوم فأجمل فى الطلب * يأتى بأسباب ومن غير سبب
فاسترزق الله ففى الله غنى * الله خير لك من أب وحدب

فركب المتوكل فى ذلك اليوم وجعل يطوف على الحجر ومعه الفتح بن خاقان حتى وقف على البيتين وقال من كتب هذا وقرأهما الفتح له فاستحسنهما وقال من كان فى هذه الحجرة فقيل الكستجى فقال أغفلناه وأسأنا اليه فأمر لى ببدرتين وقال محمد بن مخلد الكاتب لزمت أبا الحسن على بن محمد بن الفرات أغدو وأروح الى بابه لا أحظى بطائل ولا أصل الى تصريف ولا نائل حتى كرهت نفسى فرأيت هاتفا فى المنام يقول لى

يا أيها المكثر فى المطلب * اهجر تصاريف المنى الكواذب
اذا أتى وقت القضاء الغالب * بادرت الحاجة كف الطالب

فتركت المسير اليه فلم يمض لى أسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدنى كتابته فثابت حالى (قوله فهمنا) أى تحيرنا (البراعة) الفصاحة (عبارتها) سياق كلامها (ملح استعارتها) يريد ما استعارته من تسمية الاشخاص بأسماء الاعضاء (إلحامك) نسجك الشعر (يفجر الصخر) أى يخرج من الحجر الماء ومن البخيل العطاء (مواساتك) صلتك وأصلها أن تجعل صاحبك اسوة نفسك (شعارى) ثوبى اللاصق بجسمى سمى شعارا لانه يلى شعر الجسد والظهار الثوب الذى يظهر للعيون والدثار الثوب الذى بينهما (ردن) كم (درع) قميص (دريس) خلق (برزت) ظهرت (درديس) داهية (ريب) جور (غنوا) أقاموا (غضيض) منكسر (صيتهم) ذكرهم الحسن وهو من الصوت فلما كسرت الصاد أصير على وزن الذكر ودعماه وانقلبت واوه ياء (مستفيض) متحدث به مشهور (نجعة) مرعى (أعوزت) فقدت (الشهباء) التى أجدبت فلا مطر فيها ولا عشب (والروض) الموضع الكثير العشب (أريض) متسع (تشب) توقد (للسارين) للماشين بالليل (غريض) طرى (ساغبا) جائعا (لروع) لفزع (الجريض) الغصص بالريق عند الموت (حال) منع أى لا يقول جارهم حال الموت دون الامل ووفد عبيد بن الابرص على النعمان الاكبر وهو ابن الشقيقة وبانى الخورنق فامتدحه فوصله وأكرمه وكان له يوم نعيم ويوم بؤس

في

فى السنة فورد عليه فى يوم بؤسه فقال له ما أخرجك ثكلتك أمك فقال حضور أجلى وانقطاع أملى وكان من لقيه يوم بؤسه لم يخلصه من الموت شئ فاستنشده أقفر من أهله ملحوب فقال له حال الجريض دون القريض فعزم عليه أن ينشد فأنشده

أقفر من أهله عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

ثم قال له اختر إن شئت أخرجت نفسك من الأكحل وإن شئت من الأبجل وإن شئت من الوريد فقال عبيد خيرتنى بين سحابات عاد * فردت من بؤسك شر المراد

وكان قتل النعمان لعبيد سبب قطعه يوم بؤسه فلم يفعله بعد (قوله غيضت) أى أذهبت والصروف الطوارى تصرفك من حال الى حال (لم أخلها) لم أحسبها (أودعت) ضمنت (الثرى) التراب (التحامى) الحماية والمنعة وتحاميته تباعدت منه وعنعت عليه (أساة) أطباء (المطايا) الابل (المطا) الظهر (محملى) ما أحمل عليه أثقالى تقول صرت أحمل على ظهرى بعد ان كان محملى ظهور الابل (اليفاع) الارتفاع من الارض (الحضيض) أسفل الجبل (ما تأتلى) تقصر (بؤسا) ضرا (وميض) لمعان (القانت) العابد والقنوت طول القيام (يفيض) يملأ العين حتى تفيض بالدمع (النعاب) فرخ الغراب اختصه من الطير لانهم يزعمون أنه يخرج من بيضته أبيض الزغب فيراه الذكر فيستريب فيضرب أنثاه وينقرها حتى تفر طائرة فيطير خلفها ويتركانه فيقيض الله له ذبابا يطير حول عينيه فيفتح منقاره ليشردها فتدخل فى حلقه فيتغذى بها حتى يسود ريشه فحينئذ يرجع اليه أبواه فيكملان تربيته ويا رازق النعاب من دعاء داود عليه السلام (المهيض) الذى انكسر بعد الجبر (أتح) قدر (رحيض) مغسول (مذقة) جرعة (حازر) لبن حامض شديد الحموضة و (المخيض) اللبن يمزج بالماء ويحرك والمخض التحريك ليخرج زبده واذا طال مكث المخيض واشتدت حموضته سمى حازرا (نابهم) نزل بهم (العريض) الواسع العرض (تعنو) تذل (النواصى) شعر مقدم الرأس (صفحة) ناحية العنق (تصديت) تعرضت (القريض) الشعر (قوله صدعت) شقت (اعشار) قطع (خبايا) ما خبئ فيها من الدراهم (ماحها) أعطاها (ديته) عادته (الامتياح) طلب المعروف يريد مشيخة الشعراء الذين قدمر ذكرهم وعيش الشعراء انما هو من الاستجداء والطلب ومعلوم أنه من كانت عادته أن يأخذ لا يعطى فى الغالب شيأ ولذلك قال (من لم تخله يرتاح) أى من لم تحسب أنه يهتز للعطاء وقد ارتاح اذا اهتز للكرم والعطاء ولذلك قال حبيب

لم يخلق الرحمن أحمق لحية * من سائل يرجو الندى من سائل

وقال آخر

لموت الفتى خير من الفقر للفتى * وللموت خير من سؤال بخيل

لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل

ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللموت خير من سؤال سؤل

وحدث عيسى بن عمر النحوى قال قدمت من سفر فدخلت على ذى الرمة الشاعر فعرضت عليه أن أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا نعطى ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة فقال له يا أبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغايتنا جميعا السؤال وكان بشار يعطيه فى كل سنة مائتى درهم فأتاه مرة فقال هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هى قال هو ما تسمع فقال له بشار

فغيضت منهم صروف الردى
بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى
أسد التحامى وأساة المريض
فحملى بعد المطايا المطا
وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وأفرخى ما تأتلى تشتكى
بؤسا له فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله
مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه
وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه
من دنس الذم نقى رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو
بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم
ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذى تعنو النواصى له
يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لى صفحة
ولا تصديت لنظم القريض

(قال الراوى) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح

فلما افعوعم جيبها تبرا
وأولاها كل منا برّا تولت
يتلوها الاصاغر وفوها
بالشكر فاغر فاشرأبت
الجماعة بعد ممرّها الى سبرها
لتبلو مواقع برّها فكفلت
لهم باستنباط السرّ المرموز
ونهضت أقفو أثر العجوز
حتى انتهت الى سوق معتصة
بالانام مختصة بالزحام
فانغمست فى الغمار
وامّلست من الصبية الاغمار
ثم عاجت بخلو بال الى
مسجد خال فاماطت
الجلباب ونضت النقاب
وأنا ألمحها من خصاص
الباب وأرقب ما ستبدى
من الحجاب فلما انسرت
أهبة الخفر رأيت محيا أبى
زيد قد سفر فهممت بأن
اهجم عليه لاعنفه على
ما أجرى اليه فاسلنقى
اسلنقاء المتمردين ثم رفع
عقيرة المغردين واندفع
ينشد

بما رحه أنت أفصح منى قال لا قال فأعلم قال لا قال فاشعر قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال ان هجوتنى هجوتك قال أبو الشمقمق أوكذا هو اسمع

انى اذا ما شاعر هجانيه * أدخلت فى است امه علانيه

بشار يا بشار وأراد أن يقول يا ابن الزانية فأمسك بشار بفمه وقال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لا تسمعن منك هذا الصبيان ولقيت سجلماسة شاعرها وعينها الحاج امدحنر وكان له شعر رائق فحدثت عنه انه قصده يوما فتى شاعر يستجديه بشعر فوقع الحاج تحت شعره

نحن بزاة الناس لا نصاد * من كان ذا فهم بنا يصطاد

ثم كتب له قطعة من شعره وقال له اقصد بها فلانا فانه يصلك بما يرضيك فعلم المقصود بالشعر بنية الحاج فوصله بما أرضاه وعد أبو نواس أبا الطفيل الشاعر وعدا فألح عليه فقال

واخرس ولاج وغاد ورائح * رجاء نوال لو يعان بجود
وانى واياه كعريان يصطلى * من الطل نارا غير ذات زقود
زويت له وجها قطوبا عن الندى * وألبسته من وعده بوعيد
فان كنت لا عن سوء فعلك مقلعا * فدونك فاستظهر بنعل حديد
فعندى مطل لا يطير غرابه * مطير ولا يدعى له بوليد

(قوله افعوعم) امتلأ وافعوعل بنيت للمبالغة (تبرا) ذهبا (أولاها) أعطاها (البرّ) الاكرام (فاغر) منفتح (اشرأبت) تطاعت وتقول اشرأب الرجل اذا مدّ عنقه لينظر (سبرها) اختبارها (تبلو) تختبر يريد ان الجماعة أرادت ان تعرف هل أوقعت اكرامها فيمن يستحقه أم لا (كفلت) ضمنت (استنباط) استخراج (المرموز) المخفى (نهضت) تقدمت للمشى (اقفو) أتبع (معتصة) ممتلئة (انغمست) غابت ودخلت (الغمار) كثرة الخلق وجماعتهم التى تعمر الارض أى تغطيها ورده ابن الانبارى وجعله من خطا العامة وقال انما تقول العرب دخل فى خمار الناس بالخاء وهو جمعهم اذا استتر بهم ومنه الخمار لتغطية الرأس ومنه الخمر وقال يعقوب هو كل ما استتر به الانسان من شجر أو غيره فان كان من شجر خاصة فهو الضراء وحكى بعضهم غمارا جعله من غمر الماء الشئ اذا غطاه (قوله امّلست) انفلتت بسهولة والاملاس ان يسقط الشئ من يدك ولا تشعر به (الاغمار) الجهال (عاجت) مالت (بخلو بال) أى خالية منفردة (أماطت) أزالت (الجلباب) ثوب أوسع من الخمار يتجلبب به أى يلتف فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل (نضت) نحت وجردت (النقاب) ما يغطى به الوجه (ألمحها) انظرها (خصاص) فرج يريد به من شقوق الباب (انسرت) زالت ويروى بفصل سرت عن أن ومعناه أن أزالت بالهمرة والمنفصل فعل العجوز والمتصل فعل الاهبة وهى العدة يريد لما ان أزالت عنها هيئة لباسها التى استترت بها عنا كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تكشف وجهها حتى نعرفها (محيا) وجه (سفر) انكشف (اهجم) آخذه على غفله (أعنفه) اقبح فعله (اسلنقى) صار على ظهره (المتمردين) الشياطين ومن لا يرجى صلاحه (عقيرة) صوت (المغردين) المطربين بالغناء والعقيرة بمعنى معقورة أى جارحة مقطوعة كان رجل قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى ورفع صوته فقيل

ياليت شعري أدهري * أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري * في الخدع أم ليس يدري
كم قد قرت بنيه
بحيلتي ومكري
وكم برزت بعرف
عليهم وبنكر
اصطاد قوما بوعظ
وآخرين بشعر
وأستفز بخلّ
عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر
وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا
مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي
ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا
عذري فدونك عذري

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة إمره ومازخرف في شعره من عذره علمت ان شيطانه المريد لايسمع التفنيد ولا يفعل الا مايريد فثنيت الى أصحابي عناني وأبثثتهم ماأثبته عياني فوجوا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

(المقامة الرابعة عشرة المكية)

(حكى الحرث بن همام) قال نهضت من مدينة السلام لحجة الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت

الكل من رفع صوته قد رفع عقيرته (قوله ياليت شعري) معناه ليت درايتي وفطنتي ومعنى الشاعر في كلامهم الفطن العالم وسمي شاعرا لانه يفطن لما لا يفطن له غيره وأجاز الفراء ليت شعري أبالك ماصنع على معنى ليتني أعلم أبالك ماصنع وأنشد

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ * ـرو وليت يقولها المحزون

ومعناه ليتني أعلم مسافرا وقال آخر

خمر الشيب لمتي تخميرا * وحدا بي الى القبور البعيرا
ليت شعري اذا القيامة قامت * ودعي بالحساب أين المصيرا

قال ثعلب المصير منصوب بشعري أي ليتني أعلم المصير أين هو والبعير منصوب بحدا أي وحدا الشيب البعير الى القبور (كنه) حقيقة (غوري) آخر أمري وأصل الغور قعر الجرحة والمنخفض من الارض (قرت) غلبت وخدعت (مكري) خداعي (أستفز) أستخف وأخدع واستفزه من كذا أخرجه منه والخل كناية عن الشر والخمر كناية عن الخير هذا على مذهب العرب وكانت الخمر أجل ماعندهم ويقولون ماعنده خل ولا خمر أي ماعنده شر ولا خير واذا فسدت الخمر عندهم صارت خلا وقد قال في ألغازه

وما شيء اذا فسدا * تحوّل غيه رشدا

يريد أن الخمر اذا فسدت صارت خلا فبعد أن كانت حراما رجعت حلالا وزال تأثيرها في العقول (صخر) هو ابن الشريد و(أخته) الخنساء فأراد أنه مرة رجل ومرة أخرى امرأة * ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لعنوا في السماء رجل خلقه الله ذكرا فتأنث وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال والذي يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما السلام * وأما صخر فهو ابن عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكان في جماله أجمل رجل في العرب وسنذكر لمعة من أخبار صخر وأخته الخنساء في المقامة الاربعين ان شاء الله تعالى (سلكت سبيلا) دخلت طريقا (مألوفة) مركوبة ملتزمة (قدحي) سهمي (قدحي) ضربي بالزند (عسري) فقري (خسري) ضد ربحي والخسر النقص يريد لو مشيت على طريقة واحدة أبدا لخسرت وخبت (دونك) أي خذ (جلية) ظاهرة (بديعة) غريبة (إمره) دهائه وعجبه (زخرف) زين (المريد) العاري من الخير انما هو شر كله (التفنيد) اللوم وفندت فعله اذا عبته (ثنيت) عطفت وتقول جاء ثانيا عنانه اذا بلغ مراده ولم يجهد نفسه (أبثثتهم) أخبرتهم (أثبته) حققه (عياني) معاينتي (وجوا) غضبوا (الجوائز) العطايا (تعاهدوا) تحالفوا (محرمة) منع وحرمان

(شرح المقامة الرابعة عشرة وهي المكية)

(نهضت) أي تقدمت وسمي النهوض تقدما لسرعة الحركة * وسمي المنصور بغداد مدينة السلام لان دجلة يقال لها وادي السلام ونهر السلام * وأضاف الحجة الى الاسلام لانها أحد أركانه قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس والحج أحدها (التفث) مايلزم الحاج

الطيب والرفث صادف
موسم الخيف معمعان الصيف
فاستظهرت للضرورة
بما يقي حر الظهيرة فبينما
أنا تحت طراف مع رفقة
ظراف وقد حمي وطيس
الحصباء وأعشى الهجير
عين الحرباء اذ هجم علينا
شيخ متسعسع يتلوه فتى
مترعرع فسلم الشيخ تسليم
أديب أريب وحاور محاورة
قريب لا غريب فأعجبنا
بما نثر من سمطه وعجبنا من
انبساطه قبل بسطه وقلنا
له ما أنت وكيف ولجت
وما استأذنت فقال أما
أنا فعاف وطالب اسعاف
وسر ضري غير خاف
والنظر الى شفيع لي كاف
وأما الانسياب الذي علق
به الارتياب فما هو بعجاب
اذ ما على الكرماء من حجاب
فسألناه أنى اهتدى الينا
وبم استدل علينا فقال ان
للكرم نشرا تنم به نفحاته
وترشد الى روضه فوحاته
فاستدللت بتأرج عرفكم
على تبلج عرفكم وبشرني
تضوع رندكم بحسن المنقلب
من عندكم فاستخبرناه حينئذ
عن لبانته لنتكفل باعانته
فقال ان لي

من ترك الطيب وحلاق الشعر (والرفث) النكاح (استنحت) استحلت (الموسم) الموضع الذي يجتمع فيه الناس من بعيد أو سوق (الخيف) موضع بمكة (معمعان) شدة الحر (استظهرت) استعددت تقول قد استظهر للشيء بكذا اذا استعد له وقد تقدم آنفا المحسن

فدونك فاستظهر بنعل حديد (يقي) يمنع (الظهيرة) حر نصف النهار فيقول بسبب ضرورة الحر جعلت على نفسي سترا يمنع عني حر الشمس (طراف) قبة من جلد (ظراف) جمع ظريف وهو النبيل المهذب (حمي وطيس الحصباء) اشتد حر الجنادل لمن وطئها وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه (أعشى) أعمى (الهجير) حر نصف النهار (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس وتدور معها وانظرها في المقامة السادسة والثلاثين وقال المعري

وهميرة كالهجر موج سرابها * كالبحر ليس لمائه من مطلب
أوفى بها الحرباء عودي منبر * للظهر الا أنه لم يخطب
فكأنه رام الكلام ومسه * عي فاسعده لسان الجندب

((وقال أيضا في نحوه))

وساحرة الاقطار يحكي سرابها * فيصلب حرباء بريا على جذع

(قوله هجم) أي دخل على غفلة (متسعسع) هرم متقارب الخطو (مترعرع) شاب مراهق وترعرع الغلام أي أخذ في الزيادة في طوله وخلقته والرعرع الشباب (أريب) عاقل (حاور) راجع الكلام (نثر من سمطه) أبدى من كلامه وأصل السمط خيط الجوهر (انبساطه) دالته وهذا الكلام أصله في البساط تقول بسطته فانبسط فلا يكون الانبساط مطاوعا الا بعد الشروع في البسط يقول فهذا الشيخ انبسط علينا قبل ان نبسطه أي دل علينا قبل أن نجعل له السبيل في ذلك ومما يستحسن من المنظوم هنا قول ابن كناسة

في انقباض وحشمة فاذا * لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها * فقلت ما قلت غير محتشم

قال اسحق الموصلي أنشدني ابن كناسة هذين البيتين فقلت له وددت أني سبقتك اليهما وينقص من عمري سنتان (ولجت) دخلت (عاف) طالب معروف (اسعاف) قضاء حاجتي (الشفيع) الطالب لغيره يقول لست أحتاج اليكم مع ظهور سري لشفيع لان نظركم الي يغني عن الشفيع (كاف) مغن عن غيره (الانسياب) الدخول بسهولة وقد تقدم أصله في الاولى (الارتياب) الشك والانكار (عجاب) مبالغة في عجب (أنى) كيف (نشرا تنم به نفحاته) طيبا تفوح روائحه وأنفاسه (ترشد) تدل وتهدي (فوحاته) روائحه العطرة و(العرف) الرائحة الطيبة و(تأرجها) تحركها وتأرج الطيب فاح (تبلج) ظهور (عرفكم) معروفكم ولاحظ الحريري في هذا قول العرجي

يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوي الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قالوا ويستدل بالطيب على الملوكية في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين فمن ذلك الحمام ومعرك الحرب وسل هذا الموطن الذي ذكر الحريري في الحج اذا حل قالوا والطيب

السبع الغبر ثم وثب المقال كالمنشط من العقال وأنشد
انى امرؤ أبدع بى
بعد الوجى والتعب
وشقتى شاسعة
يقصر عنها خببى
ومامعى خردلة
مطبوعة من ذهب
فليلتى منسدة
وحيرتى تلعب بى
ان ارتحلت راجلا
خفت دواعى العطب
وان تخلفت عن الر
رفقة ضاق مذهبى
فزفرتى فى صعد
وعبرتى فى صبب
وأنتم منتجع الر
راجى ومرمى الطلب
لها كم منهلة
ولا انهلال السحب
وجاركم فى حرم
ووفركم فى حرب
مالاذ مرتاع بكم
نخاف ناب النوب
ولا استدر آمل
حباءكم فخاب
فانعطفوا فى قصتى
وأحسنوا منقلبى
فلو بلوتم عيشتى
فى مطعمى ومشربى
لساءكم ضرّ الذى
أسلمنى للكرب
ولو خبرتم حسبى
ونسبى ومذهبى
وماحوت معرفتى

دليل لا يكذب وغمام لا يفسد والطيب غذاء الروح والنفحات الذكية نشاط النفس فهو طب وطيب وقال ابن البوّاب

اذا أبصرتك العين من بعد غاية * فاوقعت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

(وقال السرى الموصلى)

حليه وثناياه وعنبره * كل ينم عليه أو يراقبه
فلست أدرى اذا ماسار فى أفق * شمائل الافق أذكى أم جنائبه

(وقال ابن سكرة)

أهلا وسهلا بمن زارت بلاعدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنى لاظهرها * برق الثنايا وعطر النحر والنفس

(وأخذه المعتمد بن عباد فقال)*

ثلاثة منعتنا من زيارتها * خوف الوشاة وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ماحيلة العرق

(قوله مأربا) اى حاجة (المرامين) المطلبين (الكبر الكبر) أى قدّموا الاكبر ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدّم الاكبر (أجل) نعم (دحا) بسط (السبع الغبر) الارضين (المنشط) المحلول (عقال) قيد البعير وعقدته بأنشوطة أى عقدته عقدة تنحل بجذبة أو بجذبتين وقولهم بئر نشوط اذا كان دلوها يخرج بجذبة أو جذبتين وتسمى عامتنا عقدة الانشوطة الخ (أبدع بى) أى عطبت ناقتى يقال أبدع بالرجل اذا كلت ابله أو عطبت وفى الحديث ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال احلنى فانى أبدع بى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماعندى ما أحملك عليه ولكن اذهب الى فلان فقل له يحملك فأتاه فحمله فرجع اليه فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله أجر فاعله (قوله الوجى) وجع الحافر من الحفا (شقتى شاسعة) سفرتى بعيدة (خببى) مشيتى وخب الفرس خببا وهو ضرب من العدو دون الاسراع (الخردل) حب معروف فى نهاية الصغر (مطبوعة) مصنوعة (منسدة) منغلقة (العطب) الهلاك (تخلفت) تأخرت (مذهبى) طريقى (زفرتى فى صعد) نفسى فى ارتفاع (عبرتى فى صبب) دمعى فى انحدار (المنتجع) الموضع الخصيب الذى ينتجع للمرعى يقول موضعكم خصيب وأنتم كرام فمن طلب منكم رزقه وجده (لها كم) عطايا كم (منهلة) منصبة (لاذ) تستر ولجأ (مرتاع) خائف (النوب) جمع نائبة على غير قياس وهى الداهية وجعل لها نابا مجازا وجنس به وأصل الناب للسبع (استدر) طلب الدر وهو اللبن (آمل) راج (حباءكم) عطاءكم (انعطفوا) ميلوا (منقلبى) مرجعى يقول عساكم أن تشفقوا على وقيل فلو بكم بالرحمة الى حتى يحسن منقلبى من عندكم (بلوتم) جربتم (أسلمنى) تركنى (الكرب) الهموم (خبرتم) اختبرتم (حسبى) شرفى والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة (مذهبى) طريقتى (حوت) جمعت

 قوله والحسب آباء الخ كذا فى النسخ ولا يخفى ان الحسب وصف للآباء لا هو هم كما فى القاموس وراجعه اه

(النخب) المختارة (اعترتكم) قصدتكم (شبهة) شك وحيرة (دهانى) أهلكنى وضرنى (شؤمه) نحسه (عقنى) قطعنى وأساء الىّ بتعلمه فهو يتطير بأدبه والتطير بالادب مذهب قديم متداول وقد أشار اليه ابن قتيبة فى صدر أدبه وقال عمرو بن شبة من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى وقيل للحسن البصرى رحمه الله لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر وقال الحمدونى

ما ازددت من أدبى حرفا أسرّ به * الا تزيدت حرفا تحته شوم
كذا المقدّم فى حذق بصنعته * أنى توجه فيها فهو محروم

(وقال أبو اسحق الصابى)

اذا جمعت بين امرأين صناعة * فأحببت أن تدرى الذى هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

أخذه عبد الملك بن وهبون فقال

يعز على العلياء أنى خامل * وان أبصرت منى خمود شهاب
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثمّ ترى زند السعادة كابى

(وقال أبو اسحق الصابى)

قد كنت أعجب من مالى وكثرته * وكيف تغفل عنه حرفة الادب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى * شزرا فلم تبق لى شيأ من النشب
واستيقنت انها كانت على غلط * فاستدركته وأفضت بى الى الحرب
الضبّ والنون قد يرجى اجتماعهما * وليس يرجى اجتماع المال والادب

وقال علىّ بن بسام يرثى عبد الله بن المعتز على ما كان بينهما من العداوة

لله درك من ميت بمضيعة * ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الأدب

وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به أمر به فرمى فى صهريج فيه ماء فى شدة البردفمات ومن عجائب الدنيا ان أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماما وأغلق عليه فمات من حره وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم فى الغالب كذلك نفوا أن تجتمع النجابة فى الولد والوالد فى الغالب قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حرّا لبيبا * فكن فى ابنه سيئ الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار غير الرماد

ولما أوجع الفقر والحرمان القاضى عبد الوهاب لاجل أدبه على ما شرطوا فى الادب تمنى الكفاف ولزوم العلم الى الممات فقال

يا لهف نفسى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفانى ذلّ مسئلة * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة
فى أن دائى أدبى
فليت أنى لم أكن
أرضعت ثدى الادب
فقد دهانى شؤمه
وعقنى فيه أبى

فقلنا له أما أنت فقد صرحت أبياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسمطيلك ماوصلك الى بلدك فما اربة ولدك فقال له فهيا بنى كما قام أبوك وفه بما فى نفسك لافض فوك فنهض نهوض البطل للبراز وأصلت لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول

ياسادة فى المعالى
لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب
قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم
بذل الكنوز العتيده
أريد منكم شواء
وجردقا وعصيده
فان غلا فرقاق
به توارى الشهيده
أولم يكن ذا ولا ذا
فشبعة من ثريده
فان تعذرن طرا
فعجوة ونهيده
فأحضروا ماتسنى
ولوشظى من قديده
وزجوه فنفسى
لمايروج مريده
والزاد لابدمنه
لرحلة لى بعيده
وأنتم خير رهط
تدعون عند الشديده
أيديكم كل يوم
لها أياد جديده
وراحكم واصلات
شمل الصلات المقيده
وبغيتى فى مطاوى
ماترفدون زهيده
وفى آجر وعقبى
تنفيس كربى حيده
ولى نتائج فكر * يفضحن كل قصيده

(قال الحرث بن همام) فلما رأينا الشبل يشبه الأسد فقابلنا الصنع بشكر نشرا أرديته وآتيناه ديته ولما عزما على الانطلاق وعقدا للرحلة أرحلنا الوالد والولد وزودنا الوالد

فلما فتح عليه باب الرزق مات على ما يأتى ذكره فسبحان من أنفذ حكمه فى خلقه كيف شاء (قوله صرحت) بينت (فاقتك) فقرك وتصريح أبياته بعطب ناقته هو قوله أبدع بى المتقدم وفى معناه ان اعرابية خرجت الى الحج فلما كانت ببعض الطريق عطبت ناقتها فرفعت يديها الى السماء وقالت يارب أخرجتنى من بيتى الى بيتك فلا بيتى ولا بيتك (قوله غطيك) نعطيك مطية (مأربة) حاجة (فه) تكلم (فض) كسر (نهض) تقدم (أصلت) جرد (العضب الجراز) السيف القاطع (مشيدة) مرتفعة (ناب خطب) قصد أمر شديد و (المكيدة) هى الكيد وكل مايكاد به فهو مكيد تو (قاموا بدفعها) اقتدر وا عليها يقول اذا قصدوا بأمر عظيم وكيدوا به اقتدر وا على دفع المكيد وا كنفوا بمن يريد ضرهم (العتيدة) الحاضرة المدخورة (رقاق) خبز رقيق (توارى) تغطى (الشهيدة) الشاة المشوية وقلما يؤكل لحمها الا بالرقاق وربما سموا الهريسة شهيدة وأنشدوا فى ذلك

هلموا الى من عذبت طول ليلها * بأضيق سجن فى الجحيم تسعر
وقد جلدوها الحد وهى بريئة * فسيروا الى دفن الشهيدة تؤجروا

وقيل الشهيدة الدجاجة المحشوة وقيل السمكة المحشوة (طرا) جميعا (عجوة) نوع من التمر طيب و (النهيدة) الزبدة والتمر بالربد شئ يلذ عندهم أكله (تسنى) حضر (شظى) قطعة (زجوه) عجاوه (ولا بد منه) أى قد وجب عليكم فالتزموه لى تقول لابد من كذا معناه قد ألزمته نفسى وجعلته واجبا على من قول العرب قد أبد الرجل القوم وأبد الرامى الوحش اذا ألزمهن الحتف قال أبو ذؤيب فأبدهن حتوفهن فهارب * بدمائه أو بارك متجعجع (قوله اياد) اى نعم (راحكم) أكفكم (واصلات شمل الصلات) أى تؤلف وتصل متفرق العطايا والفوائد (بغيتى) ارادتى (مطاوى ماترفدون) مطاوى الثوب معاطفه ومايطوى منه وترفدون تعطون وتقدير البيت بغيتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطاياكم أى ماطلبته منكم قليل فى أثناء ماتهبون (قوله وفى أجر) عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه المؤمن طعاما وافق بشهوته أدخله الله الجنة وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق (تنفيس) تفريج وترويح يقول عاقبة تفريج همى لمن فرجه محمودة للاجر الذى فيها والثناء بشعرى عليه وعلى هذا رتب (ولى نتائج فكر) وهى أشعاره الحسان (يفضحن) يشهرن عيوبها يقول اذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت (الشبل) ولد الاسد (أرحلناه) أعطيناه راحلة يركبها (الصنع) الفعل الجميل (نشرا أرديته) استعارة لنشر الشكر (آتيا) أعطيا (ديته) حقه يقول جعلا شكرهما حقا لبرنا ومكافأة لصلتنا وكأن المال الموهوب قد استهلكه الآخذ له فان شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله الهالك وانما أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره وفى حديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى شيأ فوجد فليجز ومن لم يجد فليثن به فان أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال من دعاكم فأجيبوه ومن أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم يجد أحدكم فليدع له حتى يعلم أنه قد كافأه وقالوا اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وما أحسن قول حبيب فى نشر الشكر وذم ستره

النار نار الشوق فى كبد الفتى * والبين شبههما هوى مسموم
خير له من أن يخامر قلبه * وهواه معروف امرئ مكتوم
سرق الصنيعة فاستمر ملعنا * يدعو عليه السائل المظلوم
أأقنع المعروف وهو كأنه * قمر الدجى انى اذا اللئيم
مثر من المال الذى ملكتنى * أعنافه ومن الوفاء عديم
فأروح فى بردين لم يصحبهما * قبلى فتى وهما الغنى واللوم

ومن ملح الاعراب أن أعرابيا لصا أخذه الحجاج فضربه سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا يارب فقال له والله ما يمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك أما سمعت الله يقول لئن شكرتم لأزيدنكم فأنشأ الاعرابى يقول

يارب لاشكر فلا تزدنى * أسأت فى شكرك فاعف عنى
* باعد ثواب الشاكرين منى *

حبك النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أو هل بقيت حاجة فى نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم

(ترجمة عرقوب)

ومر بشار برجل قد رمحته بغلة فسقط مكسورا وهو يقول الحمد لله والشكر لله فقال استزده يزدك من هذه النعم وسيأتى نوع آخر من الشعر فى الشكر بحول الله تعالى (قوله حبك النطاق) النطاق والمنطقة ما يشد على وسطك كالحزام والحبك خيوط أو شرك يشد بها النطاق وأراد أنهما تحزما للارتحال و يقال حبكت الشئ حبكا شددته واحتبكت ازارى شددته والمحبوك المفتول وحبكته شددت فتله والحبك الطرائق فى السماء من أثر الغيم والحبك أيضا التكسير الذى يكون فى الرمل والشعر والماء (ضاهت) شابهت (عدتنا) ما وعدناك به من الراحلة ولا بلك من الزاد (عرقوب) رجل من العماليق يضرب به المثل فى اخلاف الوعد وقصته انه أتاه أخ له يسأله شيأ فقال له اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت أتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما أزهت قال له دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعطه شيأ وقيل عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم و يقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الاوس والخزرج قال علقمة

وقد وعدتك موعدا لو وفت به * كموعد عرقوب أخاه بيثرب

(وقال كعب بن زهير)

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

وقال عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق و (حاجة نفس يعقوب) خشية العين على بنيه حين أمرهم أن يتفرقوا على الابواب ولا يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا فى غاية من الجمال وكمال الخلق وقال الله تعالى ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وأراد الحريرى هل بقيت لك حاجة لم تقضها (فقال حاش لله) أى معاذ الله * ابن الانبارى قولهم حاشى فلانا معناه أستثنيه وأخرجه من المذكورين الفراء هو من حاشيت أحاشى و يقال قام القوم حاشى عبد الله بالنصب والخفض وحاشى لعبد الله وحاش وحشى وخفض ما بعدها باضمار اللام لكثرة صحبتها حاشى كأنها ظاهرة أو تقول أضيفت حاشى الى عبد الله لانه أشبه الاسم لما لم يأت معه فاعل (كلا) معناها الزجر أى ليس الأمر كما تظن (جل) عظم وهو من الجلل والجليل هو العظيم

ويكون

ويكون فى غير هذا اليسير وهو من الاضداد (جلى) سبق معروف وفسكم كل معروف والمجلى من الخيل السابق (دنا) جازنا (أين الدويرة) سأله أين يسكن من البلاد (ملكتنا) غلبتنا يقول قد التبس علينا أمرك وتحيرنا فيه (تنفس) ردّد النفس الى الجوف بصوت و رفعه الى صدره والتنفس ضدّ الشهيق وهو ردّ النفس الى الجوف بصوت (يلعثم) يلوى ويعقل ويقال سأله عن كذا فما تلعثم أى ما توقف ولا تلبث ولا أبطا فاذا ذكرت للغريب بلده وهو على بعد منه تنفس وتلهف (أناخ) أقام ونزل (أخنوا) أفسدوا وأتوا على خرابها * والتى يبغى حط الذنوب اليها هى مكة (حط) القاء وانزال (لديها) عندها أى اذا حج ودعا الله حط ذنوبه عنه وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (راق) أعجب (طرفيها) جهتيها (اغرورقت) امتلأت (آذنت) أعلمت (الهموع) السيلان (يستوكفها) يستدرّها ويجريها (يكفكفها) يردّها (المستحلى) المستعذب (أوجز) اختصر ومما ينتظم بهذا الموضع من ذكر الاوطان والتشوّق اليها قول رفاعة بن عاصم الفقعسى وأنشدها البكرى لامرأة من طيئ

ألم تعلمى يادار ملحاء أننى * اذا أخصبت أوكان جدبا جنابها
أحبّ بلاد الله ما بين منعج * الىّ وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى * وأوّل أرض مس جلدى ترابها

قال علىّ بن عبد الكريم النصيبينى أتانى ابن الرومى بقصيدته التى يمدح فيها سليمان بن عبد الله ابن طاهر وقال لى أنصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى موطن آليت أن لا أبيعه * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو قول الاعرابىّ أحب بلاد الله الابيات فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت حب الوطن والعلة فى ذلك وقال ابن الرومى يتشوّق الى بغداد

بلد صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول اعرابى يتشوق الى بلده

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * بشوق الى عهد الصبا المتقادم
حننت الى ربع به اخضرّ شاربى * وقطع عنى فيه عقد التمائم

(وقال اسحق الموصلى)

أتبكى على بغداد وهى قريبة * فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى * لو أنا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزنا ان رحت لم أستطع لها * وداعا ولم أحدث لساكنها عهدا

وأنشدنى شيخنا أبو بكر السلامى وكان يزعم أنهما لاخى الحريرى وقد أحسن قائلهما كأننا من

وجلى فقلت له فدنا كما دنالك وأفدنا كما أفدناك أين الدويرة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من ادّكر أوطانه وأنشد والشهيق يلعثم لسانه
سروج دارى ولكن كيف السبيل اليها
وقد أناخ الاعادى بها وأخنوا عليها
فوالتى سرت أبغى حط الذنوب لديها
ماراق طرفى شئ مذ غبت عن طرفيها
ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يطلّ أن يكفكفها فقطع انشاده المستحلى وأوجز فى الوداع وولى

كان طيب الهواء ببغداد يؤرقني * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

(المقامة الخامسة عشرة الفرضية)

(أخبر الحرث بن همام) قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولأرق صب طرد عن الباب ومنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همى ويجلن فى الوساوس وهمى حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتى الليلاء فما انقضت منيتى ولا أغمضت مقلتى حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت فى نفسى لعل غرس التمنى قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل ويبتغى الايواء لا غير واذا أسحر قدم السير قال فلما دل شعاعه على شمسه

٣ قوله فزقت الرجا عن نوره هكذا بالاصول التى معنا ولعله فزقت الدجى من نوره اه مصححه

(شرح المقامة الخامسة عشرة وهى الفرضية)

(أرقت) سهرت ولم أنم وفى حديث زيد بن ثابت شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابنى فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ياحى يا قيوم اهدأ ليلى وأنم عينى فقلتها فأذهب الله عنى ما كنت أجده (حالكة الجلباب) سوداء الثوب (هامية الرباب) سائلة السحاب يريد أن الليلة مظلمة ممطرة (صب) عاشق (طرد) نفى (منى) ابتلى (صد) هجر (الافكار) أحاديث النفس (يهجن) يحركن و (يجلن) يصرفن و (الوساوس) الفكر المقلقة (وهمى) بالى وخاطرى وقال ابن شهيد فى نحو هذه الليلة

ولرب ليل للهموم تسدلت * أستاره فمحا الضيا بستوره
كالبحر يضرب موجه فى موجه * صعب على العبار وجه عبوره
طاولته من عزمتى بتصبر * أثبت همى فى قرارة كوره
وبراحة من همتى ذو كرة * عمدت يداكربى لطبع ذكيره
فردا اذا انبعثت دياجى جنحه * هولا على خبطت فى ديجوره
حتى بدا عبد العزيز لناظرى * أملى ٣ فزقت الرجا عن نوره

وليلة الحريرى ضد ليلة ابن رشيق فى قوله

ومن حسنات الدهر عندى ليلة * من العمر لم تترك لايامنا ذنبا
خلونا بها ننفى القذى عن عيوننا * بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الخدود ولثمها * كميل جياع الطير تلتقط الحبا

(قوله تمنيت) ابن الانبارى فى معناه قدرت وأحببت أن يصير الى وهو من المنى وهو القدر يقال منى الله لك ما تحبه يمنيه منيا أى قدره لك (لمضض) أى لحرقة (عاينت) شاهدت ويروى عانيت أى قاسيت (سميرا) صاحبا يسمر معه (يقصر) يردها قصيرة بأنسه وحديثه (الليلاء) الشديدة الطويلة السواد ولابن الرقاق فى مثل هذا السمير

رب ليل أتحفت فيه بأنس * من سمير زف الحديث عروسا
فاجتنينا مما يحدث زهرا * واغتبقنا من خلقه خندريسا
وانثنى الليل يفضل الصبح حسنا * والدرارى يفضلن فيه الشموسا
ولئن كان لم يحل عن دجاه * فلقد عاد فحمه آبنوسا

(قوله أغمضت مقلتى) نامت عينى (قرع) ضرب (خاشع) لين (أثمر) طلع ثمره (الحظ) البخت (أقمر) صار فيه قمر يقول لعل بختى قد زال نحسه وأقبل سعده اذ وجدت ما تمنيت (نهضت) تقدمت (الطارق) الآتى بالليل (أجنه) ستره (غشيه) غطاه (الايواء) مصدر آويت الرجل اذا أنزلته على نفسك وضممته وتقول أويته وآويت بمعنى واحد (أسحر) دخل فى وقت السحر يريد أنه لا يطلب غير المبيت وينصرف فى السحر (الشعاع) ما يبدو لك من الشمس اذا ظهرت

ونمّ عنوانه بسرّ طرسه علمت انّ مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلّ القطر بردته فحيّا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر ٢٣١ على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غبروقته فدانيته بالمصباح المتقد وتاملته تأمّل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فاحللته محلّ من أظفرني بقصوى الطلب ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب ثم أخذ يشكو الاين وأخذت في كيف وأين فقال أبلعني ريقي فقد أتعبني طريقي فظننته مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض اعراض البشم فسؤت ظنا بامتناعه وأحفظني حوّل طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام وألسعه بحمة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة بأهل المقة عدّ عما أخطرته ببالك واستمع الى لا أبا لك فقلت هات يا أخا الترّهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف افلاس ونجيّ وسواس فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق متصدّيا لصيد يسنح أو حرّ يسمح فلحظت بها ثمرا قد حسن تصفيفه وأحسن اليه مصيفه فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر واتجلى في اللون المزعفر فهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوّب رأي مشتريه

كالخيال (نمّ) أفشى السرّ و(الطرس) الكتاب (العنوان) ما يكتب على ظهره يريد أنّ كلام الطارق دل على مراده و(المسامرة) هي المساهرة (غنم) غنيمة (نعم) نعمة (بسلام) أي بسلامة وأمن (قوله صعدته) الصعدة الرمح الطويل وكنى به عن القامة (بردته) ثوبه (عضب) قاطع (تلبية) قولي له لبيك (الطروق) المجيء بالليل (دانيته) قربت منه (تاملته) نظرته (المنتقد) المجرّب للدراهم أي نظرته بعين المباحثة (ألفيته) وجدته (ريب) شكّ (رجم الغيب) رمي الظنّ (أظفرني) ملكني (قصوى) غاية وهي مؤنث الاقصى أي الابعد (وقذ الكرب) حرقة الهموم (روح الطرب) راحة السرور (الاين) التعب (كيف) سؤال عن حال (وأين) سؤال عن مكان أي سألته كيف حالك ومن أين جئت (أبلعني ريقي) أي لا تكثر عليّ السؤال فيعجلني جوابك عن بلع ريقي (السغب) الجوع وقد سغب وسغب جاع (الداجي) المظلم (المحتشم) المستحي هنا (أعرض) نحى وجهه وتحقيقه ولى عرضه أي جانبه (البشم) الكسل من الشبع وقد بشم بشما مرض من كثرة الاكل (سؤت ظنا) ساء ظني وظنا المنصوب على التمييز فاعل في المعنى من باب تفقأ شحما (أحفظني) أغضبني (حوّل طباعه) تغير أخلاقه (حمة الملام) سم العتاب (ألسعه) أقرصه بلساني ولسعته العقرب ضربته بابرتها (لمحات ناظري) أي خطرات عيني (خامر خاطري) خالط فكري (المقة) الحب (عدّ) أي اصرفه عن نفسك (الترّهات) العجائب وأيضا الاباطيل وأصلها الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الاعظم (حليف افلاس) ملازم فقر (نجيّ) محدّث ولما كانت الوساوس تشغل بال الانسان وتجعله يتحدّث وحده جعل نفسه محدّثا لها (قضى نحبه) تم وانقضى وقضى الرجل نحبه مات والنحب النذر (وغوّر) غيب (شهبه) نجومه و(الاشراق) ارتفاع الشمس وصفاؤها (الاسواق) جمع سوق وسميت سوقا لانّ الاشياء تساق اليها وتساق منها أو لانّ سوق الناس تكثر فيها والسوق جمع ساق والسوق بالفتح مصدر سقت وبالضم الاسم (متصدّيا) متعرّضا (يسنح) يعرض من جهة اليمين ويزاد بيانا عند ذكر السانح والبارح (يسمح) يجود (لحظت) نظرت ولحظي أضيق عيني أي أبصرت بضيق عيني (تصفيفه) أي جعله صفا واحدا وصففت الشيء جعلته صفا واحدا مضموما (المصيف) زمن الصيف (الرحيق) الخمر (قنوء) حمرة (العقيق) خرز أحمر * عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم ما دام عليه ذلك (واللبأ) أول ما يحلب من اللبن وهو لم ينضج (برز) ظهر (الابريز) الذهب الخالص (المزعفر) المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر و(طاهيه) طابخه (تناهيه) غايته وكماله يقول هذا اللبأ بحسن صنعته وجودة طبخه كأنه يثني للمشترين على طابخه وان لم يكن له لسان فكماله في الحسن وجودته في الصنعة قام له مقام اللسان وهذا يسمى الكلام بلسان الحال قال الشاعر

ولسان نعمتك التي قلدتني * بالشكر أبلغ من لسان بياني

وقال المتنبي

تشدأ ثوابنا مدائحه * بألسن ما لهن أفواه

اذا مر ونا عـلى الاصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه

(أخذه من قول نصيب)

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(وقال أبو العتاهية)

أيا عجبا كيف يعصى الالــه أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية * تدل عـلى أنه واحـد

ولله فى كل تسكينـة * وتحريكة فى الورى شاهد

وقال الفضـل بن عيسى الرقاشى سـل الارض من غرس أشجارك وشـق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ومنه سؤال العرب للمنازل الخالية والديار الدارسة وقال شاعرهم

وأجهشت للتوباذ حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

وأذريت دمع العين لما رأيته * ونادى بأعلى صوته فـدعانى

فقلت له أين الذين عهـدتهم * حواليك فى أمن وخصب زمان

فقال مضوا واستودعونى ديارهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

التوباذ جبل ببلاد بنى عامر وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى فجعله لفظيا مجازا وهذه الحالة الدالة التى سماها الجاحظ فى أقسام البيان النصبة قال الجاحظ جميع أصناف الدلالة على المعانى من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العـقد ثم الخط ثم النصبة والعقد أخذ العدد فى الاصابع (قوله نقد) أى أعطى نقدا وهو المال الحاضر (حبة القلب) سواده (أسرتنى) ربطتنى كالاسير (أشطانها) حبالها (أسلمتنى) تركتنى (العيمة) شهوة اللبن و (سلطانها) قدرتها وغلبتها يريد ان الشهوة الى اللبن قهرته حتى تركته مستسلما لا يملك نفسه (الضب) يشبه الحرذون وهو حرذون الصحراء واذا فارق جحره لم يهتد اليه فيتحير فيجعل حجرا عند جحره واقفا ليهتدى به فاذا أزاله الصائد تحير فجاء فأخذه وربما قتله بذلك الحجر قال الشاعر

وان الضب ذو دهى ومكر * كما اليربوع والذئب اللعين

يرى مردانه من رأس ميل * ويأمن سيل بارقة هتون

ويدخل عقربا تحت الذنابى * رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لان من رآه صاح عليه ومرداته جحره والعقرب يعده الضب للصائد ان أدخل يده فى جحره وأخذ بذنبه لسعته العقرب وربما أكل العقارب وترك منها واحدا فى باب جحره للصائد قال الشاعر

وأخدع من ضب اذا جاء حارس * أعد له عند الذنابة عقربا

والضب يوصف بالضلال وقالوا فى بيت المتنبى

لقد لعب البين المشت بها وبى * وزودنى فى السير ما زود الضبا

أراد انه زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق للعود اليه والاجتماع مع الحبيب وقال الواحدى يقول جعـل البين زادى زاد الضب والضب لا يتزود فى المفازة ومعناه فارقت الحبيب من غير وداع ولا التقاء يكون لى زادا على البعد ويقال أيضا أخدع من ضب وذلك أنه

ولو نقد حبة القلب فيه
فأسرتنى الشهوة باشطانها
وأسلمتنى العيمة الى سلطانها
فبقيت أحير من ضب

يطمع

وأذهل من صب لاوجد يوصلني الى نيل المراد ولذة الازدراد ولاقدم يطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب لكن حداني القرم وسورته والسغب وفورته على أن أتجع كل أرض وأقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي الى الانهار وهي لاترجع ببلة ولاتجلب نقع غلة الى أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد اذ قابلني شيخ يتأوه أهة الثكلان وعيناه تهملان فاشغلني ما أنا فيه من داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخاتلته فقلت له ياهذا ان لبكائك سرا ووراء تحرقك لشرا فأطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك فانك ستجدني طبا آسيا

يطمع الصائد في نفسه فاذا احتق عليه خدع في جحره ومنه أخدعني الخداع ويقال فيه انه أعق من ضب وذلك انه يأكل أولاده ويكنى أبا الحسل ويسمى ولده الحسل وأمثال العرب به كثيرة ويزعمون انه كان حكما في الدواب في الزمان الذي كانت فيه الحيوان تتكلم زعمه يروون في بيته يؤتى الحكم يعني نفسه وفيه خواص ليست في الحيوان تزعم العرب انه لايشرب الماء واذا أخذه العطش صعد ربوة واستقبل الريح وأنه طويل العمر ويقولون انه أحيى من ضب يريدون أن حياته لاتكاد تنقضي وأنه لايسقط له سن وانه أطول الدواب دما اذا ذبح يبقى زمانا وحينئذ يموت وأن له ذكرين ولانثاه فرجين (قوله اذهل من صب) أي أشغل قلبا من عاشق ووساوس العشق أفضت بعض العشاق الى الجنون (وجد) غنى وقد وجدت وجدا أي كثر مالي و(الازدراد) كثرة الاكل وزردت الطعام وازدردته اذا ابتلعته و(الالتهاب) اشتعال نار الجوع (حداني) ساقني (القرم) شهوة اللحم وأراد به شهوة الاكل (سورته) شدته و(فورة السغب) غليان الجوع (أتجع) أمشي في طلب ما آكل و(الورد) الحظ من الماء و(البرض) قليل الماء (سحابة ذلك النهار) أي طول ذلك النهار كما تقول بياض يومي أي يومي كله أي لم يزل طول يومه يستجدي فلم يعط شيأ (نقع غلة) ارواء عطش (صغت) مالت (اللغوب) الفشل (حرى) ملتهبة (انثنيت) رجعت أطال أبو محمد هذه المقامة حتى كادت تثقل على السامع وللبديع فيما يتعلق بمعناها مقامة بتراء فلو زيد في البديعية وقصر في الحريرية لاعتدلتا وها أنا أذكر البديعية هنا لتحملنها الرشاقة او خفتها قال عيسى بن هشام كنت بعد ادعام المجاعة فدفعت الى جماعة قد نظمهم سلك الثريا وكلهم يطلب شيا وفيهم ذو لثغة في لسانه وفلج في أسنانه فقال ما خطبك فقلت حالان لايفلح صاحبهما فقير كده الجوع وغريب ليس يمكنه الرجوع فقال أي الثلمتين تريد سدها فقلت الجوع ياسيدي وقد بلغ مني مبلغه فقال ماتقول في رغيف على خوان نظيف ونقل قطيف على لون لطيف وخردل حريف الى شواء صفيف يقربه اليك من لايمطلك بوعد ولايعذبك بصد أذاك أحب اليك أم أوساط محشوة وأكواب مملوة وأنقال معددة وفرش منضدة ومطارب مجيد له من الغزال عين وجيد فان لم ترد هذا ولا ذلك فما تقول في لحم طري وسمك بحري وباذنجان مقلي وراح نقي وتفاح جني ومضطجع وطي على حذاء نهر جار وبركة ذات نثار فقلت أنا عبد الثلاثه فقال وأنا خادمها لو حضرت فقلت من أي الجرات أنت فقال

من ربعة الاسكندريه من نبعة فيهم زكيه
سخف الزمان وأهله فركبت من سخفي مطيه

(قوله أسعى) أي أمشي مسرعا (أهب وأركد) أتحرك وأسكن أراد أجري وأقف وأصل الهبوب والركود للريح (يتأوه) يتوجع ويقول آه وهو قول الحزين (أهة الثكلان) توجع الفاقد لاحبابه (تهملان) تسيلان و(داء الذئب) هو الجوع والذئب أصبر السباع على الجوع واعفها واذا افترس شاة أكل منها شبعة وترك سائرها ولم يرجع اليها وعافه ان أروح (الخوى) خلو الجوف من الطعام (المذيب) المذهب اللحم والقوى (التعاطي) تناول مالا تحب و(مداخلته) معرفة سره (مخاتلته) مخادعته (تحرقك) توجعك و(البرحاء) الشدة والمشقة (طبا) حاذقا (آسيا)

أوعوناً مواسيا فقال والله ما تأوهي من عيش فات ولا من دهر اقتات بل لانقراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه

فقلت وأي حادثة نجمت وقضية استعجمت حتى هاجت لك الاسف على فقد من سلف فأبرز رقعة

من كمه وأقسم بأبيه وأمه
لقد أنزلها بأعلام المدارس
فما امتازوا عن الأعلام
الدوارس واستنطق لها
أحبار المحابر فخرسوا ولا
خرس سكان المقابر فقلت
أرنيها فلعلي أغني فيها فقال
ما أبعدت في المرام فرب
رمية من غير رام ثم ناولنيها
فاذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فا
ق ذكاء فماله من شبيه
أفتنا في قضية حاد عنها
كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر
تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر
وأخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها
ما تبقى بالارث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا
فهو نص لاخلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت
سرها قلت له على الخبير
بها سقطت وعند ابن
بجدتها حططت الا انى
مضطرم الاحشاء مضطر
الى العشاء فأكرم مثواي
ثم استمع فتواي فقال
لقد أنصفت في الاشتراط
وتجافيت عن الاشتطاط
فصر معي الى مربعي لتظفر
بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي
قال فصاحبته الى ذراه

كما حكم الله فأدخلني بيتاً أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت الا أنه جبر ضيق ربعه

طبيا (مواسيا) معينا والمواساة تكون بالنفس أو بالمال ويشاكل كلامه قول الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(اقتات) ظلم وجاوز الحد (انقراض) انقطاع (دروسه) محوه (أفول) مغيب وكنى بالاقمار والشموس عن مشاهير العلماء وبأفولهم عن هلاكهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم (حادثة) نازلة وأمر حادث (نجمت) ظهرت (قضية) تهمة (استعجمت) أشكلت (هاجت) حركت (الاسف) الحزن (سلف) مات وذهب (أعلام) مشاهير وأصلها الجبال يستدل بها على مجاهيل الارض (المدارس) جمع مدرسة وهي المحاضر التي يدرس فيها العلم (امتازوا) افترقوا و (الاعلام الدوارس) الجبال المقفرة الخالية من الاشجار والعمران (استنطق) استخبر وسألهم أن ينطقوا ويجيبوا عنها (أحبار) علماء (خرسوا) سكتوا (أغنى) أقرب وأنفع (المرام) الطلب (رب رمية من غير رام) أي قد يصيب الغرض من ليس له علم بالرماية وهو مثل قاله حكيم بن عبد يغوث المنقري وكان حكيم من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولا بد فخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيأ فبات ليله بأسوأ حال وفعل في اليوم الثاني والثالث كذلك فلما أصبح قال لقومه ما أنتم صانعون فاني قاتل اليوم نفسي ان لم أعقر اليوم مهاة فقال له ابنه يا أبت احملني معك أرفدك فقال وما أحمل من رعش رهش فشل فانطلقا فاذا هما بمهاة فرماها فأخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم يا أبت ناولني القوس فغضب أبوه وهم أن يعلوه بها فقال له مطعم أحمد بحمدك فان سهمي سهمك فناوله القوس فرمى مطعم فلم يخط فقال عند ذلك حكيم رب رمية من غير رام وقال

رماها مطعم من غير علم * بحس القوس لم يخطئ صلاها
وكان أبوه قد آلى عليها * فلم تبرر أليته مهاها

(قوله فاق) أي فضل (ذكاء) حدة ذهن (حاد) مال (قوله رجل مات عن أخ) البيت فائدة ذكر الاخ اثبات النسب لان الاجنبي لا يرث وفائدة ذكر المسلم ان أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التقي فما لقيت من أشياخنا من نبه عليه حتى حدثني به الفقيه أبو العباس الليثي عرف بالحضار فقال فائدته لطيفة وهي التحرز من قاتل العمد لانه لا يرث وليه فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه (الحبر) العالم (تمويه) شك وكذب (حوت) حازت (الارث) لغة في الورث وهو بالهمز بدل من الواو (لمحت) أي نظرت واللمحة نظرة غير متمكنة (ابن بجدتها) عالم سرها ويقال بجد في المكان اذا أقام به والمقيم بالموضع عالم به وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أي من أهل البادية وهم العلماء باللسان على ما وضع (حططت) نزلت و (الخبير) عالم الخبر وهذا أمثال العالم بحقيقة الشئ (مضطرم) متقد (مثواي) منزلي وأكرمت مثوى الضيف اذا أحسنت نزله ووطأت له (فتواي) ما أفتيك به (الاشتراط) والشرط بمعنى (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) مجاوزة الحد (مربعي) منزلي (تظفر) تفوز وأصله من الظفر كأنه اذا ظفر بشئ أنشب أظفاره فيه (تنقلب) ترجع (ذراه) منزله وكل ما كان من حائط وشبهه ذرى (أحرج) أضيق (أوهن) أضعف (جبر

أصلح

أصلح (توسعة ذرعه) سعة خلقه واحتماله (القرى) طعام الضيف (مطايب) جمع طيب على غير قياس (أزهى) أعجب والزهو الكبر وكانوا يصففون التمر على اللبا عند بيعه فيريد بالراكب التمر وبالمركوب اللبأ لانهم يشقون التمرة ويغترفون بنصفها من القدح الذى فيه اللبأ ويريد (بأنفع صاحب) التمر و (أضر مصحوب) اللبا وهذا يوافق قول الاعرابى

ألا ليت لى خيرا من التمر واللبا * خيلا من البرنى فرسانها الزبد
فأطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يعدّ له لحد

والبرنى من أفضل التمر وقال عمار الكلبى

أكلت الضباب فما عفتها * وانى لاهوى قديد الغنم
وركبت زبدا على تمرة * فنعم الطعام ونعم الادم

والعرب تقول على التمرة مثلها زبدا وقيل فى تفسيره بالعكس لان الاطباء يقولون ان التمر مضر سريع العفن يولد السدد ويقولون أيضا انه حار رطب مليّن للطبع يولد المنى فيقابل ضرره نفعه وكفى انه قوت يكتفى معه بأدنى الطعام وفيه قوّة زائدة وبالجملة فاللفظ مشكل وما وجدت من يحققه * ويستملح من كلام الحريرى انه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر لانه قدمه فى التفسير حين قال لعلك تعنى ابنة نخيلة مع لبا مخيلة وليس فى الابيات المتقدمة شاهد على الدلالة ان حكم الزبد للزوجة وتعلقه بالتمرة غير حكم اللبا فباللحرى يقرن اللبأ بالتمر اذا شئت وجعله أضر مصحوب لانه لبن لم يصح والنار تقطع بعض ضرره وقال الفنجديهى أزهى راكب التمر أى أحسن منظرا وأكثر حجرة وأشهى مركوب اللبأ وجعل التمر راكبا واللبأ مركوبا لان التمر يجتنى من رؤس النخل فهو كالراكب ولان اللبأ يضع تمرات فوق اللبا والراتب ليريد رغبة المشترى فيه وجعل التمر أنفع صاحب لاكتفاء العرب به عن جميع المطعومات حتى يبقى أحدهم دهرا لا يأكل الا التمر ولا يضره ذلك وجعل اللبأ أضر مصحوب لانه يولد الصفراء وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها انا كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرا لا نستوقد نارا ان هو الا الاسودان الماء والتمر وقال صلى الله عليه وسلم بيت لا تمر فيه جياع أهله والعرب تستحسن أكل الزبد مع التمر قال سفيان الثورى مارأيت أحسن من زبدة على ارادة وقال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر أى اللقمة أطيب قال تمصوصة عليها مثلها زبدا والازاذ نوع من التمر والتعضوض تمر أسود وقالوا ما أكلنا تمرا أحد من التعضوض أى أشد حلاوة وقالوا مزائة (قوله نخيلة) النخيلة ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى (تعنيت) تعبت وقال اعرابى أنا أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جناحين من اللحم لها جناحان من الفواق فأضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم وقال رجل لاعرابى مايسرنى لو بت ضيفا لك قال لو بت ضيفا لى أصبحت بطين من أمسك قبل أن تمد ببساعة قيل لاشعب ماتقول فى ثريدة مغمورة بلحم مشققة بلحم فقال وأضربكم قالوا انا كلها من غير ضرب قال هذا مالا يكون ولكن ثم ضرب و تتقدم على بصيرة وقيل لمزيد وقد أكل طعاما فسكّته فقال ومافيه خرنق ولحم جدى طرى امرأته طالق لو وجدت قبالا كلته (قوله نهض) تقدم للمشى (نشيطا) أى خفيفا وهى من الانشوطة (ربص) نزل (مستشيطا) شديد الغضب (نباهة) رفعة (عاهة) آفة وعيب (شعار) علامة وشعار المؤمنين فى الحرب لا اله الا الله أى

١٢ بتوسعة ذرعه لمعى فى القرى ومطايب مايشترى فقلت اريد ازهى راكب على اشهى مركوب وانفع صاحب مع اضر مصحوب فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعنى بنت نخيلة مع لبا مخيلة فقلت اياهما عنيت ولا جلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربص مستشيطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذى هو شعار الانبياء

علامتهم والانبياء عليهم السلام، نزهون عن شهوات المطاعم، أبوهريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة اليه حب المساكين والدنو منهم لاتشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى جعة من الطعام بات حور العين حوله حتى يصبح أبوهريرة رضى الله تعالى عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ماأحوجك الى الجلوس قال الجوع فبكيت فقال لاتبك فان شدة القيامة لاتصيب الجائع اذا ما احتسب (قوله حلية) صفة يتحلون بها و(تخلق) تطبع (يجانب) يباعد وأشار لقوله صلى الله عليه وسلم قيل أيكون المؤمن كذابا قال لا، عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبلغ صريح الايمان عبد حتى يدع المزاح والكذب والمراء وان كان محقا وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان (قوله تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها) أى لاترضع لبنها بالاجرة ثم تأكلها وهو مثل يضرب للذى لايمنعه من صيانته شدة فقره وهذا المثل للحرث بن سليل الاسدى وكان خطب الى علقمة بن خصفة الطائى وكان شيخا فقال علقمة لامرأته اختبرى ماعند ابنتك فقالت أى بنية أى الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الواصل المياح أم الفتى الوضاح الذهول الطماح قالت بل الفتى قالت ان الفتى يغيرك وان الشيخ يعيرك قالت ياأماه ان الفتى شديد الحجاب كثير العتاب ياأماه اخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ويبلى شبابى ويشمت بى أترابى فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحرث ثم ارتحل بها الى أهله وانه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهى الى جانبه اذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها مايبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ فقال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها ثم قال وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها فالحقى بأهلك فلاحاجة لى فيك قولها الجحجاح السيد السمح والمياح الكثير المعروف ويغيرك ويعيرك يتزوج عليك ويعيرك يعيرك ويعتلجون يتصارعون والحوقل المسن والفنيخ الضعيف الرخو وقول العامة لاتأكل ثدييها أى لاتأكل لحم الثدى خطأ لاوجه له ويجوز على حذف مضاف تقديره أجر ثدييها أو ثمنهما أو يكون على المجاز كأنها اذا أكلت أجرهما فقد أكلتهما ونحوه قول الشاعر

اذا صب مافى القعب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودعا

يريد رجلا أخذ ابلا فى دية أبيه فيقول له اذا شربت لبنها فكأنك تشرب دم أبيك (قوله وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها) اى تمتنع من اتيان الفعل الدنى، ولو ألجئت اليه و(الزبون) الذى يغلب فى المعاملات فعول بمعنى مفعول لانه يزبن اى يدفع عن استكمال حقه (أغضى) أسدل جفنى أى لاأسكت لك على الخداع (أندرتك) نبهتك (ينهتك) ينقطع (الوتر) العداوة وقيل الفرد فيكون معنى ينعقد بيننا الوتر أى يرتبط وترى بوترك أى نخصى بشخصك فى هذه المعاملة أو عقد المضاربة معك ان خدعتنى (تلغ) تترك (الانذار) التحذير (حذار) أى احذر وخف (الربا) البيع الفاسد، ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين ٣ ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به (فهت) نطقت (زور) باطل (دليتك بغرور) يريد أنه لم يغرر به بل صدقه (ستخبر) ستجرب (هش) اهتز (المصدوق) الذى أخبر

وحلية الاولياء على أن تلحق بمن مان وتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولاتاكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت اليها ثم انى لست للزبون ولاأغضى على صفقة مغبون وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر وينعقد فيما بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الانذار وحذار حذار من المكاذبة حذارفقلت له والذى حرم أكل الربا واحل اكل اللبا مافهت بزور ولادليتك بغرور وستخبر حقيقة الامر وتحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق

٣ قوله وثلاثين كذا بالاصل ولعله سقط بعده زنية والله أعلم بما قاله نبيه صلى الله عليه وسلم اه مصححه

بالصدق (مغذا) مسرعا وقد أغذ اغذاذا اذا أسرع (يدلح) يتثاقل من الثقل ودلحت الدابة بالحمل دلوحا والسحاب بالماء نهضت به ثقيلا (يكلح) يعبس (الممتن) المتنصل (اضرب الجيش بالجيش) أى اخلطهما عند أكلك لهما (تحفظ) تسعد (حسرت عن ساعد) أى شمرت عن ذراع (النهم) الكثير الشهوة والحرص على الاكل (الملتهم) المبتلع لما وجد (يلحظى) يتطرقى بعارق عينه (الخنق) المغتاظ وحنق حنقا اشتد غيظه (هلقمت) ابتلعت بسرعة (غادرتهما) تركتهما (أثرا بعد عين) أى بعد ان كان الطعام مرئيا ابتلعته فلم يبق غير أثره فى الاناء * ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه ما شهر من مغربات الزرد قال الشاعر فى أكول

فتضرب خمس كفك فى ثريد * بلقم مثل منكمش الذهاب
كأن دويه فى الحلق لما * تهمهم صوت رعد أو سحاب

وقال آخر

اذا غرد العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر

لم تر عينى آكلا مثله * يضرب باليسرى معا واليمين
تلعب بالقصعة أطرافه * لعب أخى الشطرنج بالشاهين

(مشاهير أهل الزرد)

* فمن مشاهير أهل الزرد هلال بن أسعد المازنى وهو من شعراء الدولة الاموية ذكر الاصبهانى انه كان عظيم الخلق شديدا قويا قال أبو عمرو بن العلاء لم أكن أره حيا بل رأيته ميتا فما رأيت على سرير أطول منه قال هلال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته فأكلته الا ما جعلته منه على ظهرى ثم أردت جماع امرأتى فلم أقدر فقالت كيف تصل الى وبيننا بعير وحدث شيخ من بنى مازن قال أتانى هلال فأكل جميع ما فى بيتنا فبعثنا الى الجيران نستقرض الخبز منهم فلما رأى اختلافنا قال كأنكم أرسلتم الى الجيران أعندكم سويق فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرنية فيها نبيذ فصب السويق كله وصب النبيذ وازدرد الكل ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ومعه زوارق رطب قد ساقها من بستانه فجلس على زورق منها صغير مغطى ببارية فقال آكل من رطبك قال نعم قال ما يكفينى قال ما يكفيك فجلس على الزورق يأكل التمر الى أن اكتفى فمسّ البارية فاذا الزورق مملوء نوى وقال صدقة بن عبد الله المازنى أولم على أبى لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور فأول من جاءنا هلال فقدمت اليه جفنة فأكلها ثم أخرى حتى أتى على عشر جفان ثم استسقى فأتى بقربة من نبيذ فوضع طرفها فى شدقه فأفرغها فى جوفه ثم خرج فاستأنفنا عمل الطعام ومن أعجب ما أكله ما أنشار غيف بكولك بلج وكانت شبعته تكفيه لخمسة أيام وكان لا يقاومه أحد فى لذة

* ومنهم سليمان بن عبد الملك ذكر المسعودى ان شبعته كانت كل يوم مائة رطل بالعراقى وكان ربما أتاه الطباخون بسفافيد فيها الدجاج وعليه جبة لوشى فيحرصه على الطعام كان يدخل يده فى كمه ثم يقبض على الدجاجة وهى حارة فيفصلها قال الاصمعى ذكرت ذلك للرشيد فقال قاتلك الله ما أعرفك بأخبارهم لقد كنت أرى الدسم فى أكمام جبابه ولا أدرى ما سببه حتى حدثتنى وكسانى منها جبة وخرج يوما من الحمام وقد اشتد جوعه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ولم يكن فرغ من الطعام شئ فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها مع أربعين رقاقة ثم قدم الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيأ قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص

وانطلق مغذا الى السوق فما كان بأسرع من أن قفل بهما يدلح ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدى ووضع الممتن على وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وجلت جولة الفيل الملتهم وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا هلقمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين

أقردت حيرة فى اطلال البيات
وفكرة فى جواب الابيات
فما لبث أن قام واحضر
الدواة والاقلام وقال قد
ملأت الجراب فامل الجواب
والافتهيأ ان نكلت لاغترام
ما أكلت فقلت له ماعندى
الا التحقيق فاكتب الجواب
وبالله التوفيق
قل لمن يلغز المسائل انى
كاشف سرها الذى تخفيه
انّ ذا الميت الذى قدم الشر
ع أخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوّج ابنه عن رضاه
بحماته ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منـ
ـه فجاءت بابن يسرّ ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء
وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى الى الجد
د وأولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزو
جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنـه الذى هو فى الاصـ
ـل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار
ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك منى الفتيا التى يحتذيها
كل قاض يقضى وكل فقيه

رضى الله عنه لما قدم سليمان الطائف دخل بستانى هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه فجال
فى البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا مالا ثم ألقى صدره على غصن شجرة وقال ويلك
ياشمردل ماعندك شئ تطعمنى فقلت بلى عندى جدى كانت تعدو عليه بقرة وترّوح أخرى
قال عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله ومادعا ابنه ولا عمر حتى اذا بقى الفخذ قال هلم
أبا حفص قال انى صائم فاتى عليه ثم قال ويلك أعندك شئ فقلت سبع دجاجات هنديات كأنهن
رئلان النعام قال عجل بهن فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها بفيه فلما فرغ
منهن قال ويلك أعندك شئ فقلت حريرة كأنها قراضة ذهب فقال عجلها فأتيته بها فجعل
يشربها شربا فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم
فقدم اليه ثمانين قدرا فأكثر ما أكل من قدر ثلاث لقمات وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى
على فراشه وأذن للناس ووضعت الموائد فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيأ وسبب وفاته ان
نصرانيا أتى بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أكل
الزنبيلين ثم أتوه بقصعة مملوأة مخا بسكر فأكله فاتخم فمات ومنهم عمرو بن معديكرب دخل
على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال من أين أقبلت ياأبا ثور فقال من عند سيدى بنى
مخزوم أعظمها هامة وأقلها ملامة وأفضلها حلما وأقدمها سلما قال من هو قال سيف الله
وسيف رسوله خالد بن الوليد قال فاى شئ صنعت عنده قال أتيته زائرا فدعالى بتعب وفرس
وثور فقال له عمر وأبيك ان فى هذا لشبعا قال لى أولك قال لى ولك قال بلى فما تقول ياأمير
المؤمنين انى لآكل الجذع من الابل انتقيه عظما عظما وأشرب التبن من اللبن رثيئة
وصريفا (قوله أقردت) سكت وخضعت (مالبث) ماتمهل (الجراب) وعاء الزاد وأراد بطنه
(أمل) يقال أمليت عليه اذا ألقيت عليه مايكتب وأمللت لغة وقيل الاصل أمللت فابدل من
اللام ياء (نكلت) امتنعت (لاغرو) لاعجب (علقت) حملت (ذويه) قرابته وأضاف ذوى الى
المضمر وهى لغة قليلة ومنعها بعضهم وجوزها جماعة من أئمة اللغة وقال أبو على الفارسى
اللهم صل على محمد وذويه حملوا ذوى على الاصحاب الازهرى سمعت غير واحد من العرب يقول
كنا مع ذوى عمرو يعنى مع أصحاب عمرو وهو كثير فى كلام قيس ومن جاورهم وقال
الحريرى فى الدرة ويقولون رأيت الامير وذويه فيهمون فيه لان العرب لم تنطق بذى الذى بمعنى
صاحب الا مضافا الى اسم جنس كقولك ذو مال وذو نوال فاما اضافته الى الاعلام أو الى
أسماء الصفات المشتقة من الافعال فلم تسمع بحال ولهذا لحن من قال صلى الله على محمد وذويه
وكما لم يقولوا ذو أبى ولا ذو أمى واقتصروا على اضافته الى الجنس ولهذا لم يرفع السببى لانه ليس
بمشتق فلا يقال مررت برجل ذى مال أخوه وتصحيحه ذو مال أخوه لان النكرة تختص بأن
توصف بالجملة (قوله مراء) جدال (تمويه) كذب (الصريح) الخالص (أدنى) أقرب (التراث)
المال الموروث (حوى) حاز (تخلى) خرج بلاشئ (هلك) خذ (يحتذيها) يتبعها ويعمل بها
وتقريب هذا اللغز أن تقول رجل وابنه وامرأة وابنتها تزوج الرجل البنت والابن الام فمات
الابن وقد حملت منه الام فوضعت غلاما فكان للرجل ابن ابنه ولزوجته أخا لام ثم مات الرجل
وترك أخا فورثت زوجته الثمن وأخوها من أمها الباقى لانه ابن ابن الميت وهو يحجب الاخ كما

كان

كان يحجبه الابن لو كان حيا ومثله قول الآخر

وقائلة أوس الغداة فانني * أرى الموت قد حطت لديك ركائبه
فقلت وقد راع الفؤاد مقالها * وضاقت به خوف الحمام مذاهبه
لك الثمن ان حانت وفاتي فريضة * وسائر ما يبقى فصنولك صاحبه

جوابه

تعلم فان العلم أكبر ملبس * لمن شرفت أخلاقه ومذاهبه
حليلة هذا أمها زوجة ابنه * فذلك والالغاز جم عجائبه
فان ابنه صنو لزوجته ومن * يقر بعرف العلم تعلو مراتبه
فميراثها ثمن وللصنو ما بقي * كذلك يقضي من تعالت مناقبه

والمتقدم للسؤال في هذه المسئلة عبد الملك بن مروان وذلك انه وقف به رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا تزوجت امرأة وزوجت ابني من أمها فامددنا بشئ نستعين به فقال له ان أخبرتني كيف يدعى ابن كل واحد منكما لابن صاحبه فأنا أرفدك والا فلا أعطيك شيأ فقال له الرجل فسل عن ذلك كاتبك وصاحب شرطتك فان أجاباك فاعطيه لي فادفعه اليهما والا فأنا أعذر فسألهما فلم يعرفا ذلك فابتدر رجل من آخر الصفوف وقال له أرأيت ان أخبرتك أتعطيني ما ذكرت للسائل فقال له نعم فقال ابن الاب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الاب فوصله فهذا أخف أمرا في الظاهر من التوارث الذي فرض الحريري وأشكل في المعنى (قوله أثبت) صحح (استثبت) أي وجده ثابتا (أهلك والليل) كلام العرب كأنه قال بادر أهلك قبل الليل وتحقيق المعنى في ذلك أنه عطف الليل على الاهل وجعلهما مبادرين ومعنى المبادرة مسابقتك الشئ كقولك بادرت زيدا المنزل كأني (٣) سابقته اليه وكأن الليل والرجل المخاطب يتسابقان الى أهل الرجل فأمره الآمر أن يسابق الليل اليهم ليكون عندهم قبل الليل (شمر الذيل) أي ارفع ساقك واستعد للمشي (ايوائي) ضمي (قربة) ما يتقرب به من أعمال البر (أغدف) أسبل وأرسل ومنه قول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المتلئم

وانما قيل للغراب غداف لسبوغ ريشه وقال رؤبة يخاطب أخاه

* نبت من جناحك الغداف * (جنح الظلام) ميله وجنح الليل جنوحا وأجنح مال وهو من الجناح وكان الطائر اذا عدل عن طريق طيرانه فيرجع يطير الى جهة جناحه قيل له جنح ثم استعير في الليل وغيره كما قيل نكب عن طريقه هي من المنكب كأنه قال مال بمشيه الى جهة منكبه (سجع) صوت (الغمام) السحاب (اغرب) غب وابعد (ذرالك) منزلك (أنعم) بالغت (تراءى) تحفظ (أمعن) كثر وتقول أمعن لي بحقي اعترف به وأظهره مأخوذ من الماء المعين وهو الجاري الظاهر * الفراء المعين من الماعون أو مفعول من العيون (تبطن) ملأ بطنه (كظة) امتلاء البطن (مدنفة) ممرضة (هيضة) انطلاق البطن بالقيء والاسهال (كفافا) مسالمة أي كف عني شرك وخيرك (معافى) سالما من الآفات (أليته) يمينه (بلوت) خبرت وشاهدت (الرغم) الذل (تجودني) تمطرني (السماء) المطر هنا * وتذكرت بهذه الحالة خروج السلامي من دار الشريف الرضي في عشية ماطرة فأعطاه كساء استتر به فلما وصل الى منزله كتب اليه بقصيدة منها

قال فلما أبيت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت اني بدار غربة وفي ايوائي أفضل قربة لاسيما وقد أغدف جنح الظلام وسجع الرعد في الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذرالك قال لاني أنعمت النظر في التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تتطرف في مسطتك ولا تراءى حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطن ما تبطنت لم يكد يخلص من كظة مدنفة أو هيضة متلفة فدعني بالله كفافا واخرج عني ما دمت معافى فوالذي يحيي ويميت مالك عندي مبيت فلما سمعت أليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزود الهم تجودني السماء

٣ قوله كأني سابقته الخ كذا في النسخ التي بايدينا ولعل الاولى كأنك سابقته اهـ الخ

ودّعت دارك والسماء تجودني ❊ بيد الغمام فلا يكن بك ما بي
ما كنت الاجنة فارقتها ❊ كرهاً قصبت على صوب عذاب
ورأيت غالية الطريق ومسكه ❊ طيناً معدّاً لي على الابواب
وجبي كساؤك لا عدمت معيره ❊ دراعتي وعمامتي وجبابي
فوليت يا بحر السماحة كسوتي ❊ وولي أخوك الغيث بل ثيابي
فوصلت أشكر ذا وأشكو ذا وبالـ ❊ عينين ما بهما من التسكاب

(وقال آخر فاحسن)

وعمامة نثرت دموعاً عندما ❊ نثر النسيم جمانها سبكا
تهدى السقوف جمانها متفرقاً ❊ وبعده عند السقوط سلوكا

(وقال ابن شهيد فأحسن)

ومرتجز ألقى بدى الاثل كلكلا ❊ وحط بجرعاء الاباريق ما حطا
سعى في قياد الريح يسمح للصبا ❊ فألقت على غبر التلاع به مرطا
ومازال يروي الترب حتى كسا الربا ❊ درانك والغيطان من نشره بسطا
وعسله ريح تساقط قطره ❊ كما نثرت حسناء عن جيدها قرطا

(قوله تخبط) أي تجعلني أمشي فيها على غير هدى (تتقاذف) تترامى وتتطارح وجعل الابواب يرميه بعضها على بعض لما كان يقرعها ولا تفتح له (لطف القضاء) أي رفق قدر الله وقضائه (يده البيضاء) نعمته الكريمة وتقول لفلان عليّ يد بيضاء أي نعمة وجمعها أياد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له استجيب له فيهم قال عبد الله بن المبارك أقبل نصر بن سيار فقال اللهم اني أهديت الى بسام نعمة فلم يعدلي بشكرها فاجعل موتهم قتلا بالسيف فبلغني أنه قتل منهم سبعون رجلا وقال ابو نواس وأتى بمعنى بديع

قد قلت للعباس معتذراً ❊ من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتني نعماً ❊ أوهت قوى شكري فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة ❊ لاقتك بالتصريح منكشفا
لا تحدثن الىّ عارفة ❊ حتى أقوم بشكر ما سلفا

(اعترضه الناشي في معناه فقال)

ان أنت لم تحدث اليّ يداً ❊ حتى أقوم بشكر ما سلفا
لم أحظ منك بنائل أبداً ❊ ورجعت بالحرمان منصرفا

(وقال طريح)

طلبت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي ❊ فقصرت مغلوباً واني لشاكر
وقد كنت تعطيني الجزيل بداية ❊ واني لما استكثرت منك لحاقر
فأرجع مغبوطاً وترجع بالتي ❊ لها أول في المكرمات وآخر

(وقال آخر)

رهنت يدي بالشكر في شكر بره ❊ وما فوق شكري للشكور مزيد

وتخبط بي الظلماء وتنجني الكلاب وتتقاذف بي الابواب حتى ساقني اليك لطف القضاء فشكر اليده البيضاء

ولو أن شيئاً استطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

(وقال ابراهيم بن العباس الصولي)*

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه * فتعلم أني امرؤ شاكر

وهذا الباب من الشكر واسع وفيما سقته هنا يأتي متفرقاً في الكتاب* ولما ذكر البطنة وخطرها وذمها وجبت عليه خروجه من منزل ضيفه على الحالة التي وصف أردنا أن نصلها بما يشاكلها مما جاء في ذم البطنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يشتري غلاماً وضع بين يديه تمراً فان أكل كثيراً قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم وقيل للتستري الرجل يأكل في اليوم مرة قال أكل الصديقين قيل فمرتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثاً قال قل لأهلك يبنوا لك معلفاً ويقبح أن يكون الرجل وصافاً للطعام ومن بعده وان من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنهما يوم الحكمين أكثروا الطعام فوالله ما بطن قوم قط الا فقدوا بعض عقولهم وما مضت عزمة رجل بات بطيناً وقال بعض الحكماء لكل شيء صدأ وصدأ القلوب شبع البطون * عزم المعتصم يوماً على الاصطباح وأمر صاحبه أن يطبخ كل واحد منهم قدراً اذ دخل عليه غلام ابن أبي دواد فقال المعتصم الساعة يأتي ابن أبي دواد فيقول فلان الهاشمي وفلان القرشي وفلان الانصاري فيقتطعنا بحوائجه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أني لا أقضي له اليوم حاجة ولم يتم الكلام الا والحاجب يستأذن به فقال بالمتاد كيف ترون فقالوا لا تأذن له فقال سوأة لكم لحمى سنة أهون علي من ذلك ودخل فما هو الا أن سلم وجلس وتكلم حتى ضحك المعتصم واسفر وجهه اليه ثم قال يا أبا عبد الله لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قدراً وقد جعلناك حكماً في طبخها قال فلتحضر كل واحد قدره وآكل ثم أحكم فيها فوضعت بين يديه وأكل من أول قدر أكلاً كثيراً فقال المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذلك قال لأني أراك قد تعسفت في هذا اللون ستحكم لصاحبه فقال علي أن آكل من القدور كلها مثله قال شأنك فأكل ثم قال أما هذه فقد أجاد طباخها اذ قلل سلقها وكثر زيتها ثم أكل من كل قدر كذلك ووصف القدور كلها بصفات حسنة ثم قدم الطعام فأكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه وهو يحدثهم بأخبار الأكلة في صدر الاسلام كمعاوية وعبيد الله بن زياد والحجاج وسليمان بن عبد الملك وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامي فلما رفعت الموائد قال له المعتصم وقد طرب بحديثه ألك حاجة يا أبا عبد الله قال رجل من أهل بيتك رطبته لدهر غير حاله قال ومن هو قال سليمان بن عبد الله قال قدر له ما يصلحه قال خمسون ألفاً قال قد أنفذت ذلك له قال ولي حاجة أخرى ثم ذكر ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها ثم قام خطيباً فقال عمرك الله يا أمير المؤمنين طويلاً فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتثمر أموالهم ولا زلت ممتعاً بالكرامة والسلامة مدفوعاً عنك حوادث الايام وغيرها ثم انصرف فقال المعتصم هذا والله يتزين الملك بمثله ويبتهج بقربه أما رأيتم كيف دخل وكيف تكلم وكيف أكل ثم انبسط في الكلام وكيف طاب به أكلنا ما يرد هذا عن حاجته الا اللئيم الاصل والله لو سألني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف ما رددته عنها

(ما جاء في ذم البطنة)

وأنا أعلم انه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا وفيه يقول أبو تمام

لقد أنست مساوي كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دواد

وهذه الحكاية تنتظم في حكايات أهل الزرد المتقدمين في المقامة وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ختمنا بها الباب (قوله أحبب) تعجب معناه ما احب لقاءك الى قلبي (المتاح) المقدر و(المرتاح) المهتز طربا (يفتن) ينوع (ويشمط) يخلط (أنفه) أوله وجعل للصباح أنفا عاطسا مجازا لما كان يدفع ظلمة الليل (هتف) صاح (داعي الفلاح) هو المؤذن والفلاح البقاء (تاهب) استعد (عقته) حبسته (الانبعاث) النهوض ودكران (الضيافة ثلاث) لانه جاء في حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه فما انفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة أبو عبيدة جائزته يوم وليلة أي يعطي الضيف بعد اكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوما وليلة يقال أسف بجائزة وجيرة وجوزة أي قدر ما يجوز به المسافر من منهل الى منهل ومن ملح باب الضيافة قال المبرد أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت له ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعل فقالت المرأة للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا ما أعلم ونزل بصري على مدني وكان صديقا له فألح عليه في الجلوس فقال المدني لامرأته اذا كان غدا فاني أقول لضيفنا كم ذراعا يقفز فاذا قفز فاغلقي الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المدني كم تقفز يا أبا فلان قال جيد فعرض عليه أن يقفز معه فاجابه فوثب المدني من داره الى خارج أذرعا وقال للضيف ثب أنت فوثب الضيف الى داخل الدار ذراعين فقال له وثبت أنا الى خارج الدار أذرعا وأنت الى داخلها ذراعين فقال الضيف ذراعان في الدار خير من أربع الى برا الازهري برا مولدة (قوله ناشد) حلف (حرج) وكد يمينه أي لا يقيم والحرج الاثم ابن الانباري تحرج فلان عن كذا أي تدين وضيق على نفسه والحرج عندهم الضيق (أم) قصد (عرج) التوى عن الباب منصرفا (اجتلاء) نظر (القرح) الجرح وأنشد الثعالبي في هذا المعنى فقال

عليك باقلال الزيارة انها * اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

فاني رأيت الغيث يسأم دائما * ويسئل بالايدي اذا هو أمسكا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا نظمه الشاعر فقال

اذا شئت ان تقلى فزر متواترا * وان شئت ان تزداد حبا فزر غبا

وقالوا قلة الزيارة أمان من الملالة وقالوا في ضده ترك الزيارة سبب القطيعة وقال علي رضي الله عنه الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة وقال عبد الصمد بن المعدل في ضد هذا وان يحافظ على الصداقة بطهر العيب ويمدح ابراهيم بن الحسن

يا من فدت نفسه نفسي وقد جعلت * له وقاء لمن يخشى وأخشاه

أبلغ أخاك وان شط المزار به * اني وان كنت لا ألقاه ألقاه

وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواي مثواه

فقلت له أحبب بلقائك المتاح الى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في حكاياته ويشمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فتأهب لاجابة الداعي ثم عطف الى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلاث فناشد وحرج ثم أم المخرج وأنشد اذ عرج

لا تزرمن تحب في كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم
ثم لا تنظر العيون اليه

(قال الحرث بن همام) فودعته بقلب دامي القرح ووددت لو أن ليلتي بطيئة الصبح

الله يعلم انى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
لاشئ يمانرى إلا المشبه * ومالكم آل ابراهيم اشباه
عذرا فهل حسن لم يمحه حسن * وهل فتى عدلت جدوا مجدواه

وقال أبو العتاهية

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل * اتيانه فتلج فى هجرانه
ان الصديق يلج فى غشيانه * لصديقه فيلج فى عصيانه
حتى تراه بعد طول سروره * وكأنه متبرم بمكانه
واذا تولى عن صيانة نفسه * رجل تنقص واستخف بشانه

وافراط البر بالصاحب داع الى كثرة الاخجال ومانع من العودة بعد الانفصال* وكتب ابن عمار الى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز بيلده ولم يلقه هذه الابيات

لم يلو عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة عرضت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو احصر م من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين وهو للمعرى وما قيل فى العجز عن الشكر أحسن منه والاقلال يمنع تلاقى الاحباب ويحط من همم ذوى الاحساب فانه اذا لم يكن عندك ما تقدم بين يدى صيفك أو زائرك تمنيت اذا حل بك أن لا تراه وقال حبيب

وسيان عندى صادفوا لى مطعما * أعاب به أو صادفوا لى مقتلا

(وقال ابن الجد)

وانى لصب بالتلاقى وانما * يصده (٣) عن معاذيرك العسر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وفى المقامة التى تلى هذه فن ثان من الزيارة تقف عليه ان شاء الله تعالى

(المقامة السادسة عشرة المغربية)
(حكى الحرث بن همام) قال شهدت صلاة المغرب فى بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذطرفى رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت فى محادثتهم لكلمة تستفاد أو أدب يستزاد فسعيت اليهم سعى المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون

(شرح المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية)

(أديتها) تممتها (شفعتها) زوجتها يريد أنه صلى الفريضة ثم صلى النافلة (بنفلها) يريد أنه صلاها فى الجماعة وهى أفضل من صلاة الفذ (انتبذوا) انفردوا وصاروا الى جهة وزاوية من المسجد (وامتازوا) انفصلوا (صفوة) خيارا (يتعاطون) يعطى بعضهم بعضا (المنافثة) المحادثة (يقتدحون) أى يضربونها ويستخرجون نارها (المباحثة) المناظرة فى العلم (المتطفل) الآتى الى الطعام من غير أن يدعى وهو الوارش عند العرب وتطفل تشبه بطفيل العرائس وهو طفيل بن دلال الدارمى يسمى طفيل الاعراس وطفيل العرائس لكثرة دورانه على حضورها ومشاهدته لها والاكل منها من غير أن يدعى اليه واسمه مشتق من الطفل وهو اقبال الليل على النهار أبو عمرو الطفل الظلمة ابن الاعرابى ويقال للطفيلى العموط والجمع العاميط وطفيل من بنى عبد الله ابن غطفان كان يأتى الاعراس ولم يدع وسكنه بالكوفة وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على فيها دخان فنسب اليه كل من يتطفل نسبة مذهب لا نسب والتطفل

(٣) قوله يصده عن معاذيرك الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وهو شطر ناقص ولعل الاصل يصد فؤادى عن معاذيرك العسر أو نحو ذلك اه مصححه

من اخلاق اللئام وسجايا الاوغاد ومنهي عنه في الشرع * ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوى دخل سارقا وخرج مغيرا * عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم من دخل على قوم لطعام لم يدع فأكل دخل فاسقا وأكل حراما ونسوق هنا فصلا للطفيليين يكون في هذه المقامة بمنزلة فصل الاكلة في المقامة قبل هذا لان حالتيهما متقاربة فمن ذلك ما يحكى عن بشار الطفيلي انه قال رحلت يوما الى البصرة فلما دخلتها قيل لي ان هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم ويرشدهم الى الاعمال ويقاسمهم فسرت اليه فبرني وكساني وأقمت عنده ثلاثة أيام وله جماعة يصيرون اليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف فوجهني معهم في اليوم الرابع فحصلت في وليمة فأكلت وأزلت معي شيأ كثيرا وجئته به فأخذ النصف واعطاني النصف فبعت ماوقع لي بدراهم فلم أزل على هذه الحالة أياما ثم دخلت يوما على عرس جليل فأكلت وخرجت بزلة حسنة فلقيني انسان فاشتراها بدينار فأخذته وكتمته وكتمت أمرها فدعا جماعة من الطفيليين فقال ان هذا البغدادي قد خان فظن اني لا أعلم ما فعل فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا فأجلسوني شئت أم أبيت وماز الوا يصفعوني واحدا بعد واحد فيصفعني الاول منهم ويشم يدي ويقول أكل مضيرة ويصفعني الآخر ويشم يدي ويقول أكل كذا ويصفعني الآخر حتى ذكروا كل شئ أكلته ما غلطوا بشئ منه ثم صفعني شيخ منهم صفعة عظيمة وقال باع الزلة بدينار وصفعني آخر وقال هات الدينار فدفعته اليه وجردني الثياب التي أعطانيها وقال اخرج يا خائن في غير حفظ الله فخرجت الى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب * ونريد هنا أن نذكر بعض ما اشتهر من حكايات طفيلية البصرة اذهم أحذق خلق الله في باب التطفيل بعث المأمون في عشرة من زنادقة البصرة فجمعوا فرآهم طفيلي فمضى معهم فأدخلوا في سفينة فدخل معهم وجيء بالقيود فقيد معهم فقال أحدهم يا طفيلي الى ههنا فأقبل عليهم فقال فديتكم أي شئ أنتم فقالوا والله بل أنت من أنت وهل أنت من أصحابنا قال والله ما أعرفكم غير أني طفيلي خرجت من منزلي فرأيت منظرا جميلا ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخلت وسطكم كأني أحدكم الى هذا الزورق فرأيته قد فرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة فقلت نزهة الى بعض البساتين والقصور ان هذا اليوم يوم مبارك فزدت ابتهاجا فجاء هذا الموكل بكم فقيدكم فطار عقلي بهذا الخبر فضحكوا وفرحوا به وقالوا قد حصلت في الاحصاء ونحن مانية على مذهب ماني القائل بالنور والظلمة نسير الى المأمون فيسألنا عن مذهبنا ويدعونا الى التوبة ويظهر لنا صورة ماني ويأمرنا أن نتفل عليها ونبرأ منها فمن فعل نجا والا قتل فاذا دعيت فأخبره باعتقادك وللطفيلي مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها فكان ذلك فلما دخلوا على المأمون دعاهم بأسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف وتأخر الطفيلي وقد استوعب العدة فسأل الموكلين بهم فقالوا وجدناه معهم فجئنا به فقال له ما خبرك فقال له يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيأ انما أنا رجل طفيلي ثم قص قصته معهم فضحك المأمون كثيرا ثم أظهر الصورة فلعنها وبرئ منها ثم قال اعطوها لي حتى أسلح عليها والله ما أدري ماماني أنصراني أم يهودي أم مسلم فقال المأمون يؤدب على فرط جهله وتطفيله وخطاريه بنفسه فقال

(أخبار الطفيليين)

يا أمير المؤمنين بحياتك ان كنت ولا بد عازما فاجعل السياط كلها على بطني فهو الذي حملني على هذا الغرر فعاد الى الضحك فاستوهبه منه ابراهيم بن المهدي بحديث في تطفيله يذكر في خبر اسحق الموصلي فوهبه له وأجاز الطفيلي بجائزة سنية * كان ابراهيم بن المدبر عاملا على البصرة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم وكل واحد منهم منفرد بعلم من العلوم وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل مليحة افتنانا فاحتال ودخل في جملة الندماء فخرج ابراهيم فرآه فقال لحاجبه قل لهذا الرجل ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة تمت عليه وانه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته الا بقتله فرجع يجر رجليه فقال له يقول لك الاستاذ ألك حاجة فقال قل له لا فأدخله عليه فقال فأي شيء أدخلك أأنت طفيلي فقال نعم أصلحك الله فقال ان الطفيلي يحتمل على دخوله على الناس بخصال منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد أو ضاربا بالعود أو بالطنبور فقال أيدك الله أنا بما ذكرت في الطبقة العليا فقال لبعض الندماء لاعبه بالشطرنج قال أعزك الله فان قمرت قال اخرجناك قال وان قمرت قال أعطيناك ألف درهم فقال أحضرها فان في حضورها قوة للنفس فلعبا بالشطرنج فغلب الطفيلي ومد يده لأخذ الدراهم فقال الحاجب أعزك الله ذكر أنه في الطبقة العليا وان فلانا غلاما لك يغلبه فأحضر الغلام فغلبه فقالوا له انصرف فقال أحضروا النرد فلوعب به فغلب فقال الحاجب لكن بوابا فلان يغلبه فأحضر البواب فغلبه فقيل له اخرج قال فالعود فأعطي عودا فضرب فأصاب وغنى فأطرب فقال الحاجب يا سيدي ان في جوارنا شيخا يعلم القيان هو أحسن منه فأحضر اليه فكان أطيب منه فقيل له اخرج فقال فالطنبور فضرب ضربا لم ير أحسن منه فقال الحاجب ان ولانا المتكر أطيب منه فأحضر فكان أحذق منه فقال ابن المدبر قد تقصيناك بكل جهد فأبت حرفتك الا طردك فقال يا سيدي بقيت معي فائدة حسنة فقال وما هي قال تأمر أن يحضر قوس بندق مع خمسين بندقة من رصاص ويقام هذا الحاجب فأرميه في دبره فان أخطأته بواحدة فاضرب عنقي ففضح الحاجب ووجد ابن المدبر شفاء نفسه في عقوبته فأمر بخشبتين وشد الحاجب فوقهما وأعطى القوس فرماه بخمسين بندقة فما أخطأ دبره بواحدة منها وحل الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلي يا صفعان هل على باب الأمير من يحسن مثل هذا فقال له الحاجب يا قرنان اذا كان البرجاس استك فلا يحسن أحد مثلك قال وذهب الضحك بابن المدبر وأصحابه كل مذهب ثم أعطاه ألف درهم وانصرف * صحب طفيلي رجلا في سفر فلما نزلوا بعض المنازل قال له الرجل خذ درهما وامض اشتر لنا لحما فقال له الطفيلي قم أنت والله اني لتعب فاشتر أنت فمضى الرجل فاشتراه ثم قال له الرجل قم فاطبخه فقال لا أحسن فقام الرجل فطبخه ثم قال الرجل للطفيلي قم فاثرد فقال والله اني لكسلان فثرد الرجل ثم قال له قم فاغترف قال أخشى ان ينقلب على ثيابي فغرف الرجل حتى اروى الثريد فقال له قم الآن فكل قال نعم الى متى هذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك وتقدم فأكل * وقال طفيل العرائس ليس في الارض أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى عليه السلام وخوان الطعام ومنبر الخلافة ومن وصيته لأصحابه اذا دخلتم عرسا فلا تلتفتوا الى الملاهي وتخيروا المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض احدكم ولا ينظر في عيون الناس ليظن اهل الرجل انه من أهل المرأة وأهل المرأة

انه من أهل الرجل وان كان البواب فظا وقحا فليبدأ به فلبا أمره ولينهم من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال وقال بنان الطفيلي التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان * وسئل بنان هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيأ قال نعم آية قيل وما هي قال واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا قيل أتحفظ شيا من الشعر قال بيتا واحدا قيل ما هو قال

نزوركم لا تكافيكم بجفوتكم * ان الكريم اذا ما لم يزر زارا

(وبعده)

يقرب الشوق دارا وهي نازحة * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

(وقال أبو الورد الحاكي في طفيلي)

طفيلي يوم الخبز أنى * يراه ولو يراه على يفاع

ولا يروي من الاخبار الا * أجيب ولو دعيت الى كراع

(وقال طفيلي أيضا)

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى ننس يدعنا التطفيل

ونقل علنا دعينا فغبنا * واتانا فلم يجدنا الرسول

*وأقبل طفيلي الى طعام لم يدع اليه فقال صاحب الطعام من دعاك فانشده

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمد لي لا لك في الدعوه

وكان ذا احسن من موعد * مخلفه يدعو الى الجفوه

*ودخل طفيلي في صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشا يقول

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا لم يزر زارا

فقال زر زارا ليس ندري من هو اخرج من بيتي *وقال آخر في طفيلي كوفي

زرعنا فلما أتم الله زرعنا * وأوفى عليه منجل لحصاد

بلينا بكوفي حليف مجاعة * أضر بزرع من وبا وجراد

*وحدث آدم الطويل قال دخل حانوتي غريب يأكل شيأ من الطعام فتقدم سائل فقلت له ما أكثر ترددك الي فقال الغريب الذي في الحانوت لعله كما قال الشاعر

لو طبخت قدر بمطمورة * أو في ذرى قصر بأعلى الثغور

وكنت بالصين لوافيتها * يا عالم الغيب بما في القدور

*حكى المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي فأنكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت بهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك وأعظم لقدرك وأجل لمروأتك فقال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء في الأثر صل من قطعك وأعط من منعك واحسن الى من أساء اليك وأنشد

كل يوم أدور في عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب

فاذا ما رأيت آثار عرس * أو دخانا أو دعوة الاصحاب

لم أعرج دون التقحم لاآر * هب شتما ولكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليه * غير مستأذن ولا هياب
ذاك أهنى من التكلف والغر * م وشتم البقال والقصاب

* كان بالبصرة طفيلي يكنى أباسلمة وكان اذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة فيتقدم أحدهما فيدق الباب ويقول افتح ياغلام لابى سلمة ثم لا يلبث حتى يلحقه الآخر فيقول افتح ويلك قدجاء أبو سلمة ويتلوهما فان لم يعرفهم البواب فتح لهم وان عرفهم لم يلتفت اليهم ومع كل واحد منهما فهر مدور يسمونه كيسان فينتظرون من دعى فاذا جاء وفتح له طرحوا الفهر فى العتبة حيث يدور الباب فلا يقدرون على اغلاقه فيهجمون ويدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها بشدة حرارتها فتجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعذل يرثيه

أحرانتسى عن غير نصرمه * وأدمعى من جفون العين منسجمه
على صديق ومولى لى فجعت به * مالنا له فى جميع الصالحين لمه
كم جفنة مثل دور الحوض مترعة * كوماء جاء بها طباخها ردمه
قد كللتها شحوم من قلايتها * ومن سنام جزور عبطة سنمه
غيبت عنها فلم تعلم لها خبرا * لهفى عليك وعولى ياأباسلمه
ولوتكون لهاحيا لما بعدت * يوما عليك ولو فى جاحم حطمه
قد كنت أعلم أن الاكل يقتله * لكننى كنت أخشى ذاك من تخمه
اذا تعمم فى شبليه ثم غدا * فان حوزة من يأتيه مصطلمه

(قوله نزيلا) أى ضيفا و(الاسمار) المذاكرة بالليل و(جناها) مايجنى من فوائدها (يبغى) يطلب (ملح الحوار) ملح الكلام والحوار مراجعة القول (ملحاء الحوار) لحم سنام الفصيل (الحبا) جمع حبوة وكانت العرب ليس لها فى البوادى حيطان تستند اليها فى مجتمعهم فكان الرجل ينصب ركبتيه فى جلوسه فيجمع عليهما او يدير بهما ثوبا يعقد عليهما يديه ويسترخ اليها ويقوم ذلك له مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة وأراد أنهم حلوا له الحبا اكراما له (لمحة بارق) لمعة برق (خاطف) يخطف العين بسرعة فيمنعها النظر (نغبة) جرعة (غشينا) دخل علينا فجأة (جوّاب) قطاع للارض بمشيه (العاتق) ما بين المنكب والعنق (جراب) وعاء الخبز (الكلمتين) سلام عليكم (التسليمتين) سلامه عند الدخول وسلامه من الركعتين، وتحية المسجد ان يركع الداخل فيه ركعتين وقيل التسليمتين تسليمه من صلاة المغرب وتسليمه من الركعتين اللتين بعدها (الالباب) الاذهان و(اللباب) الخالص (أنفس) ارفع (القربات) ماتقرب به الى الله عزوجل واحدها قربة (الكربات) الهموم و(تنفيسها) تفريجها وازالتها (أمتن) أقوى واغلظ (النجاة) التخلص (مواساة) جعلك لهم اسوة نفسك (ساحتكم) موضعكم (أتاح) قدر (استماحتكم) اجتداءكم والطلب منكم (شريد) منفر والشريد الهارب (قاص) بعيد (بريد) رسول (خماص) جياع (يفثأ) يكسر (حميا المجاعة) حدة الجوع (فضلات) بقايا (لفاطات) مايلفظ منها اى يطرح (نفاضات) ماينفض من بقية الزاد * ابن عباس قال قال رسول الله صلى

نزيلا يطلب جنى الاسمار لاجنى الثمار ويبغى ملح الحوار لاملحاء الحوار فحلوا لى الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس الالمحة بارق خاطف أو نغبة طائر خائف حتى غشينا جوّاب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال ياأولى الالباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمتن اسباب النجاة مواساة ذوى الحاجات وانى ومن أحلنى ساحتكم واتاح لى استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل فى الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة فقالوا والله ياهذا انك حضرت بعد العشاء ولم يبق الافضلات العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال ان أخا الشدائد ليقنع بلفاطات الموائد ونفاضات

المزاود فامر كل منهم عبده ان يزوده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل اليه وثبنا نحن الى استثارة ملح الأدب وعيونه واستنباط معينه من عيونه الى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فتداعينا الى أن نستنتج له الأفكار ونفترع منه الأبكار على أن ينظم البادئ ثلاث جمانات في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع صاحب ميسرته على رغمه (قال الراوي) وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا ألفة أصحاب الكهف

الله عليه وسلم من أكل ما سقط من الخوان نفي عنه الفقر وعن ولده الحمق و (المزاود) أوعية الزاد (الصنع) الجميل (قوله وجلس يرقب) وقال قبل هذا ثم أجلس الالمحة بارق وقال في الثامنة والعشرين وجلس حتى ختم نظم التأذين وأكثر ما صرف الجلوس في مقاماته من قيام وقال في الدرة ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل أن يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد وان الجلوس من سفل الى علو ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * ان كنت تارك ما امرتك فاجلس

أي اقصد نجدا وكان عمر واليا على المدينة فقال للفرزدق ان كنت تلزم العفاف والا فاخرج الى نجد ،وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت على سيف الدولة بن حمدان يوما فلما مثلت بين يديه قال اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب والذي نظر هو الوجه ولهذا اجعله على الاختيار ولم يجعله من اللحن الا انه لقرب المعنيين يجوز أن يكون قد استعمل جلس في المقامات من القيام (يرقب) ينظر ويحرس (ثبنا) رجعنا (استثارة) استخراج (ملح) ما يتملح به من الكلام (عيونه) مختاره (استنباط) استخراج (معينه) ماؤه الصافي (عيونه) جمع عين الماء وكنى بالمعين والعين عن الكلام والقلوب (جلنا) تصرفنا (يستحيل) يتغير (الانعكاس) قراءة اللفظة من آخرها (ساكب) صاب (تداعينا) دعا بعضنا بعضا (نستنتج) نستدعي منها النتاج وهو الولد (الافكار) جمع فكر وجعل ما يبديه الفكر من الكلام نتاجا له (نفترع) نفتض (جمانات) جمع جمانة وهي حبة تعمل من فضة كالدرة (تتدرج) تمشي (يربع) يصنع أربع جمانات (ذو) بمعنى صاحب (يسبع) يصنع سبعا (رغمه) اكراهه واذلاله (انتظمنا) اجتمعنا (تألفنا) تصاحبنا وانضم بعضنا الى بعض ومنه ألفت الكتاب و (الالفة) الصحبة والاجتماع و (الكهف) الغار وأصحابه قصتهم معروفة قال ابن عباس في قوله عز وجل ما يعلمهم الا قليل أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا ويمليخا وهو المبعوث بالورق الى المدينة ومرطونس وساريونس ويوانس وكفشطيوس وقطنونسيسوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير وهو أغمر دون ٢ الكروي وفوق القلطي وقال أبو شبل بلغني ان من كتب هذه الاسماء في شيء ووضعه في الحريق سكن الحريق وذكر الطبري انهم كانوا في أيام الطوائف على دين عيسى بن مريم وكانوا في حكم ملك الروم يسمى دقيانوس يعبد الاصنام فبلغه عن الفتية مخالفتهم لدينه فطلبهم فهربوا منه فاجتازوا براعي غنم فاتبعهم بكلبه فعلموه دينهم وصاروا الى ربهم فآواهم الليل الى كهف فقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح فنرى رأينا فضرب الله على آذانهم فناموا وتبعهم الملك فوجدهم في الكهف فلم يطق أحد منهم دخوله فبنى عليهم باب الكهف ففتحه الرعاء بطول الزمان فأقاموا فيه ما ذكر الله تعالى ثم أحياهم الله تعالى بعد ثلثمائة وتسع فشكوا اهل ناموا يوما واحدا أو بعضه ثم مسهم الجوع فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاما ووصوه أن يحتزر حتى لا يشعر بهم أحد فيدل عليهم فيحملوا الى الملك الذي فروا منه أمس فيما طلوا ميرجهم أو يرجعوا الى دينه فلما أتى باب المدينة أنكر ان تكون هي التي خرج منها

في القاموس وأصحاب الكهف مكسلمينا امليخا مرطوكش نوالس سانيوس بطنيوس كشفوطط أو مليخا مكسلمينا مرطوس نوانس أربطانس أونونس كندسلططنوس أو مكسلمينا مليخا مرطونس بنيونس ساريونس كفشططيوس ذونواس أو مكسلمينا أمليخا مرطونس يوانس ساريونس بطنيوس كشفوطط أو مكسلمينا يمليخا مرطونس بنيونس دوانوانس كشفيطط تونس اه

٢ وقوله وهو أغمر دون الخ هكذا في النسخ التي بايدينا وليحرر اه مصححه

امس

أمس في ظنه لانها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها فأنكر أهلها ثم أخرج الدراهم ليشترى طعاما فقال له البائع من أين لك هذه الدراهم وأ ... سكه فقال خرجت أمس مع أصحاب لي فارين من هذا الملك ودينه فبتنا في كهف وأصبحنا اليوم فأرسلوني لأشترى لهم طعاما فاستر علينا فحمله الرجل الى ملك المدينة يسمع منه وكان ملكا صالحا فقص عليه القصة فركب الملك في جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم فدخل على أصحابه فوجدهم قد عادوا الى نومهم فضرب الله على آذانهم فدخل الناس فوجدوا أجساما لا ينكرون منها شيأ وكأنهم مستيقظون يكلمونهم غير أنها بغير أرواح فقال لهم الملك هذه آية الله اليكم فبنوا عليهم مسجدا يصلون فيه (قوله لعظم محنتي) لعظم بليتي (لم) من اللوم (مل) من الملل (كبر) عظم الكبير وقدمه على نفسك (يرب) يصلح (بر) أكرم (ينم) يزيد خيره وترتفع منزلته ونمى الشيء ينمى وينمو نماء ونموا ونميا زاد قال الاصمعي نميت حديث فلان الى فلان أنميه اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير وفي الحديث فقال خيرا أو نمى خيرا أي أبلغ خيرا أو رفعه وكل شيء رفعته فقد نميته ورواية ابن ظفر من يرب اذا برّ ينم أي اذا كان البر من الناس يمشي بالنميمة فمن يرب فعلا جميلا ويصلحه (تكس) تكن كيسا والكيس الناقد في أموره وقيل العاقل (أفضت) وصلت (النوبة) الدولة (السمط) الخيط يعقد فيه اللؤلؤ (يصوغ) يصنع (يثرى ويعسر) أي يستغني ويفتقر أي يكثر له الكلام مرة ويقل أخرى (وفي ضمن ذلك) أي في أثنائه وفي مدته (استطعم) اطلب طعاما هذا أصله وتقول أطعمت القارئ اذا وقف ففتحت عليه وأفتيته واستطعم هو اذا استدعى ذلك *علي رضي الله عنه اذا استطعم الامام فأطعموه أي اذا ارتج عليه فافتحوا له (ركد النسيم) سكنت الريح يعني كلامه (حصحص) تبين (التسليم) الانقياد أي انقدت للعجز عن الاتيان بها (المقام) الموقف (العقام) الشديد الذي لا يؤثر فيه الدواء بمنزلة الرحم العقيم التي لا تؤثر فيها النطفة فلا تلد (اياس) تقدم ذكره و (اليأس) ضد الطمع ولما ذكرهما اياسا ويأسا ذكر فصلا ذكره في الدرة على اللفظتين قال ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيهمون كما وهم أبو سعيد السكري وكان من جلة النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال ان اياسا سمي بالمصدر من أيس وليس كذلك وانما الاياس عند المحققين مصدر آسيته أي أعطيته والمصدر منه الاوس ومنه المواساة فكأنهم سموا اياسا بمعنى تسميتهم عطاء ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لان أصل الفعل منه يئس على فعل قال الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فأما أيس بتقديم الهمزة فمقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم بن المفضل النحوي على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوي لفظة اليأس الذي هو الاصل في نظم الصيغة فتكون الياء مبدوأ بها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما في أيس فلهذا حكم على أيس أنها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الاصل ولا يكون له مصدر (نفيص) نندفع بالكلام (المعترى) القاصد (يلحظنا) ينظرنا بطرف عينه احتقارا منه لنا (المزدرى) المحتقر (يؤلف) يجمع (الدرر) جواهر الكلام (عثر) اطلع (افتضاحنا) اشتهارنا بالعجز (نضوب ضحضاحنا) جفوف مائنا القليل (الاستيلاد) طلب الولد يقول ان من تعب النفس طلب فائدة من ذهن كليل وقريحة جامدة (نابك) نزل بك (تنثر) تقول نثرا (لذ) استتر به والجأ اليه (مؤمل)

فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال (لم أخامل) وقال ميامنه (كبر رجبا أجر ربك) وقال الذي يليه (من يرب اذا برّ ينم) وقال الآخر (سكت كل من نم لك تكس) وأفضت النوبة الي وقد تعين نظم السمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثرى ويعسر وفي ضمن ذلك أستطعم فلا أجد من يطعم الى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه بإياس لامسك على ياس وجعلنا نفيص في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزور المعترى يلحظنا لحظ المزدرى ويؤلف الدرر ونحن لا ندرى فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم ثم أقبل علي وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فان شئت أن تنثر ولا تعثر فقل مخاطبا لمن ذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل

مرجو لفعل الحبر (لم) جمع المال (بذل) تكرم على غيره وهذا اللفظ من المعكوس في النثر بديع فالحظ بهذا النظم الرفيع الذى أردفه عليه فانه من أشرف حسناته رحمه الله (قوله أس) أعط والاوس العطية (أرملا) فقيرا أفنى زاده (عرا) قصد (ارع) احفظ الصحبة (أسا) أتى بسوء وأصله الهمز أساء فسهل الهمزة يقول ان قصدك فقير فصله وان أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حق الصحبة ويقال المرء بالهمز والمر بلا همز وبترك الهمز يستقيم الانعكاس فى بيت الحريرى ويقال المرة قال دعبل

واحفظ عشيرتك الادنين انّ لهم * حقا يفرّق بين الزوج والمرة

وهذا البيت الذى فسرناه ومابعده من الابيات تقرؤه ان شئت من أوّله وان شئت من آخره وجعل هذا النمط فى عكس الحروف توطئة لماذكر فى المقامة بعد هذا فى الرسالة القهقرية من عكس ألفاظها من أوّلها الى آخرها الاأنّ ذلك العكس بالالفاظ وهذا بالحروف وكلاهما غاية فى بابه وانما يذكر الادباء هذا استملاحا فى كلامهم وامتحانا لخواطرهم * ونريد أن نذكرهنا فصلا عما يوافقه أو يقاربه على ماشرطناه فمن ذلك أنّ بعض الادباء اتهم صاحباله بسعاية فى جانبه فكتب اليه فى المجلس ساءك ثم فنظره الذى وشى به فكتب اليه صحفه واقلب فهو والله مانطق به على لسانك من بغيك وعدوانك وهو مقلوب مصحف منك أتيت فتضاحكا وتصافيا *وكتب بعضهم الى خازن السلطان

قدأقبل الشهر واقباله * يأتى بما أجرى ترتيبه

فوجه البرّ ومقلوبه * يجزيك عن برك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء الى صاحب له وهو مقلوب مصحف ظبى سراب خشن فاذا قرأته على الولاء من آخره بعد القلب والتصحيف جاء منه حسن شراب طيب * ومن أنواع المعميات التصحيف ومثاله أنّ ابراهيم بن المهدى كتب الى اسحق الموصلى لايرتج مثل الاسنة فكتب اليه اسحق لابرث جبل الاثينة وقال أبو الجهم بن الانبارى للحسن بن وهب ماتصحيف كلنى بيمينك فبعنى بحبتين فقال كل شئ منك فى عينى حسن وغاب صديق عن صديق له فلما لقيه قال له عن تعبى بجاويه زرعنا يرداد حبا فالاوّل قال غبت عنى والثانى قال زرغبا تزداد حبا وذكر فى بعض مجالس الادب التصحيف فقال فتى شاب أنا ابن بجدته فقال بعضهم ماتصحيف نحت نخشى فقال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه فاتهمه شاعر من بلنسية فقال ماتصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فقال له البلنسى صدق ظنى انك تنتحل ماتقول وبحث والفتى يضحك فقال له اشعر فانك شاعر فقال وأىّ نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقام وهو يقول هوذاك ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من حضر فنظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى دار الفتى معتذرا * كتب بعض وزراء ابن عباد اليه يتسخط الاخوان هذا البيت

واذاصفالك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع فى الكتاب وأين ذاك الواحد صحف تعرف فلما قرأه الوزير طار سرورا ومثل بالبساط فلثمه بين يديه وانما صحف وأين نجاء منه وأنت فرد عليه من كلامه أبلغ جواب * ومن ملح ابن عبادفى التصحيف أنه خرج فى جملة وزرائه الادباء فاجتازوا باشبيلية بالموضع الذى يباع فيه الجير

اذا المرء ومالك بذل وان أحببت أن تتظلم فقل للذى تعظم اس أرملا اذاعرا وارع اذا المرء اسا

والجبس فلقى هنالك جارية من أحسن الناس وأقلهم حياء فأقبل ابن عباد على ابن عمار وقال يا ابن عمار الجيارين فقال ابن عمار يا مولاى والجباسين فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر فبحثوا عن مرادهما فلم يعرفوه فسألوا ابن عمار فقال له ابن عباد لا تسمعها منهم الا غالية ثم ان ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية وعابها بقلة الحياء فصحف الجيارين بجاء منه الحياء زين وصحفت أنا الجباسين بجاء منه الخناشين فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كنايتهما أين هذه الاذهان من رجل مغفل كان له ابن يسمى حسنا مسافرا فاستفتح المصحف يتفاءل له فى القدوم فخرج له وحسن مآب فترك التيامن بهذا اللفظ لما آب الفتى سالما وقال تصحف حسن مآب حسن مات فاستدعى أم الفتى وخدمه ونعاه لهن فاقمن مناحة وجاء الجيران والقرابة يتطلعون حادثتهم فهو يخبرهم بما تصحف له والفتى داخل قد أقبل فى أغبط حال وأسرها فاستحمق وصار مثلا (قوله أسند) أضفه اليك وقربه منك (نباهة) رفعة (أبن) باعد (دنس) عيب يقول صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به وقد قيل الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان ما يرقع به ثوبه قال ابن رشيق

اصحب ذوى القدر واستعتبهم * وعد عن كل ساقط سفله
فصاحب المرء شاهد ثقة * يقضى بما عليه وله
ورقعة الثوب حين تلبسه * شهرته أو تكون مشتكله

وفى الحديث الانفس أجناد مجندة وانها التشام فى الهوى كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال

ان القلوب لأجناد مجندة * لله فى الارض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(وقال طرفة أو عدى بن زيد)

اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتدى

وقال أبو العتاهية

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

(وقال الخالدى)

واذا أردت ترى فضيلة صاحب * فانظر بعين البحث من ندمانه
فالمرء مطوى على علاته * طى الكتاب وصحبه عنوانه

ومما روى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

فلا تصحب أخا السوء * واياك واياه
فكم من جاهل أودى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه
وفى الناس من الناس * مقاييس وأشباه
وفى العين غنى للعين * أن تنطق أفواه

أسند اخا نباهة
ابن اخا دنسا

والقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيق

اختر لنفسك من تعا * دى كاختيارك من تصادف

ان العدو أخو الصديـ * ـق وان تخالفت الطرائق

(قوله اسل جناب غاشم) يريد جانب منزل ظالم ولا تقربه وسلوت يتعدى بعن و بنفسه تقول سلوت عنه وسلوته وسليته وقال الاسود بن يعفر

فأقسمت لا أشربه حتى يملني * بشيء ولا أسليه حتى يفارقا

(قوله مشاغب) مسارع للشر (هب) تحرك (مرا) جدال ومعنى (اسر) اكشف وأزل يقول اذا تعلق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة و باعد المراء وتقول سريت الثوب عني وسريته اذا كشفته قال ابن هرمة * سرى ثوبه عنى السرى المتحامل * ومنه سري عن الرجل أى كشف عنه ما كان يجده من الغم والغضب وقد يكون معنى اسر باعد وفارق من السرى وهو سير الليل فيقول فارق موضع الجدال و باعده (رسا) ثبت أى اذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه و يروى اسر بالضم أى كن سريا أى سيدا ذا مروأة اذا هاج الجدال بين القوم فباعده وقال سابق البربرى

لا تنفعن بلجوج حين تزجره * ان اللجوج له فى المال اغراء

وأغض فى حسن عفو عن نوادره * فالحر فيه عن الآفات اغضاء

والمراء مدافعة الحق وترك الانقياد لما ظهر منه وقد يستعمل بمعنى الجدال فمن جادل ليظهر بالملا جداله محظور وفى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له بيتا فى الجنة وقال ميمون بن مهران لا تمار من هو أعلم منك انه يختزن عنك علمه ولم تضره شيأ وقال لقمان لابنه من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم يا بنى لا تمار العلماء فيمقتوك وقال مالك بن أنس رضى الله عنه المراء يقسى القلوب و يورث الضغائن وقال بلال بن مسعدة اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ولمسعر بن كدام يخاطب ابنه

انى منحتك يا كدام نصيحتى * فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

انى بلوتهما فلم أحترهما * لمجاور جارا ولا لرفيق

(قوله اسكن) الزم السكون والوقار (تقو) أراد تتقوى (يسعف) يساعد و يوافق (نكس) قصر بك يقول لا تبادر الى الجدال والزم السكون حتى يتقوى نظرك و يظهر لك صوابك فعسى يوافقك على الاصابة بحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب لو التزمت الجدال ومن أعاجيب ابن الرومى قوله فى ذم الجدال

لاولى الجدال اذا غدوا الجدا لهم * حجج تضل عن الهدى وتجور

وهن كآنية الزجاج تصادمت * فهوت وكل كاسر مكسور

فالقاتل المقتول ثم لوهنه * ولضعفه والآسر المأسور

(وقال من شعر يمازح صديقا له)

لكن فى الشيخ غريزية * يخاصم الله بها فى القدر

اسل جناب غاشم

مشاغب ان جلسا

سر اذا هب مرا

وارم به اذا رسا

اسكن تقوى فعسى

يسعف وقت نكسا

ذكر المراء والجدال

وما يتولد منهما

ما كان لم كان ومالم يكن * لم لم يكن فهو كيل البشر

(قوله سحرنا) تركنا مسحورين (بآياته) بعجائبه يقال انّ فلانا آية من الآيات أى عجب من العجائب (حسرنا) قطعنا وأكللنا و(الغاية) الطلق يريد انا كللنا فى الغايات التى جرى فيها لبعدها ويريد اتساعه فى الكلام (استغنى) قال عافونى منه (منحناه) أعطيناه (استكفى) قال يكفينى (ازدفر) حمله على ظهره والزفر الحمل على الظهر (جرابه) وعاء خبزه (عصابة) جماعة (صدق المقال) أى صادقين فى قولهم وصدق جمع صدوق وعدل عن صدوق على جهة المبالغة فى صدقه (مقاولا) ملوكا (فاقوا) فضلوا وزادوا عليهم (فضائلا) جمع فضيلة وهى ما تفضل به غيرك من الافعال المحمودة (مأثورة) متحدث بها (فواضلا) عطايا وايادى الواحدة فضيلة وفواضل المال ما يأتيك من مرافقتك وعكسه ومن كلام العرب اذا عزب المال قلت فواضله أى قل انتفاع رب الابل بلبنها اذا بعدت قال الشاعر

قوله وعدل عن صدوق الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا ولعله تحريف والاصل عدل عن صادق أو عدل الى صدوق أو غير ذلك تأمل اه مصححه

سأبغيك مالا بالمدينة اننى * أرى عازب الاموال قلت فواضله

(ذكر سحبان وائل)

(قوله حاورتهم) خاطبتهم (سحبان) فصيح العرب وهو سحبان بن زفر بن اياس بن عبد شمس الوائلى من وائل باهلة وكان من فصحاء العرب وبلغائها وبه يضرب المثل فى البيان والفصاحة فيقال أفصح من سحبان ودخل على معاوية وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال

لقد علم الحى اليمانون أننى * اذا قلت أما بعد أنى خطيبها

فقال له معاوية اخطب فقال انظروا الى عصا قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين قال وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فأخذها فى يده فتكلم من الظهر الى أن كادت صلاة العصر تفوت ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقيت عليه فيه بقية ولا مال عن الجنس الذى يخطب فيه فقال معاوية الصلاة فقال الصلاة أمامك ألسنا فى تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه ووعد ووعيد فقال له معاوية أنت أخطب العرب فقال العرب وحدها بل أخطب الانس والجن فقال له معاوية كذلك أنت وهو أول من قال أما بعد وأول من آمن بالبعث من الجاهلية وأول من توكأ على عصا وعمر مائة وثمانين سنة وهو القائل يمدح طلحة بن عبيد الله وهو طلحة الطلحات الخزاعى فقال فيه

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا بعد غاياته مدحناه حتى استغنى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة
صدق المقال مقاولا
فاقوا الانام فضائلا
مأثورة وفواضلا
حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا

ياطلح أكرم من مشى * حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطايا فاعطنى * وعلىّ مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الورد وقصرك بدريح وغلامك الخبار وعشرة آلاف درهم فقال له أف أف لك لم تسألنى على قدرى انما سألتنى على قدرك وقدر باهلة والله لو سألتنى كل قصر لى وعبد ودابة لاعطيتك (قوله باقلا) هو من اياد وقيل من بنى مازن وقال حميد الارقط فى وصف ضيف أكثر من الطعام

(ذكر باقل)

أتانا وما داناه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما أن تكلم باقل

والعرب تقول انه لأعيا من باقل ومن عيه انه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فقل

عنه بيده وفتح أصابعه وأشار بها وأخرج لسانه يريد انه باحد عشر درهما ولم يلهم أن يخبر عن سومه بلسانه ولما عير باقل بفعله قال

يلومون في عيه باقلا * كأن الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العتب في عيه * فللعي أجمل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان * أخف علينا من المنطق

الاموق الاحمق (قوله حلت) نزلت (سائلا) طالبا معروفهم (جودا) كرما (سائلا) جاريا (حيا) مطرا كثيرا (والوابل) أشد المطر يريد أنهم كانوا يريدون عليهم في الفضل (خطا) مشى ونقل خطاه (قيد) قدر (مستعيذا) مستجيرا (الحين) الموت (عدم الآل) فقد الاهل يقول أنتم عز لمن فقد اهله وكنز لمن أخذ ماله (العاسق) القمر * عائشة رضي الله عنها قالت نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو العاسق اذا وقب يعني من شره اذا كسف ووقب القمر يقب وقوبا دخل في الظلام الذي يكسفه وكل ما غاب فقد وقب (المحجة) الطريق (انقب) استتر وجعل من الظلام نقابا و (كني) منزلي (دامس) مظلم (طامس) دارس لان الظلام لما غطاه كأنه محاه (الآثار) الطرق التي أثر فيها المشي قال الصابي في شمعة وذكر هذا المعنى

وليلة من محاق الشهر مدجنة * لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمر
كلفت نفسي بها الادلاج ممتطيا * عزما هو الصارم الصمصامة الذكر
الى حبيب له في النفس منزلة * ما حلها قبلهم سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة * تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز أثمر في * أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طوتها دونها الجدر

(وقال آخر في مثله)

لنا شمعة نيطت ذراها بشعلة * كخفقة تبر علقت بلسانها
اذا عثر الساري بذيل من الدجا * نحرنا له قلب الدجى بسنانها
تفك قيود الليل عن كل زائر * فتجري بها الرجلان مل عنانها
اذا ما أحست بالصباح تمارضت * كنرجسة قد أذبلت بمكانها
تموت اذا ما قبلت خد حائط * فتثبت خالا فوقه من دخانها
كأن الجراد امتص جوهر روحها * ولم يمتنع منها سويدا جنانها

(وقال الغزي)

ولما دجا الليل مزقته * بروح يخف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح * يحاكي ذراها وألوانها
غصون من التبر قد ركبت * لهيبا يزين أفنانها
فيا حسن أرواحها في الدجى * وقد أكلت فيه أبدانها

(قوله الملتمس) أي المطلوب وهو المصباح والقبس ضوءه (جلا) كشف (صاحب صيدنا) اي

الذي

وحللت فيهم سائلا
فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرا
م حيا لكانوا وابلا
ثم خطا قيد رمحين وعاد
مستعيذا من الحين وقال
يا عز من عدم الآل وكنز من
سلب المال ان العاسق
قد وقب ووجه المحجة قد
انقب وبيني وبين كني
ليل دامس وطريق طامس
فهل من مصباح يؤمنني
العثار ويبين لي الآثار
قال فلما جيء بالملتمس وجلى
الوجوه ضوء القبس رأيت
صاحب صيدنا هو أبو زيدنا

(ذكر وصف الشمع)

وأحدقوا به الاحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجبر واعيلته فقال حبا لما أحييتم ورحبا بكم اذ رحبتم غير أني قصدتكم وأطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وان استرأثوني خامرهم الطيش ولم يصف لهم العيش فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم ثم أنقلب اليكم على الاثر متأهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئته ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحجلا ايابه فأبطأ أبطأ جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ما عندك من الحديث عن الخبيث فقال أخذ بي في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا الى دويرة خربة فقال ههنا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه قال ولعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

اذا ما حويت جنى نخلة * فلا تقربنها الى قابل
واما سقطت على بيدر * فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن اذا ما لقطت * فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن اذا ما سحبت * فان السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف * وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب * فما مل قط سوى الواصل

الذي اصطاد أموالنا (استمطر) سأل المطر (صاب) وقع وقعا شديدا وكنى بالمطر الصوب عن العلم الكثير (أتلعوا) مدوا وأتلع الرجل نصب عنقه ومدها وتطاول لينظر شيأ (أحدقوا) حلقوا واحاطوا و(الاحداق) سواد العين الاعظم (عيلته) فقره (يتضورون) يصيحون ابن الانباري وقولهم تركته يتضور معناه يظهر الضر الذي وقع به بالتقلقل والاضطراب والصياح فيتضور يتفعل من الضور والضور بمعنى الضير ويقال ضرني يضرني ضرا وضارني يضيرني ويضورني ضيرا وضورا بمعنى (وشك) سرعة (استرأثوني) استبطؤني (خامرهم) خالطهم (الطيش) الخفة وذهاب العقل من الجوع (أسد مخمصتهم) أزيل جوعهم و(الغصة) ما يختنق به و(اساغتها) تسهيلها حتى تبتلع (انقلب على الاثر) أي في الحين وفي الطريق الذي أمضي فيه أرجع أمشي على أثري فيه مسرعا قبل أن يمشي غيري فيه فهذا معنى أنقلب على الاثر (متأهبا) مستعدا (فيئته) رجوعه (مضطبنا) حاملا على طبنه وهو خصره (محجلا) معجلا (ايابه) رجوعه (الخبيث) قال أبو الهيثم الخبيث الذكر من الشياطين وجمعه خبث أبو عبيدة الخبيث ذو الخبث في تفسيره (متشعبة) متفرقة وتشعب الطريق خرجت منه شعب الى كل جهة أي طرق أخر فأراد أنه خلط عليه بحيث لا يهتدي الى منزله فكان يخرجه من طريق الى طريق (أفضينا) وصلنا وهو من الفضاء (مناخي) منزلي وأصله موضع اناخة البعير (وكر أفراخي) عش أولادي (استفتح) ضرب وقال افتحوا الباب (اختلج) أخذ بسرعة (جرابه) وعاء زاده (الحسنى) الفعل الحسن (هاك) خذ (النفائس) الذخائر الرفاع (مغارس) مواضع يغرس فيها (المصالح) جمع مصلحة مفعلة من الصلاح (حويت) جمعت وحزت (جنى نخلة) هو التمر (بيدر) أندر الزرع يسمى بالشأم اندرا وبالعراق بيدرا (حوصل) اجعل في حوصلتك وهي للطائر في الاصل (كفة) شبكة (الحابل) الصائد (توغلن) تكثرن الدخول (سحبت) عمت (الساحل) ما ولي الماء من الارض وهو فاعل بمعنى مفعول لان الماء سحله أي قشره وأخذ عشبه كما تسحل الحديدة بالمبرد اي تبرد بالمبرد والسحالة ما سقط من المسحول (وخاطب بهات) عكس قول الصاحب وقد أهدى اليه العميدي قاضي قزوين هدية وكتب معها

العميدي عبد كافي الكفاة * وان اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب * مفعمات من حسنها مترعات

(فوقع تحتها)

قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتنا الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي * قول خذ ليس مذهبي قول هات

(قوله آجلا) ضد عاجل وقوله (ولا تكثرن على صاحب) أي لا تكثر من الزيارة وأقللها خشية الملل وروى قدامة بن جعفر أن رجلا كتب الى آخر ان رأيت ان تجدد لي موعد الزيارة تك أوقته الى وقت رؤيتك فيؤنسني الى حين فافعل فأجابه الآخر أخاف أن أعدك وعدا يعرض دون الوفاء به ما لا أملك دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة فأجابه المبتدي انما أسر بوعدك وأكون جذلا بانتظارك فان عاق عائق عن انجاز وعدك كنت قد ربحت السرور بما أحبه وأصبت أجرا على الحسرة بما حرمته ولبعضهم

أتى زائر من غير وعد وقال لى * أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وعما جاء فى قصر الزيارة قول أبى الشيص

ياحبذا الزور الذى زارا * كأنه مقتبس نارا
نفسى فداء لك من زائر * ماحل حتى قيل قد سارا
مر بباب الدار فاجتازها * ياليته لو دخل الدارا

(وأنشد الحاتمى والوليعى لجحظة)

بأبى من زارنى مكتتما * خائفا من كل حس جزعا
حذرا دل عليه نوره * كيف يخفى الليل بدرا طلعا
رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال فى زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال العباس بن الاحنف)

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ما أناخوا حتى ارتحلنا فمانفـ * ـرق بين النزول والترحال

(وقال محمد بن أمية الكاتب)

يافراقا أتى بعقب فراق * واتفاقا جرى بغير اتفاق
حين حطت ركابهم لتلاق * زمت العيس منهم لانطلاق
ان نفسى بالشأم اذ أنت فيها * ليس نفسى نفسى التى بالعراق
اشتهى أن ترى فؤادى فتدرى * كيف وجدى بهم وكيف احتراقى

ومن الزوار طيف الخيال وهو فى الشعر الجاهلى والمولد كثير وسنذكر منه شيأ يستحسن ان شاء الله تعالى قال قيس بن الخطيم

انى سربت وكنت غير سروب * ومقرب الاحلام غير قريب
ماتمنعى يقظى فقد تؤتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

(وقال أبو الفرج الكاتب)

خيالك كان أعرف بالغرام * وأرأف بالمحب المستهام
فلو يسطيع حين حضرت نومى * لكان يزور فى غير المنام

وقال الرضى

وزور زارنى والليل داج * فعللنى بباطل ذاك حينا
يريك أنه يأتى وسادى * مضاجعة وزورما يرينا
نعمت بباطل ويود قلبى * ودادا لو يكون لنا يقينا

وقال ايضا

وزور تخطى جنوب الملا * فناديت أهلا بذا الزائر
أتى فى هدو وعين الرقيـ * ـب مطروفة بالكرى الغامر
وأحبب به يسعف الهاجعين * وتحرمه مقلة الساهر
وعهدى بتمويه عين المحب * تنم على قلبه الطاهر
فلما التقينا برغم الرقا * دموه قلبى على طائر

ثم قال اخزنها فى تامورك واقتنها فى أمورك وبادر الى صحبك فى كلاءة ربك فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتى واتل عليهم وصيتى وقل لهم عنى ان السهر فى الخرافات لمن اعظم الآفات ولست آلفى احتراسى ولا اجلب الهوس الى راسى (قال الراوى) فلما وقفنا على فحوى شعره واطلعنا على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسره وصفقة خاسره

(المقامة السابعة عشرة القهقرية)

(حدث الحرث بن همام) قال لحظت فى بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما الحجا وطلاوة نجوم الدجا وهم فى مماراة مشتدة الهبوب ومباراة مشتطة الالهوب فهزنى لقصدهم هوى المحاضرة واستحلاء جنى المناظرة فلما التحقت برهطهم وانتظمت فى سمطهم قالوا أأنت ممن يلى فى الهيجاء ويلقى دلوه فى الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فأضربوا عن مجاجى وافاضوا فى الاحاجى وكان فى بحبوحة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأقحل

قال الرضى قلت هذه الابيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتداول أهل الادب انشادها واستغربوا هذا المعنى وشهدوا أنه مخترع لم يسمع فلما تصفحت ديوان شعر أبى سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وجدت بخطه فى الجزء الثانى من شعره

ان طيف الخيال زار طروقا * والمطايا بين العناق وشعب
زارنى واصلا على غير وعد * وانثنى هاجرا على غير ذنب
كان قلبى اليه رائد عينى * فعلى العين منة للقلب
كان عندى أن الغرور بطرفى * فاذا ذلك الغرور بقلبى

فلا أدرى هل قصد نظمها حتى لا يخلى شعره من هذا المعنى أو أنسى سماعه منى وقذف به خاطره وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيواردون فى بعض المعانى المسبوق اليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها والخواطر مشتركة والمعانى معرضة لكل خاطر وكثيرا ما يجرى الامر فالعنصر واحد (قوله اخزنها فى تامورك) اى اجعلها فى قلبك والتامور حجاب القلب وقيل دم القلب (كلاءة) حفظ وكلاءه يكلؤه حفظه (الخرافات) أحاديث اللهو والاباطيل قال الخليل الخرافة الحديث المستملح فى الكذب * أبو عبيدة كان خرافة رجلا صاحبته الجن فرأى منهم عجائب فحدث بها فيقال فى كل حديث يستغرب كأنه حديث خرافة (آلفى) أترك (احتراسى) تحفظى (الهوس) يبس الرأس يتولد من كثرة السهر (فحوى) معنى (نكره) منكره ودهائه (تلاومنا) لام بعضنا بعضا (الاغترار) الانخداع (افكه) كذبه (باسرة) عابسة وبسر وجهه بسورا عبسه (وصفقة خاسرة) اى تجارة ومبايعة ناقصة

*(شرح المقامة السابعة عشرة القهقرية)

(لحظت) نظرت (مطارح) جمع مطرح وهو الموضع تطرح فيه نفسك اى ترميها فيه (البين) الفراق فيريد مطارح لبين البلاد التى طرحه فيها البين ورماه اليها (مطامح العين) المواضع الحسان التى تطمح فيها العين بالنظر اى ترتفع اليها (سيما الحجا) علامة العقل والسيما من وسمت الشئ وسما اذا علمته وأصله وسمى فحولت الواو من موضع الفاء الى العين فصار سومى فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها (طلاوة) حسن (الدجا) الظلمة (المماراة) الخصام (مشتدة) كبيرة الحركة و(الشد) الجرى (الهبوب) مجئ الريح (مباراة) معارضة (مشتطة) ممتدة متجاوزة الحد (الالهوب) الجرى الشديد فاراد ان حركة الكلام بينهم فى المناظرة شديدة و (المحاضرة) مجالسة العلماء (مناظرة) سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدره معرفته (جناها) فوائدها (رهطهم) جماعتهم (انتظمت فى سمطهم) اى جلست بينهم (يلى فى الهيجاء) يقاتل فى الحروب (النظارة) القوم يقعدون فى موضع مرتفع من الارض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه فأراد أنى ممن يحضر معكم للاستماع لا للمناظرة (الحجاج) مصدر حاججه تقول حاججت فلانا اذا أوردت عليه الحجة وأوردها عليك فان غلبته قلت حججته (أفاضوا فى الاحاجى) اندفعوا فى الالغاز (بحبوحة) وسط (اكليل) دائرة وأصلها عصابة مكللة بالدر والياقوت تعقد على رؤس الملوك (رفقتهم) جماعتهم (برته) أذهبت لحمه (لوحته) غيرته وأضمرت جسمه (السموم) الريح الحارة (أقحل)

من جلم الا أنه كان يبدى العجاب اذا أجاب وينسى سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتى من الاصابة والتبريز على تلك العصابة وما زال يفضح كل معمى ويصمى فى كل مرمى الى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفاض القوم واضطرارهم الى الصوم عرّض بالمطارحة واستأذن فى المفاتحة فقالوا له حبذا ومن لنا بدا فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتجلت فى لونين وصلت الى جهتين وبدت ذات وجهين ان بزغت من مشرقها فناهيك برونقها وان طلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكأن القوم رموا بالصمات أو حقت عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان ولا فاه لاحدهم لسان فحين رآهم بكما كالانعام وصموتا كالاصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة ثم ههنا مجمع الشمل وموقف الفصل فان سمحت خواطركم مدحنا وان صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله ما لنا فى لجة هذا البحر مسبح ولا فى ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد وهئ

أيبس (جلم) مقص وأكثر ما يستعمل مثنى فيقال جلمان والعجب من أبى محمد يقول فى الدرة ويقولون قرضت بالمقراض وقصصت بالمقص فيهمون كما وهم بعض المحدثين حين قال فى صفة مزنون بالقيادة وان كان قد أبدع فى الاجادة

اذا حبيب صد عن الفه * تيها وأعيا كل رواض
ألف فيما بين شخصيهما * كأنه مسمار مقراض

قال والصواب أن يقال مقراضان ومقصان وجلمان لانهما اثنان فما منعه غيره أباحه هنا لنفسه فقال أقحل من جلم ولا نقول كما قال انه وهم بل نقول انها لغة قليلة قال يعقوب والجلم الذى يجزبه وقال رجل من الازد فى مفرد مقراض

فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى * وعلى أن ألقاك بالمقراض

وقال الراجز فى مفرد الجلم * وجلم كريشة الوقواق * والوقواق الخطاف والجسم النحيل يشبه بالقلم والجلم وقلب الشاعر التشبيه وألغز بالقلم فقال

ضئيل الرواء كبير الغناء * من البحر فى المنصب الاخضر
كمثل أخى العشق فى شخصه * وفى لونه من بنى الاصفر

(وقال ابن أبى لبابة فى جلم)

ومعتنقين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لمعنى * سوى معنى القطيعة والفراق

وتقدم فى الثانية من أبيات المعانى فيه

ارعت مراتع مدراها على وهن ٣ * صنوين ان أفردا لم يرعيا أبدا

(أبان) بين (التبريز) الظهور والخروج قبلهم (العصابة) الجماعة (يفضح) يشهر عيبه (معمى) مستور (يصمى) يصيب المقتل (خلت الجعاب) اى افرغ الكلام والجعبة وعاء السهام فكنى بها عن القلوب وبالسهام عن الكلام الذى يصدر عنها (الانفاض) فناء الزاد وقد أنفض القوم وأراد نفاد ما عندهم من العلم (الصوم) السكوت والامساك عن الكلام (المطارحة) أصلها فى الغناء وهو ما يأخذه المتعلم عن المعلم و(عرّض بها) أى ذكرها (المفاتحة) استفتاح الكلام (أرضها سماؤها) يريد أعلاها أسفلها (صبحها مساؤها) أولها آخرها (المنوال) خشبة الحائك أراد أنها نسجت من الطرفين لانك تبتدئها بالقراءة ان شئت من أولها وان شئت من آخرها (بزغت) طلعت (ناهيك) كافيك (رونقها) حسنها والرونق صفاء الوجه وحسنه ونعمته (الصمات) السكوت و(الانصات) مثله (نبس) تكلم (الانعام) المواشى (أجلتكم) أخرتكم و(العدة) هنا عدة الموت لانها أطول العدد الا ترى أنه أرخى لهم طول المدة و(الطول) الحبل و(الشمل) الاجتماع (الفصل) القضاء يقول قد طولت لكم الامد لتستخبروا هذه الرسالة وفى هذا الموضع يكون اجتماعنا ويفصل فيه بين العارف وضده (خواطركم) أذهانكم (صلدت) شحت (قدحنا) ضربنا زند النار يقول ان عرفتموها مدحناكم وان جهلتموها عرفناها لكم وجعل صلود الزند كناية عن جود القرائح (لجة) معظم الماء (مسبح) موضع يسبح فيه اى يعام (مسرح) موضع يسرح فيه اى يمشى ويتصرف (الكد) الجهد والتعب (هئ) طيب

(النقد) حضور المال (يثبون) يقومون لتبادل (يثيبون) يهبون الثواب (استثبت) طلبت الثواب (استملوا) اكتبوا (صنيعة) مايصطنعه الانسان لغيره من الخير يريد ان الانسان أهل الاحسان وان عكست قلت الاحسان صنيعة الانسان أى اصلاح الاحسان وتتميمه من صنع من يوصف بالانسانية وقد تقدم

* ومافيهم من يرب الصنيع * وقال اعرابى لعبد الملك بن مروان

يرب الذى يأتى من الخير أنه * اذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبان حين تم بناؤه * تتبعه بالنقض حتى تهدما

فعنى يرب هو قوله زاد وتمما (الندب) السيد الخفيف (شيمة) طبيعة (الذخيرة) الشئ الرفيع من مال اوغيره والادخار كالاقتناء (استثمار) تناول الثمر (عنوان) دليل (تباشير) اوائل وتباشير الصبح طرائق ضوئه فى الليل ويقال للطرائق التى تراها على وجه الارض من آثار الرياح التباشير (البشر) طلاقة الوجه (المداراة) خداع القلوب بلطف الكلام ومداراة الناس معاملتهم بما يحبون (المصافاة) اخلاص المحبة (عقدها) ربطها (يقتضى) يتضمن (حلية) زينة (الالباب) العقول (الهوى) مايهواه الانسان ويميل اليه (آفة) داء (الخلائق) الناس (شين) عيب (الخلائق) الطبائع شول الملل فى الناس يعيب أخلاقهم (سوء الطمع) كثرة الحرص (تباين) يباعد (الورع) الكف عما فيه اثم وقد ورع الرجل يرع ورعا ورعة اذا كف عما لايحل والورع بفتح الراء الجبان وقد ورع وورع وقال عروة بن أذينة فى ذم الطمع

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وان لم آت يأتينى

أسعى له فيعنينى تطلبه * وان قعدت أتانى لايعنينى

لاخير فى طمع يدنى الى طبع * وغفة من قوام العيش تكفينى

وأنشد الحريرى البيت الاول فى الدرة

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى

قال فيرويه أكثرهم الاسراف بالسين المهملة وروى بعضهم بالشين المعجمة ليكون معناه التطلع الى الشئ والاستشراف اليه قال ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين واعلاق الامل بالخالق دون المخلوقين فليسه بها التحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله وهو مارويته من عدة طرق أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخل عليه عروة قال له ألست القائل لقد علمت وخير القول أصدقه * الابيات وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشأم فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ وأذكرت ما انسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها ثم نصها نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان من الليل تعار على فراشه فذكره فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الى اليوم فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه قال لاجرم ليعلم ان الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى له فأعطاه ألفى دينار وقال ألحق بهذا أين أدركته فاعطه اياها قال فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى (قوله الحزامة) جودة الرأى والحازم الجامع لرأيه المحكم لاموره وأصل الحزم الجمع والشد ومنه

العطية بالنقد واتخذنا اخوانا يثبون اذا وثبت ويثيبون متى استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا منى وانقلوا عنى الانسان صنيعة الاحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الالباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزامة

الحزمة وحزمت المتاع جمعته وشددته ومنه الحزام لانه يشد به وقد حزم الرجل وحزم صار حازما (الزمام) مقود البعير (المثالب) المساوى وثلبه ذكره بسوء (التطلب) البحث يريد أن البحث عن عيوب الناس من أكبر العيوب قال رجل للمستورد الخارجي أريد غلاما عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وكان يقول أول مايدل على عائب الناس معرفته بالعيوب * معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم *أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها . مر المسيح صلوات الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له في ذلك فقال كل ينفق مما عنده * وكتب الشافعي رضي الله عنه لصديق له

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالكا

وأتى الشافعي رضي الله عنه مسجدا فصادف قوما يغتابونه فسد الباب وقال

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال الشاعر ثالبني عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

(قوله العثرات) السقطات (يدحض) يبطل يريد أن البحث عن عيوب الصاحب يبطل مودته *أبو بردة الاسلمي رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لاتذموا الناس ولاتعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بطن بيته وقال سابق البربري اذا ما كنت طالب كل ذنب * ولم تحلل أخاك عن العتاب

تباعد من تباعد بعد قرب * وصار بك الزمان الى اجتناب

وقال عبد الله بن جعفر عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان غبت عنه صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصيران كان وقيل خير الاخوان من اذا نسيت ذنبك لم يقرعك به ومعروفه عندك لم يمن عليك به وقال الشاعر

اذا شئت أن تدعى كريما مهذبا * سنيا سريا ماجدا فطنا حرا

اذا ما بدت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(قوله خلوص النية) صفاؤها أي من أخلص لك النية فكأنه قد أعطاك خالص ماله والخلاصة ماخلص من الشئ وصفا (النوال) العطاء (الكلف) المشقات (يسنى) يسهل (المؤنة) خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول من تيقن أن الله يعينه على البر وما ينويه من الحقوق سهل عليه تكلف المؤن وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يتم بتلك النعمة عرض النعمة للزوال وأما معكوس ماقبله وهو تيقن الخلف يسهل الكلف فمن قوله صلى الله عليه وسلم من أيقن بالخلف جاد بالعطية قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال عن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يسنى المؤنة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح

بث المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدى الادب يحبط القرب وتناسى الحقوق ينشئ العقوق وتحاشى الريب رفع الرتب وارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار وتنوه الاقدار بمواتاة الاقدار وشرف الاعمال فى تقصير الآمال واطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلقى

وقالوا للمعروف ثلاث خصال تعجيله وتيسيره وستره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط منه الشكر (قوله الفضل) هو الزيادة على قدر الحاجة (الصدر) هو المتقدم فى الامور مثل وال وسيد القوم يقول من يتصدر لامور الناس ففضله وشرفه سعة خلقه (الرعاة) الولاة (مقت السعاة) بغض العمال الذين يجمعون الزكاة والسعاة أيضا المشاؤن بالنميمة للملوك فيقول زين الملوك بغض العمال الذين جرت العادة فى قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس فاذا أبغضوهم بحثوا على أعمالهم الفاسدة فخافوهم فعدلوا وأما بغض المشائين بالنميمة للملوك فواجب لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث قيل ومن المثلث يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه (قوله بث) أى نشر (المنائح) العطايا يقول جزاء المدح بذل المال وأصل المنائح بذل فوائد الاموال لا الاموال (مهر) حق (الوسائل) القرب والوسيلة ما تجعله سببا بينك وبين من تريد الوصول اليه مثل الشفيع والهدية فى قضاء حاجتك (المسائل) جمع مسئلة وهى هنا سؤال المحتاج (والمجلبة) مفعلة من الجلب والمعنى حق الوسيلة قضاء الحاجة (الغواية) الضلالة (استغراق) تجاوز الحد و(الحد) الاول الفصل بين الشيئين وأصله المنع والحد الآخر حد السيف وشبهه (يكل) يضعف (تعدى) تجاوز (يحبط) يفسد (ينشئ العقوق) يظهر المقاطعة (تحاشى) ترك واعتزال (الريب) التهم (الرتب) المنازل الرفيعة قال بعض الحكماء ثلاثة لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى ونظمها الشاعر فقال

يزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانية حسن اخلاقه * وثالثهن اجتناب الريب

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه لدهقان بعض ملوك العجم بم ينبل الرجل عندكم قال بترك الكذب فانه لا يشرف الامن وثق بقوله وبقيامه بأهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يأمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (قوله ارتفاع الاخطار) أى شرف الاقدار والقيم (اقتحام) دخول شديد يقال فلان يقتحم فى الامور أى يدخل فيها بغير تثبت ولا روية وتقحمت الناقة اذا ندت فلم يمسكها راكبها ومنه قحمة العرب سميت قحمة لانهم اذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (تنوه) ترفع (مواتاة) موافقة (الاقدار) الاول جمع قدر الانسان أى منزلته والاقدار الثانى جمع قدر الله تعالى وقال الشاعر

الجد أنهض بالفتى من عقله * فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

(تقصير الآمال) تقليل الرجاء وكفه ومن قلل الطمع شرف عمله (الفكرة) التدبير (تنقيح) تخلص وأصله ان تشذب العقد من العود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب قال الشاعر وطارت بصلب قوضت عنه بيتها * له أبن ما قوضت وكعوب
صلب عمود البيت جذبته المرأة لتضربه فتهدم بيتها (تهذب) تخلص والمهذب المخلص من العيوب و(السياسة) حسن المداراة و(اللجاجة) ركوب الرأس فى الباطل (تلقى) توجد ويروى

تلغى وتلق ومعناهما تترك وتطرح و(الحاجة) ما يحتاج اليه فان عكست رجعت الحاجة الفقر يريد اذا لججت فى شئ أدركت حاجتك وعلى تلغى اذا وقعت بلجة فى حاجتك تركت وعلى العكس من افتقر لج فى السؤال حتى يعطى (الاوجال) جمع وجل وهو الفزع والمعنى ان تفاضل الرجال فى الصبر عند النوازل * سلمان رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من الف مثله الا الانسان وقال الشاعر

ولم أر أمثال الرجال تسارعوا * الى الخير حتى عد ألف بواحد

وفى عكسه يقول الامور المخوفة تصغر على العظيم وتعظم على الصغير فعلى قدر ما يفضل الرجل صاحبه فى عزمه واقدامه تترايد الاوجال وتنتقص وقد قال المتنبى

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

(الهمم) جمع همة (تتفاوت) تتباعد ما بينها (القيم) المنازل (السفير) الرسول (يهن) يضعف والمعنى ان السفير اذا تعدى فزاد فى الحديث ضعف التدبير ولو عكست لقلت ان تدبير المرسل اذا اختل ضعف السفير وان كان حازما وعلى هذا أنشدوا

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

وان باب أمر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه

وذو الحق لا تنتقص حقه * فان القطيعة فى نقصه

ولا تحرصن فرب امرئ * حريص مضاع على حرصه

(قوله خلل) فساد و(الاجاد) ان تجد الرجل محمودا و(الاجتهاد) بلوغ الجهد وهو أقصى الطاقة والمعنى أن الرجل يستحق أن يكون محمودا بحسب ما بذل من اجتهاده وطاقته ولو عكست لقلت الاجتهاد واجب عليك فيما كلفته بحسب احمادك من كلفك (الملاحظة) النظر بمؤخر العين (المحافظة) التحرز والمعنى انك اذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك ففعلك ذلك كفاء محافظته وان عكست قلت ان المحافظ لك اذا أصفت محافظته فهى كفاء ملاحظتك له (الموالى) الذى يوالى الخير والكرم أى يفعل المرة بعد المرة (تعهد) تفقد (الموالى) بنو العم وقيل الموالى من والاك بعتق أو بحلف أو بصحبة فكل واحد منهما مولى للآخر والموالى بالضم الفاعل والمعنى اذا تعاهدت من والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك وان عكست قلت ان الموالى يتعهدون من والاهم والصحيح فى هذا الموضع ان الموالى الذى يوليك وده والموالى العبيد والاتباع وسألنى الاستاذ المقرى الحاج ابن السقاط فى هذا الموضع فأجبت بما تقدم فقال لى معنى هذا الموضع غائب عمن لا يعرف سيرة أهل المشرق وذلك ان الرجل الشريف حين يصبح عندهم يأمر مواليه ان يقصدوا نظراءه من الاشراف والاعيان فيأتون باب الشريف فيستأذنون عليه ويدخلون اليه ويقولون له يسلم مولانا صباحك ثم يسألونه عن حاله وعما حدث عنده ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاهم وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود فى قصد نظراء مولاهم فتنضبط بذلك عندهم الرعايات بين الاصدقاء والاقارب وتترايد المودات بين الاولياء والاجانب فعلى هذا المعنى

الحاجة وعند الاوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتريد السفير يهن التدبير وبخلل الاحوال تتبين الاهوال وبوجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الاحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالى بتعهد الموالى

يقول في تعهد الموالي وهو حسن ان شاء الله تعالى (قوله تحلي) أي تزين (المروآت) تقدمت (وتخفيف الاحزان) تهوين الطوارئ والنوازل (الاوداء) الاحباب يريد أنهم يكفون الاعداء ورواية ابن ظفر دفع العداء وأنكر الاعداء وقال العداء بالفتح والمد الظلم (امتحان) اختبار يقول انما يتبين لك العاقل بمقارنته وبمصاحبته للجاهل لانه لا يوافقه وان عكست قلت الجاهل اذا صحب العاقل تبصر واتقى جهله وقالوا اذا أردت ان تفحم عالما فأحضره جاهلا وقال الشاعر

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله وجاء كيسان الى الخليل يسأله ففكر ليجيبه فلما استفتح الكلام قال له لا أدري ما تقول فقال الخليل

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت أجهل ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت انك جاهل فعذرتكا

(تبصر العواقب) امعان النظر في عاقبة الامور و(المعاطب) المهالك يريد من نظر في عاقبة أمره أمن ما يحذر (الشنعة) الفعل القبيح ينشر ذكره (السمعة) الذكر الجميل يسمع عنك أو القبيح فينتشر في الناس (الجفاء) سوء الادب وثقل الكلام و(ينافي) يباعد (الوفاء) ضد الغدر (تحتوى) تشتمل (عظة) موعظة (المراء والشقاق) معناهما الخلاف والعكس رد أول الكلام على آخره وهو الرد على العقب كما ذكره وهو معنى القهقرة الذي سمي به المقامة ولذلك لم ينسبها الى بلد والقهقرة رجوع الرجل عنك كما جاء عليك وذلك ان يرجع الى خلف وهو يستقبلك بوجهه وهو الرد على العقب وذلك أن الرجل اذا توجه مقبلا اليك فانما يقدم في مشيه اليك صدور قدميه فاذا تقهقر قدم في مشيه عقبه وأصل القهقر الحجر المدحرج فاذا ضربته تدحرج في جريه حتى يستقر فاذا أردت أن يرجع الى الموضع الذي جاء منه ضربته فتدحرج راجعا الى جهة موضعه فشبه رجوع الرجل على ما وصفنا وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها الى أولها مشبه بذلك ولذلك شبه الاعرابي فرسه في اجتماعه بالحجر فقال محبوبك مهملج كما تقهقر الادعج (والمسحب) الطريق الذي تجر فيه الشئ (يسحبها) يمشيها (يرهبها) يخففها أي لا يخرج الالفاظ عن طريقها فتختل وذلك ان هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدا وخبر فان وقفت فيها على مبتدا في أولها او آخرها أو وسطها فاقرأ مع ما بعده تجده مستقيما او اقرأ مع ما قبله تجده كذلك فان وقفت على خبر مبتدا فلا يستقيم مع ما بعده وهو مع ما قبله ابعد فأراد بقوله لا يرهبها لا يبتدئ لفظة بغير مبتدا فتتداعى مبانيها وتبطل معانيها فتبهمه والفقر في غير الموزون مثل القوافي في الموزون والفقر مشتقة من فقار الظهر لانها تنقطع على قافيتين أو ثلاثة وهذا هو الفرق بين الفقر والاسجاع اذ الاسجاع كلها ترجع الى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لا يختلف ولهذا قال المعري في الغراب

أتى وهو طيار الجناح وان شدا * أشاع بما أعيا سطيحا من السجع

وسطيح كاهن وكلامه أسجاع (صدع) كشف وشق (الفريدة) التي لا مثل لها (أملوحته) يريد بها الرسالة والاملوحة الكلام المليح يعجب له السامع و(الانشاء) الكتابة (فلذ) قطع (فلذة) قطعة وأصلها قطعة من كبد البعير قال الشاعر

وتحلى المروآت بحفظ الامانات واختيار الاخوان بتخفيف الاحزان ودفع الاعداء بكف الاوداء وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب واتقاء الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الاحرار عند الاسرار ثم قال هذه ما ثنا لفظة تحتوى على أدب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها وان يردها على عقبها فليقل الاسرار عند الاحرار وجوهر الوفاء ينافي الجفاء وقبح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها ورب الاحسان صنيعة الانسان (قال الراوي) فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله

يكمه حرة فلذا ذات أثم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

(نيله) عطائه (أرزأ) أنقص (والتلميذ) هو المتعلم العلم ولذلك أبى أن يأخذ منه شيئا وهو في كل مقامة اذا تعرض للكدية يفرده بالاخذ منه أو يبتدئ التقدير منه وذلك أن الجماعة في هذه المقامة اشترطوا مناظرته وابن همام شرط أنه من نظارة الحرب أي انما جلس لينظر ويتعلم فلهذا أخذ منهم وتركه وزاده فائدة التنبيه على أنه أبو زيد ولذلك قال له (كن أبا زيد) وكن أتى به بلفظ الامر ومعناه الدعاء وفي الحديث كن أبا ذر وكن أبا خيثمة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شخصا من بعيد فرجا أن يكون أبا ذر الغفاري فقال كن أبا ذر أي جعلك الله أبا ذر فكان ما رجاه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كان اللفظ هنا كان ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب الرسالة تمنى أن يكون أبا زيد لما عهد من فصاحته فقال كن أبا زيد أي جعلك الله أبا زيد الذي عهدت منه الفصاحة متى رأيته فصدق منه امنيته فقال انا هو الذي تمنيت والدعاء بلفظ الامر كثير في كلامهم كقوله

ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي * وقول الآخر * ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

أي سلمك الله من ربع وجعل صباحك ناعما القنجديهي كن أبا زيد أي أنت ابو زيد ومنه كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنتم خير أمة (شحوب) تغير (سحنتك) جلدة وجهك وهيئتك (نضوب) جفوف و(الوجنة) العظم الشاخص تحت العين (نحولي) يبسي (قشف) تغير هيئته بترك النظافة (محولي) جفوف جسمي (تثريبه) لومه وتعييب فعله والتثريب بالذنب المؤاخذة به وأصله الاختلاط والافساد وانما يقول لا تثريب عليك من قد رفعها (حولق) قال لا حول ولا قوة الا بالله (استرجع) قال انا لله وانا اليه راجعون (عضبه) أي سيفه القاطع (ليروعني) ليفزعني (غربه) حده (استل) ازال (كراه) نومه (مراغما) مذللا (غربه) مجرى دمعه والغرب فيض الدمع (أجالني) صرفني ومشاني (الافق) نواحي الارض (أطوى) أقطع (أجوب) اخترق (جو) ناحية (غربة) فعلة من الغروب مثل طلعة من الطلوع (المغرب) المبعد (المتغرب) الملازم للغربة (نواه) سفرته (غربه) بعيده ومن أحسن ما قيل في تبعيد السفر قول ابن حبيب

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب * وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق * وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبا اذا لاقيتهن رددنني * جريحا كأني قد لقيت الكتائبا

وله أيضا

ما اليوم أول توديعي ولا الثاني * البين أكبر من شوقي واحزاني
دع الفراق فان الدهر ساعده * فصار أملك من روحي بجثماني
خليفة الخضر من ربع على وطن * في بلدة فظهور العيس أوطاني
في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغني اقصى خراسان

(وقال الحلواني)

يا نفس ويحك في التغرب ذلة * فتجرعي كأسي هوى وهوان
واذا نزلت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان

فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على نحولي ونحولي وقشف محولي فأخذت في تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه
ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه
مراغما وأسال غربه
وأجالني في الافق اطوي
شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة
في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه
متغرب ونواه غربه

وقال

*(وقال ابن شرف)

ان ترمت العربة فى معشر * قد جل الناس على بغضهم

فدارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

(وقال البستى)

لا يعدم المرء كان دست كربه * وشيعة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم وقلت سهامه * كالليث يحقره الذباب عن غابه

والسابق لهذا المعنى زهير فى قوله

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وفى قوله فتنزى فى بلادك ادقوما حتى يدعوا بلادهم ويهونوا

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلهف اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا أيادى سبا

يقال جاء (يجر عطفيه) اذا جاء من البال متبخترا اى لابسا طرفى ملحفته اذا كان معجبا بنفسه وثانيا عطفيه بمعنى متكبر والعطفان جنبا الثوب والعطاف الرداء والجمع عطف ويقال جاء يجر رجليه اذا جاء متثاقلا لا يقدر أن يحمل رجليه (يخطر بيديه) يحركهما عند المشى (متهافت) متساقط من الندم على دمته (أيادى سبا) يريد كل طريق وجهة وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة بسد مأرب اليمن فقوله ا كل ممزق وهى سبأ لانه أول من سبى السبى وقيل سبأ اسم حيهم وكان اسم بلدهم وكانت مأرب من احسن بلاد الله تعالى وأخصبها أكثرها شجرا وماء وقد ذكر الله تعالى أنهم كانت بين جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر فى شهر للمجد الراكب يسير فى جنان من أولها الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك الا قصموه وكانت فى بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم فى دفع السيل فاجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه الى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف الماء واتخذ سدا فى موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجارى للماء فى استدارة الذراع يخترقون منها مقدارا معلوما من الماء وشربا مقسوما للارض فاذا جاء السيل تصرف فى المجارى الى جنانهم ومزدرعاتهم بتدبيرهم تصرف وقيل صنعه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وذكر الاعشى فى شعره ان حميرا بنته فقال

رخام بنته لهم حمير * اذا جاء ماؤهم لم يرم

وأروى الزروع وأعنابهم * على سعة ماؤهم قد قسم

فعاشوا بذلك فى غبطة * فجاف بهم جارف منهدم

فلما كفروا بأنعم الله ورأوا أن ملكهم لا يفنى وعبدوا الشمس بعث الله على سدهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل وأباد الله خضراءهم ولما انتهى الملك فى ولد سبا الى عمرو بن عامر مزيقياء وسمى بذلك لانه كان يمزق فى كل ليلة حلة كراهية أن تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمى بذلك لانه مزق الازد فى البلاد وكان أخوه عمران كاهنا وكانت له كاهنة تدعى ظريفة فاخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل واسرته فقال لها وما آية ذلك فقالت اذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم انه قد اقترب الامر فقال وما الامر فقالت وعد من الله نزل فليعبرك

ياعمرو فلتكثر الشكر فرأى عمرو يوما فى السد جرذا يقلب صخرة مايقلبها خمسون رجلا فرجع وهو يقول

أبصرت أمرا هاج لى برح السقم * من جرذ كفحل خنزير أجم
* له مخاليب وأنياب قضم *

أى معوجة فأجمع على الخروج منها واعمل الحيلة فى بيع ماله وأن لا ينكر الناس عليه فقال لابنه انى صانع طعاما وداع اليه أهل مأرب فاردد على ما أقول لك من الحديث ففعل ابنه ذلك ورد عليه بأقبح رد فصاح عمرو واذلاه يجبهنى صبى فحلف أن لا يتيم ببلد ضيم فيه فجعل يبيع أمواله وبعضهم يقول لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى فلما اجتمعت له أمواله أخبرهم بشأن السيل فاجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه انى أصف لكم بلدانا فاختاروا أيتها شئتم فمن كان منكم ذاهم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الاوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهى من أرض الشأم فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والاوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الازد وتخلف مالك ابن اليمان فى قومه حتى أخرجهم السيل فنزلوا نجران وانتسبوا الى مذحج ودخلت جماعة منهم الى معد فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال السراة على تخوم الشأم فلما تفرقت فى البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ أى متفرقين فى كل ناحية وقيل فيهم انهم كانوا مجتمعين يدا واحدة فلما مزقهم الله وفرقهم صارت يدهم أيادى متفرقة وأخذ كل طائفة منهم طريقا على حدة أو يريد به النعمة فالمعنى تفرقنا كما تفرقت نعم أهل سبأ الزجاج سبأ مدينة تعرف بمأرب على ثلاث ليال من صنعاء * الجوهرى سبأ اسم رجل سميت به البلدة وذكر فى الدرة ان لفظة التفرق تستعمل فى الاشخاص والاجسام نحو تفرق القوم وان الافتراق يقال فى الاهواء والآراء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم تفترق أمتى على كذا وكذا فرقة فاذا قيل ان لزيد ثلاثة اخوة متفرقين فالمعنى ان كل واحد منهم ببقعة وان قيل مفترقين فالمعنى ان أحدهم لابيه وأمه والآخر لابيه والثالث لامه وكذلك يقال فرق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقوله فرق بين الحق والباطل والحالى والعاطل

(المقامة الثامنة عشرة السنجارية)

(حكى الحرث بن همام) قال قفلت ذات مرة من الشام

(شرح المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجاريه)

(قفلت) رجعت من السفر الى (الشأم) ويقال له شأم وشام ويذكر ويؤنث وينسب اليه شامى وشآم على فعال ويحكى عن سيبويه شآمى واثبات الالف فى النسب يدل على اثباتها فى أصل البناء وقيل ألف يمان وشآم عوض من ياء النسب قال طرفة شآمية تزوى الوجوه بليل * وقال فى الدرة المنسوب اليه على ثلاثة أوجه شامى وهو القياس وشآم بياء مخففة كالمنقوص

وشآمى

وشآمي وهو شاذ لانه يصير بمنزلة المنسوب الى المنسوب وكذلك جوزت الثلاثة فى المنسوب الى اليمن وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبي ربيعة * اذ أتيحت لى يمانية * احدى بنى الحرث من مذحج ولم يجز الحريري تأنيث الشام وقال لفظه مذكر وقال ابن الانبارى وذكر الشام والحجاز وغيرهما نحن أنث من ذلك شيأ فانما يذهب به الى معنى المدينة وقالوا الشأم صفوة بلاد الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومعاذ عليكم بالشأم فان الله قد تكفل بالشام وأهله وسميت شاما لانها عن شامة الكعبة * ابن الانبارى يجوز أن يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى وقال قوم أصله فى الكعبة لان بابها يستقبل المطلع فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينه فى شق الجنوب والشأم عن يده الشومى فى شق الشمال * أبو القاسم الزجاجى قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال شام جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض شبهت بالشامات وقال الشرفى سميت بسام بن نوح لانه أول من ناها فغير اللفظ العجمى بجعل السين شينا وقسمت الشأم خمسة أقسام الشام الاولى وأول حدها من طريق مصر أمج ثم غزة ثم الرملة ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان وفلسطين هى الشأم الاولى وبها بيت المقدس الشأم الثانية الاردن ومدينته العظمى طبرية وهى بشاطئ البحيرة والبرموك بين فلسطين والاردن والشأم الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس الشام الرابعة أرض حمص الشأم الخامسة قنسرين ومدينته العظمى حلب وهى من قنسرين على أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والانهار (قوله أنحو) أى اقصد (الركب) اسم لمن يركب الابل كذا قال الخليل وقال يعقوب الركب جمع راكب وهم أصحاب الابل خاصة ولا يكون الركب الا أصحاب الابل وراكب الفرس فارس وراكب البغل بغال وراكب الحمار حمار وراكب الفيل فيال والجمع خيالة وبغالة وحمارة وفيالة وتبعه ابن قتيبة فى هذا وخطأهما جميعا ابن السيد وغيره واحتجوا بقول امرئ القيس

اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

فقوله ركبوا الخيل يدل على أنه يقال لمن ركب الفرس راكب وما ذكره يعقوب هو الصحيح لان العرب اذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع فى كلامها الا على أصحاب الابل مطلقا فاذا أرادت ان توقعه على أصحاب الخيل قيدته بذكر الخيل فقالوا ركبت الفرس وراكب الفرس فيذكرون الفرس وعلى هذا أتى * اذا ركبوا الخيل واستلأموا * فخفيت هذه التفرقة على ابن السيد على حفظه الوافر من اللغة وقال الحريرى فى الدرة الراكب هو راكب البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والاركوب فقد جوز الخليل ان يطلق اسمهما على راكبى كل دابة الا أن الاركوب أكثر من الركب عدة وأكثر جماعة و (بنو نمير) قبيلة من بنى صعصعة احدى جمرات العرب وأشرف بيوت قيس عيلان وجمرات العرب ثلاثة وانما سموا بذلك لانهم متوافرون فى أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم والتجمير فى كلامهم التجميع وهم بنو نمير وبنو الحرث بن كعب وبنو ضبة ابن أد فطفئت جمرتان وهم بنو ضبة لمحالفتها الرباب وبنو الحرث لمحالفتها مذحج وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها قال شاعرهم

نمير جمرة العرب التى لم * تزل فى الحرب تلتهب التهابا

أنحو مدينة السلام فى ركب من بنى نمير

وكان الرجل منهم اذا قيل له ممن أنت قال نميري كما ترى ادلالا بنسبته وافتخارا بجمعه حتى قال جرير في الراعي

فغض الطرف انك من نمير ❊ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار اذا قيل له ممن أنت قال عامري وسرت امرأتهم فأحدّوا النظر اليها فقال أحدهم والله انها الرسحاء فقالت يا بني نمير والله ما امتثلتم في واحد من اثنين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير

فغض الطرف انك من نمير ❊ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قوله أولي خير) أي ذوي غنى (مير) صلة وصدقة (عقلة العجلان) حابس المستعجل (سلوة الثكلان) مذهب حزن الحزين يقول اذا رآه من هو في شغل معجل حبسه أو حزين أزال حزنه (البنان) الاصابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله (سنجار) بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخا وقرقيسيا على الفرات وهي كورة من كورديار ربيعة وفي سنجار فوهة نهر الخابور فيمر حتى يصب في الفرات وهي على أميال من نصيبين وعن يمين طريق الموصل (قوله أولم) أي صنع وليمة والوليمة طعام العرس و (المأدبة) طعام يدعى اليه الناس و (ابتلى) الناس أجمع و (الحضارة) ضد البداوة ويفتح أولها او يكسر (الملا) القفر وأراد دعا اهل الحاضرة والبادية (سرت) وصلت (القافلة) الرفقة الراجعة من سفرها قال الازهري سميت قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأت وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة الا منصرفة الى وطنها وهذا غلط وما زالت العرب تسمى الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بان ييسر الله لها القفول وهو شائع عند فصحائهم الى اليوم وأراد (بالفريضة) أعيان التجار الذين حضورهم كالفرض و (بالنافلة) المكارين والاتباع أو يريد بالفريضة من لابد له ان يدعوه للحضور مثل القرابة والوجوه والاصحاب والنافلة لفيف الناس وأراد أنه جمل لعرسه من يجب ومن لا يجب والهاء من فيها ضمير الدعوة ويروى فيهما بالميم وأما ذكر الحاضرة والبادية فقد أتى في ذلك بفصل ادبي مستحسن ولسنا نحتاج الى اقامة دليل من شاهد على فضل الحاضرة لانها محل الجمعات والجماعات واليها تجلب الخيرات وبها تستمد البركات ومنهم العلماء والنظراء والملوك الى ما يطول تعداده ومن أراد الله به خيرا نقله من البادية الى الحاضرة وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام في قوله وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا فيه فضل للحاضرة لا يدفع اذ قرن الخروج من السجن بالمجيء من البدو وعده من احسان الله سبحانه وتعالى ووقف اعرابي على دعبل وهو ينشد

اذا القوس أوترها أيد ❊ رمى فأصاب الكلا والذرى

وسأله ما عنيت فقال دعبل القوس قوس قزح أمطرت الارض بها فأعشبت فرعاها المال فسمنت فذوا فجمه فقال الاعرابي لله دركم يا حاضرة انكم تسيرون ضمنا فتساورن ولتسكبرن عما تقفون ترون وفي مد هذا المعنى قال شبيب بن شبة كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة فبعثني المنصور أقوم في المناهل وأتكلم بذم البادية وأوبخهم بما يردعهم فلم أر دماء الا تكلمت عليه

ورفقة أولي خير ومير
وعنا أبو زيد السروجي
عقلة العجلان وسلوة
الثكلان وأعجوبة الزمان
والمشار اليه بالبنان في
البيان فصادف نزولنا
سنجار أن أولم بها احد
التجار فدعا الى أدبته
الجفلى من اهل الحضارة
والملا حتى سرت دعوته
الى القافلة وجمع فيها بين
الفريضة والنافلة

بما يحضرني فلا أجد من ينطق حتى قت على ما لبني يم فلما انقضى كلامي قام رجل منهم فقال الحمد لله أفضل ما حمده به حمده الحامدون قبلك أو بعدك وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأنهاها وأخصها وأعمها ثم انى قد سمعت ما ملت به من مدح الحاضرة وأهلها وذم البادية وأهلها ومهما كان فينا أهل البادية من وفاء فينا نصب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا بنات الذكور قال فأخجلني والله حتى تمنيت أني لم أحرك لذلك الوجه وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا

قال ابن رشيق ومن أملح ما سمعه الناس في تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى وقرب مأخذ قول أبي الطيب

من الجآذر في زى الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(ثم قال) ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب

ولا برزن من الحمام مائلة أوراكهن صقيلات العراقيب

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب

فلولم تفضل البادية الا بهذا الكلام فيه مقنع (قوله ناديه) أي مجلسه (وطعام اليد) الثريد ونحوه و(طعام اليدين) الدجاج والشواء ونحو ذلك ركب ولحق الانصار فحضرها حسان بن ثابت وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فلما وضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بنى أطعام يد أم طعام يدين قال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال له مثل ذلك فقال بل طعام يدين فأمسك (حلا) طاب (حلى) حسن وحلا في الفم من الحلاوة وحلى في العين من الحلى المتزين به وفي الدرة العرب تقول حلا في فمى وحلى في عينى وليس الثانى من نوع الاول وهو من الحلى الملبوس فكان المعنى حسن في عينى كحسن الحلى الملبوس وهو من ذوات الياء والاول من ذوات الواو الا أن المصدر فيهما جميعا الحلاوة واسم حلو لا حالى لان الحالى ضد العاطل وهو الذى عليه الحلى (والجام) اناء من زجاج (جمد) عقد وصنع جامدا و(الهباء) غبار الشمس وهو ما تراه يدخل لميلا مع الشمس من شق باب أو كوة حائط (صيغ) صنع (نور الفضاء) يعنى الشمس والفضاء الارض الواسعة وفي الفضاء ينسع ضوء الشمس فيبيض نوره (أودع) ضمن وجعل فيه (لطائف النعيم) ما لطف من الحلاوى وطوى بعضه على بعض النخب هى لطائف النعيم اللوزينج والقطائف (ضمخ) لطخ (العميم) الكثير (شرب) ماء (وتسنيم) أرفع شرابات أهل الجنة (ستر) كشف (مرأى وسيم) منظر حسن (أرج نسيم) طيب الرائحة والنسيم الريح اللينة الهبوب ويريد لما أحضر الجام ساترا ما فيه عذب العسل البدنم كشف لهم عن الجام فرأوا منظرا من حلواء ملونة ورائحة عطرة من لونه وقال في ذلك عبد السلام بن الحسين المأمون

خبيصة في الجام تدنو من مدفونة في اللوز والسكر

يأكل من يأكله خمسة بكفه فيها ولم يشعر

(قوله اضطرمت) أي اشتعلت (قرمت) أي اشتهت (اللهوات) جمع لهاة وهي أقصى الفم

فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر من الدرة البيضاء وقد اودع لطائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه شرب من تسنيم وستر عن مرأى وسيم وارج نسيم فلما اضطرمت بمحضره الشهوات وقرمت الى مخبره اللهوات

(شارف) قارب وأشرف عليه (تشن) تفرق (سربه) جماعته ويريد به ما فيه من الحلواء والسرب بالكسر جماعة النساء وبالفتح الابل فى المرعى (الغارات) يريد الايدى التى تغير على الطعام (نهبه) انتهابه بالايدى وأكل ما فيه (باللثارات) كلمة ينادى بها العرب اذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم والثار الطلب بالدم وثأر بالقتيل قتل قاتله وقال حسان بن ثابت

لتسمعن وشيكا فى دياركم * الله أكبر يا ثارات عثمانا

فالثارات هنا جمع ثار وهو المطلوب بالدم قال

وكيف تجلد الاقوام عنه * ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على الثار المقتول سمى بالمصدر كرجل عدل ولذلك جمع بالتاء وتفسير أبى على عكس ما تقدم واذا كان منقولا من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول وثارات عثمان محتملة للتفسيرين فتقديره على قول أبى على يا مطلوبات عثمان وعلى القول الآخر يا طالبات عثمان هذا أوانكم بالجد وتفسير يا لثارات فى المقامة يستقيم على المعنيين فعلى الاول معناه يا مطلوبات الجياع قد تمكنا منك وعلى الثانى معناه يا طالبين الاكل قد تمكنتم من المأكول وقوله (نشز) أى وثب * وتقدم فى الضب انه لا يرد الماء وان مسكنه الصحراء (والنون) الحوت وهو لا يفارق الماء وهما لا يجتمعان وقد تقدم للصابى * الضب والنون لا يرجى التقاؤهما *

وقال آخر فلو أنهم جاؤا بشئ مقارب * لقلت هو الشكل الموافق للشكل

ولكنهم جاؤا بحيتان لجة * تقامص والمدعو فيها أبو الحسل

فضرب بتباعدهما المثل (راودناه) أردناه على الفعل تقول راودته على كذا اذا أردته على فعله (يعود) يرجع (ثمود) أمة صالح عليه الصلاة والسلام و(قدار) هو عاقر الناقة يضرب به المثل فى الشؤم فيقال أشأم من قدار ومن أحيمر عاد وتقريب قصته أن ثمود كانت تبنى فى طول اعمارها فاتخذوا من الجبال بيوتا فرهين وبيوتهم الى وقتنا هذا باقية منحوتة فى الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم ورممهم وآثارهم فيها بادية فلما بعث فيهم صالح قال له زعيمهم ان كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف فأتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها فآمن كثير منهم وكان شربها يوما وشربهم يوما فاذا كان يوم شربها حلبوها فملؤا من لبنها كل اناء ووعاء فلما امتنعت بلهم من الماء يوم شربها استثقلوها وكان فيهم امرأتان عنيزة وصدقة فبذلتا أنفسهما لقدار على ان يعقر الناقة وهو قدار بن قديرة وهى أمه زنى بها سالف أبوه وكان قدار أزرق أشقر قصيرا وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج معاون له على ما كان به من الفساد فى الارض وكانا فى تسعة من أهل الفساد فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب مصدع العرقوب الآخر واستهموا لحمها فخرجت ثمود تعتذر الى صالح وتزعم أنها لا ذنب لها فقال انظروا هل تدركون فصيلها فعسى ان يرفع عنكم العذاب فالتمسوه فصعد الى جبل يقال له القارة وطال الجبل به فى السماء حتى ما تناله الطير وبكى ثم استقبلهم ورغا ثلاثا فقال صالح دعوة اجلها يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية ذلك أن تصبح وجوهكم فى الاول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة فلما رأوا صدقه أول يوم أرادوا قتله فمنع منهم فلما رأوا صدقه فى اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا وبكوا وضجوا وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم

وشارف ان تشن على سربه الغارات وينادى على نهبه يا لثارات نشز ابو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود وان لا يكون كقدار فى ثمود فقال والذى

(ذكر هلاك ثمود)

العذاب فصبحتهم فى اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فعقروها يوم الاربعاء وأصيبوا يوم الاحد وانما أصيبوا والمذنب بعضهم لانهم رضوا فعله والنية أبلغ من العمل وبلادهم بين الشأم والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ومر النبى صلى الله عليه وسلم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها وأراهم مرتقى الفصيل ولما رأى صالح انها دار سخط ارتحل بمن معه الى مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم فى غربى البيت بين دار الندوة والحجر وقال حباب بن عمرو

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة * ما ان يضام لهم فى الناس من جار
فأهلكوا ناقة كانت لربهم * قد أنذروها فكانوا غير أبرار

(قوله ينشر) اى يحيى ويقيمهم فينشرون فى الارض و(الرجام) القبور واحدها رجم (تألفه) تضمه وترك خلافه (ابرار حلفه) مراعاة قسمه (أشلناه) رفعناه (شائلة) مرتفعة (فاء) رجع (مجثمه) موضعه وأصله للطائر (الصرى) العزيمة ويقال أصررت على الشئ عزمت عليه وهو منى صرى وصرى وأصرى اى عزيمة وجد * وصلت ناقة ابى السمال فقال والله لئن لم يردها الله على لا أصلى أبدا فذهب فى ابتغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة فقال علم الله أنها كانت منى صرى فردها على وقال حبيب

لما رآهم حائلا دون المنى * هجر الغواية بعد طول وصال
تخذ الفرار أخا وأيقن انه * صرى عزم من أبى السمال

يقول لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه فهجر الضلالة وانهزم اذ أيقن ان طالبه مصر على طلبه (الحرى) الوكدة الشديدة والكبد الحرى اليابسة العاطشة وناظر الحريرى بهذه المقامة مقامة المضيرة فى البديعية ومن هنا الى أولها مبنى على تلك قال البديع حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بالبصرة ومعى أبو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدم مضيرة تثنى على الحضارة وترجرج فى الغضارة وتؤذن بالسلامة وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة فى قصعة يزل عنها الطرف ويمرح فيها الظرف فلما أخذت من الخوان مكانها ومن القلوب أوطانها قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ويثلبها وطابخها ظنناه يمزح فاذا الامر بالضد واذا المزاح عين الجد وتنحى عن الخوان وترك مساعدة الاخوان فرفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت معها العيون وتحلبت لها الافواه وانتادت لها الاكباد لكنا سألناه عن أمرها وساعدناه على هجرها ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها كما يذكر الآن السروجى ومقامة المضيرة طويلة مضحكة (قوله جار لسانه يتقرب) معناه يتودد اليه بلسانه ويكتم العداوة فى قلبه وهذا معنى ما يذكر بعد * أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة سوء الجوار تعوذوا بالله من ثلاث هن العواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن امرأة السوء التى ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها السنتك قال بعض الفضلاء الجار السوء يفشى السر ويهتك الستر وقيل لاهل البحرين ان كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال صدق

ينشر الاموات من الرجام لاعلت دون رفع الجام فلم نجد بدا من تألفه وابرار حلفه فأشلناه والعقول معه شائلة والدموع عليه سائلة فلما فاء الى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام ولاى معنى استرفع الجام فقال ان الزجاج نمام وانى آليت مذ أعوام ان لا يضمنى وغموما مقام فقلنا له وما سبب عينك الصرى والبتك الحرى فقال انه كان لى جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب

الحديث وأداء الامانة وحسن الجوار فان أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد من الصفاة (قوله ينقع) أى يروى العطش و (منقع) أى أديم حبسه وأنقع سم الحية ثبت ودام (خبؤه) باطنه وما خبأه من الشر (محاوره) مجادلته (بمكاشرته) مضاحكته (معاشرته) مصاحبته (استهوتنى) ذهبت بى (خضرة دمنته) حسن ظاهره وتقدمت خضراء الدمن (أغرتنى) حرضتنى وألصقتنى به (سمته) علامته (مناسمته) مصاحبته وقرب نسمتى من نسمته اى شخصى من شخصه (مازجته) خالطته (مكاسر) قريب الدار وكسر البيت جانبه (والعقاب الكاسر) التى تضم جناحيها وتهوى على فريستها فضم الجناح هو كسره (وآنسته) أبصرته (حب) حبيب وكان زيد بن حارثة يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حبيبه (وضح) تبين (حباب) حية (موالس) مخادع خائن فى صحبته (مالحته) واكلته أى أكلت معه الملح وأصل الممالحة الرضاع كانه حين نادمه راضعه الكأس وملحت المرأة الصبى أرضعته (نقدته) جربته (عاقدته) عاهدته وعقدت يدى على يده (فره) اخباره وكشف سره يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته ويسر عداوته وقال الشاعر وهو المغيرة بن شعبة

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده * ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا * وان غبت عنه لسعتك عقاربه

(وقال أنشد آخر)

على لاخوانى رقيب من الصفا * تبيد الليالى وهو ليس يبيد
وانى لاستحيى أخى أن أرى له * قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

(وقال ابن المعتز)

لم يبق مما فات أكسبه * الافتى يسلم لى قلبه
أى فلا يدعه نأيه * عنى ولا يفسده قربه
يكون حسبى من جميع الورى * فى كل حال وأنا حسبه

(وقال بشار وزاد معنى)

تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
وليس اخى من ودنى رأى عينه * ولكن اخى من ودنى وهو غائب

(قوله مجاريه) مباريه معارضة وفلان يبارى الريح جودا كأنه يعارضها بفعله فاذا هبت فى زمن الشتاء والجهد فضرت المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته فاصلحها (سفرت) كشفت وجهها (خجل) استحيا (النيران) الشمس والقمر (صليت) احرقت يقول اذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها واحترقت القلوب بنيران حبها * ونسوق هنا جملة من الشعر المستحسن فى أوصاف النسوان قال الشاعر

لما تبدت من الاستار قلت لها * سبحان سبحان ربى خالق الصور
ما كنت أحسب شمسا غير واحدة * حتى رأيت لها اختا من البشر
كأنها هى الا ان يفضلها * حسن الدلال وطرف فاتر النظر

(وقال اعرابى)

ولفظه شهد ينقع وخبؤه سم منقع فلت لمجاورته الى محاورته واغتررت بمكاشرته فى معاشرته واستهوتنى خضرة دمنته لمجادلته واغرتنى حدعة سمته بمناسمته فمازجته وعندى انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته على انه حب مؤانس فوضح انه حباب موالس ومالحته ولا اعلم انه عند نقده ممن يفرح بنقده وعاقدته ولم ادر انه بعد فره ممن يطرب لفره وكانت عندى جارية لا يوجد لها فى الجمال مجارية ان سفرت خجل النيران وصليت القلوب بالنيران

(فصل فيه ذكر أوصاف النسوان)

اذا احتجبت لم يكفك البدر فقدها * وتكفيك فقد البدران فقد البدر
وحسبك من خمر تفوتك ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر
وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولو ان جلد الدر لامس جلدها * لكان للمس الدر فى جلدها اثر
(وقال العباس بن الاحنف)
تاهت علينا بأن تمت محاسنها * خود تكمل فى اعطافها الفتن
همت باتيانها حتى اذا نظرت * الى المراة نهاها وجهها الحسن
ما كان هذا جزائى من محاسنها * اغرت بى الشوق حتى شفنى الشجن
(وقال بشار)
درة حيثما اديرت اضاءت * ومشم من حيثما شم فاحا
وجنات قال الاله لها كو * نى فكانت روحا وروحا وراحا
(وله ايضا)
كأنها يوم راحت فى محاسنها * فارتج أسفلها واهتز أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس مقبلة * فالشمس طلعتها والمسك رياها
راحت ولم تعطه برأ لعلته * منها ولو سألته النفس أعطاها
من اللواتى اكتسب بردا فشق لها * من حسنها الناس سربالا فرداها
(وقال السلامى)
وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا * فعاتب حلو اللفظ حلو الشمايل
أدارت علينا من سلاف خدودها * كؤسا وغنتنا بصوت الخلاخل
(وقال أيضا)
لبيك لبيك داعى اللهو من كثب * الى معاطف كالاغصان من كثب
ان السوالف كالسوسان فى صعد * ان العذائر كالخلخال فى صبب
الى خدود بنات الروم قد برزت * من حجبها وأدارت أعين العرب
من كل سافرة عن مشرق خجلا * فيه طرازان من ماء ومن لهب
واستضحكت عن لآل أو حصى برد * يكاد يقطر من مائية الشنب
تحدو بها فتية صيغت وجوههم * من الرضا وعواليهم من الغضب
(وللامير غيم بن المعز)
ناولتها شبه خديها معتقة * صرفا كان سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة * فكيف تهدى خدود الناس للناس
قلت اشربى فهى من دمعى وجرتها * دمى وطابخها فى الكاس أنفاسى
قالت فان كنت من حبى بكيت دما * فأسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقى * وباتت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح * وبالخدود عن التفاح والآس

وان يسمت أزرت بالجمان
ويبع المرجان بالمجان وان
رنت هيجت البلابل

(وقال أيضا)

قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما تحويه أضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال التهامي)

أهدى لباطعها أبدا وساكنه * حتى اقتنصنا ظباء البدو في الحضر
فبات يجلو لنا من وجهها قمرا * من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حر أنفاسي فقلت لها * هواء نار وأنفاسي من الشرر
وزاد در الثنايا در أدمعها * فالتف منتظم منه بمنتثر
ولو قدرت وثوب الليل منخرق * بالصبح رقعته منهن بالشعر
بيضاء تسحب ليلا حسنه أبدا * في الطول منه وحسن الليل في القصر
لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

(ولبعض أصحابنا)

شدهت فلا أدرى بأي صفاتها * تقيد ألباب الورى وتقودها
وأي لآليها أشد نفاسة * أمنطقها أم ثغرها أم عقودها
فللشمس مرآها وللغصن قدها * وللمسك رياها وللريم جيدها

(وقال الحسن)

وذات خد مورد * ورهيبة المتجرد
تأمل العين منها * محاسنا ليس تنفد
فبعضها في انتهاء * وبعضها يتولد
فالحسن في كل جزء * منها معاد مردد
وكلما عدت فيها * تكون في العود أحمد

(قوله أزرت بالجمان) أي قصرت بحب الفضة (المرجان) اللؤلؤ الصغار و(المجان) شيء لا ثمن له وخذ هذا مجانا أي باطلا أراد أنها اذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف وأخذه من قول أبي تمام

وقهوة كوكبها يزهر * يسطع منها المسك والعنبر
وردية يحتثها شادن * كأنها من خده تعصر
مهفهف لم يبتسم ضاحكا * مذ كان الا كسر الجوهر

(وقال آخر وذكر المجان)

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن * لكنه يشتهي مدحا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(رنت) تطرت (البلابل) وساوس الهموم والسحر ينسب الى بابل وقال السلامي في هذا المعنى

أكحيلة الاجفان بالسحر الذى * لولاه مادرت البلابل بابل
قدكان قلبي غافلا عما به * أودى وقلب أخي السلامة غافل
حتى دهاني منك صدر رامح * ذرب سنانا وطرف قاتل
ماعقدك المهنا بجيدك درة * لكن فرند في حسام جائل

(وللامير تميم بن المعتز)

وليلة بتها على طرب * آخرها مشبه لاولاها
أقبل البرق من ثنيتها * وألثم الشمس من محياها
سقتني الراح وهي خداها * بأكؤس السحر وهي عيناها
اذا أرادت مزاجها جعلت * بآخر اللفظ من في فاها
فيالها قهوة معتقة * وليس الا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين تزج لى * ونقلها اللثم حين أسقاها

وحققت سحر بابل

(ذكر بابل)

و(بابل) مدينة كان ينزلها ملوك العجم وهي دار نمرود بن كنعان وكانت بابل من استعظامها واستبشاع أمرها لا تكاد تحمل وأسسها نمرود وكانت مدينة ضاحكة المنظر زاهية البناء واسعة الفناء جمعت الى حسن المنظر رصافة البنيان وبهاء المنصب فكانت سهلة بطحاء مربعة في كل تربيع حصنان عظيمان وسورها لا يكاد سامع خبره يصدقه كان عرضه خمسين ذراعا في ارتفاع مائتي ذراع في دور أربعة وستين ميلا وحوله خندق يجرى فيه الفرات وفيها مائة باب نحاس وهي أقدم بناء بني بعد الطوفان ونسب السحر لها لان بها هاروت وماروت معلمى السحر فكانا يتعجبان من بني آدم حيث يعصون الله تعالى على انعامه عليهم فابتلاهما الله تعالى فسلط عليهما الشهوة الآدمية وحرم عليهما القتل والزنا والخمر وانزلهما الى الارض للحكم بين أهلها فأتتهما الزهرة في خصام فوقعت في قلوبهما فشكا كل واحد منهما لصاحبه ما يجده من حبها فأرسلا اليها فراوداها فأبت حتى يعلماها الاسم الذي يرجعان به الى السماء فأبيا عليها قالت لهما فاشربا الخمر فشرباها فسكرا وعلماها الاسم وواقعاها ثم خرجا فوجدا رجلا فظننا انه ظهر على أمرهما فقتلاه وتكلمت الزهرة بالاسم الذي يرجعان به الى السماء فرفعت ومسخت دريا وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل ويعلمان السحر وجاءت امرأة الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت يا أم المؤمنين قالت لى امرأة هل لك أن أعلمك شيأ يصرف وجه زوجك اليك فأتت بتيسين فركبت واحدا وركبت الآخر وسرنا ماشاء الله فقالت أتدرين انك ببابل ودخلت على رجلين فقالا لى بولى على ذلك الرماد فذهبت ولم أبل ورجعت فقالا لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ قالا أنت على رأس أمرك فرجعت فتشددت وبلت فخرج مثل الفارس المقنع فصعد في السماء فقالا لى ما رأيت فأخبرتهما فقالا لى ذلك ايمانك فارقك فخرجت الى المرأة فقلت لها والله ما علماني شيأ ولا قالا لى كيف أصنع فقالت فما رأيت قلت كذا وكذا فقالت أنت أسحر العرب اعمليه فقطعت جدا ولى فاذا زرع يهتز فقلت أفرك فاذا هو قد يبس فأخذته وفركته وقالت خذيه واجعليه سويقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيأ من ذلك وانتهى الامر الى هذا فهل لى من توبة ورأت رجلا من خزاعة فقالت يا أم المؤمنين

وان نطقت عقلت لب العاقل
واستنزلت العصم من المعاقل
وان قرأت شفت المفؤد
وأحيت الموءد وخلتها
أوتيت من مزامير آل داود
وان غنت طل معبد لها
عبدا

هذا أشبه الناس بهاروت وماروت روى هذا الحديث باسناد له ابن قتيبة (قوله عقلت لب العاقل) اللب العقل وعقلته شددته بعقال وهو قيد البعير و(العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلى الذى فى يديه بياض والمعصم موضع الخلخال * الخليل الاعصم الوعل وعصمته بياض فى رجليه و(المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامها العذوبته يغلب أهل العقول حتى تعداهم الى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمة وهمه من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبى بكر بن دريد

لو ناجت الاعصم لانحط لها * طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت فى مخلولق * مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهاه عن تسبيحه ودينه * تأنيثها حتى تراه مدصبا

والسابق الى هذا المعنى النابغة بقوله

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

و(المفؤد) الذى يشتكى فؤاده و(الموءد) المدفون حيا وانظره فى الخامسة والثلاثين وأراد أن حسن صوتها بالقرآن يشفى من مرض الفؤاد ويحيى الموتى والعرب تزعم فى شعرها ان افراط الحسن يحيى الموتى قال الاعشى

لو أسندت ميتا الى نحرها * قام ولم يحمل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا * ياعجبا للميت الناشر

(وقال توبة بن الحمير)

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على وفوقى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

(قوله مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع مزامير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر ويقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التى يزمر بها الزمارة * وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا واذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحنت حتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط الا على صوته و(معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلى أطبع المتأخرين وفى معبد يقول حبيب

(أخبار معبد)

محاسن أوصاف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى فى أول الدولة الاموية وتوفى أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اصبهانية فاشتراها رجل من الاهواز وذهبت به الى كل مذهب فماتت وأخذت جواريه أكثر غنائها فكان من أجلها يفضل معبدا على نظرائه ويظهر التعصب له فسمع به معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا الى الاهواز فى سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه فى مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ الى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت احداهن للنابغة

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * ومعبد ساكت فى ثياب السفر حتى سكتت فصاح ياجارية

غنائك

غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبي بكر

يابنة الازدى قلبى كئيب * مستهام عندها ما ينيب
ولقد قالوا فقلت دعونى * ان من تهوين عنه حبيب
انما أفنى عظامى وجسمى * حبها والحب شئ عجيب

فصاح معبد يا جارية قد أخللت بهذا الصوت اخلالا شديدا فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت

خليلىّ عوجا سلما ساعة معى * على الربع نقضى حاجة ونودع
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى * وللعين أذرى من دموعك أودعى
فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا * مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ما قومت صوتا واحدا فقال له الرجل والله ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لاخرجنك من السفينة فاندفع معبد يغنى الصوت الاول فصاح الجوارى أحسنت والله يا رجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثانى فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله ان يعيده لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فأسألك أن تنزل الىّ فأبى فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبى عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت منى محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وانك لانت هو أفتعرفنى قال لا فصك معبد بيده صلعته وقال فأنا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ولقصدك بالاهواز دخلت السفينة والله لا قصرت فى جواريك حتى أجعلهن خلفاء من الماضية وأكب الرجل والجوارى على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسأنا عشرتك وأنت ممن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فأقام عنده سنة حتى أخذ عنه جواريه ثم انصرف الى الحجاز قال ابن الكلبى قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا فى صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شارفاها تقدما ثقلهما ليرتادا منزلا حتى اذا هما بمغسلة تغسل فيها الثياب قرب المدينة اذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى

القصر فالنخل والابواب بينهما * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه مالا اليه واستعاداه فأعاد الصوت فسمعا شيأ لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن فى المدينة اما أنا فثكلت والدى ان لم أرجع فرجع ولم يدخلها وروى اسحق أن معبدا سافر الى مكة فسمع ببطن مر غناء فقصد الموضع واذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه دراعة مصبوغة بزعفران وهو يغنى شعره

حنّ قلبى من بعد ما قد أنابا * ودعا الهم شجوه فأجابا
ذاك من منزل لسلمى خلاء * لابس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا * طمعا أن يرد ربع جوابا

قوله القصر الخ هكذا فى الاصل الطبع الذى بايدينا وفى نسخة خط القصر فالنخل فالجماء بينهما الخ فلعلهما روايتان اه مصححه

فاستثار المغشي من لوعة الحب وأبدى الهموم والاوصابا

(فقرع معبد بعصاه وغنى)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق يقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها اغراض

فقال الرجل له أنت معبد قال نعم وقال له معبد بالله أنت ابن سريج قال نعم والله لو عرفتك ماغنيت بين يديك قال معبد فلما قدمت مكة قيل لى ان ابن صفوان قد جعل بين المغنين جائزة فأتيت بابه فطلبت الدخول فقال لى آذنه قد أمرني أن لا آذن لاحد عليه قلت فدعني أدنو من الباب فاغني صوتا فقال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت فقالوا معبد ففتحوا لى وأخذت الجائزة * وأما اسحق فذكره صاحب الاغاني وقال كان محل اسحق من العلم والادب والرواية وتقدمه في الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ماوسم به وان كان الغالب عليه وهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقها وميزها تمييزا لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده من تدقيق المجارى وتمييز الاصناف التى جعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متسقط مثله وأين مثله وروى عنه أنه قال بقيت دهرا أغلس الى هشام أسمع الحديث والى الكسائى أقرأ عليه جزأ من القرآن والى الفراء وابن غزالة أسمع اللغة ثم آتى منصور زلزل فيطارحنى طريقين أو ثلاثا ثم آتى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتا أو صوتين ثم آتى الاصمعى وأبا عبيدة فاستفيد منهما وأناشدهما ثم أصير الى أبى فأعلمه بما صنعت وأتغدى معه فاذا كان العشى رحت الى الرشيد وروى الحديث ولقى أهله مثل مالك ابن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لامع المغنين فاذا أراده للغناء غناه فأجابه الى ذلك وقال المأمون لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء لوليته القضاء بحضرتى فانه أولى به وأصدق وأعف وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وكان أجود الناس بالمال وأبخلهم بالغناء وأعطى لمنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم وأهدى له ابن الاعرابى نسخة من النوادر بخطه فمر يوما على المدائنى فقال الى أين يا أبا عبدالله قال أمر على رجل كما قال الشاعر

(ذكر اسحق الموصلى)

نحمل أشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال ومن هو قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم ومات وهو أشعر أهل زمانه وقال رأيت جريرا فى منامى ينشد شعرا فلما فرغ أخذ كبة شعر فألقاها فى فمى فابتلعتها فتأولت ذلك انه ورثنى الشعر ومر به شيخ وهو فى الحديث فقال لجلسائه هذا أشبه الناس بجرير الذى رأيت فسئل الشيخ فاذا هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومن شعره يفتخر

اذا كانت الاحرار أصلى ومنصبى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

وسمعهما الاصمعى فاستحسنهما وأعجب بهما وفضلهما ودخل على مروان بن أبى حفصة وهو يتحدث مع أبيه فانشده

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم

عطست بأنف البيت فجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه فقال مالك لاتجيبنى فقال انك ماتدرى ماأفرغ ابنك فى أذنى ووجه اليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب اليه

اشرب على الزعفران الرطب متكئا * وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة * كحرمة الود والارحام والادب

(فأجابه اسحق الموصلى)

اذكر أباجعفر حقاأمت به * انى واياك مشغوفان بالادب
وانناقد رضعنا الكأس درتها * والكأس حرمتها أولى من النسب

وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم لم لاتشرب فقال

أصبح بديك أقداحا تسلسلها * من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الوجه ريقته * بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لاأشرب الراح الامن يدى رشا * تقبيل راحته تغنى عن الراح

فدعا له بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل مامعها فى داره * ومن طرف اسحق ان كلثوما العتابى كان من العلم وغزارة الادب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على مالم يكن عليه أحد فحضر مجلس المأمون فوضع بين يديه ألف دينار وعزا اسحق بالعبث به فأقبل اسحق يعارضه فى كل باب ويزيد عليه وهو لايعرف اسحق فقال أيأذن أمير المؤمنين فى نسبة هذا الرجل والسؤال عن اسمه فقال افعل فقال له العتابى مااسمك ومن أنت فقال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى اما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكور فقال له اسحق ماأقل انصافك أوما كلثوم من الاسماء فالبصل أطيب من الثوم فقال له العتابى قاتلك الله ماأملحك مارأيت كالرجل حلاوة أيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفور عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق الى منزله ونادمه العتابى بقية يومه وكانت هشيمة الخمارة تجيد الشراب فلما ماتت قال يرثيها

أضحت هشيمة فى القبور مقيمة * وخلت منازلها من الفتيان
كانت اذاهجر الحبيب محبه * دبت له فى السر والاعلان
حتى يلين لما يريد قياده * ويصير سيئه الى الاحسان

وهو اسحق بن ابراهيم بن ماهان أصله فارسى وترك ماهان ابراهيم صغيرا فنشأ فى بنى تميم وهذا الذى ذكرنا نبذة من أدبه وأما محاسنه فى الغناء فلا يأتى عليها الحصر قال الواثق ماغنانى اسحق قط الاظننت أن قد زيد فى ملكى وان اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ أحد بمثلها ولو أن له العمر والنشاط مما يشترى لاشتريته بشطر ملكى * وحدث حماد ابنه قال حدثنى أبى قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة فركبت بكرة عازما أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى ان جاء رسول الخليفة فعرفوه أنى ركبت فى مهم ومضيت وطفت مابدالى وغدوت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى ظل جناح شارع لاستريح فلم ألبث اذ جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية تحتها منديل دبيقى وعليها من اللباس الفاخر مالاغاية وراءه فرأيت لها شمايل ظريفة

وطرفا فاترا فحدثت أنها مغنية قد خلت الدار التي كنت عليها واقفا فعلقها قلبي علوقا شديدا لم أستطع معه براحا وأقبل رجلان شابان لهما هيبة تدل على قدرهما وهما راكبان فأذن لهما فحملني حب الجارية وحسن حالهما ان توسلت بهما فدخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن هو أني معهما فجلسنا وأتى بالطعام فأكلنا وجيء بالشراب فخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيت جارية حسناء فغنت غناء صالحا فتمكن ما في قلبي منها وشربنا ثم قمت للبول فسألهما صاحب المنزل عني فأنكراني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته فجئت وجلست فغنت في لحن لي

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تستريح وتسنح
من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى في وجهها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي

الطلول الدوارس * فارقتها الاوانس
أوحشت بعد أنسها * فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الاول ثم غنت من صنعتي في شعري

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه فأقبل علي أحد الرجلين فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي وقد يقترح فلم أجبه وكفه صاحبه عني فلم يكف ثم قاموا للصلاة فأخذت عود الجارية وأصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت ثم عادوا فعاد ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت فأخذت الجارية عودها وجسته فقالت من جس عودي فقالوا ما جسه أحد فقالت والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته فقلت لها أنا أصلحته فقالت بالله عليك خذه واضرب به فأخذته منها وضربت مبدأ طريق عجيب صعب فيه نقرات محكمة فما بقي منهم أحد الا وثب وجلس بين يدي وقالوا بالله يا سيدي أتغني قلت نعم وأعرفكم بنفسي انا اسحق الموصلي و والله اني لاتيه على الخليفة وأنتم تشتموني منذ اليوم لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية و والله لانطقت بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعربد الغث ونهضت لاخرج فتعلقوا بي وتعلقت الجارية بي فقلت والله لا أجلس الا أن يخرج فقال له صاحبه من شبه هذا حذرت عليك فأخرجوه فغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لي هل لك في أمر أعرضه عليك فقلت ما هو فقال تقيم عندي شهرا والجارية مع ما عليها لك فقلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني فجئت بدلك منزلي بعد شهر وركبت الى المأمون فقال لي يا اسحق ويحك أين تكون فعرفته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فعرفتهم موضعه فأحضره وقال أنت رجل ذو مروأة وسبيلك ان تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم ونهاه أن لا يعاشر ذلك المعربد النذل وأمر لي بخمسين ألفا وقال أحضر لي الجارية فأحضرتها

ففتنته فقال قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثا تغنى مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله تلك الركبة وأربحت ٭ وتشبه هذه الحكاية حكاية ابراهيم بن المهدى اذ شفع للمأمون فى طفيلى قد قدم لذكره فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدثك حديثا عجيبا فى التطفيل عن نفسى قال قل فقلت خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد فشممت رائحة ابزار من جناح دار وقدور تدفاح قتارها فسألت خياطا عن رب الدار فقال رجل من التجار اسمه فلان فخرجت من شباك فى الجناح كف ومعصم ما رأيت مثلهما قط فذهب عقلى وبهت واذا رجلان نبيلان فقال الخياط هذان نديماه وهما فلان وفلان فحركت دابتى ودخلت بينهما رقلت قد استبطأ كما أبو فلان فأتينا الباب فدخلنا فلم يشك صاحب الدار أنى منهما فرحب بى وأجلسنى فى أجل موضع فأتينا بالالوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى أكلت الالوان بقى الكف ثم سرنا الى مجالس المنادمة فاذا أنبل مجلس وصاحب الدار مقبل باللطف والحديث على لماظنى أنى منهما فخرجت جارية تتثنى كأنها خوط بان فسلمت وجلست وأخذت بالعود وجسته فتبينت الحذق فى جسها وغنت هذا الصوت

توهمها طرفى فأصبح خدها ٭ وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها ٭ فمن لمس كفى فى أناملها عقر

ومر بفكرى خصها فجرحته ٭ ولم أرخصا قط تجرحه الفكر

فهيجت بلابلى وطربت ثم غنت

أشرت اليها هل علمت مودتى ٭ فردت بطرف العين انى على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها ٭ وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى ما لم أملك معه نفسى ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى ٭ واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكى الهوى بجفونها ٭ وترجيع أحشاء على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب ٭ وتكسير أجفان وقلب متيم

فحسدتها على حذقها فقلت يا جارية بقى عليك شئ فغضبت ورمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت ورأيت تغيرا القوم فدعوت بالعود وغنيت

ما للمنازل لا يجبن حزينا ٭ أصممن أم بعد المدى فبلينا

راحوا العشية روحة مذكورة ٭ ان متن متنا أو بقين بقينا

فأقبلت على رجلى تقبلهما وتقول المعذرة والله يا سيدى من تغيير مثلك وقام مولاها وصاحباه وصنعوا مثلها وشربوا بالطاسات طربا ثم غنيت

أبى الله هل أمسى ولا تذكرينى ٭ وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما

الى الله أشكو بخلها وسماحتى ٭ لها عسل منى وتبذل علقما

فجاء والله من طرب القوم ما حسبت له أن يخرجوا من عقولهم فأمسكت حتى اذا هدأ القوم اندفعت أغنى

هذا محبك مطويا على كمده ٭ صب مدامعه تجرى على جسده

لهيد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستهدفا أسفا * كفت منيته فى طرفه ويده

فصاحت الجارية السلاح هذا والله العذاب وولى وسكروا وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم الى منازلهم ويقيت أشرب معه وكان جيد الشراب فقال لى يا سيدى ذهب والله ما خلا من أيامى باطلا اذ كنت لا أعرف مثلك من أنت فأخبرته فقبل رأسى وقال أعجب من هذا الادب وأنا منشد اليوم مع الخلافة وسألنى عن قصتى فأخبرته خبر الطعام والمعصم فأحضر جواريه فلم أره فقال ما بقى غير أمى وأختى ولا نزلهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت ابدأ بالاخت فدعا فلما رأيت معصمها قلت هى هى فأرسل الى عشرة مشايخ وأحضر بدرتين وقال أشهدكم أنى قد زوجت أختى فلانة من ابراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم ودفعت اليه البدرة الواحدة وفرقت الاخرى على المشايخ وانصرفوا وقال يا سيدى أمهد لك بعض البيوت وأحشمنى فقلت بل أحملها الى منزلى فى عمارته فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل لى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دورى فعجب المأمون من كرمه فأمر باحضاره فصار من خواصه (قوله سحقا) أى بعدا (وزنام) الزامر هو الذى أحدث الناى وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمعرب الزلامى فصحفوه وابدلوا النون لاما وانما هو زنامى وقال فيه الشاعر

ان فى ناى زنام شغلا * يشغل العاقل عن ناى زنام

وقيل سحقا لاسحق وبعدا
وان زمرت اضحى زنام

(ذكر زنام الزامر)

قال القاسم بن زرزور الزامر حدثنى زنام الزامر قال لما اعتل المعتصم علته التى مات منها قال هؤلاء الى الزلالة حتى أركبه فهيئ له فركب وأتى فى معه غريد دجلة بازاء منازله فقال يا زنام قلب لبيك يا أمير المؤمنين قال ازمر

يا منزلا لم تبل اطلاله * حاشا لاطلالك أن تبلى
العيش أولى ما بكاه الفتى * لابد للمحزون أن يسلى
لم أبك اطلالك لكننى * بكيت عيشى فيك اذ ولى

قال فزمرت ومازلت أردده وهو ينتحب ويبكى الى أن خرج ثم توفى بعد خمسة أيام وزنام سار المثل يضرب بزمره واتقان صنعته وكان الواثق ولعا بزمره بعد أبيه المعتصم * حدث حسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق فقال قل الساعة أبياتا مليحة حتى أهب لك شيأ مليحا فقلت فى أى معنى قال فيما شئت مما ترى بين يديك فالتفت فاذا بساط قد تفتحت انواره وأشرق فى نور الصبح نخيلته وارتج على فقال الواثق ألست ترى نور صباح ونور أقاح ففتح لى فقلت

ألست ترى الصبح قد اسفرا * ومنسكب الغيث قد أمطرا
واسفرت الارض عن حلة * تضاحك بالاصفر الاحمرا
وتعمل كأسين فى فتية * تطارد بالاصغر الاكبرا
يحث كؤسهم مخطف * تجاذب اردافه المئزرا
فكل ينافس فى برّه * ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك وقال نستعمل ما قلت يا حسين الا الفسق فلا ولا كرامة ثم قال قوموا بنا الى حانة الشط فقام اليها وشرب وطرب وما ترك احدا من المغنين والجلساء الا أمر له بصلة وكان من الايام التى

سارت

سارت اخبارها فى الآفاق فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدنى ماقلت فى يومنا الماضى فأنشدته

يا منزل الشط قد أكرمت مثوانا * عودى بيوم سرور كالذى كانا
لا تفقدينا دعابات الاميرولا * طيب ابطالة اسرارا واعلانا
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا * شجوا فأهدى لنا ريحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أخرانا بأولانا
لازلت آهلة الاوطان عامرة * بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

ذكرنا هذه الحكاية لطرفها ولما وقع لزنام من الذكر فى شعر حسن (قوله زنيما) اى دعيا فى الزمر قال ابن الاعرابى الزنيم ابن الزانية وابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شئ من نسله الى سبعة آباء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت البادية بما مضى اذا عبد الله احدهم اربعين سنة يمشى نور بين يديه فعبد الله عابد اربعين سنة واربعين فلم يسع له نور فابتهل الى الله تعالى فقال عبدتك اربعين واربعين ولم يسع لى نور فأرى فى منامه أنه لغير رشدة فقال يارب ان كان أبواى أكلا حماضا أضرس أنا فسعى نوره بين يديه (قوله جيله) اى اهل عصره الزعيم الاول السيد والثانى الضامن اراد أنه يضمن لمن معه أن يطربه وقال ابو الفضل الدارمى فى زامر أسود

وحالك اللون كالليل البهيم له * فصائل مشرقات الحسن كالفلق
تمسك منه لسان وجهانه حسنا * اذ صار فيه كخال معجب لبق
تراه يحسط ما يوحى اليه به * وسره أبدا يهوى بمحترق
يحدو بأنفاسه الاوتار مجتهدا * فتستقيم به الالحان فى الدرق
أهدى الشباب اليه حسن بهجته * فناسب المسك فى لون وفى عبق

(الحبب) الفقاقيع تعلو الماء والخمر (أزدرى) احتقر (النعم) الابل وأكرمها الحمر (احلى) ازين (تمليها) بطول حياتها ودوامها والملاوة المدة ومنه قوله تعالى وأملى لهم (مرآها) رؤيتها (اذود) ادفع (شرائع) طرق (السمر) الحديث بالليل (ألهج) اشوق (تسرى) تسير ليلا (رياها) رائحتها الطيبة (يكهن) يشعر ويحس وتكهن الرجل تحدث عن الغيب (وسطيح) لعسانى اكهن الناس وادربسبيل العرم فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه واذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها ومن كهانته أنه لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فأعظم ذلك اهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت عليه الكتب اظهر سريره وبرز الى اهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان ايها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتنى رأيت الاصعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تأويلها قال ماعندى شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم الحدثان فبعث اليه وجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فأخبره كسرى بالخبر

عندها زنيما بعدأن كان بجيله زعيما وبالاطراب زعيما وان رقصت أمالت العمائم عن الرؤس وأنستك رقص الحبب فى الكؤس فكنت ازدرى بهاحمر النعم واحلى بتمليها جيد النعم واحجب مرآها عن الشمس والقمر واذود ذكراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك ألهج من أن تسرى برياها ريح أو يكهن بها سطيح

(ذكر سطيح)

فقال ايها الملك ما عندى فيها شئ ولكن جهزنى الى الشأم الى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال

أصم أم يسمع غطريف اليمن * رسول قيل العجم يسرى للوثن
يا فاصل الخطة اعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل سنن
ابيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع اليه سطيح رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أقبل الى سطيح وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت الواد وانتشرت فى البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وغاض وادى السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشأم تملك منهم ملوك وملكات بعدد ما سقط من الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قال

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار زهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور
فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولهم والاسد المهاصير
حثوا المطى وجدوا فى رحيلهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس ابناء علات فمن علموا * أن قد أقل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره فغمه ذلك فقال الى أن يملك منا اربعة عشر ملكا يدور الزمان فملكوا كلهم فى اربعين سنة (قوله ينم) من النميمة (مليح) كثير الظهور (الحظ) البخت والنصيب و (وشكه) سرعة زواله (المنحوس) المنقوص (نكد) مشقة (الطالع) نجم الانسان والطالع يقابله الساقط (حميا) حدة (ثاب) رجع (صرد) خرج من قوسه وأراد بالسهم اللفظ الذى سمع منه جاره (الخبال) الفساد (الوبال) الثقل وهو وبال عليه اى ثقيل فى العاقبة وطعام وبيل ثقيل متهم ومنه استوبلت المدينة اذا لم توافق جسمك وان أحببتها (اودع) جعل فيه و (الغربال) معلوم يشبه به النمام حيث لا يمسك ما جعل فيه قال الحطيئة يهجو أمه

تنحى فاجلسى منى بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

كانون أبرد ايام الشتاء ويريد انها باردة الحديث قال كعب بن زهير رضى الله عنه

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

(وقال فى الحماسة)

ولا اكتم الاسرار لكن انمها * ولا ادع الاسرار تغلى على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر
اعزز على باخلاق وسمت بها * عند البرية يا فاو ذبح السوق
تضيق بالسر ذرعا ان خصصت به * حتى يرى ذائعا كالنفخ فى البوق

وقال فى ضده
ومستخبر عن سر ريا رددته * بعمياء من ريا بغير يقين

او ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس أن أنطقتنى بوصفها حميا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال

وقال انتصحني انني لك ناصح * وما أنا ان خبرته بامين

(وقال قيس بن الخطيم)

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وتكثير الحديث قمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته * مكان بسوداء الفؤاد مكين

(وقال العباس بن الاحنف)

تعتبت تطلب ما استحق * به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتي * اذا كان سرك لا يشهر
أمني تخاف انتشار الحديث * وحظي في صونه أوفر
ولو لم أصنه لبقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

(قوله بيد) بمعنى غير (عكم) ربط (أحفظته) اغضبته (يهتك) يخرق (غبر) مضى (المدرة) البلدة (قيله) ملكه الاعظم (مجددا عرض خيله) اى ليعرض عليه ما عنده من الاجناد و (النيل) اى العطاء (ارتاد) طلب (تحفة) هدية (تلائم) توافق (هواه) ارادته (نجواه) حديثه مع الملك *والجعل حق من ذلك على حاجة والجعالة بمعناه والجعائل جمعها (يسنى) ييسر وأصل (الرواد) طلاب المرعى واحدهم رائد وأصل (الوسائل) اسباب الود (أسف) انحط ودنا وأسف الطائر دنا الى نحو الارض لشيء يأخذه وأسف الرجل طلب مداق الامور (والجار الختار) الخداع (بذوله) عطاؤه (ادراعه) لبسه الدرع (ناشرا أذنيه) أى طامعا وهو مثل (أبثه) قال له سرا (قوله راعني) أى أفزعني (انسياب) دخول (صاغيته) حاشيته ومن يميل اليه (انثيال) انصباب (حفدته) أتباعه (يسومني) يعرض علي (ايثاره) تفضيله على نفسي (الدرة اليتيمة) الجوهرة النفيسة وبهذا سمى الثعالبي كتابه الدرة اليتيمة أى الدرة المفردة التي لا مثل لها واليتيمة درة مشهورة في البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة استخرجها من البحر كلب جاء ليلغ فتعلقت محارتها بفمه فنفضها في البر فهي من عجائب الدنيا ومن عجائبها الحافر وهو حجر ياقوت شبه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان والعربية الثالثة فرس ذهب لم يصنعه صانع انما وجد في معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة و (الذى غشى فرعون وجنوده من اليم) هو الغرق واليم البحر الذى ذهبت نفوسهم فيه ولابد أن نلم بنبذة من خبره تكمل بها القصة حسبما شرطنا وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج فارا من فرعون حسبما قدمنا في الخامسة توجه الى مدين فبلغها كالا جائعا فقيرا فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى يحبسان غنمهما فأخبرتاه بانهما لا يستقيان حتى يصدر الرعاء وأن لهما أبا شيخا كبيرا فرحمهما واقتلع الصخرة عن البئر وكان لا يرفعها الا [illegible] وسقى لهما ثم تولى الى ظل شجرة مثمرة فقال يارب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل أراد خضرة البقل الذى أكل في طريقه فرجعت الجاريتان بسرعة الى أبيهما فأنكر مجيئهما قبل الوقت الذى جرت العادة بمجيئهما فيه فأخبرتاه خبر موسى فارسل احداهما فاتته وهي تستحيي منه فقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فمشى معها وهي بين يديه فضرب الريح ثوبها فنظر الى

بيد أني عاهدته على عكم ما لفظته وأن يحفظ السر ولو احفظته فزعم أنه يخزن الاسرار كما يخزن اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لان يلج النار فما ان غبر على ذلك الزمان الا يوم أو يومان حتى بدا الى أمير تلك المدره والهادى المقدره أن يقصد باب قيله مجددا عرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدى نجواه وجعل يبذل الجعائل لرواده ويسنى الوسائل لمن يظفره بمراده فأسف ذلك الجار الختار الى بذوله وعصى في ادراع العار عذل عذوله فاتى الوالى ناشرا أذنيه وأبثه ما كنت أسررته اليه فما راعني الا انسياب صاغيته الى وانثيال حفدته على يسومني ايثاره بالدرة اليتيمة على أن أتحكم عليه في القيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم أزل ادافع عنها ولا يغني الدفاع واستشنع اليه ولا يجدى الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد

(تكملة قصة موسى وفرعون)

عجزتهما فقال لهما امشي خلفي ودليني على الطريق فلما أتى الشيخ سأله عن شأنه فقص عليه قصته
فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت
القوي الامين فقال لها الشيخ أما القوة فقد خبرته بقلع الصخرة فما يدريك أمانته قالت له اني
مشيت أمامه فلم يحب أن يخونني وردني خلفه فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين
الى آخر القصة فلما انقضى أجله وسار بأهله وكان في شتاء رفعت له نار فلما رآها فكانت من نور الله
تعالى فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا الآية ومعنى تصطلون أي من البرد فكان عند اتيانه لها
ما أخبر الله تعالى من أنه نودي أن بورك من في النار ومن حولها فلما فزع قال الحمد لله رب
العالمين فنودي اني أنا الله رب العالمين وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش
بها على غنمي أي أضرب بها ورق الشجر للغنم ومآرب أخرى من حمل الزاد عليها والسقاء وغير
ذلك فقال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم
يعقب أي لم ينظر فنودي لا تخف انك من الآمنين الآيات فسأل الله تعالى أن يرسل معه اخاه
هرون ردأ أي عونا لكونه كان أفصح منه لسانا للجمرة التي كانت أحرقت لسانه في صغره وثقل
لسانه فقال سنشد عضدك بأخيك فاقبل موسى الى أهله فسار بهم الى مصر فدخلها ليلا فنزل
ضيفا بأمه وأخيه وهم لا يعرفونه وهرون غائب فنزل بجانب الدار وجاء هرون فسأل عنه أمه
فأخبرته انه ضيف فدعاه وأكل معه ثم سأله من هو فقال انا موسى فقام كل واحد منهما لصاحبه
واعتنقه فقال له موسى يا هرون ان الله قد أرسلني واياك الى فرعون فانطلق معي فقال سمعا وطاعة
فصاحت أمهما وقالت نشدتكما الله تعالى أن لا تذهبا اليه فيقتلكما فأبيا ثم انطلقا اليه ليلا
في قول السدي وضربا الباب فكلمهما البواب فقالا له انا رسولا رب العالمين ففزع البواب
فأتى فرعون فأخبره ان مجنونين بالباب يزعمان كذا فقال أدخلهما وأما ابن اسحق فحدث
أنهما وقفا على باب فرعون يلتمسان الاذن يغدوان ويروحان سنتين وفرعون لا يعرف بهما حتى
دخل بطاله فقال له أيها الملك ان على الباب رجلا يزعم أن له الها غيرك فقال أدخلوه فدخلا
وبيد موسى عصاه فلما وقفا عرفه فرعون فقالا انا رسول رب العالمين فأجابه بقوله ألم نربك فينا
وليدا الآيات ثم ذكره اياديه قبل فقال له موسى وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أي
اتخذتهم عبيدا تقتل من شئت وتسترق من شئت فقال له وما رب العالمين فأراه الآية الكبرى
في العصا أن ألقاها فاذا هي ثعبان مبين ملأت ما بين السماطين فاتحة فاها قد صارت محجنها على
ظهرها فارفض الناس ومال فرعون عن سريره فناشد موسى بربه فادخل يده في جيبه فأخرجها
بيضاء كالثلج ثم ردها فعادت هيئتها ثم وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة وأخذ
فرعون بطنه وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتمس الخلاء وكان ذلك مما زين له أنه ليس له
شبيه في الناس فقال للملأ ان هذا لسحر عليم فجمع السحرة ووعدهم ليوم العيد وأن يحشر
الناس ضحى يحضرون امرهم مع موسى فاجتمعوا لذلك اليوم فصف خمسة عشر الف ساحر كل
ساحر له نوع من السحر فخرج موسى يتوكأ على عصاه حتى اتى الجمع وفرعون في مجلسه مشرف
على وجوه اهل مملكته فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب الآية
فقال بعضهم لبعض اهكذا يقول ساحر فخيروه في أن يلقي او يلقوا فقال بل القوا فالقوا حبالهم

الاعتياص وارتياد المناص
تجرّم وتضرّم وحرق على
الارم ونسي مع ذلك لا تسمح
بمفارقة يدي ولا يأن أن نزع
قلبي من صدري حتى آل
الوعيد ايقاعا والتقريع
قراعا فقادني الاشفاق من
الحين الى ان قضته سواد
العين بصفرة العين ولم يحظ
الواشي بغير الاثم والشين
فعاهدت الله تعالى مذ ذلك
العهد أن لا أحاضر نخاسا
من بعد

وعصيهم اشياء حيروا بها العقول من حيات قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا ونيران تحرق في الظاهر فاما امرت به وحلم مسكة فيه كما وصف الله تعالى واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ففزع موسى واخوه هرون مما رأيا وذلك قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى الآيات فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف كل ما خيلوا به وكانوا اجلبوا آلاتهم في السفن في النيل فابتلعت السفن وآلاتها فانحسفت فاذا على قبة فرعون بين قبيها ففزعوا وتعلقوا بموسى يستنقذون به فاخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت فوقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى لما تبينوا ان امر العصا الهي ليس من تخاييلهم فقال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم الآيات الى قوله تعالى والله خير وأبقى اى لا سلطان لك الا في الدنيا ولا سلطان لك بعدها قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فقتلهم فكانوا اول النهار سحرة وآخره شهداء ثم امر الله تعالى موسى ان يخرج بني اسرائيل فقال اسر بعبادي ليلا فامرهم ان يستعيروا الحلي من القبط فخرجوا ليلا والقى الله على القبط النوم حتى طلعت الشمس وكان موسى على ساقة بني اسرائيل وهرون على المقدمة وعدد بني اسرائيل ستمائة الف وعشرون الف مقاتل لا يعدون ابن العشرة لصغره ولا ابن الستين لكبره وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان وهم في ألف ألف وسبعمائة ألف فذلك قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فلما تراءى الجمعان قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا فقال كلا ان معي ربي سيهدين فأتى موسى البحر فأوحى الله اليه ان اضربه بعصاك فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل فصار في البحر اثنا عشر طريقا فدخل كل سبط طريقه وكل سبط يقول قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر فنظر آخرهم الى أولهم وجاء فرعون ومن معه فأبت خيله أن تقتحم فتقدمها جبريل على فرس أنثى فاتبعت الخيل في اثره فلما توسط البحر أمر البحر أن يأخذهم فانطم عليهم فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وجعل جبريل يدس الطين في فيه لئلا يتم الكلمة فيرحمه الله وميكائيل يقول آلآن وقد عصيت قبل وأخرج الله بدن فرعون ميتا حتى عرفه بنو اسرائيل فهذا هو الذي غشي فرعون وجنوده من اليم (قوله الاعتياص) أي التصعب واعتاص الشيء اعتياصا تصعب والتوى (المناص) الملجا والمفر (وتجرم) أتى الجرم (وتضرم) اشتد غضبه (والارم) الاسنان (وحرق) عض بعضها على بعض حتى صوت وذلك لشدة الغيظ وهو مثل (آل) رجع (الوعيد) التهديد (قراعا) ضربا والقراع الخبط والضرب والتقريع الاخذ باللسان يريد هددني فلما أبيت ضربوني (الحين) الموت (قضته) عاوضته وبادلته (سواد العين) جاريته التي هي نور عينه (صفرة العين) لون الدنانير (لم يحظ) لم يأخذ حظوة وهي النصيب و(الواشي) النمام سمي واشيا لاستخراجه الاخبار وتوصله الى معرفتها من قولهم فلان يوشي الخبر اذا استخرجه وقيل سمي واشيا لتحسينه ما ينقل من الاخبار وثوب موشى محسن بما فيه من النقوش وقيل هو من الشية وهي العلامة كأنه جعل لنفسه علامة من الوصف القبيح (والشين) العيب وعلى وصف الجارية المذكورة بالادب والجمال نريد ان نسوق فصلا في الجواري ذوات الادب ممن أهديت الى ملك كحال هذه أولها معه سبب * حدث الاصمعي قال بعث الي هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم

أدخلني عليه وقت المغرب فاستدناني وقال لي يا عبد الملك وجهت فيك بسبب جاريتين أهديتا لي لهما أدب أحببت ان تبرز ما عندهما وتشير علي بالصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فأحضرتا فرأيت جاريتين ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم فقالت ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر الناس فيه من الاخبار والاشعار فسألتها عن حروف من القرآن فأجابتني كأنها تقرأ القرآن في كتاب ثم سألتها عن الاخبار والاشعار والنحو والعروض فما قصرت في جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيأ فأنشدت

يا غياث العباد في كل محل * ما يريد العباد الا رضاكا

لا ومن شرف الامام وأعلى * ما أطاع الاله عبد عصاكا

فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في مسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال يا عبد الملك انا ضجر وأحب أن تسمعني حديثا مما شهدت من أعاجيب الزمان أتفرح به فقلت يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث اليه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته ما سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فألفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنها سهام للمنايا * مريشة بأنواع الخطوب

ترى ريب المنون لهن سهما * يصيب بنصله مهج القلوب

فقلت

فني شغفي في موضع الطبل ترتعي * كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن

هبيني عودا يابسا تحت شقة * يمتع فيما بين نحرك والذقن

فلما سمعت الشعر رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرق رأسي فلم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها فضحك الرشيد حتى استلقى ثم قال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت له قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني الخادم فقال أنا رسول بنتك يعني الجارية تقول لك ان أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع لي ألف دينار فلم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها عني وأمر لي الفضل بعشرة آلاف درهم * حدث علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة فخرج وهو يضحك فقال يا علي دخلت فرأيت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيأ فسبقتني محبوبة فقالت وأخذت عودها وغنت

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي محط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيا من مناها في السريرة جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ويا من لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلبت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر فقلت للمتوكل أقلني فقد والله عزب ذهني عني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة فقال يا علي أعلمت اني غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة فقالت جاريته شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال قم حتى ننظر ما هي فقام حافيا حتى قرب من باب مقصورتها فاذا هي تغني وتقول

أدور في القصر لا أرى أحدا * اشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني
هل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح عادلنا * عاد الى هجره فصارمني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها * حدث أبو علي بن الاسكري المصري واسكر هي القرية التي ولد بها موسى عليه السلام قال كنت من جلاس تميم بن أبي تميم وممن يخف عليه فاني من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا جلاسه ومدت الستارة فأمرها فغنت

و بدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى ممتنع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

قال فاحسنت ما شاءت وطرب تميم ومن حضر ثم غنت

ستسليك عما فات دولة مفضل * أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه * على البر مذ شدت عليه مآزره

فطرب تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت

استودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

فأفرط تميم في الطرب جدا ثم قال لها تمني ما شئت فلك مسألك فقالت أتمنى عافية الامير وسعادته فقال لا بد والله فقالت على الوفاء أيها الامير فقال نعم فقالت أتمنى ان أغني هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقاموا فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال لي ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك فتأهب لتحملها الى بغداد فاذا غنت هنالك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر لي بناقة ومحمل عليه هودج فأدخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت لي تقول لك سيدتي أين نحن فقلت نحن نزول بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتها قد ارتفع بالغناء

لما نزلنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الحجا * ز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى اعيدى بالله فما سمع لها كلمة فلما نزلنا الياسرية على جسة أميال من بغداد فى بساتين متصلة يبيت الناس بها ثم يبكرون لبغداد بتنا هنالك فلما قرب الصباح اذا بالسوداء قد أتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة و والله لا أدرى أين هى فطلبتها فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى ببغداد وانصرفت الى تميم فأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر * ومما جاء فى الواشى ما حكى أن رجلا وشى برجل الى بلال بن أبى بردة فقال للساعى انصرف حتى أكشف عما ذكرت فلما كشف عن الساعى اذا هو لغير رشدة قال أبانا أبو عمرو وما كذبت ولا كذبت حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الساعى لغير رشدة وذكر السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون عند الله وقال ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب وقال الشاعر

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

ووشى واش بعبد الله بن همام السلولى الى زياد فقال له انه هجاك فقال أجمع بينكما قال نعم فبعث الى ابن همام وأدخل الرجل بيتا فقال زياد ابن همام بلغنى أنك هجوتنى فقال كلا أصلحك الله ما فعلت ولا أنت لذلك بأهل فأخرج الرجل وقال ان هذا أخبرنى فأطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل فقال

وأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فأعجب زياد بجوابه وأقصى الواشى ولم يقبل منه قال وأنشد الشاعر

لا تقبلن نميمة من قائل * وتحفظن من الذى انباكها
ان الذى أنباك عنه نميمة * سيدب عنك نميمة قد حاكها

*على بن أبى طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى قال يارب انى حيث ذهبت لا انصر ولا أخذل فأوحى الله اليه ان فى عسكرك غمازا قال يارب دلنى عليه قال ياموسى أبغض الغماز فكيف أغمز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون بين البرآء العيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى فذكر رجلا يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة (قوله والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة) قال السرى فيما يتعلق بالزجاج من النم

رأيتك تبدى للصديق نوافذا * عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا * و يارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بينى و بينك صائنا * عهودك ان العهد للمرء صائن

والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة

وألقاك بالبشر الجميل مداهنا * فلي منك خل ماعلمت مداهن
انم بما استودعته من زجاجة * يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال ابن المعتز)

لحى الله امرأ أعطاك سرا * فضيعه وفض الله فاه
فانك كلما استودعت سرا * أنم من الزجاج بما وعاه

(وقال السرى)

استودع الله خلا منك أوسعه * وداو يوسني غشاوتمويها
كان سرى في احشائه لهب * فما يطيق له ضما حواشيها
قد كان صدرك للاسرار جندلة * ضنينة بالذى تخفى نواحيها
فعاد من بث ما استودعت جوهرة * رقيقة تستشف العين مافيها

(وله أيضا)

شاني عنك ما استشعرت شرا * خلال فيك لست لها براضي
وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

(قوله وبه جرى المثل في النميمة) يقال أنم من الزجاجة على ما فيها لانه جوهر لا يكتم ما فيه قال الاصبهاني مازال البلغاء يتعاطون وصف هذا الجوهر فعبروا عن مدحه وذمه فأما ذمه فان ابراهيم بن سيار النظام أخرجه في كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سريع الكسر بطيء الجبر وقال في الذهب لئيم لان الشكل يصير الى شكله وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام وأما سهل بن هرون فكان يوما بمجلس احد الملوك وشد ادا لحربى بعدد خصال الذهب فقال هو أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصا في النار وهو أوزن من كل ذى وزن اذا كان في مقدار شخصه ولو وضعت على ظهر الزئبق في اناء قيراطا من ذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء وسائر الجواهر تطفو فوقه ولو كان الجوهر ذا وزن ثقيل وريح عظيم ولا تشد الاسنان المقلقلة بغيره ولا يوضع في مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الاميال والهند تره في العين بلا كحل لصلاح طبعه وعليه مدار التبايع مذ كان التبايع وهو ثمن لكل شيء وهو الزرياب والصفائح التى تكون في سقف الملوك والطبخ في قدوره أغذى وأمرأ وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب فأدرك سهل بن هرون من الغيرة والحسد مادعاه الى معارضته فقال يذم الذهب ويفضل الزجاج الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وان فضله الذهب بالصلابة فضله الزجاج بالصفاء والزجاج أبقى على الدفن والزجاج نور علوى والذهب مياع سيال ولم تتخذ الناس آنية الشراب أجمع لما يريدون من الشراب منه والشراب فيها أحسن منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع في السوم وكان سليمان اذا شرب في اناء كلحت في وجهه مردة الجن فعلمه الله تعالى صنعة القوارير فحسم عن نفسه تلك الجراءة ومن كرع فيه فكأنما كرع في اناء من ماء وهواء ونور وقد تقدح النار من كسر قنينة الزجاج اذا كان فيها ماء لان طبع الزجاج والماء والهواء والشمس واحد وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صبغ منه وأجدر أن لا يفارقه حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية

وبه يضرب المثل في النميمة
فقد جرى عليه سيل يعني
ولذلكم السبب لم تمتد اليه
يميني شعر
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته

قول الشارح قوله وبه جرى المثل الذى بايدينا من اصول المتن وبه يضرب الخ فلعلها نسخة وقعت له اه مصححه

على أن حرمتني اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني
سارتق فتقي من تليدي وطارفي
على أن ما زودتكم من فكاهة
ألذ من الحلوى لدى كل عارف
(قال الحرث بن همام) فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما وقذت النميمة خير البشر حتى اتشر عن حمالة الحطب ما اتشر ثم سألناه عما أحدث جاره القتات

فيه ومتى سقط عليه ضياء أنفذه الى الجانب الآخر وأعاره لونه فان كان الجام ذا لونين أراك الوشي أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر واذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ورد الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبروا ذلك بالشعاع الذي يسقط على المرآة على وجه الماء أو على الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين انسان أعشاه وربما أعماه قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّيّ والزيت في الزجاجة نور على نور وقال الله تعالى انه صرح ممرّد من قوارير وقال تعالى وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة فاشتق اسما للفضة منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعادي بابله يا أنيس ارفق بالقوارير فاشتق للنساء اسما منه وقدوره أطيب طعاما من قدور الحجارة وهي لاتصدأ وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت عادت جددا واسم الذهب يتطير منه وان سقط عليك قتلك ومن لؤمه سرعته الى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وهو من مصائد الشيطان ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران وهو فتان قتال لمن أصابه فلم يبق في المجلس أحد الا تحير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته واحتجاجه في معارضته من غير روية وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز وأنه مخراق يذهب في كل فن فاذا صح العقل صح تقويم اللسان (قوله القطائف) هي ما يجنى من الثمار يريد بها الحلوى التي حرمهم أكلها و(الرتق) السد والاغلاق وهو ضد الفتق ويقال هو الفاتق الراتق اي هو مالك الامر فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع ورتق ضم وجمع وامرأة رتقاء لايصل اليها الرجال وقوله تعالى أولم ير الذين كفروا أنّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما أي كانتا سماء واحدة وأرضا واحدة فجعلت كل واحدة منهما سبعا وقيل كانتا معا ففتقناهما بالهواء الذي بينهما وقيل فتق السماء بالمطر والارض بالنبات فقال سأسد ما خرقته (قوله التليد) المال القديم و(الطريف) المكتسب (فكاهة) ملح (عذاره) شعر خده شبه بالشوكة التي تقع على خد الفرس وقد عذرت الفرس عذرا وأعذرته بالعذار بمعنى ألجمته وأعذرت اللجام جعلت له عذارا وأنشد ابن رشيق في معذر

وأسمر اللون عسجديّ * يكاد يستمطر الجهاما
ضاق بحمل العذار ذرعا * كالمهر لايعرف اللجاما
ونكس الرأس اذ رآني * كآبة واكتسى احتشاما
وظن انّ العذار مما * يزيح عن قلبي الغراما
وما درى أنه نبات * أنبت في قلبي السقاما
وهل ترى عارضاه الا * حمائلا قلدت حساما

(قوله قدما وقذت) اي قديما أمرضت وأوجعت (حمالة الحطب) هي أم جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبي لهب وكانت تمشي بالنميمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقيل بين زوجها وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك للماشي بالنميمة لانّ الحطب يهيج النار والنميمة تهيج الشر وقيل سميت حمالة الحطب لانها كانت تطرح الشوك للنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه وكانت عوراء وأبو لهب أحول و(القتات) النمام والكذب والنميمة قت

ودخلله المقتات بعد ان راش له نبل السعاية وجذم حبل الرعاية فقال أخذ فى الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع

الى بذوى المكانة وكنت حرجت على نفسى أن لا يسترجعه أنسى أو يرجع الى آسى فلم يكن له منى سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من من النجه ولا ينثنى من وقاحة الوجه بل يلط بالوسائل ويلح فى المسائل فما أنقذنى من ابرامه ولا أبعد عليه نيل مرامه الا أبيات ننث بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فانها كانت مدحرة لشيطانه ومسجنة له فى أوطانه وعند انتشارها بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور ويئس من نشر وصلى المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فناشدناه أن ينشدنا اياها وينشقنا رياها فقال أجل خلق الانسان من عجل ثم أنشد لا يزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندیم محضته صدق ودى
اذ توهمنه صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال
حين ألفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا
ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فأسى
منه قلبى بما جناه كليما

*(غدر الاخوان وقلة الوفاء)

وقت يقت قتا مشى بالنميمة ونم ينم نماضيع الاحاديث ولم يحفظها وقيل النميمة من قولهم جلود نمت اذا لم تمسك الماء والقتات أيضا المتسمع على من ليس يشعر به وهو القتات والنمام والعساس والهمام والهماز والعماز والمهينم والمورش والممئس وقد مأس يمأس (دخلله) خاصته العالم بداخل أمره (المقتات) المستبد برأيه المتسور على مالا ينبغى له (راش) جعل لها ريشا (السعاية) المشى بالنميمة (جذم) قطع (الرعاية) حفظ الصداقة (الاستخذاء) الخضوع (والاستكانة) الذل (ذوو المكانة) أهل الجاه (حرجت) أثمت وضيقت عليها بيمين أكيدة (الاصرار) العزيمة (والصد) الاعراض عنه (يكتئب) يهتم (النجه) الجفاء وتغليظ الكلام (ينثنى) يرجع (يلط) يكثر اللزوم بها ويقال الط بالشئ اذا لزمه (ابرامه) ثقله (ننث) نطق وتكلم (الموتور) المظلوم (المبتور) المقطوع بالهم (مدحرة) مدفعة ومبعدة ودحرت الشئ دحورا ودحرا أبعدته ودحر هو بعد (بت) قطع وأمضى وجعله بتا تا وهو مالا رجعة له فيه (الحبور) السرور وحبرته حبرة سررته (الثبور) الهلاك وثبر الله العدو ثبورا أهلكه (يئس) قطع رجاءه (نشر) احيا (المقبور) المدفون (الكفار) الدافنون للموتى (ناشدناه) سألناه وجعلناه (ينشقنا رياها) يشممنا رائحتها (أجل) حرف جواب بمعنى نعم (خلق الانسان من عجل) قال أبو على هو على القلب معناه خلق العجل من الانسان قال الزجاج ويدل على ذلك قوله تعالى وخلق الانسان عجولا ومثله وقد بلغنى الكبر أى بلغت الكبر ومثله فاختلط به نبات الارض قال الشماخ كما عضت العلياء بالعود أى العود بالعلياء وقال القطامى * كما طينت بالفدن السياعا * أى طينت بالسياع وهو الطين بالتبن والفدن القصر وقال ابن مقبل وابتذلت وقع المحاجن بالمهرية الزفن * أى ابتذلت المهرية بوقع المحاجن ومن جعل العجل الطين فلا قلب فيه وأراد لم يصبر واعن الا يات لعجلتهم فى طلبها وقوله (يزويه) أى يقبضه (خجل) حياء وقد خجل اذا استحيا (يثنيه) يرده (وجل) خوف (محضته) أى أخلصته (توهمته) حسبته و(الحميم) الخاص من الاخوان و(الحميم) الثانى الماء الحار السخن و(الصديد) الدم المختلط بالقيح (أوليته) ألصقت به (القطيعة) البعد (قال) مبغض (ألفا) صاحبا (ذمام) عهد (بان) تبين (جلفا) جافيا (ذميما) مذموما (كليما) الاول مكلما والثانى مجروحا وقد أكثر الناس من التشكى بغدر الاخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه ونسوق منه ما يليق بهذا الموضع * قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لصديق له هل بلغك شئ تكرهه ممن لا تعرف قال لا قال فأقلل ممن تعرف ، الجاحظ قرئ على باب شيخ من أهل الرى جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيرا كأنه اتقى من ثقاته وقال امرؤ القيس بن حجر

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته * وقرت به العينان بدلت آخرا
كذلك جدى ما أصاحب صاحبا * من الناس الا خاننى وتغيرا

(وقال النابغة)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ولما انحرف ابن الزيات عن ابراهيم بن العباس الصولى تحاماه الناس أن يلقوه وكان الحرث ابن سنجر صديقا له فهجره من ذلك فكتب اليه

تغيرلي فمن تغير حارث * وكم من خليل غيرته الحوادث
أحارث ان أشركت فيك فطالما * نعمنا وما بيني وبينك ثالث

وكتب لابن الزيات

أخي بيني وبين الدهـ * ـر صاحب أينا غلبا
صديقي ما استقام فان * نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به * فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا * لعاد أخا به حدبا

وكتب اليه أيضا

وكنت أخي باخاء الزمان * فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اليك ألوم الزمان * فأصبحت فيك ألوم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات * فأصبحت أطلب منك الامانا

(وقال أبو فراس)

اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن * وأن خليلا لا يضر وصول
تصرفت أحوال الرجال فلم يكن * الى غير شاك في الزمان وصول
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل

(وله أيضا)

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة * فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد من خلة ما أريده * فعندي لاخرى عزمة وركاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وقال الخباز البلدي)

ألان اخواني الذين عهدتهم * أفاعي رمال لا تقصر في اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم * نزلت بواد منهم غير ذي زرع

(ولابن هرون القرطبي)

ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى * تلقى الصديق من الوفاء عريانا
يعطيك ودا صادقا بلسانه * ويجن تحت ضلوعه ألوانا

(وقال المعري)

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري * لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الانام فلا أواخي * وغبت عن الانام فلا أعادى
فأي الناس أجعله صديقا * وأي الارض أسكنها ارتيادا
وليس صبا يعاد وراء شيب * بأعوز من أخي ثقة يعادى

وله أيضا   والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(وكتب المعتصم صاحب المرية الى ابن عمار)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

(وقال البحترى)

أما العداة فقد أرولك نفوسهم * فاقصد بسوء ظنونك الاخوانا

(وقال أيضا)

أما العدو فيبدى   ما عنده ويكاشف * لكن توق وحاذر * من الصديق الملاطف

وقال منصور بن اسمعيل التميمى الفقيه قال ابن رشيق

لو قيل لى خذ أمانا * من حادثات الزمان
لما أخذت أمانا * الا من الاخوان

وهذا الباب لا يحصى كثرة (قوله تظننيته) أى حسبته وأبدل من احدى نونيه ياء (لعينار جيما) شيطانا مبعدا مرجوما بالنجوم وقيل الرجيم المرجوم أى المشتوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى لئن لم تنته لارجمنك أى لاسبنك وقيل الرجيم الملعون وهو مذهب أهل التفسير فمعنى اللعين والرجيم واحد (تراءيته) ظننته من تراءى لى الشئ ظهر بعض الظهور (مريدا) محبا (جلى) كشف (سبكى) تجريبى (مريدا) كثير الشر خبيثا (لئيما) وضيع القدر خسيس الهمة (توسمت) ظننت وتوسمت فيه الخير أى رأيت فيه سمته أى علامته (والنسيم) الريح اللينة (والسموم) الحارة (لسعه) نفره (سليم) الاول ملدوغ والثانى سالم (ورائع) الاول حسن المنظر والثانى مفزع (بلوته) جربته (عديما) غير موجود (يلفى) يوجد (هوى) حب (رقيبا) حافظا (ينى) ينم (فاه) نطق (قوله بغض الصبح) هو من المثل الليل أخفى للويل وقالوا أنم من الصبح لانه يهتك حجاب الظلام وقال بعض الحكماء لابنه اجعل نظرك فى العلم ليلا لان القلب فى النهار كالطائر وهو فى الليل ساكن فما ألقيت فيه من شئ وعاه فاما أكثر الشعراء فهم الى الليل أفزع ومن النهار أنزع لان الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الاحزان والذكر قال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

(وقال النابغة)

وصدر أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(وقال قيس بن ذريح)

نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل أدتنى اليك المضاجع

(وقال الطرماح بن حكيم)

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيم وما الاصباح فيك بأروح
بلى ان للعينين فى الصبح راحة * لطرحهما طرفيهما كل مطرح

وتظننيته لعينار جيما
فتبينته لعينار جيما
وتراءيته مريدا فجلى
عنه سبكى له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما
فأبى أن يهب الا سموما
بت من لسعه الذى أعجز الرا
قى سليما وبات منى سليما
وبدا منهجه غداة افترقنا
مستقيما والجسم منى سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن
كان بالشر رائعا خصيما
قلت لما بلوته ليته كا
ن عديما ولم يكن لى نديما
بغض الصبح حين نم الى قلـ
بى لان الصباح يلفى نموما
ودعانى الى هوى الليل اذ كا
ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من ينى ولو فاه بالصد
ق أناما فيما أتاه ملوما
قال فلما سمع رب البيت

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قوّاد

كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقّاد

(وقال المتنبى وأجاد)

كم زورة لك فى الاعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وهذا البيت أمير شعره على كثرة الجيد فيه والبديع فيه انه قابل الشطر الاول بالثانى حرفا بحرف فقابل أزورهم بقوله انثنى وسواد الليل بياض الصبح ويشفع لى بيغرى بى وحكى ابن جنى قال حدثنى المتنبى وقت القراءة عليه قال قال لى ابن جيرانة وزير كافور أعلمت انى أحضرت كتبى كلها وجماعة من أهل الادب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا به وكان أكثر من رأيت كتبا قال ابن جنى ثم عثرت على الموضع الذى أخذ منه وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ صغير جرى فيه معنى بيت المتنبى كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو *فالشمس نمامة والليل قواد* قال الثعالبى اما أن يكون ألم به حسنه وزينه فصار أولى به أو عثر على الموضع الذى عثر عليه ابن المعتز فبارى عليه فى جودة أخذه أو يكون قد افترع المعنى وابتدعه فلله دره وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه قال ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقل الا بانشاد بيتين قبله وهو

عذيرى من الايام مدّت صروفها * الى وجه من أهوى يد المسخ والمحو

وأبدت برأسى طالعات أرى بها * سهام أبى يحيى مسدّدة نحوى

فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة فى الصباح

كيف لا أبغض الصباح وفيه * بان عنى أولو الوجوه الصباح

(وقال المتنبى)

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقاك أذى الاعداء تسرى اليهم * وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية هم الثنوية وهم الذين يقولون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بان وجد الخير فى الظلام حيث ستره من أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا على زيارة حبه ووجد الضد فى النور وهذا كله يجرى فى نمط بيت الحريرى (قوله قريضه) أى شعره وتقدم السجع (تقريظه وسبعه) المدح والذم ويقال سبعه يسبعه اذا رماه بقبيح من قولهم سبعت الذئب اذا رميته وقيل معنى سبعت قلت له قولا غمه وذعر منه ويقال سبعت الوحش ذعرتها والاسد أفزعته (بوأه) أنزله (مهاد) فراش (صدره) قدمه وأجلسه فى صدر وسادته (التكرمة) الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه * ودخل عمر على سلمان رضى الله عنهما فألقى له وسادة فقال ماهذا يا أبا عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن امرئ مسلم يدخل عليه

قريضه وسجعه واستملح تقريظه وسبعه بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته

أخوه المسلم فيلقى اليه وسادة اكراماله واعظاما الاعذر الله تعالى له (قوله استحضر) أمر باحضارها (الغرب) نوع من الخشب كريم (القند) عصارة قصب السكر (والضرب) العسل الابيض (الظنة) التهمة وأراد بالبرىء آنية الغرب وبالمتهم جام الزجاج و (الابرار) الاخيار (صون) حفظ (تولها) تلصق بها (عاد) قوم هود وأراد لا تساو بين هود وهو مؤمن وبين قومه وهم كفار فهم أضداد كالبرىء والمتهم فقد خرج من نوعهم وان كانت جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان فى الآنية والوعاء ويختلفان فى الاحتواء على مافيهما بالاخفاء والاظهار وهود هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن فدعاهم هود الى عبادة الله تعالى فكذبوه وعصوه وكانوا جبابرة أقوياء طول الرجل منهم مائة ذراع وطول أقصرهم ستون ذراعا قال الله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة ووعظهم هود عليه الصلاة والسلام وقال لهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآية فكان جوابهم ان قالوا من أشد منا قوة وقالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقالوا ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين الآيات واستكبروا ولم يؤمنوا فحبس عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدا يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكنيته أبو سعد وجلهمة بن الخيبرى ولقمان ابن عاد ومع كل رجل منهم رهط من قومه فلما قربوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلى وكانوا أخواله وصهره فأنزلهم وأكرمهم شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما الجرادتان فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم للبلاء الذى نزل بهم شق عليه ذلك وقال هلك أصهارى وأخوالى والله ما أدرى ما أصنع بهم وانى أستحيى ان آمرهم بالخروج من عندى فيظنون أنه ضاق بى مقامهم عندى فقال شعرا وأعطاه للجرادتين تغنتاهم به وهو

ألا ياقيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما

فيسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لايبينون الكلاما

وان الوحش تأتيهم جهارا فلا تخشى لعادىّ سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم لما نزل بهم فادخلوا الحرم فاستسقوا فقال مرثد بن سعد والله لاتسقون حتى تطيعوا نبيكم فقال له جلهمة

أياسعد وانك من قبيل * ذوى كرم وانك من ثمود

أتأمرنا بترك دين رفد * ورمل آل صد والوفود

ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

فانا لانطيعك مابقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية امسك مرثدا عنا لايدخل مكة معنا وهو على دين هود فدخلوا مكة وخرج مرثد فأدركهم قبل أن يدعوا فقال اللهم لاتدخلنى فى شىء مما يدعونك به وفد عاد وقيل قال اللهم ان

(ذكر هود عليه السلام وقومه أهل الانتقام)

ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند والضرب وقال له لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن يجعل البرىء كذى الظنة وهذه الآنية تنزل منزلة الابرار فى صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم أمر خادمه بنقلها الى

مثواه ليحكم فيها بما
يهواه. فاقبل علينا أبو زيد
وقال اقرؤا سورة الفتح
وأبشروا باندمال القرح
فقد جبر الله ثكلكم وسنى
أكلكم وجمع فى ظل
الحلواء شملكم وعسى أن
تكرهوا شيأ وهو خير لكم
ولما هم بالانصراف مال
الى استهداء الصحاف فقال
للآدب ان من دلائل الظرف
سماحة المهدى بالظرف
فقال كلاهما لك والعلام
فاحذف الكلام وانهض
بسلام فوثب فى الجواب
وشكره شكر الروض
للسحاب ثم اقتادنا أبو زيد
الى حوائه وحكمنا فى
حلوائه وجعل يقلب
الاوانى بيده ويفض
عددها على عدده ثم قال
لست أدرى أأشكو ذلك
النمام أم أشكر وأتناسى
فعلته التى فعلها أم أذكر
فانه وان كان أسلف الجريمة
ونمم النميمة فمن غيمه انهلت
هذه الديمة وبسيفه انحازت
لى هذه الغنيمة وقد خطر
ببالى أن أرجع الى أشبالى
وأقنع بما تسنى لى وأن
لاأتعب نفسى ولا أجمالى
وأنا أودعكم وداع محافظ
وأستودعكم خير حافظ ثم
استوى على راحلته

كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونودى من السحائب يا قيل اختر لنفسك ولقومك قال لقد اخترت السوداء لانها أكثر السحاب ماء فنودى اخترت رمادا رمددا لايبقى من عاد أحدا فساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء الى عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فسخرت عليهم سبع ليال ريح صرصر فلم تدع منهم أحدا الا اهلك ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة منهم تعالوا نقف على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترمى به حتى يدق عنقه فتركتهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة مايصيبهم منها الا نسيم لين البشرة وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض ورجع وفد عاد فنزلوا على معاوية فأتاهم راكب على ناقة فى الليلة الثالثة من مصابهم فأخبرهم الخبر فقالوا وأين فارقت هودا فقال بساحل البحر وخيروا حين دعوا بمكة لانفسهم فقال لقمان يارب أعطنى عمرا فعمره الله عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ اذا خرج من بيضته فيغذيه حتى يموت ثم يأخذ آخر حتى بقى السابع فقال له ابن أخيه مابقى من عمرك قال عمر هذا النسر وهو لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسور أيقن لقمان الموت فماتا جميعا واختار قيل أن يصيبه ما أصاب قومه فأتته نقمته الريح فقتلته وقال مرثد يارب أعطنى برا وصدقا فأعطى هود فعمر مائة وخمسين سنة (قوله مثواه) أى منزله (وقال اقرؤا سورة الفتح) أى لان الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم (اندمال القرح) الجرح (جبر) أصلح (ثكلكم) حزنكم على فقدكم الحلواء بسببى (والحلواء) كل طعام عولج بحلاوة وتمد وتقصر (شملكم) عددكم المفترق وفى معنى الآية قول بعضهم

لاتكره المكروه عند نزوله ... ان المكاره لم تزل متباينه
كم من يد لاتستقل بشكرها ... لله فى طى المكاره كامنه

(الآدب) صاحب العرس (الظرف) جودة الرأى قال الاصمعى وابن الاعرابى الظريف البليغ الجيد الكلام وقالا الظرف فى اللسان واحتجا بقول عمر رضى الله عنه انه اذا كان الرجل ظريفا لم يقطع اى اذا كان بليغا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد قال الكسائى رحمه الله تعالى وفى الوجه يقال لسان ظريف ووجه ظريف * غيره الظريف الحسن الوجه والهيئة (المهدى) مرسل الهدية و (الظرف) الوعاء (احذف) اقطع بعضه (انهض) تقدم (وثب) بالغ وعجل جوابه (الروض) موضع العشب والانوار (حوائه) موضعه والحواء أخبية قريب بعضها من بعض (ويفض) يفرق و (أسلف الجريمة) قدم الذنب (نمم) زين والنميمة النقش (غيمه) سحابه (انهلت) سالت (الديمة) العطية هنا وانظر معنى هذا الشك الطارئ له فى السابعة والعشرين فى قوله يا أخى الحامل ضيمى (محافظ) راع للمودة (أستودعكم) أترككم وديعة فى يده (خير حافظ) هو الله سبحانه وتعالى يشير لقوله تعالى فالله خير حفظا (استوى عليها) أى ركبها وقال فى الدرة الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها للمبالغة كالتى فى داهيه وراويه وسميت راحلة لانها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء فى التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية ولاعاصم اليوم من أمر الله أى لامعصوم ومن ماء دافق أى مدفوق وحرما آمنا أى مأمونا كما جاء مفعول بمعنى فاعل فى قوله تعالى حجابا مستورا أى ساترا وكان وعده مأتيا أى آتيا

(في حافرته) في الطريق الذي جاء منه (لاويا) عاطفا (زافرته) قرابته (وخدت) أسرعت (عنسه) ناقته الصلبة ومنه عنست المرأة إذا طال مكثها لا تتزوج (زايلنا) فارقنا (دست) مجلس (صدره) أي مكانه (أفل) غاب

(شرح المقامة التاسعة عشرة وهي النصيبية)*

(أمحل) أجدب أي لم ينزل فيه مطر (اخلاف الانواء) يريد النجوم التي من عادتها أن تطلع بالمطر واخلفت لم تجيء بمطر (الركبان) أهل الاسفار (ريف) خصب (نصيبين) مدينة ديار ربيعة العظمى وهي مطلة على جبل الجودي الذي استوت سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عليه وهو جبل عال مستطيل * أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فرأيت مدينة أعجبتني فقلت يا جبريل أي مدينة هذه قال نصيبين فقلت اللهم عجل فتحها قال اليعقوبي هي مدينة عظيمة كثيرة الانهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب افتتحها غنم بن هياض الغنمي في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ثمان عشرة قال شيخنا ابن جبير مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من الماء تسقيه وتطرد في نواحيه وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم حافتيه وتفيء ظلالها الوارفة عليه فرحم الله أبا نواس حيث يقول

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها ... يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

فخارجها رياضي الشمائل أندلسي الخمائل يرف نضارة وغضارة ويتألق عليه رونق الحضارة وداخلها شعث البادية بادية عليه فلا مطمح للبصر إليه لا تجد العين فيه فسحة مجال ولا مسحة جمال وهذا النهر ينساب اليها من عين معينة منبعها بجبل قريب منها تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمائرها ويتخلل منه البلد جزء يخترق على شوارعه ويلج في بعض دياره ويخترق جامعها منه ميزاب ينصب في صهريجين أحدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقي ينصب إلى سقايتين حول الجامع وعلى النهر جسر معقود من صم الحجارة متصل بباب المدينة القبلي وفيها مدرستان ومارستان واحد (قوله وبلهنية أهلها المخصبين) البلهنية رخاء العيش * ونريد أن نصل ما ذكر من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة في أوصاف الرياض تقع كالصفة لها قال ابراهيم بن العباس الكاتب

تأمل سماء أطلت عليـ * ـك فيها مصابيحها تزهر
وأرضا تقابلها بالعرو * س والمرج بينهما أخضر
ومسحب نور غداة الربيـ * ـع بينهما المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر * وأضعاف أصفره أحمر
وللماء مطرد بينها * يضيق بوارده المصدر

راجعا في حافرته ولاويا إلى زافرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه وزايلنا أنسه كدست غاب صدره أو ليل أفل بدره

(المقامة التاسعة عشرة النصيبية)

(روى الحرث بن همام) قال أمحل العراق ذات العويم لاخلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين

(ذكر مدينة نصيبين)

(ذكر أوصاف الرياض)

يشارفه البردي جانب ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرسى سفين * فياعذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عزها ، يسوسهم الملك الاكبر

(وأنشد السيرافي)

ومجلس فتيان الى جنب حافة * بقطربل بين الرياض الحدائق
تقاضي ميادينا له أحدقت به * مواخرها موصولة بالجواسق
وحف بريحان وكرم معرش * ونهر وأشجار ونخل بواسق
وورد ونسرين وآس وسوسن * أقاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرف بالنوار حتى كأنما * به جنة محفوفة بالنمارق

(وقال كشاجم)*

وروضة صنف النوار جوهره فيها فأشئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبكي بدمع من الانواء مسكوب
حتى كأن أفانين النبات بها * على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبير ثوب من الموشي مصبوب

(ولابن المعتز)

وقاذفة بالماء في وسط جنة قد التحفت لخفاس الطل سجسجا
اذا انبعثت بالماء رد تمه نصلا * وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تحاول ادراك النجوم بقذفها * كأن لها قلبا على الجو محرجا
لدى روضة جادا السحاب ربوعها * فزخرفها بين الرياض ودبجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا * وآس ربيعي يناغي بنفسجا
كأن غصون الاقحوان زمرد * تعمم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كأن نسيمه * من المسك في جو السماء تأرجا

قال البحتري تعرضت لابي نخمة وكان مجنونا يعد اد له بديهة حسنة فقلت له كيف أنت يا أبا نخمة فانشأ يقول

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك تحسوى غير ملتفت * متحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بهجره تلفي * أسفي عليك أشد من تلفي

فاخرجت قبضة نرجس من كمي فاخذها وشمها مليا وأنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بهاطل * جون هتون بزبرج دلاح
أضحى يلقحها وحي الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فأتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح

من أصفر في أزهر قد زانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن في عقد الزبرجد فاغتدى * نحو العراق ناماً سرابه بلاح

(فصل في ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين)

* ويتصل بهذه الحكاية فصل في ذكر ما يستحسن من أشعار المجانين فان أبا محمد قد ذكر في هذه المقامة المصابين وذكر المجانين في غيرها التي لا تخل بما شرطنا قال بعض الادباء كان رجل من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة فقلت له يا أبا فلان ما بالك وأين النعمة قال تغير قلبي بالحب فتغيرت النعمة ثم بكى وأنشأ يقول

أرى التجمل شيأ لست أحسنه * وكيف أخفي الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الشوق ينحله والهجر يحزنه
وانه حين لا وصل يساعفه * يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت فتنته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال تفضل قليلا فوالله لاطرحن في أذنيك أدبا أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش النعام فوقفت فأنشد

للحب نار على قلبي مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها في محاجرنا * يا للرجال لماء فاض من نار

وأنشد أيضا

عاد الصدود وأحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
وأحسب نفسي على ما أرى * ستلقى من الهجر همّا طويلا
وأحسب قلبي على ما بدا * سيذهب من قبل إلا قليلا

(قال الحسن بن هانئ رأيت مانيا الموسوس فانشدني)

شعر حتى أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى * كاد عن أعين الحوادث يخفى
لو تأملتني لتبصر شخصي * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم أتيت جعيفران الموسوس وهو شيخ كبير من بني هاشم عليه قطيفة وفي عنقه غل من ذهب فقال من أين جئتنا يا حسن فقلت من بيت مانويه فقال في حرام مانويه وقال لي اكتب

ما غرد الديك ليلا في تنبهه * الا حننت اليك السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذ راقدها * بنومة في لذيذ العيش ممهودا
الا اتطيت الدجى شوقا اليك ولو * أصبحت في حلق لاقياد مصفودا
اسعى مخاطرة بالنفس يا أملي * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترق ولم ترث لذي دنف * زودته حرقات القلب تزويدا
هيهات لاغدر في جني ولا بشر * من الخلائق الافيك موجودا

ثم قال لي خرق رقعة مانويه فخرقتها ثم مضيت فلقيت غردد المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويقول يا أيها الناس الفراق مر المذاق فقلت يا أبا محمد من أين اقبلت فقال شيعت الحاج اذ كان لي فيهم سكن وقلت في ذلك

هم ورحلوا يوم الخميس غدية * وودعتهم لما استقلوا وودعوا

فلما تولوا وولت النفس فيهمو * فقلت ارجعي قالت الى اين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينان قد أعماهما الحزن والبكا * وأذن عصت عذا لها ليس تسمع

وجعيفران من مجانين الكوفة أعطاه رجل درهما وقال له قل شعرا على قافية الجيم فقال بديها

عادني الهم فاعتلج * كل هم الى فرج
سل عنك الهموم بالـ * كأس والراح تنفرج

(وهو القائل)

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه * أضحى لقوم كثير * وكلهم يدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه * والام تضحك منهم * لعلمها بأبيه

(وقال مانى)

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب
يا حسن ما سرقت عيني وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب
اذا يد سرقت فالحد يقطعها * والحد في سرقة بالعين لا يجب

وله أيضا

له وجنات في بياض وحمرة * لخافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج أجيلت في جوانبها الخمر

وأشعار المجانين في هذا الباب أكثر من أن تحصى (قوله اقتعدت مهريا) أى ركبت بعيرا منسوبا الى مهرة قبيلة من قضاعة ابلهم أنجب الابل زعموا أنه كان يلقحها الوحش وهى ابل وحشية صغار بيض تكون بين عمان والشحر وتزعم العرب أنها ابل الجن لسرعتها فبقيت أنسالها في بنى مهرة قال أبو عبيدة المهرية من الابل تسير أربعمائة ميل كل يوم ثم نسب العرب الى مهرة كل بعير نجيب (اعتقلت) حبست والاعتقال أن تحبس الرمح بين ركابك وساقك (تلفظنى) ترميني (رفع) مرتفع (خفض) منخفض (يجذبني) يسوقني لنفسه (نقضا على نقض) هزيل على هزيل وأخذ هذا اللفظ من قول أبي الشيص يصف شدة السير

أكل الوجيف لحومهم ولحومها * فأولك أنقاضا على أنقاض
ولقد أتت على الزمان سواخطا * فرجعن عنك وهن عنه رواضى

(وقال حبيب في معناه)

وركب يساقون الركاب زجاجة * من الصين لم يقصر لها كف قاطب
وقد أكلوا منها العوارب بالسرى * وصارت لها أشباحهم كالغوارب

(ولحبيب أيضا)

وركب كأمثال الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو كواكبه
على كل رواد الملاط تهدمت * عريكته العلياء وانضم جانبه
رعته الفيافي بعد ما كان حقبة * رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت أمكنته مذانبه

(قوله أنخت) بركت (مغناها) موضع سكناها (نويت) قصدت (حرانى) صدرى والجران باطن

فاقتعدت مهريا واعتقلت
سمهريا وسرت تلفظني
أرض الى أرض ويجذبني
رفع من خفض حتى بلغتها
نقضا على نقض فلما أنخت
بمغناها النصيب وضربت
في مرعاها بنصيب نويت
أن ألقى بها جراني وأتخذ
أهلها جيراني

عنق البعير يقول لما أخذ نصيبا فى مرعاها أضمر أن يقيم بها ريثما يأتى أرضه المطر (الجماد) التى لا مطر فيها (تتعهد) تتفقد وتزور (العهاد) كثرة المطر * وتغمضت العين بالنوم اذا خالطها ودب فيها * وتمخضت المرأة اضربها وجع الولادة وتقول تمخضت المرأة عن زوجها اذا جاءت بالولد عنه وتمخضت بولدها اذا تحركت به ودنت ولادتها واذا استعير هذا المعنى لليلة صار تمخضها عن اليوم السابق لها كأن اليوم ألقى فى الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحركت به فيريد أنه لم ينقض يومى الذى وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل فى الليلة التى ولا بجل هذا قال قبل هذا تغمض مقلتى بنومها أراد أنه لقيه قبل الليلة التى ينام فيها ولو قال تمخضت يومها للزم أن يكون اليوم الذى بعدها كأنها كانت حاملة تلده اذا طلع صبحه من حيث انه متصل بها ولو جعلت عن بمعنى الباء لانقلب الى هذا المعنى واعتدل الكلام على صحة المعنى الاول وأصل المخض التحريك ومنه مخضت اللبن اذا حركته لاخراج زبد وتمخضت المرأة وتمخضت تحرك ولدها ليخرج ثم يستعار ذلك للايام وغيرها وأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان فى النعمان

أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال بقاءه النعم الركام
تمخضت المنون له بيوم * أتى ولكل حاملة تمام

النعم الركام الابل الكثيرة وصغر قابوس تصغير الترخيم وجعل المنية حاملا باليوم الذى هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة وقال حبيب فى معناه

حتى اذا مخض الله السنين لها * مخض البخيلة كانت زبدة الحقب

فهذه استعارة من مخض اللبن أراد أن السنين تحركت لهذه البلدة أى كانت تمر عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة فى حسنها ولذتها فأكلوها باستباحة من فيها (قوله ألفيت) أى وجدت (يجول) يتصرف (أرجاء) نواحى (يخبط) يسأل الناس وأصل الخبط نفض ورق الشجر ينفض للابل فيجزن ثم يدق لها فى زمن الشتاء ويبل بالماء فتعلفه ثم يستعار الخبط للمعروف وقال زهير بن أبى سلمى

وليس مانع ذى قربى وذى نسب * يوما ولا معدما من خابط ورقا

يقال خبطت الرجل أى سألته وخبط الرجل بالامر لم يهتد له وابه والبعير ضرب بيده الارض والشئ ضربته والدابة الارض شدت وطأها والشيطان الانسان صرعه (قوله المصابين) أى المجانين (والمصيبين) الواجدين لما يطلبون والمصيب أيضا ضد المخطئ والمفعول مصاب فيريد أنه يجول فى نواحيها مسرعا كالمجنون أو كالمتيقن بوجود حاجته (الدرر) الجواهر و (الدرر) اللبان أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا (قدحى الفذ) أى سهمى المسرد (توأما) زوجا وأراد أنه كان منفردا فصار بأبى زيد زوجا (انبعث) نهض وتوجه (نفث) نطق (عراه) قصده (امتد مداه) أى طالت مدته (عرقته) أخذت لحمه (مداه) سكاكينه (يسلمه) يتركه و (أبو يحيى) كنية الموت وقد تقدم فى المقامة قبل سهام أبى يحيى مسددة نحوى * أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقى من فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة وقال مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصداع والحمى يصيب الانسان وان ذنوبه مثل أحد فما يفارقه حتى لا يدع من ذنوبه وزن خردلة * أنس

الى أن تحيا السنة الجماد وتتعهد أرض قومى العهاد فوالله ما تغمضت مقلتى بنومها ولا تمخضت ليلتى عن يومها دون أن ألفيت أبا زيد السروجى يجول فى أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو يترمس فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدتها جهادى قد حاز مغنما وقدحى الفذ قد صار توأما ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث الى أن عراه مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا ويسلمه الى أبى يحيى فوجدت لفوت لقياه

(ذكر ثواب المرضى) *

رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض اذا برئ وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها (قوله سقياه) أى فوائده التى كان يسقيه بها (مرامه) حاجته (فطامه) تطعه عن الرضاع (أرجف) تحدث بالارجاف خوض الناس فى الفتنة وحديثها و(غلق) كف وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يمسك رهنه ان لم آتك الى كذا فالرهن لك فان أتاه بالدين بعد الامد قال له قد غلق الرهن وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه (المخلب) ظفر الطائر الصائد (الحمام) المنون (اشالوا) انصبوا وارتفعوا (عقوته) موضعه وأصلها افناء الدار (موجفين) مسرعين (حيارى) جمع حيران والحيرة التردد فى الامر وعدم التهدى له قال الواثق

لا بك السقم ولكن كان بى * وبنفسى وبامى وأبى

قيل لى انك صدعت فما * خالطت عيناى حتى ديربى

وقال آخر

أنا مذ خبرت بالعلة والله عليل

ليت حالك بجسمى * ولك العمر الطويل

(عيد) عيل (شجوهم) حزنهم (الحندريس) الخمر (أسالوا الغروب) أجروا الدموع والغربة الفيضة من الدمع والجمع غروب (عطوا) شقوا (صكوا) لطموا (شجوا) جرحوا (يودون) يمنون (سالمته) تركته وصالحته وأصله الصلح (المنون) المنية (غالت) أهلكت (نفائسهم) كرائم أموالهم *ونذكرها من الشعر ما يوافق هذا الموضع* دخل أبو دهمان القيسى يوما على بعض الامراء يعوده فأنشده

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد * نقيك الذى تخفى من السقم أو تبدى

بنا معشر العواد ما بك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى

ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعوده فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض

فليت أن الذى يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض

فى الامام لنا من غيره عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض

*(وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر)

أعزز على بأن أراك عليلا * أو أن يكون لك السقام نزيلا

لوددت أنى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا

فتكون تبقى سالما بسلامتى * وأكون مما قد عراك بديلا

هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى * وكذا الخليل اذا أحب خليلا

هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله وكان المعتصم أميا لان أباه هرون الرشيد بدبه فى صغره للتعلم فسمعه يوما يقول وقد مرت به جنازة ليتنى مكانك ولا أرى هذا البلاء فقال له لا اندبك الى شئ يمنى الموت من أجله فلهذا لم يكن له علم بالادب كأخويه الامين والمأمون ولابى العباس المبرد

ياعليل أفديك من ألم العلة هل لى الى اللقاء سبيل

ان يحل دونك الحجاب فما يحجب عنى منك الضنى والنحول

وانقطاع سقياه ما يجده المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لارجاف المرجفين واشالوا الى عقوته موجفين حيارى يبلبهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا (قال الراوى) وكنت فيمن التف بأصحابه

(ولأبي تمام في مالك بن طوق)

ألبسك الله منه عافية * في نومك المعترى وفي أرقك
يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ولابن عبد ربه)

يا من عليه حجاب من جلالته * وإن بدا لك يوما غير محجوب
ما أن وجدتك مكسوا أثواب ضنى * بل كاناك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبي الله أيوب

(قوله أغذ) أى أسرع (تصدينا) تعرضنا (الاستنشاء) الاستطلاع (أنبائه) أخباره (برز) خرج (مفترة) ضاحكة (استطلعناه) سألناه أن يطلعنا (طلع الشيخ فى شكاته) خبر مرضه (كنه) حقيقة (عركة الوعكة) شدة المرضة وعركت الشىء دلكته بيديك وحككته ووعكته الحمى كسرته و(شفه الدنف) أضعفه المرض ونقص جسمه (استشفه) استقصى بقية قوته (ذمائه) قوى نفسه (إغمائه) ذهاب عقله من الضعف (ارجعوا أدراجكم) اى فى الطريق الذى جئتم فيه (انضوا انزعاجكم) اى أزيلوا انزعاجكم وطيشكم والانزعاج ضد القرار (أعظمنا بشراه) اى وجدنا ما بشرنا به عظيما والبشارة بكسر الباء ما بشرت به والبشارة بضمها ما يعطى على البشارة والبشارة بفتحها الجمال وفلان بشير الوجه اى حسنه وعند أكثرهم ان لفظ بشرته لا يستعمل الا فى الاخبار فى الخير وليس كذلك بل يستعمل فى الخير والشر قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم والعلة فى ذلك أن البشارة انما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها فى بشرة من بشر بها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب الا أنه اذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة يطلق لفظها فى الشر وهذا ذكره الحريرى فى الدرة قال ابن عزيز البشرى والبشارة أخبار بما يسر وقال تعالى لهم البشرى (اقترحنا) طلبنا واقترحت الشىء فعلته قبل أن يفعل (مؤذنا) معلما (لقى) طريحا (طلقا) فصيحا (محدقين) محلقين وأحدق القوم بالشىء اذا أحاطوا به واحتفوا حوله وحدقوا اى نظروا اليه نظرا شديدا فهم محدقون اليه اى ناظرون والحدقة سواد العين الاعظم و(الاسارير) تكاسير جلد الوجه أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا فجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة المريض اذا دخلت عليه أن تضع يدك على رأسه وتقول كيف أصبحت أو كيف أمسيت واذا دخلت عليه تغمدتك الرحمة واذا خرجت من عنده خضتها مقبلا ومدبرا وأومأ بيديه الى حقويه، أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد المريض خاض الرحمة فاذا جلس عنده انغمس فيها، أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه فى أجله فان ذلك لا يضره شيأ وهو يطيب نفس المريض نفسوا وسعوا عليه بطول عمره ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان يعوده فقال له لولا ان سرورك ما يتم بان تسلم وأسقم أنا لدعوت ربى أن يصرف ما بك الى ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بمال

وأغذ الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستنشاء أنبائه برز الينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ فى شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان فى قبضة المرضة وعركة الوعكة الى أن شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله تعالى بتقوية ذمائه فافاق من اغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا انزعاجكم فكأن قد غدا وراح وساقاكم الراح فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لقى ولسانا طلقا وجلسنا محدقين بسريره محدقين الى أساريره

فقلب طرفه في الجماعة ثم قال اجناوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكراله
من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه
لابد من حتف سيرديني
ما يتناساني ولكنه
الى تقضى الاكل ينسيني
ان حم لم يعن حيم ولا
حمى كليب منه يحميني
وما ابالي أدنا يومه
أم أخر الحين الى حين
فاي نحوف في حياة أرى
فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الاجل

(ذكر حمى كليب)

فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادي

(وكتب آخر الى عليل)

نبئت أنك معتل فقلت لهم * نفسي الفداء له من كل محذور
ياليت علته لي غير أن له * أجر العليل وأني غير مأجور

(قوله قلب طرفه) اى حول عينيه ينظرهم (اجتاوا) انظروا ونسبوا الشعر للساعة لما قيل فيها (عافاني) اى سلمني (تعفيني) تهلكني (من) أنعم (حتف) هلاك (تقضي الاكل) تمامه وآخره (ينسيني) يؤخرني والاصل الهمزة فسهله للشعر (حم) قدر (حيم) صاحب (حمى كليب) هو ابن ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرئ القيس وكان أعز الناس في العرب وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث ما بلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع الا باذنه واذا جلس لا يمر أحد بين يديه اجلالا له ولا يحتبي أحد في مجلس غيره ولا توقد نار غير ناره ولا يجير تغلبي ولا بكري رجلا ولا يحمي حمى ولا يغير الا باذنه وكان يحمي الصيد فيقول صيد كذا في جواري فلا يصيب أحد منه شيأ وكان قد حمى حمى لا يطؤه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها

يالك من قبرة بمعمري * خلالك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان وكان لمرة وهو من بني بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام فجاءت جساسا خالة له اسمها البسوس التي يقال فيها أشأم من البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب بفصيل لها فدخل الحمى يوما فوجد بيض القبرة قد وطئته سراب فكسره فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس فقال أوقد بلغ من قدره أن يجير دوني اذني يا غلام ارم ضرعها فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه عن شبيث والاحص غديرين حتى بلغ غدير الدنائب فجاء جساس فقال نفيت عن المياه مالي حتى كدت تهلكه فقال انا للمياه شاغلون فقال هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها فقال أوقد ذكرتها أما اني لو وجدتها في غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها فعطف عليه جساس فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال يا جساس اسقني ماء فقال تجاوزت شبيثا والاحص واحتز رأسه وأمال يديه وجاء فقالت أخته لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه قال أبوها والله ما خرجتا الا لامر فلما وصله قال ماوراءك يا بني قال طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا قال قتلت كليبا قال نعم قال وددت انك واخوتك متم قبل هذا ما بنا الا أن تتشاءم بنا وائل ثم لقي أخاه نضلة فقال

واني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

(فأجابه أخوه نضلة)

فان تك قد جنيت علي حربا * فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده أن لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل

فأسرّت اليه الخبر فقال له مهلهل ما قالت لك أمتك فقال زعمت أنّ أخي جساسا قتل كليبا فقال است أختك أضيق من ذلك وتحمل القوم وغدا مهلهل في ثأر أخيه بالخيل واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرة فتكلموا معه في القصاص من جساس واخوته فذهب مرة الى الدية فغضبت تغلب ووقعت في الحرب فدامت بينهم أربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخته رحلي جليلة عن مأتمك فان قيامها شماتة بنا وعار علينا فقالت لها اخرجي يا هذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا فلما رحلت قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جدّ أختي أفلا قالت نعرة الحياء وخوف الاعتداء وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته بالهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بينه وبين بكري كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه فسألها فأخبرته فلما أوى الى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته فقال ثائر ورب الكعبة فلما أصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال له انما أنت ولدي ومني وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتى نأخذ علينا ما أخذ علينا قال نعم ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بسلاحه فأتيا جماعة قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قدموا للعقد أخذ بوسط رمحه وقال وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه ودرعي وزريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم وقد قيل في صورة قتل كليب غير ما ذكرنا وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب وقد نسب شعر القبرة لطرفة وقال النابغة الجعدي وذكر قتل كليب وحذر به عقالا العقيلي

كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... وأيسر جرما منك ضرّج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال لجساس أغثني بشربة * تداركها منا علىّ وأنعم

فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو مترسم

الترسم اتباع الماء في قعر البئر يقول اي افتخار في حياة تعرض علىّ فيها الامتحانات ثم بعد هذه المشقات تردني الى الكبر والشيخوخة فلم أبال أدنا الموت أم تأخر اذ المآل الى الهرم القائد الى الموت وأشار بهذا الى قول النمر بن تولب

يودّ الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(والى قول حميد بن ثور)*

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

وجاء كفى بالسلامة داء وجاء في أجر البلايا قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ماله خطيئة *أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهوى والبلاء والشهوة معجونة بطينة آدم (قوله ارتداد الوجل) اى ازالة الخوف و (اتقاء الابرام) خشية التثقيل قال بعضهم

اذا ما عدت محموما فخفف * فتخفيف العيادة خير عاده

(ذكر تخفيف العيادة)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا العيادة وأقلوا الجلوس والعيادة يوم * أبو القاسم الوزير بن عيسى قال أنشدني أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد وقد جئته عائدا وأطال قوم عنده الجلوس فقال لي يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا فصرفت من حضر ثم هممت بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع ثم أنشدني عن محمد بن الجهم

لا تضجرن مريضا جئت عائده * ان العيادة يوم اثر يومين

وسله عن حاله وادع الاله له * واقعد بقدر فواق بين حلبين

من زار غبا اذا دامت مودته * وكان ذاك صلاحا للخليلين

وقال آخر

عيادة المرء يوم بعد يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

لا تبرمن مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل

مرض يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج ويسأل الحاجب عن منامه وطعامه وشرابه فلما أفاق قال ما عادني الا اسمعيل بن صبيح ودعا له وممن زاد على التخفيف فقطع الزيارة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مرض أخوه محمد بن عبد الله فلم يعده عبيد الله فكتب له محمد

اني وجدت على جفا * ئك من فعالك شاهدا

اني اعتللت فما وجد * ت سوى رسولك عائدا

ولو اعتللت فلم أجد * شيأ اليك مساعدا

لا استشعرت عيني الكرى * حتى أعودك راقدا

(فأجابه عبيد الله أخوه)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق مذ حممت طعم الرقاد

يا أخي الحافظ المودة والنا * زل من مقلتي مكان السواد

منعتني عليك رقة قلبي * من دخولي عليك في العواد

لو بأذني سمعت منك أنينا * لتفرى من الانين فؤادي

ومرض حماد عجرد فعاده أصحابه الا مطيع بن اياس وكان خاصا به فكتب اليه يقول

كفاك عيادتي من كان يرجو * ثواب الله في صلة المريض

فان تحدث لك الايام سقما * يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي * بمنزلة الطنين من البعوض

فما نفسي عليك تذوب حزنا * وما دمعي عليك بمستفيض

(ولمحمد بن عبد الله في محبوب له مرض)

ألسك الله منه عافية * تغنيك عن دعوتي وعن جلدك

سقمك ذا لا لعلة عرضت * بل سهم عينيك دب في جسدك

فيامريض الجفون أحى فتى * قتلتـه بالجفون لا بيـدك

(وقال آخر فى محبوب له تركت الحمى على فيه أثرا)

ياأملى كيف أنت من ألمك * وكيف ماتشتكيه من سقمك

هـذان يومان لى أعدّهما * مذلم تلح لى بروق مبتسمـك

حسدت حمالك حين قيل لنا * بانها قبلتـك فوق فمـك

(وقال العباس بن الاحنف)

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * وهى الصحيحة والمريض العائد

والله لوأنّ القلوب كقلبها * مارق للولد الضـعيف الوالد

(قوله البثوا) اى أقيموا (بياض يومكم) اى طوله وبياض النهار ضوءه (مناجاتكم) محادثتكم (مغناطيس) حجر يجلب الحديد تقول له العامة حجر المس (تحرينا) اى قصدنا (تحامينا) تباعدنا (نمخص زبده) نحرك ونجمع فوائده وكنى بالزبد وهو جمع زبدة عن خيار الكلام (نلغى زبده) نترك مالاخير فيه وزبد الماء مايعلوه من الرغوة (المقيل) النوم فى وقت القائلة (حامى الوديقة) شديد الحر (يانع الحديقة) ناعم الروضة والحديقة كل بستان محلق بحائط أو زرب (راود) طالب (الآماق) العيون وأصله طرف العين من جهة الانف (والخاطب) من يخطب المرأة و(القيلولة) الرقاد فى القائلة و(الآثار) الاحاديث (فلما وقال) يقال قال يقيل قيلولة ومقيلا نام نصف النهار أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من ضبطهن ضبط الصوم من تسحر وقال وشرب بعدما يأكل وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيلوا فان الشياطين لاتقيل ودخل العباس على ابنه وهو مضطجع فضربه برجله وقال قم لانامت عينالك تنام فى ساعة يقسم فيها الرزق وانما النوم على احدى خصال خرق أوحمق أوخلق فنومة الحمق بعد العصر لاينامها الاسكران أوشيطان ونومة الخرق نومة الصبح ونومة الخلق نصف النهار ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بقيلولة النهار على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار (قوله السنة) النوم (الهجود) الرقاد (باخ) سكن حرّه (تخشخشنا) اى تحركنا (ملقى الرحال) موضعها (شبله) ولده (شاكلته) طريقته (شكله) مثله وسكون الشاكلة والشكل واحدا وجمع الشكل أشكال وشكول (اخال) أحسب وكنى الجوع أباعمرة لانه يعمر كل جوف قيل لمدنى أتعرف أباعمرة قال كيف لاأعرفه وقد تربع فى كبدى وقال الراجز

حل أبو عمرة وسط حجرتى * وحل نسج العنكبوت برمتى

(أضرم) أوقد وكنى الخوان وهو المائدة أباجامع للاجتماع حوله للأكل (وأردفه) جئ به خلفه وكنى الحوارى وهو الدرمك أبانعيم لان خبزه أنعم الاخباز وأصعاها (الضيم) الذل وجعله صابرا على كل ذل لانه لايصل من صورة البر الى الخبز الابعد علاج شديد وتغييره من حال الى حال ، وفسر معنى أبى حبيب بقوله المحبب الى كل لبيب وقوله المقلب بين احراق وتعذيب يريد أن ماولى من الجدى النار وقت شيه احترق ومالم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسال ودكه فذلك تعذيبه (أهب) ادع به وصح به وكنى الخل أباثقيف لانه يثقف الطعام

البثوا بياض يومكم عندى لتشفوا بالمفاكهة وجدى فان مناجاتكم قوت نفسى ومغناطيس أنسى فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخص زبده ونلغى زبده الى أن حان وقت المقيل وكلت الالسن من القال والقيل وكان يوما حامى الوديقة يانع الحديقة فقال ان النعاس قد أمال الاعناق وراود الآماق وهو خصم ألد وخطب لايرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المقولة (قال الراوى) فاتبعنا ماقال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة فى الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا الاوالحر قدباخ واليوم قدشاخ فتكترعنا لصلاة العجاوين وأدينا ماحل من الدين ثم تخشخشنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت أبو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله وقال انى لاخال أباعمرة قد أضرم فى أحشائهم الجمرة فاستدع أباجامع فانه بشرى كل جائع وأردفه بأبى نعيم الصابر على كل ضيم ثم

عزز بأبى حبيب المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب وأهب بأبى ثقيف فحبذا هو

اى يحذقه فيطيب للآكل (أليف) صاحب وانما قال حبذا هو من صاحب لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل * وكنى الملح أبا عون لانه يستعان به على أكل الطعام وطعام بلا ملح لا يؤكل وقد أشار الى هذا بقوله (فامثله من عون) * وكنى البقل أبا جميل لانه يحسن بحضرته الادام ويزينه أو لانه يذهب بالجميل وهو ودك اللحم فيخف للآكل وقوله (لجمل أى تجميل) أليق بالتفسير الاول ولا يمتنع من الثانى وحدث وائلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحضروا موائدكم البقل فانه مطردة للشيطان مع تسمية الله تعالى أبو السمل ابن مالك يجيئ البقل على المائدة فاذا رأيت السكباج نسيت البقل السكباج لحم يحل والسك بالفارسية الخل والباج اللحم * وسمى السكباج بأم القرى لانه من أجل أطعمتهم وأم الشيء معظمه وجليله ومنه أم القرآن الحمد لله وأم القرى لمكة المشرفة وأم الشيء أجله والقرى طعام الضيف فكأنه قال بجل بطعام فاصل يقدم للضيف و(كسرى) ملك الفرس وجعلها تذكر به لانه أول من صنعت له فاستعملها وأمر باجادة الصنعة فى طبخها وقيل ان نميره طبخها واستعملها فى زمن كسرى فنسبت اليه وكنى الجوذابة بأم الفرج وهى خبزة توضع فى التنور ويعلق عليها طير أو لحم فيسيل ودكه فيها ما دامت تطبخ فتفرج عنك هم الادام فلا تحتاج اليه فهى خبز بادامه (افتك بها ولا حرج) أى كلها ولا اثم عليك وان كان اللفظ يعطيك معنى آخر فالمراد به هذا * وكنى الخبيص أبا رزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان غنه وجعله آخر ما يؤكل والرزين من الرجال الكثير الوقار وقرن به الفالوذج لانه نوع منه قال بعض الفضلية الحلوا مثل الملك يدخل بيتا فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لاحد فاذا نظروا الى الملك تضايقوا وأوسعوا له وكان عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأله عنه فقيل له هو الفالوذج قال وما هو قيل لباب البر مع العسل النحل فقال ابعوا الى غلام يصنعه فأتوه به فابتاعه وقدم مكة فصنع له بها الفالوذج فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى ألا من أراد الفالوذج فليحضر فكان فيمن حضر أمية بن أبى الصلت وكان يمتدحه كثيرا فقال فيه

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هادى
له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى
الى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

ولباب البر خالص القمح ويسمى النشا يلبك يخلط والشهاد العسل والفالوذج الذى رأيت بسجلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار ثم يعقدان بالنشا ثم يلون الكل بالزعفران فيجيء متعقق الحمرة فيقطع قطعا على قدر أكبر التمر وفى شكله ويؤتى به فى الاعراس بعد الشواء ويؤتى بالخبيص آخرا وخبيصهم فى غاية البياض ليس كخبيص الاندلس ويقرص قرصا على قدر صغار الجبن فمن رآها على بعد لم يشك أنها جبن ويعد رجال المائدة ويؤتى بطبق كبير فيوضع بين أيديهم وأمام كل رجل قرصته فلا يكاد يكملها الآكل لافراط حلاوتها وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها واستعمال الابل فى السواقى والطواحن ودق النوى لعلفها نعم وعلى ان البربرية

من أليف وهلم بابى عون
فامثله من عون ولو
استحضرت أبا جميل لجمل
أى تجميل وحيهل بأم
القرى المذكرة بكسرى
ولا تتناس أم جابر فكم
لها من ذاكر وبادأم الفرج
ثم افتك بها ولا حرج واختم
بابى رزين فهو مسلاة
كل حزين وان تقرن به أبا
العلاء تمح اسمك من
البخلاء

غالبة على ألسنة أهل القبلة فهم يستعملون كثيرا من ألفاظ أهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة وبسمون البرادة التى لشرب الماء بوقالا وكذا تسمية أهل سجلماسة وجمع البو قال بواقيل قال الحسن بن هانئ

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * اذقيل لى انما التمساح فى نيل

فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فلا أرى النيل الا فى البواقيل

وكان رأى التمساح أخذ رجلا فهجا النيل والبرادة عندهم آنية من صفر فيها مخاطيف تعلق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد فيها الماء (قوله المرجفين) الطست والابريق لان لهما عند أخذهما صوتا ينقر أحدهما فى الآخر فكان ذلك الصوت يرجف أى يخبر بتمام الطعام والحث على القيام أبو بكر الصفار حضر مجنون بالكوفة طعام قوم فجلس يأكل فجعل الغلام يحرك الطشت والابريق فقال من هذا الذى يرجف بنا قبل انقضاء عملنا * بينما طفيلى يأكل مع صوت دق الاشنان فامتنع من الاكل فقيل له ألا تأكل قال حتى يسكن هذا الارجاف الذى أسمع ، وقيل لطفيلى مم اصفر وجهك قال من فترة بين قصعتين مخافة أن تكون قد فنيت (استقلال) ارتفاع (حول البين) أى ابل الفراق ويريد بها الموائد لانها اذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول اياك أن تقربهما قبل أن ترتفع الموائد فيهيأ الناس للغسل والانصراف فان غسلت الايدى والموائد باقية توهم ان ثم طعاما يستأنف أكله (نزع) زال وتنحى (المراس) غسل الايدى وذلك بعضها ببعض (صافحوا) باشروا والغسول قد تقدم فى السابعة (أطف) اجعله يطوف وقد بين لما كناه ابا السرو أنه من فعل السرى من الرجال و(عنوان السرو) دليل المروأة (قوله ففقه) أى فهم (لطائف) دقائق (رموزه) اشاراته الخفية والرمز الاشارة بالشفتين أو العينين (آذنت) اعلمت (أجمعا) عرسا (البديع) العجيب (قطريرا) مظلما ورجل قطرير شديد العبوس واقطر القوم اشتدوا (الصبح والمسى) اسمان لوقت زوال الظلام والضياء (مستنيرا) كثير الضوء و(النوب) النوازل (فرجة) راحة (تجاو الكرب) تزيل الهموم وأنشدوا فى هذا المعنى

لا تضيقن فى الامور فقد تكـ * ـشف غماؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

كذا أنشدوه فرحة بالفتح والفرجة بالضم فى الحائط وشبهه وبالفتح فى الامر وانظر هذا البيت فى الاربعين فى أخبار عمرو بن العلاء (سموم) ريح حارة (نسيما) ريحا لينة (تنشى) ابتدأ وظهر (اضمحل) زال (سكب) أمطر (خطب) أمر شديد (لهب النار) اشتعالها بغير دخان وفى هذا المعنى قال أبو نواس

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه

فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك ان تكفى الذى تخشاه

(وقال أيضا)

حسن الظن بمن قد عودك * كل احسان وقوى أودك

ان ربا كان يكفيك الذى * كان بالامس سيكفيك غدك

وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حول البين
واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا أبا اياس فاطف عليهم أبا السرو فانه عنوان السرو قال ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والنيب الى أن آذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعا على التوديع قلنا له ألم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه قمطريرا ومسيه مستنيرا فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال
لا تيأسن عند النوب
من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم
جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشى
فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه
فما استبان له لهب

(ذكر الفرج بعد الشدة)

(الاسى) الحزن (تفيئته) أى حينه وقال الزبيدى فى الابنية جاء على تفيئة ذلك وتفئته حينه ووقته و (الروح) الرزق والروح السرور والفرح والروح برد نسيم الراحة (اللطائف) جمع لطيفة وهى رفق الله تعالى بعباده واحسانه اليهم واللطيف الرفيق والمحسن وأراد فى البيت ارج فى شدائدك الله فله ألطاف كثيرة لا تحصى بالعدة فبعد العسر يسر وأنشد أبو حاتم فى معنى أبيات المقامة

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
ووطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منه غوث * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت * فمقرون بها الفرج القريب

* (قال أبو بكر بن الانبارى أنشدنى اسمعيل القاضى)

لا تعتبن على النوائب * فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه * ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى * ولكل خالصة شوائب
كم فرجة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث تنتظر المصائب

قال القاضى رحمه الله ما عرض لى هم فادح فذكرت تلك الابيات الا رجوت من الله الفرج ثم أول عاقبة ما أحذره الى فاتحة ما أوثره قال على الكاتب أصبحت يوما مغموما غما لا أعرف سببه فجاءنى رجل بظهر حوار واذا فيه

روح فؤادك بالعصى * ترجع الى روح وطيب
لا تيأسن وان ألح الدهر من فرج قريب

قال فزال عنى الهم ووجدت طعم الفرج وحكى الاصمعى رحمه الله تعالى قال بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم أر شخصه

فرج القضاء بكف من * بقضائه نزل البلاء
واصبر فكل شديدة * لا بد يتبعها رخاء

* (وقال آخر) *

سوف تبلى كل جده * وستقضى كل مده
انما الدهر عناء * وعوار مسترده
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

* (وقال آخر) *

خف اذا أصبحت ترجو * وارج ان أصبحت خائف
رب مكروه مخوف * فيه لله لطائف

(قوله استملينا) كتبنا (الغر) الحسان (والينا) تابعنا (مغمورين) مغطين (برئه) افاقته

ولطالما طلع الاسى
وعلى تفيئته غرب
فاصبر اذا ما ناب روع
فالزمان أبو العجب
وترج من روح الاله
لطائفا لا تحتسب
قال فاستملينا منه أبياته
الغر وواليناالله تعالى
الشكر ودعاءه مسرورين
ببرئه مغمورين

ببره *(تفسير ألفاظ ما تضمنته هذه المقامة من كلمات لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية)* (قوله ذات العويم) يعنى به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين (والسمهرية) الرماح وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم اسمهرّ الشئ اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقوّمان الرماح بسوق هجر فنسبت اليهما (وقوله نقضا على نقض) أى مهزولا على مهزول (والجران) باطن العنق وقيل منه يعمل السياط (وقوله فضرب الله على الآذان) أى أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم فى الكهف أى أنمناهم وقيل فى تفسيره منعناهم السمع (وقوله تكر عنا الصلاة العجماوين) أى غسلنا أكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء (وقوله هلم) أى قل هلم وهى تأتى بمعنى هات وبمعنى أقبل والافصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن فى قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمى وللاثنتين هلما وللجمع هلممن (وقوله حيهل) أى عجل وأسرع يقال حيهل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود فى عمر رضى الله عنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وفى حيهل لغات أخر أضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية (فأبو يحيى) كنية الموت و(أبو عمرة) كنية الجوع ويكنى أيضا أبا مالك و(أبو جامع) الخوان و (أبو نعيم) الخبز الحوارى و(أبو حبيب) الجدى و (أبو ثقيف) الخل و (أبو عون) الملح و(أبو جميل) البقل و(أم القرى) السكباج و (أم جابر) الهريسة و(أم الفرج) الجوذاب و (أبو رزين) الخبيص و(أبو العلاء) الفالوذق و (أبو اياس) الغسول و (المرجفان) الطست والابريق و (أبو السرو) البخور *(المقامة العشرون الفارقية)* (حكى الحرث بن همام) قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون فى المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن أليفه وجاره فلما أنخناها مطايا التسيار وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع فى الغربة واتخذنا ناديا نعتمره طرفى النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن به فى بعض الايام وقد انتظمنا فى سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جرى وجرس جهورى فحيا تحية نفاث فى العقد

(بره) احسانه واكرامه و (حيهل) قال ابن الانبارى فيها ست لغات قال عبد الله بن مسعود اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ومعناه أقبلوا على ذكر عمر فتسون هلا وتنصبه على المصدر كأنه قال مرحبا به الثانى تفتح حى وهل وتبنيهما كخمسة عشر الثالث تسكن هاء هلا هذه المشبهة لكثرة الحركات الرابع حيهل بتسكينهما جميعا كبخ بخ الخامس حيهل الى عمر أى هلموا الى ذكره السادس حيهل على عمر أى أقبلوا على ذكره

(شرح المقامة العشرين وهى الفارقية)

(يممت) أى قصدت (ميافارقين) بلد بينها الى نصيبين ثلاثون فرسخا وميافارقين بديار بكر وهى من كور الجزيرة وكان تملكها سيف الدولة وذكرها المتنبى فقال

شجانى عن ذات اليمين كأنما ... تحن لميافارقين وترحم

التنحديهى سمعت بعض الادباء يقول سميت ميافارقين لان ذا الرمة أو غيره من العشاق لو وصل اليها بالاتفاق وشاهد وجوه أهلها الملاح والعيون السقيمة الصحاح وعاين رشاقة القدود ولباقة الخدود وسواد الطرر وبياض الغرر وسمرة الشفاه اللعس وحمرة الوجنات والجباه الملس لقال لصاحبته ميافارقينى ولا تراتينى فلا يجوز التيمم مع وجود الماء ولا حاجة الى الدواء بعد البرء والشفاء (قوله يمارون) أى يجادلون ويخالفون (المناجاة) المحادثة (المداجاة) المساترة بالعداوة (لم يرم) لم يزل يقال ما رامنى ولا يريمنى أى لم يبرح عنى ولا زال ولا يقال الا منفيا (وجاره) بلده وأصله الجحر (ظعن) رحل (أليفه) صاحبه (الاكوار) الرحال (الاوكار) البيوت يريد انهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن فتركوا النقلة وأقاموا فى البيوت (تناهينا) نهى بعضنا بعضا (ناديا) مجلسا (نعتمره طرفى النهار) أى نجلس فيه بالغدو والعشى (طرف) غرائب (السلك) خيط النظام و(انتظمنا) اجتمعنا فيه (الالتئام) الاتفاق (جرى) يقال لسان جرى مقدم على الكلام (جرس) صوت (جهورى) عال (نفاث) ساحر و (العقد) ما يعقدها السحرة وينفثون عليها

قناص للاسد والنقد ثم قال
عندي يا قوم حديث عجيب
فيه اعتبار للبيب الاريب
رأيت في ريعان عمري أخا
بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من
يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته
حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى
عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا
مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسموله
نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها
يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه
وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتره دهره
ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى
يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقي تحليل ما *
به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصارمنه *
من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه
ومن نعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن
يرغب في تكفين ميت غريب

بالبصاق (قناص) صائد (النقد) غنم صغار و(اللبيب والاريب) كلاهما بمعنى العاقل (ريعان) أول (أخا باس) صاحب شدة (الحسام القضيب) السيف القاطع (المعرك) موضع القتال وأراد به فروج الابكار (الفتك) سفك الدم وهو أيضا ركوب الرجل ما هم به (كرات) دفعات ورجعات (ضنكا) ضيقا (رحيب) واسع (بارز) قاتل (الاقران) الامثال في الشدة وغيرها (انثنى) رجع (خضيب) مخضوب يريد أيضا اقتضاض الابكار (سما) ارتفع وقام (مستصعب) أي صعب ممنوع (مهيب) مخوف (يميس) يتبختر (يرتشف) يقبل ويمص ريقهن والترشف المص الكثير و(الغيد) جمع غيداء وهي اللينة المفاصل من النعمة وقيل المائلة العنق في نعمة (يبتره) يجرده و(البطش) القوة والتناول الشديد (صليب) قوي شديد (لقى) طريحا (يعافه) يستثقله ويكرهه (تحليل) اذهاب وازالة وتحلل الداء ذهب شيأ فشيأ (أعيا) غلب (صارم) قاطع (البيض) النساء الحسان (المجاب) الذي تجيبه النساء لحاجته منهن و(المجيب) الذي يجيبهن لحاجتهن منه (آض) رجع (المنكوس) المردود الى حالته الاولى من الضعف وأشار الى قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فرده الى الحالة الاولى وهذا هو النكس في الخلق والنكس في المرض أن يمرض ثم يبرأ ثم يمرض والنكس في السهام ان ينكسر السهم فيجعل في الجعبة محولا الكسر الى فوق فاذا أدخل الرامي يده في الجعبة ليأخذ سهما فوجده كذلك تركه وأخذ غيره (دواهي المشيب) حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك * وذكرها من الادب ما يليق بالموضع * دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجدني قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد واشتد مني ما كنت أحب أن يلين وابيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود مني ما كنت أحب ان يبيض ثم أنشأ يقول

سلني أنبئك بآيات الكبر   نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الطعم اذا الزاد حضر *   وتركك الحسناء من قبل الطهر
* والناس يبلون كما تبلى الشجر *

ثم قال ألا أخبركم بجيد العنب هو ما روى عموده واخضر عوده وتفرق عنقوده ألا أخبركم بجيد الرطب هو ما كبر لحاه وصغر نواه ورق سحاه وفي الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وقال ابن أبي معن

من عاش أخلقت الايام جدته *   وخانه ثقتاه السمع والبصر

(قوله مسجى) أي مغطى ووصف في أول الشعر ذكره بالشدة وفي آخره باللين * وأذكر من الصفتين ما يكون من شرط ما ذكر * حكى أبو زياد الكلبي قال كان عندنا أبو العريب شيخا فتزوج ولم يولم فاجتمعنا على باب خبائه فصحنا أولم ولو بيربوع أو بقرد بجذوع قتلتنا من الجوع فاولم فلما عرس غدونا عليه فقلنا

ياليت شعري عن أبي الغريب *   اذبات في مجاسد وطيب
معانقا للرشا الربيب *   أأخمد المحفار في القليب
* أم كان رخوا يابس القضيب *

فصاح

فصاح يابس القضيب والله ثم أنشا يقول

سقيا لعهد خليل كان يأدم لى * زادى ويذهب عن زوجاتى الغضب
كان الخليل فأضحى قد تخونه * سر الزمان وتطعانى به الثقب
يا صاح أبلغ ذوى الزوجات كلهم * أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب

والقوافى وقعت فى لفظ يعقوب موقوفة وعرا الذنب عروق الذكر وكان أبو البيداء الاعرابى عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه زوجونى امرأتين فيقولون أما فى واحدة كفاية فيقول أمالى فلا فزوجوه اعرابية وقالوا له ان كفتك والا زوجناك الاخرى فدخل بها وأقام عليها أسبوعا فزاره اخوانه فى اليوم السابع فقالوا له يا أبا البيداء ما كان من أمرك فى اليوم الاول فقال عظيم جدا فقالوا ففى اليوم الثانى فقال أعظم وأجل قالوا ففى اليوم الثالث قال لا تسألوا فقالت امرأته من وراء السر

كان أبو البيداء ينزو فى الوهق * حتى اذا ما حل فى بيت أفق
فيه غزال حسن الدل خرق * مارسه حتى اذا ارفض العرق
تكسر المفتاح وانسد الغلق

الوهق حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة والافق الجيد وينزو يثب ويقصر * تزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع فعجز عنها فقال

يا لهف نفسى على نعظ فجعت به   حين التقى الركب المحلوق والركب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية فنظرها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لى ألف حر ما طمعت فى واحد قال ولم يا لخناء قالت لقبح منظرك وسوء مخبرك فيما أرى فقال لها أما والله لو خبرتنى لغفر مخبرى على منظرى ثم كشف لها وأراها مثل ذراع البكر فكشفت له عن مثل سنام البعير فتسمها وقال

أدخلت فيها كذراع البكر * مدملج الرأس شديد الاسر
زاد على شبر ونصف شبر * كأنما أولجته فى جحر

*وسمع بشار كلام امرأة فأحبها وأرسل لها ان تواصله وألح عليها فقالت لرسوله أى معنى له فى أولى فيه وهو أعمى لا يرانى فيعرف جمالى وهو قبيح الوجه لا حظ لى فيه فليت شعرى لاى شئ يطلب وصال مثلى فأدى اليه الرسول كلامها فقال عد اليها فقل لها

ايرى له فضل على آيارهم * واذا أشط سجدن غير أواب
تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب
وكأن هامة رأسه بطيخة * حملت الى ملك بدجلة جاب

*وعشق امرأة وتردد رسوله اليها حتى أبرمها فشكته الى زوجها فقال أجيبيه وعديه الى هنا ففعلت ووجهت له فجاء ولم يعرف بزوجها فقال لها ما اسمك بأبى أنت وأمى فقالت أمامة فقال

أمامة قد وصفت لنا بحسن * وانا لا نراك فالمسينا

فوضعت يده على اير زوجها وقد أنعظ لحسن حديثها معه ففزع ووثب قائما وقال

على ألية ما عشت حيا * أمسك طائعا الا بعود

ولا أهدى لارض أنت فيها * سلام الله الا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفى * على اير أشد من الحديد
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعودى

فقبض زوجها عليه وقال هممت أن أفضحك فقال كفانى فديتك مافعلت بى والله لا اعود لمثلها ابداء سمع الحكم بن عبدل امرأة تمثل بقوله

واعسر احيانا فتشتد عسرتى . فادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

فقال لها يا أخية اتعرفين قائل هذا الكلام قالت هو ابن عبدل قال أفتعرفينه عيانا فقالت لا والله فقال انا هو والذى أقول

وانعظ أحيانا فينقد جلده * وأعذله جهدى فلا ينفع العذل
وأزداد نعظا حين أسمع جارتى * فاوثقه كى ماينوب له عقل
وربما لم ادر ما حيلتى به * اذا هو آذانى وغرّ به الجهل
فأوفيه فى بطن لجارى وجارتى * مكابرة قرما وان رغم الفحل

فقالت المرأة بئس الجار والله للمغيبة أنت قال إى والله وللتى معها زوجها وابنها واخوها أين قول هذا على اسلامه من قول عنترة على جاهليته

وأغض طرفى مابدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى ماواها
انى امرؤ سمح الخليقة ماجد * لا اتبع النفس اللجوج هواها

(وقال أبو الرقعمق)

كل يوم انا من فعلى فى امر عجاب ليس يخليني من همّ وحزن واكتئاب
عينه فى كل من دبّ على وجه التراب لم يدع لى ذهبا الا رماه بالذهاب
وابتدى المشؤم ان يعمل فى بيع الثياب لعنة الله عليه * وبراغيث الكلاب

وللمفجع البصرى فى ضد ماتقدم والمفجع صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة فى الاملاء

لى أير أراحنى الله منه * صار همى به عريضا طويلا
نام اذ زارنى الحبيب عنادا * ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة على لحيتى * وانصرفنا وماشفينا غليلا

(وللراشد بن اسحق)

طال ماقت كالمنارة تهتز اهتزازا تسمو اليه العيون
رب يوم رفعت فيه ثيابى * فكأنى فى مشيتى مختون
خنت قوسك الخطوب وأفنت * لك فنون تفنى عليها الفنون
لم يدع منك حادث الدهر الا * جلدة كالرشاء فيها غضون
تنثنى كأنها صولجان * أو كما عرفت من الخط نون

وله أيضا فيه
كأنه حين أطويه وأنشره * سير يلف على دوامه الزيق
وان يقم قلت قثاة معنفقة * أو عروة ركبت فى رأس ابريق

وله أيضا فيه
أير ضعيف المتن رث القوى * لو شئت أن أعقده لانعقد

ان عس كالبقلة في لينها * فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضا فيه

ينام على كف الفتاة وتارة * له حركات ما يحس بها الكف

كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

*الفنجديهي سمعت الحافظ أبا جعفر المروزي يقول مازحت شيخنا النجيب بن ميمون الواسطي يوما وكان شيخا دمناظريا فقلت له أخبرني هل بقي من سلطان الهوى شيء وهل تقوم للخدمة العكازة الميمونية فقال آه آه ثم أنشد

تعقف فوق الخصيتين كأنه * رشاء على رأس الركية ملتف

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وأنشد أيضا

يقوم في الليل عند البول منحنيا * كأنه قوس نداف بلا وتر

ولا يقوم اذا نبهته سحرا * كما تقوم أيور الناس في السحر

ثم انه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاي سير

ثم بكى بكاء شديدا وذكرنا ووعظنا وهذه الابيات المنسوبة لراشد بن اسحق كلها من قصائد له مطولة في هذا الفن وأكثر شعره فيه وله فيه شعر كثير ومنه انتزع الحريري قصيدته في هذه المقامة (قوله أعلن) أي رفع صوته و (النحيب) البكاء وفي بكاء المحب على الحبيب يقول الشاعر وزاد معنى

أتنسى تؤنبني في البكاء * فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفي قولها حكمة * أتبكي بعين تراني بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت البكاء بتأديبها

(قوله رقأت) أي انقطعت (انفثأت) انكسرت وسكنت (لوعته) حرقته (النجعة) المرعى (الرواد) الطالبون لها (بهتان) باطل (عيان) معاينة (قوله في عصاي سير) مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة والسير الشراك الذي يدخل في ثقب في رأس العصا ويعقد منه حلقة يدخل فيها يده التي تمسك العصا فتكون أشد لاعتماده عليها وضربه بها فجعل عصاه عاطلة من سيرها وهو يريد أن لا منفعة عنده وأنشدوا

يالك من همة وخير * لو كان لي في عصاي سير

صبرا على النائبات صبرا * ما يصنع الله فهو خير

فمن قليل بدا كثير * كم مطر بدؤه مطير

وذكر الجاحظ فوائد العصا فمنها سئل يونس عن قول الله عز وجل ولي فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة اليها من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكأ عليها الكبير والسقيم والاقطع والاعرج والحطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهي للقصار والدباغ وهي معاد للملة ومحراث للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر وللشرطي والمكاري وللراعي غنمه وللراكب مركبه وتدق الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وان شئت مظلة وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك والثاني في يد صاحبك وان كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطردا وان زدت شيأ كانت رمحا وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه وكانت لا تفارق يد سليمان عليه الصلاة والسلام في مقاماته حتى سلط الله

عليها الارضة وهو ميت فسقط فكانت للجن آية * وكان الحكم بن عبدل اعرج احدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بابواب الملوك فلا يؤذن لهم وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا يؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل

عصاحكم فى الباب أول داخل * ونحن على الابواب نقصى ونحجب
وكانت عصى موسى لفرعون آية * وهذى لعمر الله أدهى واعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر امرها * ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة وصارت ضحكة فاجتنب أن يكتب عليها وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى بن علبة وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة الى منزل بعض اخوانهما وابن عبدل يحمل والاعمى يقاد فلقيهما صاحب العسس فأخذهما وحبسهما فنظر ابن عبدل الى عصا ابن علبة فى الحبس الى جانب عصاه فضحك وقال

حبسى وحبسك يا ابن علـ * ـبة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا اليدان
يامن رأى ضب الفلا * ة قعيد حوت فى مكان
طرفى وطرفك يا ابن علـ * ـبة بيننا متوافقان
من يفتخر بجواده * فجوادنا عكازتان

(وقال أيضا)

أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونومى به نوم الاسير المقيد
أعنى على حفظ النجوم ورعيها * أعنك على تحبير شعر مقصد
ففى حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب من ذا حبس أعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه * ينيخ سريعا أو على الكف يسجد
فعكازة تهدى الى السبل أهلها * وأخرى مع الرجلين قامت مع اليد

وولى امرة الكوفة أعرج وولى شرطتها أعرج فقصد الامير ابن عبدل وهو أعرج ووجد ساعيا أعرج فقال

ألق العصا ودع التخامع والتمس * عملا فهذى دولة العرجان
لاميرنا وأمير شرطتنا معا * ياقومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا * وأنا فان الرابع الشيطان

فبعث اليه الامير بمائتى درهم فضة وسأله ان يكف وكثيرا ما تصرف الشعراء فى ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم فمنها ما يحسن ومنها ما يقبح وقال ابن سارة

ولى عصا من طريق الذم أحمدها * بها أقدم فى تأخيرها قدمى
كأنها وهى فى كفى أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمى
كأننى قوس رام وهى لى وتر * أرمى عليها سهام الشيب والهرم

(وقال ابو بكر البلوى)

كانت عينى حين حاولت بسطها * لتوديع الفى والهوى يصرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا * وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

قال

قال ابن رشيق كنت أميل الى قينة اسمها ليلى فعشقها بعض خدام الحصون وكان يحسب خدمتها وكنسها منزلة لا يثلم جاه متوليها فنهيته عنها فلم ينته فقلت فيه

ظن أن الحصون ملك سليما * ن وليلى بجهله بلقيسا
وله في العصا مآرب أخرى * حاش لله أن تكون لموسى

(وقال الصابي)

بيدي اللواط مغالطا وبجانه * أبدا لاغراض الورى يستهدف
فكأنه ثعبان موسى اذ غدا * لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال الصاحب هذا ابن متوية له آية * يبتلع الاير وأقصى الحصى
يكفر بالرسل جميعا سوى * موسى بن عمران لاجل العصا

وقال أبو الفرج الاصبهاني في القاضي الاندنجي والتمس منه عكازة فلم يعطها اياه

اسمع حديثي تسمع آية عجبا * لاشيء أعجب منه يبهر القصصا
طلبت عكازة للرجل تحملني * ورمتها عند من يحقي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب * ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان سقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال يا أهل خراسان ليس كما ظننتم ولكن كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأما قول الشاعر

ويكفيك أن لا يرحل الضيف لائما * عصا العبد والبئر التي لا تهينها

فقال يعقوب البئر هنا حفرة تجعل فيها الملة وتجعل عليها الخبزة والعصا تقلب بها الخبزة على الملة وينفض بها الرماد وقال آخر

اذا جاء ثقاف يجر قناته * طويل العصا نكبته عن شياهنا

فالثقاف الرسول بين المريب والمريبة يأتي كالسائل فاذا وقف ثقف الارض بعصاه فاذا سمعت المرأة ذلك خرجت اليه فابلغها الرسالة فنقفه علامة بينهما وأراد بالشياه النساء (قوله غيمي) أي سحابي (مطير) تصغير مطر أي لو كان لي قوة ومال لاستأثرت بذلك نفسي (استأثرت) اختصصت (جناح) اثم (يأتمرون) يتشاورون (يتخافتون) يتكلمون سرا (فيما يأتون) أي فيما يفعلون معه (توهم) ظن (صرفه) رده (حرمان) خيبة (برهان) حجة (فرط) سبق (يلامع) جمع يلمع وهو السراب (القاع) منخفض الارض (يرامع) جمع يرمع وهي الحصى البيض وقيل الحجارة الرخوة (البقاع) جمع بقعة وأراد أن لهم ظاهرا وليس لهم خبرة كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له واليرمع تظنه فضة وهو حجر (الارتياء) تدبير الرأي وأصله الهمز لانه من الرأي (استوهبتم) طلبت منكم هبة (بردة) ثوب يلبس (هززتم) حركتم (البيت) الكعبة (اف) خيبة وقد تقدم ان العضرة والحصاة يكنى بهما عن يد البخيل (ذلاقته) حدة لسانه (رفاه) وصله (والطل والسيل) هنا القليل والكثير (سيبهم) عطاؤهم (وحق) وجب (التاسي) الاقتداء (خلجت) جذبت وأخرجت (الخنصر) الاصغر من الاصابع ويليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى

ولغيمي مطير لاستأثرت بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح (قال الراوي) فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم انهم يتمالؤن على صرفه بحرمان او مطالبته ببرهان ففرط منه ان قال يا يلامع القاع ويرامع البقاع ماهذا الارتياء الذي يأباه الحياء حتى كأنكم كلفتم مشقة لا شقة او استوهبتم بلدة لا بردة او هززتم لكسوة البيت لا لتكفين الميت أف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله (قال الحرث بن همام) وكان هذا السائل واقفا خلفي ومحتبيا بظهري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق على التاسي بهم خلجت خاتمي من خنصري

المسبحة والمشيرة ثم الابهام وقال أبو العلاء المعري

شغلت عن الرمي من خمسه اثنتين نقصهما المفخر
يشار السك بسبابة * وتثني على فضلك الخنصر
فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعريت البنصر

وقال صريع الغواني يلغز بخاتم

وأبيض أما رأسه فمدور * نقي وأما جسمه فعار
ولم يتخذ الا لتسكن وسطه * خضيبة رأس ما عليه خار
لها أخوات أربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

(لفت) رددت (فرية) كذب (مرية) شك وتقول بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها أي أحاديث كذب (تكذبها) استفعلها (أحبولة) آلة يصاد بها و (طويته على غره) أي سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل والغر بالنقط كسور الثوب يقال اطو الثوب على غره أي على كسوره طيه الاول * جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم طي الثوب راحته (صنت) حفظت وكتمت (شعاه) عيبه (فره) كشفه والشغار وزن على اخواتها وخروج الحنك الاعلى على الاسفل (حصبته) رميته والحصباء الحصى الصغار وحصبته رميته بالحصباء فاستعاره للخاتم (أرصده) أعده (واها) عجبا (ما أضرم شعلتك) أي ما أكر توقد ذهنك والشعلة لسان النار وانما تعجب منه لانه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرف مكره حين قال له أرصده ثم ستر عليه وأهل الشرق يتختمون ويتصدقون بخواتمهم وفي البديعية بعد تشك تقدم من أبي الفتح قال ابن هشام فوالله ما آنسني عن وحدتي الا خاتم ختمت به ضجره فلما تناوله انشأ يقول

ومنطق من نفسه * بقلادة الجوزاء حسنا
متألف من غير أسرته على الايام خدنا
كمتيم لقي الحبيب فضمه شغفا وحزنا
علق سنى قدره * لكن من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * في المجد لفظا كنت معنى

قال فتبعته حتى سفرت الخلوة وجهها فاذا والله أبو الفتح والطلا زغلوله فقلت أبا الفتح شبت وشب العلام فاين الكلام وأين السلام فقال

غريبا اذا جمعتنا الطريق * الوفا اذا انظمتنا الخيام

(قوله يسعى) أي يسرع المشي (قدما) أي قدامه وقبالته (يهرول) يسرع والهرولة تجري بين المشي والعدو (قدما) أي قديما وأولا ومعناها كما فعل في أول مرة حين سعى قدما (نزعت) اشتقت (امتحان) تجربة (قرعت) ضربت (ظنبوب) مقدم عظم الساق ويقال قرع لهذا الامر ظنبوبه اذا أسرع وجد فيه وبينه قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

أي كانت اغاثتنا له اسراعنا في نصرته (الهبت) اشعلت (الهوبى) شدة جريي و (الغلوة) مقدار

ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فأيقنت انها أكذوبة تكذبها واحبولة نصبها الا اني طويته على غره وصنت شعاه عن فره وقلت حصبته بالخاتم فقال ارصده لنفقة المأتم فقلت واهالك فما اضرم شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما فنزعت الى عرفان ميته وامتحان دعوى جبينه فقرعت ظنبوبي وألهبت ألهوبي حتى ادركته على غلوة

رمية السهم (اجتليته) نظرته (بجمع اردانه) أى بجمع اطراف ثوبه (عقته) صرفته عن وجهه (سنن) طريق (ميدانه) موضع جريه وطلقه (ملجأ) موضع يلجأ اليه (منجا) موضع تنجو فيه (غرموله) ذكره (قاتلك الله) اى قتلك الله واكثر ما يقع فاعلت عن الاثنين وقد يكون عن الواحد نحو ناولت وسافرت وقيل معنى قاتله لعنه وقيل عاداه (النهى) العقول واحدها نهية ومنه نهيته عن كذا فانتهى و(اللها) العطايا واحدها لهوة واصلها القبضة من الطعام تجعل فى فم الرحا (يكذب) يحدث بالكذب (يبرقش) يزين والبرقشة التزيين بألوان شتى (وريت) يقال وريت الخبر اوريه تورية سترته واظهرت غيره وفى الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا ورى بغيره وهو مأخوذ من الوراء كأنه جعل الخبر وراءه ولم يظهره (راءيت) استعملت الرياء يريد انه صرح لهم بذكر العورة ولم يكن عنها (فقهقهوا) اكثروا الضحك* ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله (من كيت وكيت) اى من هذه القصة التى اسمعهم وكيت وكيت كناية عن الحديث المدمج المداخل والله اعلم

(شرح المقامة الحادية والعشرين وهى الرازية)

(عنيت) أى شغلت (أحكمت) أتقنت (قبيلى من دبيرى) أى ما أقبل عليه من أمرى وما أدبر عنه* ابن الانبارى ما يعرف قبيلا من دبير أى ما يعرف الاقبال من الادبار أى ما يعرف ما أقبل به من القبل الى الصدر مما أدبر عنه وقيل معناه ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة والمقابلة التى شق أذنها الى قدام والمدابرة التى شق أذنها من مؤخرها وترك ما قطع معلقا الى خلف لا يبين (أصغى) أميل (العظات) هى المواعظ (ألغى) أترك (الكلم) جمع كلمة (المحفظات) المغضبات (أتحلى) أتزين وأتصف (وأتخلى) ازول وأفرغ وتخليت من كذا تركته (يسم) يجعل سمة (الاخلاق) العيوب وتمزيق العرض وأصله فى الثوب (أخمد) أسكن و(التطبع) له فى الطبيعة أثر وان لم تذهب الطبيعة بالجملة لانه اتفقت العرب والعجم على قولهم الطبع أملك وكان ملك من ملوك الفرس له وزير مجرب حازم فكان يعرف اليمن فى مشورته فهلك وقام ابنه بعده فلم يرفع به رأسا فذكر له مكانته من أبيه فقال كان أبى يغلط فيه وسأريكم ذلك فاحضره وقال له أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة فقال الطبيعة لانه أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا الملك بسفرة فوضعت وأقبلت سنانير بايديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال له اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فقال له أمهلنى فى الجواب الى الليلة المقبلة فقال لك ذلك فخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة فساقها حية فربطها بخيط وعقدها فى سبنية فلما راح الى الملك وضعها فى كمه ودخل فأحضر السفرة والسنانير فالقى لها الوزير الفأرة فاستبقت السنانير اليها وتطاير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال للملك كيف رأيت غلبة الطبع للادب قال صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه وقال ذو الاصبع

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

وقال المتنبى أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه * فما طلبى منها حبيبا ترده

واجتليته فى خلوة فأخذت بجمع اردانه وعقته عن سنن ميدانه وقلت له والله مالك منى ملجأ ولا منجا او تريني ميتك المسجى فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى واحيلك على اللها ثم عدت الى اصحابى عود الرائد الذى لا يكذب اهله ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذى رأيت وما وريت ولا راءيت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

(المقامة الحادية والعشرون الرازية)

(حدث الحرث بن همام) قال عنيت مذ أحكمت تدبيرى وعرفت قبيلى من دبيرى بأن أصغى الى العظات وألغى الكلم المحفظات لأتحلى بمحاسن الاخلاق وأتخلى مما يسم بالاخلاق ومازلت آخذ نفسى بهذا الادب وأخمد بهجرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا

وأيسر مفعول فعلت تغيرا * تكلف شيء في طباعك ضده

(وقال العرجي)

ياأيها المتحلي غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق

ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وقال المتنبي أيضا يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقال الشريف هيهات لايتكلفن الى الهوى * فضح التطبع شيمة المطبوع

(وقال ابن طاهر الاندلسي)

نقل الطباع من الانسان ممتنع * صعب اذا رامه من ليس من أربه

يريد شيأ وتأباه طبائعه * والطبع أملك للانسان من أدبه

فلما حللت بالري وقد حللت حبا الغي وعرفت الحي من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرة في اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحاون ابن سمعون دونه

فيريد أنه راض نفسه على اتباع الخير وبعد الشر حتى انقادت له الى ما يريد والتطبع استعمال غير ما في طبعك والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه الا بمشقة (قوله فلما حللت بالري) الري أرض على جادة خراسان واسم مدينة الري المهدية سميت بهذا الاسم لان المهدي تولاها في خلافة المنصور لما توجه الى خراسان لمحاربة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي وبها ولد الرشيد والمهدي أقام بها عدة سنين فشيد بناءها وأتقنه وأرضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد وأهل الري اخلاط من العرب والعجم قليل فيها وافتتحها قرط بن كعب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة وبها واد عظيم يأتي من بلاد الديلم يقال له نهر عيسي ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجنانه وأشجاره وله رساتيق وأقاليم وينسب اليها الرازي وهو من شاذ النسب وكتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ما يقيمك بأرض القراعنة والجبابرة سر الى خراسان أرض الفضة والعقبان والجواري الحسان وتقدم الحبا و (الغي) الضلال * والعرب تقول ما يعرف الحي من اللي والحو من اللو تقوله لمن تستجهله وتنفي عنه الفطنة وتصريفها ان الحي مصدر حويت الشيء حزته وجمعته ولويت الرجل مطلته ومنعته حقه لوا وليا ولويانا فالحي مدح واللي ذم فكأنه اذا قال عرفت الحي من اللي انما قال عرفت الخير من الشر وما يضر مما ينفع وعرفت الحي من اللي وقبلي من دبري انما يستعملان في النفي وتجوز أبو محمد في استعمالهما في الايجاب حيث كان أصلا للنفي (الزمرة) الجماعة وتقول فلان أثر فلان أي خلفه وقريبا منه كأنه يتبع اثره اذا رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه في الموضع (منتشرون) متفرقون (مستنون) جارون (متواصفون) يصفه بعضهم لبعض (ابن سمعون) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل بن عيسى بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ وكان وحيد عصره وفريد دهره في الاخبار عما يجس في الافكار وليا من الاولياء الاخيار كلامه في الوعظ نافع ونصحه في القلوب ناجع ومجاله في تصاريف الكلام على الخواطر رحب واسع وكان يقال له الشيخ المنطق بالحكمة وحدث أبو الطاهر محمد بن علي العلاف قال حضرت ابن سمعون يوما وهو في مجلس الوعظ على كرسيه وكان أبو الفتح القواس جالسا الى جنب الكرسي فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومك فقال نعم فقال

أبو الحسن لذلك أمسكت عن الكلام خوفا ان تنزعج وتنقطع عن الكلام الذى كنت فيه
وذكر أبو على الهاشمى قال حكى لى مولى الطائع لله تعالى قال أمرنى الطائع أن أوجه الى ابن
سمعون فأحضره دار الخلافة ورأيت الطائع على صفة من الغضب وكان يتقى فى تلك الحال لانه
كان ذا حدة فبعثت الى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لاجله فلما حضر أعلمت الطائع حضوره
فجلس مجلسه وأذن له فى الدخول فسلم عليه بالخلافة ثم أخذ فى وعظه فأول ما ابتدأ به ان قال
روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر خبرا ولم يزل يجرى فى ميدان الوعظ
حتى بكى الطائع وسمع شهيقه وابتل منديله بين يديه بدموعه وأمسك ابن سمعون حينئذ ودفع الى
درجا فيه طيب وغيره فدفعته اليه وانصرف وعدت الى الطائع وقلت يا مولاى رأيتك على صفة
من الغضب على ابن سمعون ثم انتقلت عنها عند حضوره فما السبب فقال رفع الى أنه ينتقص
عليا رضى الله عنه وأحببت أن أتيقن ذلك فان صح منه قتلته فلما حضر بين يدى افتتح كلامه
بذكره والصلاة عليه وأعاد فى ذلك وأبدى وقد كان له مندوحة فى الرواية عن غيره وترك الابتداء به
فعلمت انه وفق لما تزول به عنه المظنة وتبرأ ساحته عندى ولعله كوشف بذلك وله كتاب المجالس
وهو كله أحاديث متصلة الاسانيد ومن كلامه ان القلب بمنزلة المرآة فاذا أصابتها الطخية عولجت
بالزيت فاذا زادت زيد فيها من حتات الآجر فاذا زادت جليت بالحديد فاذا زادت على ذلك حتى
ركبها الصدأ لم يكن لها بد من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها توفى ابن سمعون فى ذى القعدة
سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن بداره بشارع العباسى فلم يزل هنالك حتى نقل يوم الخميس
الحادى عشر من رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد وقيل ان أكفانه
لم تكن بليت بعد (قوله يتكاءدنى) أى يشق على (أقاصى) اباعد (اللاغط) الصائح بكلام
لا يفهم و(الضاغط) الذى اذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك يريد انه لم يمنعه
ما أصابه من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الواعظ ويبين
هذا قوله فى الحسن ولم أزل أتنقل فى المراكز وأغضى للاكز والواكز (أصحبت) انقادت
(المطواعة) المنقادين المطاوعين (والانخراط) دخول الانسان فى الامر بغير علم وتقدم السلك
(أفضينا) وصلنا وأراد ان هذا المجلس جمع العامة والامير ومن له ذكر رفيع وشهرة ومن هو
مجهول مخمول وأراد بالهالة حلقة الناس وبالاهلة أشراف الناس والعلماء وحرك السين من وسط
مع الهالة لانها دارة وساحة والعرب تقول فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك
وسكن مع الاهلة لانه أراد معنى بين والعرب تقول جلس وسط القوم فحملوه على بين لما حل
محلها وكان فى معناها ولا يجوز جلس بين الدار فلهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين (تقوس)
انحنى (اقعنسس) تقبض واحدودب والقعس دخول الظهر وخروج الصدر والحدب ضده
وبينه الراجز بقوله اقعس يمشى مشية التقاعس . (تقلنس) لبس القلنسوة (تطلس) لبس
الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص (يصدع) يشق (قوله ما أغراك) ما أكثر لصوقك
(بعرك) يدلك على الغرور (أضراك) أشد ملازمتك (ألهجك) أشد حبك (يطغيك) يردك طاغيا
متجاوزا قدرك (أبهجك) أشد سرورك (يطريك) يمدحك فى وجهك والنفس ميالة كثيرة
الانخداع بمن يعظم شأنها ويثنى عليها فرارة ممن يحقرها ويذمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا

فلم يتكاءدنى لاستماع المواعظ
واختبار الواعظ أن أقاصى
اللاغط وأحتمل الضاغط
فأصحبت أصحاب المطواعة
وانخرطت فى سلك الجماعة
حتى أفضينا الى ناد جمع
الامير والمأمور وحشد
النبيه والمغمور وفى وسط
هالته ووسط أهلته شيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلنس
وتطلس وهو يصدع بوعظ
يشفى الصدور ويلين
الصخور فسمعته يقول
وقد افتتنت به العقول ابن
آدم ما أغراك بما يغرك
وأضراك بما يضرك وألهجك
بما يطغيك وأبهجك بمن
يطريك

التراب فى وجوه المداحين تذليلا لهم بذلك حيث اكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر قال الشاعر وخدعته بخديعة لما أبى * والحر يخدع بالكلام الطيب

(تعنى) تشتغل (يعنيك) يتعبك (تنزع) ترمى (تعديك) طلك (الحرص) أسوأ الطمع (يرديك) يهلكك * كعب بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة ولا تزداد الناس الا حرصا على الدنيا ولا تزداد منهم الا بعدا وقال محمود الوراق

كم الى كم أنت للحر ، ص وللآمال عبد
ليس يجدى الحرص والسعــى اذا لم يك جد
* مالما قــــدره الله مــن الامر مرد

وفى كتاب للهند لا ينبغى للملتمس من عيشه الا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه وما سوى ذلك فانما هو زيادة فى غمه وقالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى وقال أبو ذؤ ب

والنفس راغبة اذا رغبتها ‏ واذا ترد الى قليل تقنع

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه وقال الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس قال ابن أبى حازم رحمه الله تعالى

استغن بالله لا تضرع الى الناس ، واقنع بياس فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ‏ ان الغنى من استغنى عن الناس

ومن دعاء عمر رضى الله عنه اللهم لا تكثر لى من الدنيا فاطغى ولا تقلل لى منها فانسى فانه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقالوا ثمرة القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب وقالوا لا غنى الا غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع يا ابن آدم اذا أصبحت آمنا فى سربك معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وقيل لابى حازم ما مالك فقال مالان الغنى بما فى يدى واليأس مما فى أيدى الناس وقيل لآخر ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن ومما قيل من الشعر فى معنى ما تقدم قال محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغنى أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى لو صح منك النظر
أنك تعصى الله تبغى الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله * فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

(وقال البحترى)

اذا ما كان عندى قوت يوم * طرحت الهم عنى يا سعيد

تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع فى قوس تعديك وترتدى الحرص الذى يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع

ولم تخطر هموم غد ببالى * لان غداله رزق جديد

(وقال طباطبا)*

ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد ضد السرف
كسراج دهنه مجراه * فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر
واذا نبابى منزل جاوزته * واعتضت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(قوله ولا بالوعيد ترتدع) أى لا تكف عن غيك ولا ضلالك بما نخوف به من أهوال الآخرة (دأبك) أى عادتك (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه النفس وتميل اليه (تخبط) عشى على عماية (العشواء) الناقة التى لا تبصر (تدأب) تداوم (الاحتراث) الكسب (التراث) المال الموروث وفى معناه انه وجد على حائط مكتوبا ابن آدم غاص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل فى قلبك هم يوم لم يأت ان يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك فى طلب المال اسوة المغرورين فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات قال بديع الزمان

أيا جامع المال من حله يبيت ويصبح فى ظله
سيؤخذ منك غدا كله * وتسئل من بعد عن كله

وله أيضا
يا حريصا على الغنى قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعد هذا فانما أنت ساع لقاعد

(وقال سابق البربرى)

حتى متى تلهو بمنزل باطل * كانك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع مالا تأكل الدهر دائما * كانك فى الدنيا لغيرك خازن

وقال رجال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ان فلانا يجمع مالا قال فهل جمع له أياما أخذه الشاعر فقال

ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا حين تنفقه

(قوله التكاثر) أى كثرة المال تقول تكاثر المال تكاثرا اجازا الحد فى الكثرة * أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثرا حشر مع اليهود والنصارى والدين قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (تسعى لغاريك) تجهد فى كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك وهما الغاران وقيل هما الفرج والفم وقيل الحنكان الاعلى والاسفل وأخذ اللفظ من قول الشاعر

ألم تر ان الدهر يوم وليلة * وان الفتى يسعى لغاريه دائما

ولا بالوعيد ترتدع دأبك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تدأب فى الاحتراث وتجمع التراث للوراث يحملك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاريك ولا تبال ألك أم عليك أتظن أن ستترك

سدى وان لاتحاسب غدا
أم تحسب ان الموت يقبل
الرشا أو يميز بين الاسد والرشا
كلا والله لن يدفع المنون
مال ولا بنون ولا ينفع أهل
القبور سوى العمل المبرور
فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادّعى ونهى
النفس عن الهوى وعلم ان
الفائز من ارعوى وان ليس
للانسان الا ما سعى وأن سعيه
سوف يرى ثم أنشد انشاد
وجل بصوت زجل
لعمرك ما تغنى المعانى ولا الغنى
اذا سكن المثرى الثرى وثوى به
فجد فى مراضى الله بالمال راضيا
بما تقتنى من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه
يعلبه الاشغى يعول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤن ومكره
فكم حامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذى ما أطاعه
أخو صلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه
لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه
بدمع يضاهى الوبل حال مصابه
ومثل لعينك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحى حفرة
سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله
وأبدى التلافى قبل اغلاق بابه

(قوله سدى) أى مهمل مسيب (الرشا) بالضم جمع رشوة وهى العطية تدفعها مضرة من يقدر عليك (الرشا) بالفتح الغزال (كلا) زجر (المنون) هى المنية (المبرور) المتقبل (وعى) حفظ الوصية (ما ادعى) أى ما ادعاه من أنه قبل الوصية (وحققه) داوم عليه بعمله (ارعوى) رجع وتاب (ما سعى) أى ما عمل وتعب فيه (الفائز) الظافر بحاجته (وجل) خائف (زجل) شديد ورجل الصوت زجلا ارتفع وأيضا اضطرب وقال أبو العتاهية فيما تقدم من ذكر الموت

بين عينى كل حى ، علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والـ ـموت يغدو ويروح

وقال البديع

انما الدنيا غرور ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ ـظ لواعيه فصيح
نحن لاهون وآجا ل المنايا لا تريح

(قوله لعمرك) العمر البقاء فاقسم به كأنه قال وحق بقائك الكريم على المحسن الحى (المعانى) المنازل الشريفة (المثرى) الكثير المال (الثرى) التراب الندى وأثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته (ثوى) أقام (جد) تكرم بمالك (تقتنى) تكتسب أى لا تتبع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثير اذا آل الحال الى الموت (بادر) سابق (صرف) تقلب (الاشغى) المعوج (يعول) يهلك (نابه) ضرسه (الخؤن) الكثير الخيانة (النابه) والنبه من النباهة وهى الجلالة والرفعة و(الحامل) ضده و(أخنى) أهلك وأخنى على أخذ ما له (صلة) أى ضلالة و(هوى) سقط (عقابه) الأول جباله والثانى عذابه (تله) تشتغل (يضاهى) يشابه (الوبل) أكثر المطر (حال مصابه) أى حال وقوعه والمصاب مصدر صاب يصوب صوبا وصابا (الحمام) الموت (روعة) فزع صاحبه حين يلقاه (صابه) مره والصاب شجر مر (وقصارى) آخره وما تنتهى اليه كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها (واها) عجبا (التلافى) التدارك لما فات (اغلاق بابه) أى موته *وفى روعة ملقاه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى صورتك التى تقبض عليها أرواح الفاجر قال لا تستطيع ذلك قال بلى قال فاعرض عنى ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومن منخريه لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد الى صورته فقال ابراهيم لو لم يكن للفاجر عند موته الا صورتك لكان حسبه *وفى مطعم صابه يحكى ان ابراهيم عليه السلام قال له الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب قال أما انا هونا عليك وقال لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كعصفور يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا يطير فينجو وفى رواية كشاة تسلخ من جلدها وهى حية وقال كعب الاحبار لعمر رضى الله عنهما وقد سأله ان يحدثه عن الموت قال الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ الغصن ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند موته يقول ان للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيته من موته صلى الله عليه وسلم وهذا حال أحبابه فكيف عن عمره فى بحار المعاصى اللهم عفوك وشعر

المقامة مزدوج القوافى وعارضه الزاهد بن عمران فقال

مالى وللدنيا وعلى بها * عرارة خداعة مالى
تعرفنى حتى اذا مكنت * تعبث فى نفسى وفى مالى
همت بها حبا فقد أفسدت * ما كان من صالح أعمالى
أعمى الهوى قلبى وحبى لها * رأس خطاياى وأعمالى
تبكى على الفائت من حظها * عينى بتسكاب واهمالى
يا رب زهدنى فى حبها * ولا تؤاخذنى باهمالى

وله فى مثله
ارغب عن الدنيا وأوصافها * مشوبة جاءتك أوصافيه
قل لأولى الالباب من معلها * فارجع الى نجدى وأوصافيه
ما بال من يعتز ذو فطنة * كلا ولا يعتز بالعافيه
كم من غنى قد عاد مفتقرا وكم * آفية قد أصبحت عافيه

وله أيضا
ما الزهد يا قوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال وأخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * فى حسن آداب وأخلاق

وله أيضا
خليلى لا يغرركم زى ظاهرى * ووجهى اسألت الله فاسأله لى صفحا
فلو كنت ذا علم كعلمى بباطنى * لاضربت عن ذكرى أيادى النهى صفحا
ولكن أرى الله الجميل بفضله * فلم يبش لى سرا ولم يبد لى صفحا

وقال بعض الزهاد لصاحبه انى أحبك فى الله فقال له لو علمت منى ما أعلم من نفسى لابغضتنى فى الله وله أيضا

تحفظ بدينك لا تبتذله * ولا تلق عرضك عرضا كلما
وعد عن الذنب لا تأته * وبادر باصلاح ما منك لما
فأنت ابن عمران موسى المسى * ولست ابن عمران موسى الكليما

وقال غيره
لا تأمن الدهر الخؤ * ن وخف بوادر بغتته
فالموت سهم مرسل * والعمر قدر مسافته

(قوله عبرة يذرونها) أى دمعة يسيلونها (وتعول) تريد وتصيق يريد يضيق وقتها و يدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين (خشعت) ذلت (التأم الانصات) اتصل السكوت (استكت العبرات والعبارات) أى سكن البكاء والكلام (استصرخ مستصرخ) أى استغاث مستغيث (بجأر) يصيح يريد ان رجلا تشكى للامير من عامل له ولاه عليهم بجائر فمال الامير مع الوالى وترك المشتكى وقوله (صاغ) أى مائل و (لاه) أى تارك ومشتغل (يئس) قطع رجاءه (روحه) نصرته وعدله الذى يريح المشتكى والروح السرح والسرور (استنهض) سأله النهوض ليسمع الامير عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان داوصلة لاخيه المسلم الى السلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام (الشمير) الماضى فى أموره (معترضا) من العريض وهو ان تخاطب غيره وأنت تريده (نال بغيته) أى أدرك ما طلب (بغى) جار وظلم (يسدى ويلحم) أى يتصرف فى المظالم طولا وعرضا ومقبلا ومدبرا

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يطهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات والتأم الانصات واستكت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالامير الجائر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والامير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما يئس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشمير وأنشد معترضا بالامير
عجبا لراج أن ينال ولاية
حتى اذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم فى المظالم والغا

في وردها طورا وطورا مولغا
ثم ان يبالي حين يتبع الهوى
فيها أأصلح دينه أم أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه
ما حالة الا تحول لما طغى
أولو تبين ما ندامة من صغى
سمعا الى افك الوشاة لما صغى
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه
وتغاض ان ألغى الرعاية أو لغا
واربع المرار اذا دعاك لرعيه
ورد الاجاج اذا حماك السيغا
واحمل اذاه ولو أمضك مسه
وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا
عنه وشب لكيده نار الوغى
ولينزلن به الشمات اذا بدا
متخليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خده
أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا وله لسوف يوقف موقفا
فيه يرى رب الفصاحة ألثغا
وليحشرن أذل من فقع الفلا
ويحاسبن على النقيصة والشغا
ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى
ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى
ويناقشن على الدقائق مثل ما
قد كان يصنع بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه
ويود لو لم يسغ منها ما بغى

(ذكر الولاية والعزل والتشكى من الولاة)

والسدى خيوط الثوب طولا واللحمة خيوطه عرضا (والغا) شاربا (وردها) ماؤها (مولغا) مسقيا غيره يريد انه يباشر الظلم بنفسه تارة ويوليه غيره أخرى (أوتغ) أفسد وأهلك (ياويحه) قال الازهري رحمه الله تعالى ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والفرق بين ويح وويل ان ويح تقال لمن وقع في بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك لجزعت فقال لي يا حميراء ان ويح كلمة رحمة فلا تجزعي منها ولكن اجزعي من الويل (يوقن) يحقق (تحول) تغير (طغى) ارتفع وجاز الحد في الجور (صغى) مال (افك) كذب (الوشاة) جمع واش وقد تقدم (انقد) أطع يقول من أصبح حاكما فاسمعه وأطع له (تغاض) تغافل (ألغى) ترك (الرعاية) المحافظة للحقوق (لغا) أخطا وقال قبيحا ثم قال ان حملك على الذل فاحتمله وكنى برعي المرار عنه (رد الاجاج) اشرب الماء المر والملح (حماك السيغا) منعك العذب السهل للشرب (أمضك) أحرقك وصيرك مهموما والمض التوجع من قول أو جرح (مسه) وقعه بجسمك (والغرب) فيض الدمع والغرب الدلو (هذا له) اشارة الى ذل العزل (الالثغ) الاخرس المحبوس اللسان وهو أيضا الذي يبدل الياء والراء غينا (وربها) صاحبها (والفقع) ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضعفه وهو الفقاع وبه يضرب المثل فيقال أذل من فقع بقرقرة (الشغا) الزيادة (اجتنى) جمع أموال الناس وضبطها لنفسه (اجتنى) اختار يريد انه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالي الذي اختاره وولاه (احتسى) شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة (ارتغى) شرب الرغوة أي يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن (يناقش) يبحث عليه ويخرج ما عنده (أبلغ) ازيد (يسغ) يدرك ويطلب، ونذكر هنا فصلا من الآداب يحتوي على الولاية والعزل والتشكي من الولاة حسبما تضمن هذا الموضع في المقامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الامارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة، أراد عمر رضي الله عنه ان يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال قد كنا أردناك لذلك ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه ولقي عمر رضي الله عنه أبا هريرة رضي الله عنه فقال ألا تعمل فقال ما أريد العمل قال قد طلبه من هو خير منك يوسف الصديق عليه السلام قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم - قال المغيرة بن شعبة أحب الامرة لثلاث لرفع الاولياء ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لثلاث لروعة البريد وذل العزل وشماتة الاعداء وقال أمير لأعرابي قل الحق والا أوجعتك ضربا قال وأنت فاعمل به فوالله لما وعدك الله على تركه أعظم مما توعدتني به وذكر أهل السلطان عند اعرابي فقال أما والله ان اعتزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل ولقد رضوا بقليل فان عوضا من كثير باق وانما تزل القدم حيث لا ينفع الندم * تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا أمير المؤمنين ما ترك لنا فضة الا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا ماشية الا امشى بها ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا أضاعها ولا علقا الا علقه ولا عرضا الا عرض له ولا جليلا الا أجله ولا دقيقا الا أدقه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته * قحطبة بن حميد اني لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقد همت بالقيام عليها اهبة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون

الى يحيى بن أكثم فقال يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتك فقالت

يا خير منتصف يرجى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد الملك أرملة * عدا عليها فلم يترك لها لبد
وابتزمني ضياعي بعد منعتها * ظلما وفرق مني الاهل والولد

فاطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه فقال

في دون ماقلت زال الصبر والجلد * عني واقرح مني القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفي * وأحضري الخصم في الوقت الذي أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الاحد

فجلس يوم الاحد فكانت أول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت واقف على رأسك واشارت الى ابنه العباس فقال يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد يا أمة الله أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الامير فاخفضي من صوتك فقال له المامون دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه ثم قضى لها برد ضياعها وظلم العباس وأمر لها بنفقة وبكتاب الى عامل بلدها ان يحسن معاونتها * قال أبو العيناء كان عيسى بن فرخان شاه يتيه علي في وزارته فلما صرف رهبني فلما لقيني سلم علي فدنوت منه وقلت له والله لقد كنت أقنع بايمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك والحمد لله على ما آلت اليه حالتك فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة وان كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعم وما شكرت حق المنعم فقيل له يا أبا عبد الله لقد أبلغت في السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردني عنها بأقبح من صورته * وقال ابن الرومي في أبي الصقر وكان قد مدحه فلم يرفع به رأسا

فلئن نكبت لطالما نكبت * بك همة لجأت الى سندلك
لو تسجد الايام ما سجدت * الا ليوم فت في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداعلى كبدي * لما غدت حرا على كبدك

وقال فيه

خفض أبا الصقر فكم طائر * خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها * فصانها الله بتطليق
لا قدست نعمى تسربلتها * كم حجة فيها لزنديق

(وقال فيه قبل النكبة)

غدا يعلو الجياد وكان يعلو * اذا ما استفره السبت الطراقا
أعنتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقا
فزوجه بعد فقره نعمى * أراني الله صحتها طلاقا

* ومن غرائب الكتاب في العزل ما كتب به أحمد بن مهران الى معزول بلغني أعزك الله

انصرافك عن عملك فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه أو يضعك عزل عنه والله لولم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأنيك ماتزيل به السبب الداعى الى عزلك والباعث على صرفك ونحن الى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك اذ أردت الصرف فأوتيته وأحببت الاعتزال فأعطيته فبارك الله لك فى منقلبك وهنأك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها ، كان أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة الاقضاها ولا يشفع لاحد الاشفعه فلما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فردهم حتى لم يبق الا أبو شراعة فقال يا أبا شراعة غاية كل مودّع الفراق فانصرف راشدا مكلوأ من غير قلا والله ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى وأطال ثم قال وهو أحسن ماقيل فى التهنئة بالعزل

يا أبا اسحق سر فى دعة * وامض مكلوأ فما منك خلف
ليت شعرى أى أرض أجدبت * فأريحت بك من جهد العجف
نزل اللطف من الله بهم * وحرمناك بذنب قد سلف
انما أنت ربيع باكر * حيثما صرّفه الله انصرف

* ومن مليح هذا الباب ان بعض الوزراء قلد ابن حجاج عملا فخرج اليه يوم الخميس وتبعه كتاب عزله يوم الاحد فقال فيه

يامن اذا نظر الهلا * ل الى محاسنه سجد
واذا رأته الشمس كا * دت ان تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتنى * وصرفتنى يوم الاحد
والناس قد غنوا علىّ * لما خرجت من البلد
ماقام عمرو فى الولا * ية قائما حتى قعد

وذكر اللثغ وللشعراء فى اللثغ مايستحسن قال ابن شهيد

مرض الجفون ولثغة فى المنطق * سببان جرّا عشق من لم يعشق
ينبى فينبو فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له فى مهرق

(وأحسن مافى وصفه قول الرمادى)

لا الراء تطمع فى الوصال ولا أنا * الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها فى راحتى * فبكيت منتحبا أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف فقال

أيها الالثغ الذى شف قلبى * جد بحرف ولو نطقت بسبى
هجرك الراء مثل هجرى سواء * فكلانا معذب دون ذنب
فاذا شئت أن أرى لى مثالا * فى غرامى خططت راء بجنبى

(قوله المتوشح) أى المحترم و(المترشح) المتهيئ (للرعاية) أى لحفظ الناس (الاغترار) الانخداع

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار

(صولتك) عزك وقهرك يقال صال الرجل على قرنه والفحل على ابله أى قهر وعلا والفحل أيضا عض ور بما هم زفعل الفحل (قلب) اى متقلب (خلب) خادع لا ماء فيه يريد أن الولاية تنتقل من انسان الى آخر (تلغى) تهمل (العاجلة) الدنيا لان خيرها معجل (تولى) صار واليا (سعى) مشى مسرعا * ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى من أمر أمتى شيأ فحسنت سريرته رزق الهيبة فى قلوبهم واذا بسطت يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه واذا عدل مد فى عمره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الدين ولاة السوء وأيما وال ولى شيأ من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن من أخذ من هذه وهذه (الديان) المجازى وهو الله سبحانه وتعالى لانه يجزى العباد على أعمالهم وقال الالبيرى

كل امرئ فكما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

يا عامر الدنيا ليسكنها وما * هى بالتى يبقى لها سكان

تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان

أأسر فى الدنيا بكل زيادة * وزيادتى فيها هى النقصان

(تهمل) تترك مهملا (وجم) سكت غاضبا (امتقع وانتقع) تغير وذهب الدم من وجهه ويقال فى معناهما انتقع واهتقع (يتأفف) يقول اف اف وذلك فعل النادم المهموم (الزفرة) النفخة من الهم (أشكاه) أنصفه ورفع عنه شكواه وفى الحديث شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا أى لم يزل شكوانا أى شكوا اليه مايصيب أقدامهم من شدة الحر فى صلاة الظهر وسألوه تأخيرها الى الابراد فلم يجبهم الى ذلك وأنشد يعقوب

* ونشتكى لو أننا نشكينا * والمشكو اليه الوالى الذى اشتكى اليه (أشجاه) آذاه وأبكاه (ألطف) بره وأكرمه (حباه) أعطاه الحباء (يغشاه) يزوره (محصورا) محبوسا (يتهادى) يمشى متثاقلا مشى الوقار (يتباهى) يتعاظم (بفوز صفقته) بظفر قصته مع الوالى وفاز فوزا ظفر بخير دنياه وأخراه وأصل الصفقة فى البيع هو أن تضرب بيدك على يد مبايعك (اعتقبته) مشيت خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطئ عقبيه (أخطو متقاصرا) أى أمشى مستخفيا متشبها بالقصار (لمحا باصرا) اى نظرا شديدا (استشف) استقصى (فطن) تنبه وشعر (أرشد) دل يقول اذا كان لك دليلان فخيرهما من هداك الطريق فلما رآه ينظر وتشكك فيه قال خير دليليك من دلك على (اقترب) قرب (حدث ملوك) أى يحدثهم بما يطربون (فكه) طيب الحديث والفكه المزاح الحسن الخلق وفكه فكها وفكاهة طابت نفسه وكثر ضحكه قال الشاعر

فكه الى جنب الخوان اذا غدت * فكها تقطع ثابت الاطناب

أبو عبيدة رجل فكه يأكل الفاكهة وفاكه عنده فاكهة وقال الشاعر أيضا

فكه العشى اذا تأوب رحله * صيف الشتاء مسامح بالميسر

أى يأكل الفاكهة وقرئ فاكهين وفكهين قال الفراء رحمه الله تعالى معناهما واحد أى معجبين بما آتاهم ربهم كطمع وطامع وفكه وتفكه اذا تعجب ومنه فظلتم تفكهون وقيل معناه تندمون

بصولتك فان الدولة ريح قلب والامرة برق خلب وان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم فى الدارين من ساءت رعايته فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل يا انسان ولا تلغى الاساءة ولا الاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالى لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الامرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكى فأشكاه والى المشكو منه فأشجاه وألطف الواعظ وحباه واستدعى منه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته أخطو متقاصرا وأريه لمحا باصرا فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب طرفى فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب منى وأنشد

أنا الذى تعرفه يا حارث
حدث ملوك فكه منافث

(قوله منافث) أى محادث (المثالث) من أوتار العود (طورا) حينا (عابث) لاعب (الحوادث) ما يحدثه الدهر من خير أو شر (التجى) قشر (خطب كارث) أمر ثقيل صعب (فرى) قطع (ناب) ضرسى (فارث) مفتت الكبد قال الشاعر

هوى من صخرة صلد * ففرّث تحتها كبده

وفرثت الكرش أخرجت ما فيها من الزبل (ضابث) قابض عليه (السرح) المواشى تغدو راعية فى المسرح وتروح منه (عائث) مفسدا آكل لها (وسام وحام ويافث) أولاد نوح عليه الصلاة والسلام وفيهم نزلت وجعلنا ذريته هم الباقين وبذلك جاءت الاخبار وهم لام واحدة وأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطفته فجاءت بالسودان وذكر أهل التوراة أن نوحا عليه السلام شرب وانتشى وتعرى فأبصر حام عورته فاطلع عليه أخواه فأخذا رداءه فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فوارياه فعلم نوح عليه السلام بذلك فقال ملعون ٣ كنعان بن حام عبيدا يكونون لاخويه ومبارك سام ويكثر الله يافث وفى تفسير النقاش ان نوحا لما أهبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر اليها حام فضحك ولم يغير عليه يافث فنظر ذلك سام فزجره وغطى عورة أبيه فلما استيقظ أخبره فدعا نوح ابنه حاما فقال يا بنى غير الله ماء صلبك فلا تلد الا السودان وقال ليافث جعل الله ذريتك عبيد الاولاد سام وقال لسام جعل الله منك الانبياء والصالحين والملوك فكان سام القيم بعد أبيه فى الارض ونزل وسطها نزل الحرم الى اليمن الى الشأم ومن ولده الانبياء كلهم عربيها وعجميها ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم وهم العرب العاربة لان العربية لسانهم التى جبلوا عليها ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ومن العماليق الجبابرة بالشأم والفراعنة بمصر. سعيد بن المسيب سام ولده العرب وفارس والروم وفى كل خير وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان والترك والخزر ويأجوج ومأجوج * ابن المسيب وليس فى واحد من هؤلاء خير وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام والخلاف كثير (قوله ولا عمرو بن عبيد) هو الزاهد الذى كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصرى حتى حفظ عنه شيأ كثيرا من علومه واشتهر فضله بصحبته وكان له سمت واظهار زهد ورآه الحسن يوما فقال هذا سيد شباب أهل البصرة ان لم يحدث ثم ازاله ونهى عنه فقال بالعزل ودعا اليه وترك مذهب أهل السنة واعتزل الحسن البصرى ونسبت اليه المعتزلة فأما قيامه الذى ذكره فهو دخوله على المنصور فى جماعة من أهل العلم فاستشارهم فى أمر فكلهم أشار عليه بمراده الا عمرا فانه لم يصحبهم ونصحه فقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد قبلك لما وصلك ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه فقال الربيع يا عمرو غممت أمير المؤمنين فقال عمرو ان هذا يعنى الربيع صحبك عشرين سنة ما نصحك يوما واحدا وما عمل وزراؤك بشئ من كتاب الله تعالى فقال له المنصور فما أصنع هذا خاتمى فى يدك فخذه أنت وأصحابك فاكفونى فقال عمرو ادعنا بعدلك تسمح أنفسنا بعونك ببابك ألف مظلمة اردد منها واحدة حتى نعلم انك

(ذكر سام وحام ويافث)

أطرب ما لا تطرب المثالث
طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتنى بعدك الحوادث
ولا التجى عودى خطب كارث
ولا فرى حتى ناب فارث
بل مخلبى بكل صيد ضابث
وكل سرح فيه ذئبى عائث
حتى كأنى للانام وارث
سامهم وحامهم ويافث

(قال الحرث بن همام)
فقلت له تالله انك لابو زيد
ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد

(أخبار عمرو بن عبيد الزاهد)

صادق ويروى انه قال له المنصور ارعنى بأصحابك فقال ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم قال له المنصور ما حاجتك يا أبا عثمان فقال له تأمر برفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصوران يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع اتيانا قال نعم لا يضمنى واياك بلد الا أتيتك وان بدت لى حاجة اليك سألتك ولكن لا تعطنى حتى أسألك ولا تدعنى حتى آتيك قال اذا لا تأتينا أبدا فلما ولوا للخروج أتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشى رويد * كلكم حابل صيد * غير عمرو بن عبيد

وكان جده باب من سبى فارس وكان أبوه عبيد بن باب نساجا ثم تحول فصار للحجاج شرطيا بالبصرة وكان فظا غليظا خسيسا وبلغه أن الناس اذا رأوا ابنه قالوا هذا خير الناس ابن شر الناس فقال صدقوا أنا كآزر وابنى كابراهيم عليه السلام وقال اسحق بن الفضل بينما أنا واقف الى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور اذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل ونحى البساط برجله وجلس دونه فقال لى عمارة لا تزال بصرتكم ترمينا بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أين أبو عثمان عمرو بن عبيد فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فأتكأه يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك فمر متوكئا عليه فقلت لعمارة الذى استحمقته قد دعى وتركنا فقال كثيرا ما يكون مثل هذا فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو متوكئ عليه وهو يقول يا غلام حمار أبى عثمان فما برح حتى اقره على سرجه وضم اليه ثوبه واستودعه الله عز وجل فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولى عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه قال فما غاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب قال فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال ما هو الا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل هو والمهدى اليه وعلى المهدى سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفى ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنى فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر الى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر فبكى المنصور رحمه الله تعالى بكاء شديدا وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة الا تلك الساعة فقال زدنى قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وان هذا الامر الذى صار اليك انما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وانى أحذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكى والله أشد من بكائه الاول حتى رجف جنباه فقال له سليمان بن مالك رفقا بأمير المؤمنين لقد أتعبته فى هذا اليوم فقال له عمرو بمثلك ضاع الامر وانتشر لا أبا لك وماذا خفت على أمير المؤمنين ان بكى من خشية الله تعالى قال فأنت والله الصادق البر قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك فقال لا حاجة لى بها قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدى يحلف أمير المؤمنين وتحلف فأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابنى محمد وهو ولى عهد المؤمنين فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه عمله وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد ملكته أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت الى المهدى وقال يا ابن أخى اذا حلف أبوك حلف عمك

لان أبالك أقدر على الكفارة من عملك ثم قال يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ماهي قال لا تبعث الى حتى آتيك قال اذا لا تلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم استحفظه الله عزوجل وودعه وانصرف فلما ولى أتبعه المنصور بصره وهو يقول * كلكم يمشي رويد * الابيات وقال اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الليلة الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك (قوله هش) أي فرح (أم) قصد (الوعيد) التهديد (أغبى الورى) أجهل الناس به قال المنصور والله ما عرته باطل ولو طلع في جبينه القمر ولا ذل ذو حق ولو أصفق العالم عليه وفي معنى قوله وابغ رضا الله تعالى البيت ان ابن هبيرة شاور الحسن البصري فقال يا أبا سعيد ما تقول في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها خفت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله فان الله يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى فما وافقه فنفذه وما خالفه فلا تنفذه فقال صدقتني ورب الكعبة وشاور معاوية الاحنف في استخلاف يزيد فسكت فقال مالك لا تقول فقال ان صدقناك أسخطناك وان كذبناك أسخطنا الله عزوجل فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى قال صدقت وكتب أبو الدرداء الى معاوية أما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس وكتبت اليه عائشة رضي الله تعالى عنها أما بعد فانه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من الناس ذاماله والسلام (قوله أخدانه) أصحابه و(يسحب أردانه) يجر أذياله (استنشرنا) طلبنا أن ينشر لنا و(المدرجة) الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأضافها الى الطي لانها تطوى على ما فيها من الكتاب فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوى عليه يريد أنه أرسل فيه الرسائل الى البلاد فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت (عاره) ذهب به وأتلفه * ويكنون بالجراد عن الناس فكأنه قال ما يدري أي الناس ذهب به ويقال عارت عينه صارت عوراء وعرتها أنا فقأتها فكأنه ذهب كما تذهب العين وهذا بضعف والله أعلم بالصواب

* (شرح المقامة الثانية والعشرون وهي الفراتية) *

(أويت) أي ملت وانضممت (الفترات) جمع فترة وهي الهدنة والسكون فكأنه قال شتيت في بعض السنين الآمنة والفترة أيضا ضعف الاعضاء والفترة أيضا ما بين نبي ونبي و(سقي الفرات) بلاد يسقيها الفرات والفرات نهر شق بلاد الروم وبلاد العراق ويقع في البحر الحبشي وجريانه خمسمائة فرسخ وقال الرشاطي ابتداء الفرات وفوهته من قاليقلا من بلاد ارمينية ثم يسير الى منبج من كورة قنسرين الى سميساط ثم الى ملطية ثم الى كيسوم من أرض الرقة ثم الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وكور الفرات ثم الى الانبار ثم الى الكوفة ويلتقي مع الدجلة ما بين واسط والبصرة ومنها انصبابها الى البحر وجريانها من الشمال الى الجنوب وقال شيخنا ابن جبير هذا النهر كاسمه فرات وهو من أعذب المياه وأخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر وأما

فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال اسمع يا ابن أم ثم أنشأ يقول

عليك بالصدق ولو أنه
أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم انه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالري واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

(حكى الحرث بن همام) قال أويت في بعض الفترات الى سقي الفرات

(ذكر سقي الفرات)

سقيه فى أحواز بغداد فنبين لك قدره انه ذكر أنه عاينه فى طريقه من الكوفة الى بغداد وانه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت قال ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الاحد بسلخ محرم بقرية من الحلة ثم جئناها يوم الاحد وهى مدينة عتيقة الموضع مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرقى وهى على شاطئه ويمتد بطولها ولها أسواق حفيلة جامعة للمرافق قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل وألفيناها جسرا معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط أمر الامير بعقدها اهتماما بالحاج فعبرناها ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد والطريق من الحلة الى بغداد أحسن طريق وأجملها فى بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من الفرات تسقيها فللعين فى هذه الطريق مسرح انشراح وللنفس مزاد انبساط وانفساح ومن مدينة الحلة يتسلسل الحاج أرسالا وأفواجا لا يعرج المتأخر على المتقدم فيمشاشوا انزلوا ومن جملة الدواعى لافتراقهم كثرة القناطر المعترضة فى طريقهم الى بغداد لا تكاد تمشى ميلا الا وتجد قنطرة على نهر متفرع عن الفرات فلو زاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعة لتراكموا وقوعا بعضا على بعض فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الاثنين أول يوم من صفر ونزلنا بعصره بقرية تعرف بالقنطرة كثيرة الخصب كبيرة الساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلال بشجرات الفواكه من أحسن القرى وأجملها بها قنطرة محدودة تصعد اليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات فعرفت القرية بها ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ونزلنا ضحوة بالفراش قرية كثيرة العمارة يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر والقرى من الحلة الى بغداد على صفة الفراش فى الحسن والاتساع ثم رحلنا منها ونزلنا عشى النهار بدر يدان وهى قرية من أجمل قرى الارض وأحسنها منظرا وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطا وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن وحسبك من شرفها ان دجلة تسقى شرقيها والفرات يسقى غربيها وهى كالعروس بينهما ومن شرفها ان بازائها ايوان كسرى وهو بناء عال فى الهواء على مقدار الميل منها وامامها بيسير مداينه واجتزنا سحر على المدائن فعاينا من طولها واتساعها مرأى عجيبا ونزلنا قافلين بصرصر وهى أخت دريدان حسنا غير بجانبها القبلى نهر متفرع من الفرات وهى من القرى التى تملأ النفوس حسنا وجمالا لها أسواق حفيلة وجامع وجسر معقود على مراكب من الشط الى الشط وهى من بغداد على ثلاثة فراسخ ورحلنا منها قبل الظهر وجئنا بغداد قبل العصر على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها فمن أراد أن يعرف قدر سقى الفرات فليقف على هذا الفصل الذى ذكرناه (قوله كتابا أبرع من بنى الفرات) أى احذق وأزيد فضيلة والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبراعة وتقلد الوزارة قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله

فلقيت بها كتابا أبرع من بنى الفرات

(ذكر بنى الفرات)

آل الفرات نداهم * على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم * وعليك منه شهود

(وقال ابن المعتز فى على بن محمد بن الفرات)

أبا حسن ثبت فى الامر وطاتى * وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز

وألبستني درعا على حصينة * فناديت صرف الدهر هل من مبارز

(وقال على بن بسام)

وقفت شهور اللوزير أعدها * فلم تنسه محوى الحقوق السوالف

فلا هو يرعاني رعاية مثله * ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

وكان موسى بن الفرات عاملا لاحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل واستوزر المقتدر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات يعزله ثم يرده وقبل المقتدر وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره وتولى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبي الحسين بن الفرات فكان محل آل الفرات الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة وحكى ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات ان السين تقام مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أو ومن سلح فخجل الرجل وانقطع ومثل هذا النادران النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد يعني أذهب وهو كلام العرب فقال أبو صالح ان السين تبدل من الصاد كالصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت اذا أبو سالح فخجل الرجل (قوله أعذب من الماء الفرات) أي أحلى والماء الفرات العذب الحلو (أطفت) أي ألممت ونزلت (لتهذيبهم) لظرفهم وتحسسهم من عيوب الجفاء (كاثرتهم) صاحبتهم فكاثرت عددهم بي (ماديهم) طعامهم (أضراب) أمثال (القعقاع بن شور) قال المبرد هو رجل سيد من عبد الله بن دارم وكان اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا في ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك قال الفنجديهي هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني وهو من الاجواد والاسخياء يضرب به المثل في حسن المجالسة والمعاشرة واتيان الجليس بالشئ النفيس قال أبو عبيدة وكان من جلساء معاوية فأهدى الى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة فدفعها الى جلسائه ودفع الى القعقاع جام ذهب وفي القوم اعرابي الى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فأخذه الاعرابي ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن ان أمر بخير * وعند الشر مطراق عبوس

(ومما يستحسن في البر بالجليس قول صاعد اللغوى)

لي من سر بني العباس خل وجليس

شهد المجد عليه * انه العلق النفيس

فاذا جالسته لم * تدر من منا الجليس

وقال كشاجم

جليس لي أخو ثقة * كأن حديثه خبره

يسرك حسن ظاهره * وتحمد منه مختبره

ويستر عيب صاحبه * ويستر أنه ستره

وقال آخر

جليس لي له أدب * رعاية مثله تجب

وأعذب أخلاقا من الماء

الفرات فاطفت بهم لتهذيبهم

لا لذهبهم وكاثرتهم لاديهم

لا لماديهم فالست منهم

أضراب قعقاع بن شور

(ذكر ما جاء في الجليس)

لو انتقدت خلائقه * تبهرج عندها الذهب

وقال آخر
لى صديق غلطت بل لى مولى * من لمثلى بأن يكون صديقى
نتلاقى التقاء روح بروح * بضروب التقبيل والتعنيق
ليس فى الارض من عزمنا * عاشقا فى اللقاء من معشوق

أين ماوصف به القعقاع من قول والبة المشهور

قلت لندمانى على خلوة * أدن كذا رأسك من رأسيا
ونم على وجهك لى ساعة * انى امرؤ أنكح جلاسيا

والبة بن الحاجب شيخ الحسن بن هانئ أدبه صغيرا فتخلق بخلاقه وقال الحسن

وجليس كان فى وجنتيه * كل شئ تسمو اليه النفوس
قد أصبنا منه فنستغفر الله كثيرا وقد يصاب الجليس

(قوله الكور والحور) أى الزيادة والنقصان وكلام العرب نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فقلب اللفظ على مراده وهو من كور العمامة وهو استعارة من نقض الامر كنقض العمامة بعد كورها وهو شدها وكار عمامته شدها على رأسه وجمعها وحار بها فنقضها وافسدها وأمر الحجاج رجلا على جيش ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر فقال هذا الحور بعد الكور فقال له الحجاج وما الحور بعد الكور قال النقصان بعد الزيادة فعلى هذا أكثر أهل اللغة وقيل معناها نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا فى الكور وهو الاجتماع من كار عمامته جمعها فى رأسه وحارها أفسدها ويروى بعد الكون من قولهم حار بعدما كان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها وقيل معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد السكون على الاستقامة فنذف للعلة به (فى المرتع والمربع) يعنى المأكل والمنزل والمرتع الاتساع فى الاكل الكثير والشرب والمربع المنزل فى الربيع من ربعت فى الموضع أقمت فيه (الانملة) طرف الاصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤسهم (ابن انسهم) أى الذى يأنسون به (عند الولاية والعزل) أى زمن العمل والعطل (خازن) كاتم وحابس (ندبوا) أى دعوا (استقراء) أى تتبع (الرزداقات) العمالات والانظار وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع وكل موضع أو قرية انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة قال رزداق بخراسان وهو فارسى عربى والمخلاف لليمن والكورة لغيرهما من الارضين (الجوارى) السفن (المنشآت) المصنوعات (حالكة الشيات) مسودة اللون والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك فأراد أن موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء (جامدة) ساكنة * وركب السلامى دجلة فى زورق ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال

وميدان تجول به خيول * تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به الى اللذات طرفا * له جسم وليس له فؤاد
جرى فحسبت أن الارض وجه * ودجلة ناظر وهو السواد

وقال القاضى التنوخى يصف دجلة فى الظلام والقمر يلمع عليها وينتظم فى سلك أبيات السلامى رحمه الله تعالى

ووصلت بهم الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركونى فى المرتع والمربع وأحلونى محل الانملة من الاصبع واتخذونى ابن انسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم فى الجد والهزل فاتفق أن ندبوا فى بعض الاوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من الجوارى المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

أحسن بدجلة والدجى متصوب * والبدر في أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق * وكأنه فيها طراز مذهب

(وقال منصور بن كيغلغ)

كم ليلة سامرت فيها بدرها * من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
والبدر يجنح للأفول كأنه * قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وتسميته للسفينة جارية لجريانها على الماء قال تعالى في السفن العظام ومن آياته الجوارى في البحر كالاعلام ولبعضهم

يا من تأهب من معالم رواح * متيمما بغداد غير ملاح
في بطن جارية كفتك بسيرها * رقلان كل شساحة وشاح
فكأنها والماء ينطح صدرها * والمسير رانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

الشناح الجمل التام الخلق وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاصطول

يا حسنه يوم شاهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
ومجاذف تحكى أراقم ربوة * نزلت لتكرع في غدير متأق
والماء في شكل الهواء فلا ترى * في شكلها الاجوارح تلتق

(ولابن حرايق)

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح صاحب الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل حرت حية بلسان

وتنساب في الحباب كالحباب
ثم دعونى الى المرافقه
فلبيت بلسان الموافقة

(قوله تنساب) أى تمشى بسلاسة (الحباب) طرائق الماء و(الحباب) بالضم الحية وتشبيه المشى السهل بحباب الماء أفشى وأعرف من تشبيهه بمشى الحية وتشبيهه بمشى الحية قد استعمل وهو متمكن في المعنى وبه وقع التشبيه هنا في المقامة وقال امرؤ القيس في تشبيهه بحباب الماء

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

(وقال ابن الرومى)

فصغت ذلك من قولى الى قمر * يلهو بمكحل طورا ومختضب
جرت تدافع من وشى لها حسن * تدافع الماء في وشى من الحبب

(وقال عمر بن أبى ربيعة في مشى الحية)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ * حباب وركنى خيفة القوم أزور

ثبت في الكتب الصحاح ضم الحاء وقول الاعرابى

من المتصديات لغير سوء * تسيل اذا مشت سيل الحباب

يروى بالفتح والضم وابن الاقليلى يأبى الا الضم وقال أبو القاسم بن هانىء يجمع بين التشبيهين

(ذكر التلطف في المشى)

قامت

قامت تميس كما تدافع جدول ، وانساب ايم فى نقا يتهيل
وأنت ترجى ردفها بقوامها ، فسا طرالاعلى وماج الاسفل

(وقال آخر ورفع الاحتمال)

لما دنا الليل بارواقه * ولاح الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفيف كما ، ينساب فى مكمنه الارقم

(وما أحسن قول ابن شهيد فى معناه)

ولما تمكن من سكره ، ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على رتبة ، دنو محب درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلا ، وأرشف منه اللمى واللعس

(قوله المطية الدهماء) هى السفينة السوداء و(تورّكاها) قعد ناعليها متكئين و (بطنا) دخلنا بطنها (الولية) المطيعة وأوهم بقول الناس فلان ولى يمشى على الماء فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها ولية (ألفينا) وجدنا (سحق سربال) أى قميص خلق و (لسب) الخمار فريد أن عليه مئزرا أو خمارا باليا والمئزر كالخمار للمرأة (عافت) كرهت (عنفت) لامت وأغلظت له القول والعنف ضدّ الرفق (ثاب) رجع * قال الفرّاء رحمه الله تعالى معنى السكينة الطمأنينة * أبو عبيدة هى فعيلة من السكون وتشبيه حالة أبى زيد هنا فى اهانته أوّلا واكرامه آخرا حالة معبد فى دخول السفينة وقد تقدّمت فى الثامنة عشرة (لمح) رأى و (الظل) يوصف بالثقل مبالغة فى ثقل صاحبه يقال للمستثقل ظلك على ثقيل أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال نقل علينا فيصور شخصك أى منزلته من الثقل وانما يتصور ثقل الظل حقيقة اذا أخذ عليك انسان عين الشمس فى زمن البرد أو ضوأها وأنت تنظر ما يدفئ وبما قيل فى ثقيل

أنت يا هذا ثقيل * وثقيل وثقيل
أنت فى المنظر انسا ، ن وفى المخبر فيل
لو تعرضت لظل * فسد الظل الظليل

وكان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل ينشد

فما الفيل تحمله ميتا ، بأثقل من بعض جلاسيا

وذكر ثقيلا كان يجلس الى جانبه فقال والله انى لابغض شق الذى يليه منى وكان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قرأ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون عائشة رضى الله عنها نزلت آية فى الثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث الشعبى من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء وكان أبو هريرة رضى الله عنه اذا رأى ثقيلا قال اللهمّ اغفر له وأرحنا منه قيل لجالينوس لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لان ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه وقال طبيب للحجاج اياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح وقال حكيم لآخر لا تصحبن ثقيلا فى يصحبه فانما يعذب روحه وقيل سخنة العين النظر الى الثقلاء وكان بعضهم اذا رأى ثقيلا غشى عليه وكان آخر اذا رأى

فلما توركنا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال وسبال فعافت الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله

(ذكر الثقلاء)

ثقيلا غمض عينيه وكان بعض الظرفاء اذا رأى ثقيلا قال قد جاءكم الجبل فان جلس عندهم قال قد وقع عليكم *وسمع الاعمش كلام ثقيل فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى يتألم قال رجل لخالد بن صفوان اتستثقل فلانا قال أوه كدت والله أن تصدع قلبى بذكره والله لهو أثقل من شراب الترنجبيل بماء البين فى أيام الحكاك بعقب التخمة وأوان الحجامة *سلم ثقيل على بعض الظرفاء فقال وعليك السلام شهرا قعد ثقيل عند ظريف فسئل عن ذلك فقال كانت نفسى قد شمخت على فأردت ان أهينها بدلك وقال رجل لغلام هاشمى يابغيض فسكاه الى أبيه فقال قد علمت انك بغيض فكرهت أن أقوله لك حتى يكون بغضك باسنادك. وسئل انسان له ثلاث بنين ثقلاء أى بنيك أثقل فقال ليس بعد الكبير أثقل من الصغير الا الاوسط * كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد أنت والله يا محمد ثقيل الطل مظلم الهواء جامد النسيم بارد حامض منتن قال سهل بن هرون من ثقل عليك نفسه وغمك سؤاله فاعره أذنا صماء وعينا عمياء وأنشدوا

مشتمل بالبغض لا ينثنى * اليه طوعا لحظه الرامق
يظل فى مجلسنا قاعدا * أثقل من واش على عاشق

وقال بعضهم

يامن تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الاجفان بالسهد
انى لاذكره حينا فأحسبه * من ثقله جالسا منى على كبدى

ولبعضهم

نظر العين نحوه * علم الله يمرض
فاذا ما أردتم * أن تروه فغمضوا
لا تصيبكم ملة * والملمات تعرض

وقال بعضهم

شخصك فى مقلة النديم * أوحش من طلعة النجوم
يارجلا وجهه علينا * أثقل من منة اللئيم
انى لأرجو بما أقاسى * منك خلاصى من الجحيم

(وقال بعضهم أيضا)

ولى خلتان على هامتى * جلوسهما مثل حد الوتد
ثقيلان لم يعروا قاخفة * فهذا الصداع وذاك الرمد

والاشعار فى الثقلاء كثيرة وفى كتب الآداب مشهورة فلنقتصر على هذه النبذة (قوله استبراد طله) الطل أضعف المطر وهو الرذاذ واكثر نزوله سا كنا بغير ريح ولا برد فى الغالب يكون معه فكنى هنا بالطل عن كلامه القليل وانه عندهم بارد الحديث وان كل ما جاء منه ثقيل مؤذ وقد جاء فى ذلك

ولو مازج النار فى حرها * حديثك أطفأ منها اللهب

(وقال آخر فى شعر الصولى)

دارى بلا خيش ولكننى * عقدت من خيشى طاقين
دارمتى ما اشتد بى حرها * أنشدت للصولى بيتين
ويوم كتنور الطهاة سجرته * على أنه منه أحر وأوقد
ظللت به عند المبرد جالسا * فمازلت فى ألفاظه أتبرد

لقى برد الخيار المغنى أبا العباس المبرد فى يوم ثلج بالجسر فقال له أنت المبرد وأنا برد الخيار واليوم

واستبراد طله

(ماجاء فى البارد)

وكلامه

كما ترى اعبر بنا الايهلك الناس من الفالج بسبينا وقال كشاجم رحمه الله تعالى

غناء مديح بارض الحجاز * يطيب وأما بحمص فلا

لبرد الغناء وبرد الهواء * فان جعا خفت أن يقتلا

(قوله تعرض) اى تهيأ (المنافثة) الكلام معهم (صمت) سكت * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقع حديث الرجل من القوم كوقعه من قلوبهم (جدل) قال الحمد لله (ماشمت) ما ادخل عليه السرور بقولهم يرحمك الله تعالى * ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطس او تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء اهونها الجذام وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله والذى يشمت يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله و يصلح بالكم ومما يستطرف من حديث العطاس أن صوفيا فى بلدنا كان حافظا للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الاو ينشد عليه شعرا فاتفق ان عطس رجل بحضرته فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فأصبح للطلبة راغبا أن ينظم له هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد

ياعاطسا يرحمك الله ان * أعلنت بالحمد على عطستك

ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك

وقل له ياسيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك

وأنت يارب النداء والندى * بارك رب الناس فى ليلتك

فان يكن منك لنا دعوة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير الشريف انما يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب الى يستهدى كتاب العقد

أيا من غدا سلكا بجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه

محبك أضحى عاطل الجيد فلتجد * بعقد على لبانه وسوالفه

وتوعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جلة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

* لله در عصابة أمجاد * شرف النداء بقصدهم والنادى

لما أشاروا بالسلام وأربعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد

فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا فرحتى بثلاثة الاعياد

(قوله أقرد) أى سكت ذلا و يروى أخرد أى سكت حياء واستتر تقول أخردت وخردت من حر الشمس أى استترت وأقرد من لفظ القرد أو القراد وأخرد من لفظ الخريدة (آلت) رجعت (المبغى عليه) أى المظلوم وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه من قوله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله (جلنا) تصرفنا (شجون) ضروب من الكلام ومنه الحديث شجون أى فنون ومشتبك بعضه ببعض وفى الحديث الرحم شجنة من الله معناه القرابة مشتبكة بعضها ببعض كاشتباك العروق (اعترض) تصلب وظهر (الانشاء) الكتابة وكتبة الانشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون (أنبل) أعظم قدرا و (الحساب) كتبة الزمام (احتد) اشتد و (الحجاج) جمع حجة ٣ و (اللجاج) ركوب

(ماجاء فى تشميت العاطس)

تعرض للمنافثة فصمت وحمدل بعد أن عطس فما شمت فأقرد ينظر فيما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبغى عليه وجلنا نحن فى شجون من جد ومجون الى أن اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء أنبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واحتد الحجاج وامتد اللجاج حتى اذا لم يبق للجدال

٣ قوله الحجاج جمع حجة كذا بالنسخ والظاهر ان يقول الحجاج المحاجة اه

مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم الغلط وآثرتم الصواب والغلط وان جلية الحكم عندي فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدا بعدي اعلموا أن صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع رقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي وصاحبه برئ من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات قلما انتهى في الفصل الى هذا الفصل لحظ من لمحات القوم أنه ازدرع حبا وبعضا وأرضى بعضا

الرجل على الباطل (مطرح) موضع يطرح فيه (المراء) قد تقدم (آثرتم) فضلتم (جلية) بيان (نقدي) تمييزي (قوله خاطب) أي جامع للكلام (حاطب) جامع للحطب يريد أن المنشئ كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالي كاتب الحساب بما كتب ويكون حاطب بمعنى مجمع للمال (أساطير) أحاديث وهي جمع أسطار وأسطار جمع سطر وقيل الاساطير جمع أسطورة واسطارة (دساتير) أزمة (تدرس) تمحى أو تترك حتى تتغير (جهينة الاخبار) أي العارف بها واختلفوا في المثل قال الاصمعي رحمه الله تعالى جنينة بالجيم والفاء وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى حفينة بحاء غير معجمة وقال ابن الكلبي جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج يطلب فرصة فاجتمع برجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب فنزلا في بعض منازلهما وتعاقدا أن لا يلقيا أحدا الا سلباه وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه كل ما معه فقال لهما هل لكما أن تردا علي بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم فقالا نعم قال هذا رجل لخمي قدم من بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفي في موضع كذا فردا عليه بعض ماله وطلبا اللخمي فوجداه نازلا في ظل شجرة وقدامه طعامه وشرابه فحياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فنزلا وأكلا وشربا مع اللخمي ثم ان الاخنس ذهب لبعض شأنه فلما رجع أبصر سيف صاحبه مسلولا واللخمي يتشحط في دمه فسل سيفه وقال ويحك قتلت رجلا قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا ثم ان الجهني شغل صاحبه بشيء ثم وثب عليه فقتله وأخذ متاعه ومتاع اللخمي ثم انصرف الى قومه راجعا بماله وكانت لحصين أخت تسمى صخرة فكانت تبكيه في المواسم وتسأل عنه فلا تجد من يخبرها بخبره فقال الاخنس حين أبصرها

وكم من فارس لا ترد ريه * اذا شخصت لرؤيته العيون
علوت بياض مفرقه بعضب * يبين لوقعه الهام السكون
يذل له العزيز وكل ليث * من العقبان مسكنه العرين
فأضحت عرسه ولها عليه * هدوا بعد رقدتها أنين
كصخرة اذ تسائل في مراح * وفي جرم وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندي * لسائله الحديث المستبين

مراح وجرم قبيلتان (حقيبة) وعاء (نجي) متكلم (الندماء) الجلساء على الخمر يريد أن أصحابه أعيان وأشراف (النذير) المخوف (السفير) الرسول بين القوم (تستخلص) تملك وتحصل (الصياصي) الحصون (النواصي) الرؤس وأصل الناصية شعر مقدم الرأس (القاصي) البعيد (التبعات) المطالبات (السعاة) جمع ساع وهو جابي الصدقة (مقرظ) ممدوح (نظم الجماعات) تجميل الحساب والجماع الأخلاط وضروب من الناس والجماع كل شيء انضم بعضه الى بعض وتجمع أراد أن كاتب التراسيل قد أمن من مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعترض لان يؤلف ما افترق من الخراج حتى يصير جماعات (الفصل) أي القضاء والحكم وأراد أنه فصل في القضاء بين الصنفين من الكتاب (الى هذا الفصل) أي الى هذا الحد

والفرق

وأحفظ بعضا فعقب كلامه
بان قال الآن صناعة
الحساب موضوعة على
التحقيق وصناعة الانشاء
مبنية على التلفيق وقلم
الحاسب ضابط وقلم المنشئ
خابط وبين اتاوة توظيف
المعاملات وتلاوة طوامير
السجلات بون لايدركه
قياس ولايعتوره التباس
اذ الاتاوة تملأ الاكياس
والتلاوة تفرغ الراس
وخراج الاوارج يغنى
الناظر واستخراج المدارج
يعنى الناظر ثم ان الحسبة
حفظة الاموال وحملة
الاثقال والنقلة الاثبات
والسفرة الثقات وأعلام
الانصاف والانتصاف
والشهود المقانع فى الاختلاف
ومنهم المستوفى الذى هو يد
السلطان وقطب الديوان
وقسطاس الاعمال والمهيمن
على العمال واليه المآب
فى السلم والهرج وعليه
المدار فى الدخل والخرج
وبه مناط الضر والنفع
وفى يده رباط الاعطاء والمنع
ولولا قلم الحساب لاودت
ثمرة الاكتساب ولاتصل
التغابن الى يوم الحساب
ولكان نظام المعاملات
محلولا وجرح الظلامات
مطلولا وجيد التناصف
مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن يراع الانشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش

والفرق فالاول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا قضى والثانى من فصلت بين الشيئين فصلا وفصولا فرقت يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف وأراد أنه ازدرع فى قلوب كتبة الانشاء حبه لمدحه لهم وفى قلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم فأخذ يستأنف مدحهم (أحفظ) أغضب (عقب) اتبع * وأراد بالتحقيق ان صنعة الحساب برهانية محققة و (التلفيق) ضم شئ لطيف الى مثله ولفقت الشئ تلفيقا ضممت بعض اجزائه الى بعض (ضابط) محقق والضبط الاخذ بشدة ورجل ضابط للشئ اذا قوى عليه فلم يفلت منه (خابط) مغتر وخبط مشى على غير هداية (الاتاوة) الخراج والجباية الى بيت المال (توظيف) تقسيط ووظف على الناس الغرم قسطه عليهم والوظيفة نصيبك الذى تغرمه (المعاملات) انواع من علم الحساب وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة اذا وافقته على بيع أو كراء أو اجارة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض (تلاوة) قراءة (طوامير السجلات) بطائق الترسيل والطومار الكتاب (بون) بعد (يعتوره) يتداوله ويقصده (التباس) شك (الاكياس) أوعية الدراهم و (الاتاوة) رشوة العمال قال النبى صلى الله عليه وسلم هدايا العمال رشوة (تفرغ الرأس) تهوسه بكثرة الدروس والسهر (الاوارج) أزمة الخراج وقيل صنف من الخراج (الناظر) العامل فيها وأوجها اذا تولى عملها والقيام بها (المدارج) الرسائل سميت بذلك لانها تدرج أى تطوى على مافيها * واستخراجها تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها (يعنى) يتعب (الناظر) سواد العين يريد أن كاتب الزمام فى راحة وهو على على اكياسه بالدراهم وكاتب الرسالة متعوب قليل المال (النقلة الاثبات) أى هم على يقين وثبات فيما ينقلون (السفرة) الكتبة (الثقات) الامناء (أعلام الانصاف) يريد المشاهير بانصاف السلطان من الناس والناس منه وتقول أنصفت الرجل أعطيته حقه وانتصفت منه أخذت حقك و (المقانع) الذين يقنع بفعلهم أى يرضى و (الاخلاف) جودة الزرع تقول أخلف الزرع اذا طاب ورد على أصحابه أضعاف ما انفق عليه (المستوفى) رأس المشارب (قطب) أصل وقطب القوم سيدهم الذى يدبر أمرهم ويدورون على رأيه بمنزلة قطب الرحى الذى تدور عليه (الديوان) دار كتاب الخراج وهو فارسى معرب (قسطاس) ميزان يريد أنه ميزان العمل الذى يعتدل به (المهيمن) الشاهد (المآب) الرجوع (السلم والهرج) الصلح والحرب (المدار) المعول أى عليه يعول فى ادارة مايدخل على السلطان من المال من رعيته ومايخرج عنه من لوازم الاجناد وغيرهم وفلان كثير الدخل والخرج اذا كثر مايدخل عليه من الفوائد ومايخرج عنه من الانفاق (مناط) تعلق (أودت) هلكت (نظام) خيط (مطلولا) هدرا أى باطلا لاحق فيه (التناصف) أخذ الحق واعطاؤه واستعار له عنقا وجعله مغلولا أى محبوسا بغل (التظالم) ضد التناصف (يراع) أقلام (متقول) منحول مايقوله (متأول) مدبر يريد أن الملك يلق للكاتب مقصدا فيحسن الكاتب الالفاظ ويرتب الفقر فيزيد فى كتابته ألفاظا على ماحد له بالضرورة فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل مالم يقل وكاتب الحساب لايحتاج الى تقول (مناقش) مباحث (أبو براقش) أى يأتى بانواع مختلفة وأبو براقش طائر فيه ألوان شتى مشتق من البرقشة وهى النقش والرقم يقال برقشت الثوب وأنشد سيبويه وعزاه أبو عمرو بن العلاء لبعض بنى أسد

ان يخلوا أو يحسنوا * أو يعذروا لا يجفلوا
يغدوا عليك مرجلين * كأنهم لم يفعلوا
كأبي براقش كل حين * لونه يتخيل *

وأبو براقش وأبو قلمون كنية للرجل الكثير التلون القليل الارتباط وأصل أبي قلمون كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا شتى وفي البديعية أنا أبو قلمون في كل لون أكون (حمة) بالتخفيف سم وشر (يرقى) يصعد في منزله ويرتفع في أصابع الكاتب حين يكتب به (يرقى) اشارة للرشوة لانها تسكن شره كما تسكن الرقية الوجع (اعنات) مشقة (ينشي) يكتب (يغشى) يقصد ويدخل عليه هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور لانهم حقروه أولا في السفينة ثم عظموه آخرا بعد الاختبار، ونذكر الحكاية وان طالت لموافقتها المقامة حدث عمرو بن مسعدة أن المعتصم لما رجع من الثغر وصار بناحية الرقة قال لي مازلت تسألني في الرجحي حتى وليته الاهواز وقعد في سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك واحلف أن لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له وقلت في نفسي أبعد الوزارة أصير مستحثا لعامل خراج ولم أجد بدا من طاعته فخرجت الى بغداد فقرش لي زورق وحشي بالملح فلما صرت عند دير هرقل واذا رجل يصيح يا ملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال هذا شحاذ وان قعد معك آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه في كوثل الزورق فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع الا أنه نظيف فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخاصة أن يقوم فيغسل يده في ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فقلت يا هذا ما صناعتك فقال حائك فقلت في نفسي هذه شر من الاولى ثم قال لي جعلت فداك سألتني عن صناعتي فأخبرتك فما صناعتك فقلت هذه والله أعظم فكرهت ذكر الوزارة فقلت كاتب فقال الكاتب على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والتهاني والتعازي والصدور وجملا من الاعراب وكاتب خراج يحتاج الى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف شيات الخيل وحلى الناس وكاتب شرطة يحتاج الى أن يعرف الجراح والقصاص والديات وكاتب قاض يحتاج الى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك فأيهم أنت أعزك الله تعالى قلت كاتب رسائل قال فأخبرني ان كان لك صديق تكتب له في المحبوب والمكروه فتزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيه أو تعزيه قلت والله لا أدري وهو بالتعزية أولى قال صدقت فكيف تعزيه قلت والله لا أدري قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول وقد ولاك السلطان عملا فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنصفهم وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم براح فاردت مساحته قلت أضرب العطوف في العمود قال اذن تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة والعطوف على حدة قال اذن تظلم الناس قلت والله فما أدري قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند فقال فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما قلت اكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم قال وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر

ولكنها حاجة حين يرقى الى أن يلقى ويرقى واعنات فيما ينشي حتى يغشى ويرشى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم

ألف درهم فيقبض هذا دعوة هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض قال فما تقول فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وللزوجة بنت وللسرية ابن فتنازعتا فيه فقالت كل واحدة منهما هذا ابنى وأنت خليفة القاضى قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاض قال فأيهم أنت قلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومة فقلت لا أعلم وقد سألت ففسر لى ماذكرت قال أما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان احكام الله تعالى تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للمخلوق فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام قال وأما البراح فتضرب واحدا فى واحد فى مساحة العطوف فتم بابه قال واما المقطوع العليا فتكتب عليه أحمد الاعلم وعلى المقطوع السفلى أحمد الاشرم واما المرأتان فيوزن لبنهما فأيتهما كان لبنها أخف فهى صاحبة البنت وفى الموضحة خمس من الابل وفى المأمومة ثمانية وعشرون قلت فما نزع بك الى هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فلقيته معزولا فخرجت الى بعض النواحى أضطرب فى المعاش قلت أليس قد ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب فلما بلغنا الاهواز أمرت الحجام فاحفى من شعره وأدخل الحمام فكسوته من ثيابى وكلمت الرجحى فيه فى الاهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فقال لى المعتصم ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبرى ثم خبر الرجل فقال هذا لا يستغنى عنه فلاى شئ يصلح قلت هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه البناء فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه فيقول يا سبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ومثل ايهامه هذا انه حائك ايهام أبى زيد فى التاسعة أنه نظام (قوله أمتع الاسماع) أى متع الآذان ولذذها ومنه يقال فى الكتابة أبقاك الله وأمتع بك ومعناه أطال الله عمره من الماتع وهو الطويل عند العرب ومنه متع النهار أى علا وقال الانصارى

(قال الحرث بن همام) فلما أمتع الاسماع

واها لايام الصبا وزمانه * لو كان أمتع بالمقام قليلا

ونبلاء الكتاب يكتبون بها الى الاتباع والادنياء ولا يكتبون بها الى الاكفاء والاعلون وكتب محمد ابن عبد الملك الزيات الى عبد الله بن طاهر كتابا فى صدره وأمتع بك فكتب اليه ابن طاهر

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
أم قد ترى أن فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
ان جفاء كتاب ذى ثقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مخاطبتى * حسبك مما لقيت من تعبك

* (فأجابه ابن الزيات) *

كيف أخون الاخاء يا أملى * وكل شئ أنال من سببك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
أنكرت شيأ ولست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات ان الحسن بن وهب مرض فلم يعده ولا تعرف خبره فكتب اليه الحسن

أيها ذا الوزير ايدك الله وأبقاك لى زمانا طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا * س لكيما أراه رضا جميلا
انى قد أقمت عشرا عليلا * ما ترى مرسلا الى رسولا
ان يكن يوجب التعهد فى الحسـبة منا على دمك طويلا
فهو أولى باسيد الناس برا * وافتقادا لمن يكون عليلا

(وأجابه ابن الزيات)

دفع الله عنك نائبة الدهـر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائرا مقبولا
ولعمرى أن لو علمت فلا رسـ ـلك حولا لكان عندى قليلا
فاجعلن لى الى التعلق بالعـذ * ر سبيلا ان لم اجد لى سبيلا
فقديما ما جاد بالصفح والعفـو وما سامح الخليل خليلا

وكتب بعض الكتاب الى صديق له يعاتبه على ترك عيادته

يا جافيا ترك السؤال بعبده * نفسى فداؤك من ملول قاطع
اعتل عبدك من تشكى رأسه * ستا وأردفها بيوم سابع
فبست رسلك عن تعهد علتى * وقطعت من سبب الوصال مطامعى
وعلمت منك تماديا فى جفوتى فرجعت فى عنوى كأحسن راجع

(فأجابه الآخر)

لا والذى قسم الجمال بفضله * فكساك منه بالضياء اللامع
ما ان علمت بعلة للسيدى * الا بحظك فى القريض البارع
واذا أتتك رسالتى فقرأتها * فاقبل هديتك من مقر خاضع

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاما لابى تمام روميا وكان أبو تمام يتعشق غلاما للحسن خزريا فرآه أبو تمام يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقت فى الروم لأركضن الى الخزر وما شبهك الا بما ارد وأشبه نفسى بخصمه فقال الحسن لو كان هذا استلوماخشناه والمذور وعارض لاحقيقة له فقال أبو تمام

أبا على لصرف الدهر والغير وللحوادث والايام والعبر
أذكرتنى أمر داود وكنت فتى * مصرف القلب فى الاهواء والذكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الاحشاء للقمر
ان أنت لم تترك السير الحثيث الى * جآذر الروم أعنقنا الى الخزر

وكان الحسن يكتب لابن الزيات فلما وقف على ما بينهما من أمر العلاء بن تقدم الى بعض ولده وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه ما يدور بينهما فعزم غلام أبى تمام على الحجامة فكتب الى الحسن يعلمه بذلك و يسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه اليه مائة دن ومائة دينار وخلعة و بخورا وكتب اليه

ليت شعرى يا أملح الناس عندى * هل تداويت بالحجامة بعدى
رفع الله عنك لى كل سوء * باكر رائح وان خنت عهدى

قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي * فبدا منه غير ما كنت أبدي
وخلعت العذار فليعلم النا * س بأني اليك أصغي بودي
وليقولوا بما أحبوا اذا كنـ * ـت وصولا ولم ترعني بصد
من عذيري من مقلتين ومن اشـ * ـراق وجه من تحت حمرة خد

ووضع الرقعة تحت مصلاه وأعلم ابن الزيات خبرها فأرسل في الحين وشغله بشيء ووجه من جاء بها فلما قرأها كتب فيها على لسان أبي تمام

ليت شعري عن كتب شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كنت في المقال محقا * يا ابن وهب لقد تطرفت بعدي
وتشبهت بي وكنت أرى أني * أنا العاشق المتيم وحدي
ان مولاي عبد غيري ولولا * شؤم جدي لكان مولاي عبدي

ثم قال ضعوا الرقعة مكانها فلما قرأها الحسن قال أنا الله افتضحنا عند الوزير واعلم أبا تمام فتلقاه فقال الا انا جعلنا غذين العلاء بن سبيل المكاتبتنا بالاشعار فقال لهما ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله عليهما أشد * محمد بن اسحق قلت لابي تمام غلامك أطوع للحسن من غلامه لك قال اني أعطي غلامه قليلا وقالا ويعطي غلامي شبابا ومالا وقال أبو تمام في غلامه

يا عمرو قل للقمر الطالع * اتسع الخرق على الراقع
يا طول فكري فيك من حامل * لرقعة مفكوكة الطابع
ما أنت الا رشا جوذر * حل مغنى أسد جائع

(قوله راق) أي أعجب (راع) أفزع لافراط حسنه (استنسبناه) سألناه عن نفسه وهذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاء الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فان ذلك أوصل للمودة (استراب) دخلته الريبة (منسابا) موضعا يدخل فيه (لبسه) تخليطه و(غمة) القلب ما يغطيه من الشك أو الهم فأراد انه لبس عليه فلم يعرفه (اذكرت) أي ذكرت (أمه) حين (الفلك) مدار النجوم (والفلك السيار) أي السفينة السريعة والفلك لفظ يقع للواحد والجمع (أعهده) أعرفه (رواء) فتوة وحسن هيئة (أيد) قوة (استحالة) تغير و(الحول) القوة وأيضا الحيلة ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان للشريف الرضي في جوابه للصابي وقد شكا اليه الهرم والجلوس في المحفة وامتناعه من التصرف فقال

لئن رام قبضا من بنانك حادث * لقد عاضنا منك انبساط جنان
وان أقعدتك النائبات فطالما * سرى موقرا منك مجدك الملوان
وان هدمت منك الخطوب بمرها * فثم لسان للمناقب بان

(قوله لا يفري فريه) أي لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله قال الحوفزان

وما ارتعشت كفي ولا طاش ضربها * اذا طرحوا بالنارس المتهلل
ولكنها اذ ذاك تفري فريها * وتقرع رأس النارس المتقل

(يباري عبقريه) يجاري جنيه وانفظ الحريري كله منتزع من الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأني على بئر وأرى جميع الناس فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا

بما راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسابا الانساب فصلت من لبسه على غمه حتى اذكرت بعد أمه فقلت والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار اني لاجد ريح أبي زيد وان كنت أعهده ذا رواء وأيد فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريه ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود

أوذنوبين وفيه ضعف والله يغفرله ثم جاء عمر رضي الله عنه فاستحالت بيده غربا فلم أر عبقريا من الرجال يفري فريه حتى ضرب الناس بأعطانهم يقال رجل عبقري أي كامل قوي والعبقري أيضا الحسن من كل شئ (الوجد) المال (رغب عن الالفة) أي تباعد عن الصحبة (ولم يرغب في التحفة) أي لم يطمع في العطية أي لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم (سحقتم) نقضتم وغيرتم (سحق) ثوبي البالي (وكسفتم) بالي تنقصتم حالي وغيرتموها (سربالي) قميصي (السخينة) الساخطة الحارة الدمع (شاب) أي خلط و(محضه) خالصه و(غشه) عيبه وفساده وللزاهد بن عمران في النصيحة

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من أصل الديانه
لا تعرضن الى الشها * دة والوساطة والامانه
تسلم من أن تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

(وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة)

اذا ما هديت امرأ مخطئا * أضل السبيل الى قصده
ولم تلفه سامعا قابلا * فحسن له المشي في ضده

(وقوله لا تعجلن) وما بعده من قول الشاعر

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

(ولابن عمران أيضا)

تحر سبيل القصد في الناس ولتكن * على حذر منهم ولا تسئ الظنا
ولا تمدحن من لم تجرب ولا تقل * على غير علم ذاك من ذا كم أسنى
فما كل من يرضيك ظاهر حاله * لدى الخبر محمودا وقد يحمد الادنى

(القضية) الحكم (مبتوتة) مقطوعة (تبله) تجربه (خدشه) عيبه واذايته (تجتلي) تنظر (بطشه) صولته عند الغضب يقول لا تحكم بشئ على أحد حتى تجربه في الشدة والرخاء وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان فلانا الرجل صدق قال أسافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه خصومة قال لا قال فهل ائتمنته على شئ قال لا قال فأنت الذي لا علم لك به وانما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد (يبين) يظهر (خلب) كاذب (الشائمين) الناظرين الى البرق (وبله) مطره الكثير (طشه) مطره القليل (يشين) يعيب (واره) استره (كرما) أي تكرما منك عليه (أفشه) حدث به وانشره (الارتقاء) الترفيع (رقه) رفعه (استحط) اتضع (حشه) كنيفه وهو المستراح (التبر) الذهب قبل السبك (يستثار) يستخرج (النبش) البحث عليه (الغباوة) الجهالة (رونق رقشه) حسن زينته (مهذبا) مخلصا (دروس) اخلاق (بزته) لبسته (رثه) ضعف (طمرين) ثوبين خلقين (هيب) خيف (مفوف) مزين (لفحشه) لقبح كلامه (يغش عارا) يدخله (أسماله) ثيابه البالية (مراقي) سلالم ومدارج (عرشه) سريره ومنزلته (العضب) السيف (قرابه) جفنه * ومما ينتظم في هذا السلك ان النجاد العدوي دخل على معاوية في عباءة فاحتقره فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه بيانا ثم خرج ولم يسأله شيأ فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه

وبذلوا له الوجد فرغب عن الالفه ولم يرغب في التحفه وقال أما بعد ان سحقتم حتى لا جل سحق وكسفتم بالي لاخلاق سربالي فما أراكم الا بالعين السخينه ولا لكم مني الا صحبة السفينه ثم أنشد

اسمع أخي وصية من ناصح
ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة
في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي
وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه
للشائمين ووبله من طشه
فهنالك ان ترما يشين فواره
كرما وان ترما يزين فأفشه
ومن استحق الارتقاء فرقه
ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بان التبر في عرق الثرى
خاف الى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا
لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه
لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله
ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن
أسماله الا مراقي عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه
خلقا ولا البازي حقارة عشه

وقال

وقال بعضهم

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد همانى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

(وقال آخر)

هل ينفعنك بعد شيبك فى الهوى * توقير مكتسب ولبس ثياب
هيهات ما نفر المهند فى الوغى * بحلى غمد فوقه وقراب

(وقال الخبز رزى)

لا تنظرن الى أثواب مغترب * نائى المحل بعيد الاهل والدار
وانظر اليه اذا ما قام فى ملأ * بمنطق لذوى الالباب سحار

(وقال المعرى)

وان كان فى لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

(وقال أبو هفان)

لعمرى لئن بيعت فى دار غربة * ثيابى ان ضاقت على المآكل
فما أنا الا السيف أخلق جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

(وقال لبيد)

أصبحت مثل السيف أخلق جفنه * تقادم عهد السيف والسيف قاطع

(وقال النمرى)

فان تك أثوابى تمزقن عن بلى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

كان بالكوفة رجل يعرف بابى ذؤيب وكان مقصد الشعراء فدخل مجلسه محمد بن حازم الباهلى وعليه ثياب رثة وهم يتكلمون فى معانى الشعر فسأله ابن حازم عن بيت الطرماح فرد أبو ذؤيب جوابا محالا وهو فى ذلك كالمزدرى لابن حازم فوثب مغضبا فقيل له ماذا فضحت على نفسك من الشر أتدرى من احتقرت قال لا قيل هو أخبث الناس لسانا واهجاهم هذا ابن حازم فوثب حافيا حتى لقيه وحلف انه لم يعرفه واستقاله فأقاله وقال

أخطا على ورد غير جوابى * وزرى على وقال غير صواب
وسكت من عجب لذاك فزادنى * فيما كرهت بظنه المرتاب
وقضى على بظاهر من كسوة * لم يدر ما اشتملت عليه ثيابى
من عفة وتكرم وتجمل * وتجلد لمصيبة وعقاب
لكنه رجعت عليه ندامة * لما يسب وخاف مض عتابى
فأقلته لما أقر بذنبه * ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط الهمة يرضيه اليسير على انطباعه فى شعره وقال حماد بن يحيى قال لى ابن حازم يوما ما بقى على شئ من اللذات الا بيع السنانير فقلت له ويحك وأى شئ فى ذلك من اللذة قال يعجبنى أن تجئ العجوز الرعناء تخاصمنى وتقول هذا سنورى سرق فأخاصمها فتشتمنى فأشتمها وأغيظها ثم أنشد صل خمرة بخمار * وصل خمارا بخمر

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط فى ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده وأن لا نزدرى سيفا مخبوأ فى غمده

وخذ نصيبك من ذا * وذا الى حيث تدرى

فقلت الى أين ويحك فقال الى النار يا أحمق (قوله ما عتم) أى ما أبطأ ولا تأخر و يقال عتم القرى اذا تأخر وأعتم حاجته أخرها ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها (استوقف الملاح) أمر خادم السفينة بالوقوف (صعد) ارتقى وارتفع (ساح) ذهب فى الارض (فى ذاته) أى فى نفسه (أغضى جفنه) سد عينه (قذاته) عاره وعيبه الذى تلبق به السروجى عند الدخول فى السفينة والقذاة ما يسقط فى العين فيوجعها (نزدرى) نحتقر (لرثاثة برده) لاخلاق ثوبه والله تعالى الموفق

(المقامة الثالثة والعشرون الشعرية)

(حكى الحرث بن همام) قال نبابى مألف الوطن فى شرخ الزمن لخطب خشى وخوف غشى فارقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت فى سيرى وعورا لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافه والحرم العاصم من المخافه فسروت ايجاس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همى على لذة أجتنيها وملحة أجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفى وأجيل فى طرقه طرفى فاذا فرسان متتالون ورجال منثالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت فى أثر النظاره

(شرح المقامة الثالثة والعشرين وهى الشعرية)

(قوله نبابى) أى قلق بى ولم يوافقنى (الوطن) المنزل و (مألفه) موضع الاجتماع به والتأليف فيه (شرخ) أول أراد فى أول زمانه وشبابه (خطب) أمر مخوف (خشى) خيف و (غشى) نزل وغطى (أرقت) هرقت وجعل للكرى وهو النوم كأسا مجازا وكنى بهرقها عن ازالة النوم عن عينه (نصصت) رفعت وحركت (ركاب السرى) ابل السير (جبت) قطعت (وعورا) طرقا صعبة (تدمثها) تسهلها وتلينها (الخطا) هنا الاقدام وقوائم الحيوان و (القطا) طائر وقد تقدم و (هدايتها) فيما زعموا أنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة فما دونها فيردنه ضحوة يومهن فيحملن الماء لفراخهن فينهلنهن ثم يرجعن بعد الزوال الى تلك المسافة فيشربن و يأتين فراخهن فى عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن فيقال لذلك اهدى من القطا قال الشاعر

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

(وقال حميد بن ثور)

كما اتصلت كدر التسق فراخها * بعروة رفقا والمياه شعوب

غدت ومسقاها الذى وردت به * الى الصدر مشدود العصام كتيب

تبادر أطفالا مساكين دونها * فلا لا تخطاه الركاب رغيب

وضعن لها غوثا بأرض تنوفة * فما هى الا نهـلة وتؤوب

(قوله حمى الخلافة) هى بغداد (الحرم) موضع الامن (العاصم) المانع (سروت) أزلت (ايجاس الروع) احساس الفزع والخوف و (استشعاره) استفعال من شعرت بالشئ (تسربلت) لبست سربالا (قصرت همى) حبست همتى وارادتى (ملحة) طرفة وشئ يعجب (أجتليها) انظرها (الحريم) موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم (اروض) أعلم وأسوس (طرفى) فرسى (أجيل) أمشى (متتالون) متتابعون (منثالون) منصبون لكثرة جريهم (الطيلسان) ثوب خز أخضر (لبب) جعل فى عنقه ثوبا وقاده به وأخذ بتلابيبه وهى أطواق ثوبه والتلابيب مأخوذة من اللبة وهى وسط الصدر (جديد الشباب) أى فتى السن وتقدم الجلباب (ركضت فى أثر النظارة) أى خلف الناظرين لما يفعل به ومن شأن الغوغاء والعامة اذا رأوا محبوسا أو مضروبا أن يتبعوه و يتكاثروا عليه ونظر عمر رضى الله عنه الى قوم يتبعون رجلا مريبا فقال لا مرحبا

بهذه الوجوه التي لاترى الاعند الشر وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما اجتمعوا قط الاضروا ولاتفرقوا الانفعوا قيل له قد علمنا ضرار اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى كيره وكل صانع الى صنعته وقال دعبل

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * والله يعلم انى لم أقل فندا
انى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

ومر على بن الجهم بمبرسم والناس قد تجمعوا حوله وحلقوا به فلما رآهم المبرسم أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول

لاتحفلن بعشر الهمج الذين تراهم
فحق من أبلى بهم * نفسى ومن عافاهم
لوقيس مولاهم بهم * كانوا اذا مولاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميل الوجه حسن اللبسة فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول

هذا السعيد لديهم * قد صار بى أشقاهم

(وافينا) وصلنا و(صاحب المعونة) والى الجنايات وقال الرسمى ولى فلان المعونة أى ولى العون أى ولاه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها معولة وهى بتأويل المصدر بمنزلة قولهم ماله معقول أى عقل ولا مجلود أى جلد (مرتوعا بسمته) أى مفزعا بهيئته ووقاره (جعل كعبه العالى) أى جعل أسفل شئ منه يعلو أرفع شئ فى غيره (كفلته) ضممته وقت بؤسه ، أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وخير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشرها بيت فيه يتيم يساء اليه ، أبو أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا واياه فى الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه (فطيما) أى صغيرا كما منع الرضاع (لم آله) أى لم أقصر فى تعليمه (مهر) ظهر وصار ماهرا أى حاذقا (بهر) غلب أمثاله (العدوان) الظلم (يلتوى) ينعطف لضرى وهو من فعل الحية اذا تبعها الرجل التوت عليه لتلسعه (يتقمح) يسقط حياؤه (يلتقح) يشرب لبن لقحتى واللقحة الناقة ذات الدر (عثرت) اطلعت (الخزى) العار والشر والخزى الهوان (هتكت) خرقت (جباب سترك) أى ثوب طاعتك (ولا شققت عصا أمرك) أى ما خالفت حكمك وشق فلان العصا خرج عن الامر مخالفا وشق عصا المسلمين فرق جماعتهم والاصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ومنه قولهم للمطمئن ألقى العصا وقيل شق العصا صار منها فى شق وخرج عن الجماعة وفسر قوله تعالى شاقوا الله ورسوله بالمباينة لان من صار فى شق عن شق صاحبه فقد باينه وقيل معنى شق العصا ذهب الى شقها أى كسرها فجىء بالشق الذى هو من صفة العصا وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ

تصدع شعب الحى وانشقت العصا * كذلك النوى بين الخليط شقوق

(ألغيت) تركت (تلاوة) قراءة و(الريب) الريبة والتهمة (أخزى) أضر وأكثر هوانا (أفحش) أقبح (ادعيته) نسبته لنفسك وليس لك (سحرى) بديع كلامى (استلحقته) ألحقته بنفسك (انتحلت) ادعيت (أقطع) أمر (البيضاء والصفراء) الفضة والذهب (بنات الافكار) هى الاشعار

حتى وافينا باب الامارة وهنالك صاحب المعونة متربعا فى دسته ومرتوعا بسمته فقال له الشيخ أعز الله الوالى وجعل كعبه العالى انى كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم أخله يلتوى على ويتقمح حين يروى منى ويلتقح فقال له الفتى علام عثرت منى حتى تنشر هذا الخزى عنى فوالله ماسترت وجه برك ولا هتكت جباب سترك ولا شققت عصا أمرك ولا ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأى ريب أخزى من ريبك وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادعيت سحرى واستلحقته وانتحلت شعرى واسترقته واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار

(سلخ) أخذ المعنى (مسخ) قلب الكلام وغيره (نسخ) نقله بعينه والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه وهي النسخ والمسخ والرسخ والفسخ فالنسخ عندهم أن يحوّل الادنى الى الأعلى والمسخ ان يحوّل الاعلى من الحيوان الى الادنى والرسخ رد الحيوان جمادا والفسخ ان يتلاشى فلا يكون شيأ وقال شاعرهم

(أقسام سرقات الشعراء)

تعوّذ بالاله من المسوخ * وسله ان تكون من الرسوخ
لقد حاب الذى أضحى وأمسى * ينقل فى فسوخ أو رسوخ

(وقال المعرى)

وقال بأحكام التناسخ معشر * غلوا فأجاروا الفسخ فى ذا الدّوالرسخا

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسين بن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم بالمصنف فى الدلالات على سرقات المتنبى فانه جعلها عشرين وجها عشرة أوجه يعفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته الاول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير كقول طرفة

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوىّ فى البطالة مفسد

فقال الوالى للشيخ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ

اختصره ابن الزبعرى فقال

والعطيات خصاص بينهم * وسواء قبر مثر ومقل

ففصل صدر بيته وجاء ببيت طرفة فى عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح الثانى نقل اللفظ الرذل الى الرشيق الجزل كقول العباس بن الاحنف

زعموا لى انها باتت تحم * اشتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكمل ما كانت كما * يشتكى البدر اذا ماقيل تم

(فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال)

طوى عارض الحمى سناه فخالا * وألبس ثوبا للسقام هزالا
كذا البدر محتوم عليه اذا انتهى * الى غاية فى الحسن عاد هلالا

الثالث نقل ماقبح مبناه دون معناه الى ماحسن مبناه ومعناه كقول أبى نواس

بح صوت المال مما * منك يدعو أو يصيح مالهذا آخذ فو * ق يديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح أخذه مسلم فقال

تظلم المال والاعداء من يده * لازال للمال والاعداء ظلاما

فجوّد الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والاعداء وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى الرابع عكس مايصير بالعكس ثناء بعدما كان هجاء كقول البلاذرى

فد يرفع المرء اللئيم حجابه * ضعة ودون العرف منه حجاب

معكوسه

ملك أغر محجب * معروفه لايحجب

الخامس استخراج معنى من معنى احتذى عليه وان فارق ماقصد اليه كقول أبى نواس فى الخمر

لاينزل الليل حيث حلت * فدهر شرّابها نهار

احتذاه البحترى وفارق مقصده فجعله فى محبوب فقال

غاب دجاها وأى ليل * يدجو علينا وأنت بدر

السادس توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق كقول أبى تمام

لأمر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذه من قول الاعرابى أنشده الاصمعى رحمه الله تعالى

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

فجرد لفظه من لفظ من أخذ منه وهو فى معناه متفق معه وهذا من أدل الاقسام على فطنة الشاعر السابع فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات وهذا من أشذ باب وأقله وجودا وأغمض لانه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته كقول أبى نواس

واسقنيها من كميت * تدع الليل نهارا

(ثم قال أيضا)

(ذكر السرقات المذمومة)

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرّابها نهار

(ثم قال أيضا)

ألمبتغى المصباح قلت له اتئد * حسبى وحسبك ضوءها مصباحا

فكل هذه معان متقاربات وألفاظ متشابهات مولد بعضها من بعض الثامن مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام وان كان الاول أحق به لانه ابتدع والثانى اتبع من ذلك قول العكرل فى فرس

مطرد يرتج من أقطاره * كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه فأخذه ابن المعتز فقال

فكأنه موج يذوب اذا * أطلقته فاذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين التاسع مماثلة السارق المسروق بزيادته فى المعنى ما هو من تمامه كقول أبى حية

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت * بأحسن موصولين كف ومعصم

(أخذه من قول النابغة)

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

فلم يرد النابغة على اتقائها باليد وزاد عليه أبو حية بقوله دونه الشمس وخبر عن المتقى بأحسن خبر فاستحقه العاشر رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه كقول حسان

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

الى بيت حان لا تهر كلابهم * علىّ ولا يخشون طول ثوائى

ولا فرق بين المعنيين والسرقات المحمودة أكثر من أن تحصر ونريك وجه السرقات المذمومة وهى كالمحمودة عشرة أقسام الاول نقل اللفظ القصير الى الطويل الكثير كقول سالم الخاسر

أقبلن فى راد الضحى بنا * يسترن وجه الشمس بالشمس

(أخذه الثانى فقال)

واذا الغزالة فى السماء تعرضت * وبدا النهار لوقته يترحل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها * تلقى السماء بمثل ما تستقبل

المعنى صحيح والكلام مليح غير أنه تطويل وتضييق والبيتان جميعا نصف بيت سالم الثانى نقل الرشيق الجزل الى المستضعف الرذل كقول القائل

كأن ليلى صبير غادية * اودمية زينت بها البيع

(أخذه أبو العتاهية فقال)

كأن عتابة من حسنها * دمية قس فتنت قسها

فقصر لفظه عن الفصاحة ومعناه عن الرجاحة الثالث نقل ما حسن معناه ومبناه الى ما قبح مبناه ومعناه كقول امرئ القيس

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فاتى بما لا يعلم وجوده فى البشر من وجود طيب من لم يمس طيبا وجاء ببيت فى مراده حسن النظام مستوفى التمام أخذه كثير فقال

فما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فطوّل وحسن وقصر غاية التقصير وأخبر أنها اذا تطيبت كالروضة فى طيبها وذلك مما لا يعدم فى أقل البشر تنظيفا الرابع عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد ان كان ثناء كقول أبى نواس رحمه الله تعالى

فهو بالمال جواد * وهو بالعرض شحيح

(عكسه ابن الرومى فقال)

ماشئت من مال حمى * يأوى الى عرض مباح

الخامس نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه الى ما قبح وثقل على لسان راويه كقول مسلم رحمه الله تعالى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

(أخذه أبو تمام فقال)

قال لى الناصحون وهو مقال * ذم من كان جاهلا اطراء

صدقوا فى الهجاء رفعة أقوا * م طغام فليس عندى هجاء

فبين الكلامين فرق بعيد الثامن نقل العذب من القوافى الى المستكره الجافى كقول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم)

تجرى محبتها فى قلب عاشقها * جرى المعافاة فى أعضاء منتكس

التاسع نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد الى تقصير وافساد كقول القائل

ولقد أروح الى التجار مرجلا * مذلى بمالى لينا اجيادى

وانما الجيد واحد وهذا وان جاز عند بعض العرب فهو عند الآخرين غير جيد ولا سديد العاشر أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضعها وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال

قوله الثامن كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا وقد اسقط السادس والسابع اه

ولا

ولا أغير على الاشعار أسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال الاعشى فكيف أنا وانتحالى القوافى * بعد المشيب كفى ذاك عارا

ومن سرقة اللفظ والمعنى ما يحكى عن أبى المعافى أنه لما مدح أبا العباس محمد بن ابراهيم الامام بقوله

اليك بعدحتى يا خير أبنا * رسول الله من تلد النساء

ستأتيك المدائح من رجال * وما كف أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بان وضع الرجال موضع النساء وغير عجز البيت الآخر فقال * كما اختلفت الى الغرض النبال * فاستعدى عليه أبا المعالى صالح بن اسمعيل وهو على شرطة محمد بن ابراهيم بالمدينة فقال

ما سارق الشعر فيه وسم صاحبه * الا كسارق بيت دونه غلق

بل سارق البيت أخفى حين يسرقه * والبيت يستره من ظلمة غسق

من جيد الشعر أن يخفى لسارقه * وجيد الشعر قد سارت به الرفق

فقال صالح فما تحب أن أفعل به فقال تحلفه عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا ينشد هذا الشعر الالى وكان محمد بن زهير يشرب فاذا سكر لا يفيق الا بانشاد الشعر فأمر يوما جبار بن محمد الكاتب أن ينشده فأنشده أبياتا لابى نواس ادعى انه قائلها وهى

صاح مالى وللرسوم القفار * ولنعت المطى والاكوار

شغلتنى المدام والقصف عنها * وسماع الغناء والمزمار

ومضى فى الشعر وأبو نواس قاعد فوثب وتعلق به قدام محمد بن زهير وأنشأ يقول

أعدنى يا محمد بن زهير * يا عذاب اللصوص والدعار

يسرق السارقون ليلا وهذا * يسرق الشعر جهرة بالنهار

صار شعرى قطيعة لجبار * أفهذا لقلة الاشعار

قل له فليغر على شعر حما * د أخى الفتك أو على بشار

وسرق محمد بن يزيد الاموى شعرا لحبيب فقال حبيب

من بنو بجدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل وعامر ومن الحرث أو من عتيبة بن شهاب

انما الضيغم الهصور أبو الاشبال جبار كل جيش وغاب

من عدت خيله على سرح شعرى * وهو للحين راتع فى كتاب

غارة أسخنت عيون المعانى * واستباحت محارم الآداب

لو ترى منطقى أسيرا وأصبحت أسيرا بعبرة وانتحاب

يا عذارى الاشعار صرتن من بعدى سبايا تبعن فى الاعراب

طال رهبى اليك يا رب يا رب ورغبى اليك فاحفظ ثيابى

وعارض أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى

ما الدهر مستنفد ولا عجبه * تسومنا الخسف كله نوبه

نال الرضا مادح وممتدح * فقل لهذا الامير اغضبه
أيحلى لصوص البلاد يطردهم - وظل لص القريض ينتهبه
اردد علينا الذى استعرت وقل - قولك يعرف لغالب غلبه

واستعدى ابن الرومى العلاء بن عيسى على البحترى فقال

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت * به الدواهى نصول الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم * جهرا وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الارواح منطقه * فالقوم ما بين مقتول ومغتصب
نكله ان اناسا قبله ركبوا * بدون ما قد أتاه باسق الخشب
اذا أجاد فأوجب قطع مقوله * فقد دها شعراء الناس بالحرب
وان اساء فأوجب قتله قودا * بمن أفات اذا أبقى على السلب
يسيء عفافان أكدت مسائله * أجاد لصا شديد البأس والكلب
حتى يغير على الموتى فيسلبهم * حر الكلام بجيش غير ذى لجب

(وقال فيه ابن الحاجب)

والفتى البحترى يسرق ماقا * ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا * ه فمعناه لابن أوس حبيب

(ولابن الحاجب أيضا)

هل الى محنة تخبر من قا * ضلنا فى القريض والمفضول
محنة تفضح اللصوص وتقضى * بالذى فيهم قضى التنزيل
سارق المال تقطع الكف منه * واللسان السروق منها بديل
ليسود الذى يحق له السو * دد منا ويرذل المرذول

وبلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره فقال أبلغوه عنى

سرقت شعرى وغيرى * يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك ضعفا * بكل رأسا وأخدع
فسارق المال يقطع * وسارق الشعر يصفع

فاتخذ السارق لذلك جلا وهرب من الرى وبين السرى الموصلى والخالديين مستظرفات فى هذه السرقات اشتهرت فى كتب الآداب فلنلم ببعض ما قال السرى فيهما وفيه يقول الثعالبى السرى وما أدراك ما السرى صاحب الشعر الجامع بين عقود الدر والنافث فى عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق فى كعبة الظرف وكتبت منه محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزات الحدق الملاح قال يتظلم الى سلامة بن فهد من الخالديين

تحيف شعرى يا ابن فهد مصالت * عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفى كل يوم للغبيين غارة * تروع ألفاظى المحجلة الغرا

اذاعن لى معنى تضاحك لفظه * كما ضاحك النوار فى روضه الغدرا
غريب كنشر الروض لما تبسمت * مخايله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يسح وجهه * وصدر من الاقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم * من العلم معذور متى خلع العذرا
لأطفأتما تلك النجوم باسرها * وأدنستما تلك المطارف والازرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما * وأبقيتما لى فى محاسنه الشطرا

وقال يخاطب أبا الخطاب وقد سمع ان الخالديين يرجعان الى بغداد

بكرت عليك معرة الاعراب * فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
وردا العراق ربيعة بن مكدم * وعتيبة بن الحرث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما * فى الفتك لا فى صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه * جلب التجار طرائف الاجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة * جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى غارة * وحذار من فتكات ليثى غاب
تركت غرائب منطقى فى غربة * مسبية لا تهتدى لاياب
أعزز علىّ بأن أرى أشلاءها * تدمى بظفر للعدوّ وناب
جرحى وما ضربت بحد مهند * أسرى وما حملت على الاقتاب
ان عزمو جود الكلام عليهما * فانا الذى وقف الكلام ببابى
كم حاولا أمرى فطال عليهما * أن يدركا الامشار ترابى

والقصيدة طويلة جمعت منها ما وافق الغرض وسلم بشئ منها فى الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى وقال يتظلم منهما الى ابى البركات

يا اكرم الناس الا أن تعد أبا * فات الكرام بآيات وآثار
أشكو اليك حليفى غارة شهرا * سيف العقوق على ديباج أشعارى
ذئبين لو ظفرا بالشعر فى حرم * لمزقاه بانياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة * فى جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فظل العطر متهما * لديهما يشترى من غير عطار
ان قلدالك بدرًّا فهو من نخبى * أو ختماك فياقوتى وأحجارى
كأنه جنة راقت حدائقها * بين الغبيين فى نار واعصار
عار من النسب الوضاح منتسب * فى الخالديين بين الخزى والعار

وشتان بين قول السرى فى أبى بكر وأبى عثمان ابنى هشام الخالديين وبين قول الثعالبى فيهما حين قال ان هذين لساحران يغربان فيما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان وكان ما يجمعهما من أخوة الادب مثل ما ينظمهما من اخوة النسب وهما فى الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان فى قول الشعر وينفردان ولا يكادان فى السفر والحضر يفترقان وكانا فى التساوى كما قال أبو تمام

رضيعي لبان شريكي عنان * عتيقي رهان حليفي صفاء

(بل كما قال البحتري)

كالفرقدين اذا تأمل ناظر * لم يعلم موضع فرقد عن فرقد

(بل كما قال الصابي)

أرى الشاعرين الخالديين نشرا * قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه * يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا * ومر جدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم * وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا الى حكمي فأصلحت بينهم * وماقلت الابالتي هي أرشد
هما الاجتماع الفضل روح مؤلف * ومعناهما من حيث ألف مفرد
كما فرقدا الظلماء لما تشاكلا * علاء أأشكي ذاك أم ذاك أمجد
فزوجهما ماشله في اتفاقه * وفردهما بين الكواكب أسعد
فقاموا على صلح وقال جميعهم * رضينا وساوى فرقد الارض فرقد

وأفاضل الشأم والعراق بعضهم يفضل السري عليهما وبعضهم يفضلهما فهذا كله فصل في السرقات مستطرف احتوى على فوائد من علم الادب وهي عشرون وجها والعشرون وجها في السرقة جلبتها من كتاب الوكيعي على اختصار (قوله والذي جعل الشعر ديوان العرب) أي كتابا تدون فيه أخبارهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من الشعر لحكمة رواه ابن عمر رضي الله عنه ، عمر رضي الله عنه قال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى وحكمة الحكماء ويدل على مكارم الاخلاق (قوله يا خاطب الدنيا الدنية) أي التي لا خير فيها (شرك) مصائد (الردى) الهلاك (قرارة) موضع يستقر فيه الماء (الاكدار) ما يتكدر به الماء الصافي (أظل) دنا وقرب (ينقع) يروى (صدى) عطش (جهامه) سحابه الذي لا ماء فيه (الغرار) الخداع (تنقضي) تنقطع وتم أراد أن الدنيا تهلك من فيها فكنى بالاسير عن ذلك وأسير الموت لا يفدى (الجلائل) جمع جليلة وهي الشئ الرفيع * وتقدمت الاخطار (مزده) معجب (غرورها) خداعها (متمردا) متجاوز الحد في الفساد (المجن) الترس (أولغت) جعلتها تلغ الدم (المدى) جمع مدية السكين (نزت) وثبت عليه (الثار) طلب الدم وأراد أنها لما بسطت الارزاق للانسان فأعجب بها وركب رأسه في الفساد تحولت عليه وسقت سكينها من دمه والعرب تقول قلبت له ظهر المجن اى غيرت له حالي وهو مثل يضرب للمحاربة بعد المسالمة وأصله في الحرب لان الرجل اذا صالح صاحبه جعل بطن مجنه مما يلي صاحبه المصالح فاذا حارب قلب له ظهره للقتال ومن جواب رسالة المهلب الى الحجاج وزعمت اني ان لم ألتهم في موضع كذا أسرعت الى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن ثم اذا كانت الواقعة فهذا يبين ما ذكرناه (ارباً بعمرك) أي ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرك وتقول ربأت القوم أي صرت لهم ربيئة وهو الحارس لهم والمربأ الموضع المشرف الذي يقعد فيه الناظر فمعنى اربأ بنفسك أي

ارتفع

فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما أحدث سوى أن يترنم شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها ليتضح ما احتازه من جلتها فانشد

يا خاطب الدنيا الدنية انها
شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت في يومها
أبكت غدا بعدا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتقع
منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها
لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزده بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت
فيه المدى ونزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا

ارتفع عوضع ممتنع واحترس فيه لتنجو (سدى) مهملا (استظهار) استعداد وقد استظهرت بالشئ فظهرت به وأظهرته اذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية والظهير المعاون و(العلائق) كل مايعلق القلب بحب الدنيا و(الرفاهة) الخفض والعيش الهنئ (الاسرار) البواطن يريد ان سر الانسان وخاطره اذا قطع علائق الدنيا كان مترفها خالى السر والبال (ارقب) احرس (سالمت) صالحت (كيدها) مكرها (الغدار) الذى يؤمنك فاذا أمنته خانك (وتوثبه) تهيؤه للوثب عليك (خطوبها) أمورها ونوازلها (تفجا) تأتى على غفلة (ونت) فترت و(السرى) مشى الليل (الاقدار) مايقدره الله على العبد من خير أو شر فيقول اذا أمنتك الدنيا من مكرها فلا تامنها فخطوبها تأتى على غفلة بعد أمد طويل وضمن هذا الشعر وصايا فى التحذير من الدنيا ونسوق هنا من النظم والنثر ما ينتظم فى سلك ما نظم قال النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالاكل الذى لايشبع وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال ابنه محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وقيل لبعض الحكماء صف لنا الدنيا فقال أمل بين يديك وأجل مطل عليك وشيطان فتان وأمانى جرارة العنان تدعوك فتستجيب وترجوها فتخيب وقيل لآخر صف لنا الدنيا فقال ناقضة للعزيمة مرتجعة للعطية كل من فيها يجرى الى مالا يدرى وقال هرون الرشيد لو قيل للدنيا صفى نفسك ماوصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال آخر

يا خاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان الذى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

(وقال أبو العرب الصقلى)

ولا يغررك منها حسن برد * له علمان من علم الذهاب
فأوله رجاء من سراب * وآخره رداء من تراب

(وقال أبو العتاهية)

أصبحت الدنيا لنا فتنة * والحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وله أيضا

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل فى الذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وقال المتنبى

أبدا تسترد ماتهب الدنـيا فياليت جودها كان بخلا
وهى معشوقة على الغدر لاتحـفظ عهدا ولا تتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها * وبفك اليدين منها تخلى
شيم الغانيات فيها فلا أد * رى لذا أنث اسمها الناس أم لا

(وله أيضا)

فيها سدى من غيرما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدا وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو
طال المدى وونت سرى الاقدار

(ذكر التحذير من الدنيا)

فذى الدار أخون من مومس * وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها * ومايحصلون على طائل

(وقال المعرى)

وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما * جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى
على أم دفر غضبة الله انها * لاجدر أنثى أن تخون وأن تخنى
كعاب دجاها فرعها ونهارها * محيالها قامت له الشمس بالحسن
كأن بنيها يولدون ومالها * حليل فتخشى العار ان سمحت بابن

(وقال ابن عبد ربه)

ألا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الآمال الا فجائع * عليها ولا اللذات الا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وقال أبو العتاهية)

رضيت بذى الدنيا لكل مكاسر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها ترقيه حتى اذا سما * فرت حلقه منها بشفرة جازر

(وقال أبو بكر الباوى)

ان الذى أصبح لا والد * له على الارض ولا والده
قدمات من قبلهما آدم * فأى نفس بعده خالده
ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

(وقال ابن عمران)

أف لدنيا قد شغفنا بها * جهلا وعقل للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها * فلا تكن ممن بها يخدع
أضغاث أحلام اذا حصلت * أو كوميض البرق مهما لمع

(وقال ابن قاضى ميلة)

لدنياك نور ولكنه * ظلام يحاربه المبصر
فان عشت فيها على أنها * كما قيل قنطرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلا * فان الخراب لما تعمر
ولا تدخرن خلاف التقى * فتفنى ويبقى الذى تدخر

ابن عمران واعلم ان الانسان لا يحب شيأ الا أن يجانسه فى بعض طباعه وان الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فأحبها بكله وقال

نراع لذكر الموت فى حال ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شئ محبب

(وقال ابراهيم بن أدهم)

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا فقال اقدم للؤمه في الجزاء على أبياتي السداسية الاجزاء فحذف منها جزأين
ونقص من أوزانها وزنين
حتى صار الرزء فيها رزأين
فقال له بين ما أخذ ومن
أين فلذ فقال أرعني سمعك
واخل للتفهم عني ذرعك
حتى تبين كيف أصلت علي
وتسدد قدر اجترامه الي
ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنـ
ية انها شرك الردى
دار متى ما أضحكت
في يومها أبكت غدا
واذا اظل سحابها
لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي
واسيرها لا يفتدى
كم مرده بغرورها
حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجـ
ن وأولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك ان يمر
بمضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها
وطلابها تلق الهدى
وارقب اذا ما سالمت
من كيدها حرب العدا
واعلم بأن خطوبها
تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام وقال تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الادب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه ان كانت أبياته نمت الى علي قبل ان ألفت نظمي وانما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابي قيل له كيف أنت في دينك فقال أخرقه بالمعاصي ولا أرقعه بالاستغفار وللاعمى الطليطلي

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتهم بددا
قل للمعدّ عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

تأمل هذه المقاطع فانها تضمنت حكما وآدابا وكل قطعة منها لها تعلق بشعر الحريري اما باللفظ أو بالمعنى (قوله أقدم) أي تقدم (لؤمه في الجزاء) يريد أنه جازاه على ما فعل معه من الخير مجازاة لئيم فسرق شعره (السداسية الاجزاء) لان عروضها من الكامل وأجزاؤها متفاعلن ست مرات (الرزء) المصاب (فلذ) قطع (أرعني سمعك) أي اسمع مني (ذرعك) بالك وقلبك (أصلت) جرد سيفه (تتصعد) تتطلع الى فوق (الخريج) الذي خرّجه معلمه وفلان خريجك أي الذي خرج بتهذيبك وتعليمك (مارق) خارج عن الطاعة (وتلميذ) طالب متعلم (برئت) زلت وانفصلت (يناويه) يعاديه (يقوض) يهدم (نمت) اتصلت ونميت الحديث أسندته (ألفت نظمي) جمعت شعري (توارد الخواطر) تواطؤ الاذهان أي وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع لذهن الشيخ مثل الحافر الذي يقع على الحافر وهذا الكلام يعزى لابي الطيب المتنبي وسئل عن اتفاقات الخواطر فقال الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال الاصمعي رحمه الله تعالى قلت لابي عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع شعره فقال تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها ومن مشهور ذلك ما وقع في القصيدتين البائيتين لامرئ القيس وعلقمة وكذلك اتفاقه مع طرفة في قوله

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال امرؤ القيس وتجمل ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل

وقال النابغة صرورة متعبد وقال

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولهم من تاموره يتنزل

وقال النابغة لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

تاموره صومعته ومن ذلك ما حكى أبو علي انه خرج جرير والفرزدق مردفين الى هشام بن عبد الملك فنزل جرير يبول فتلفتت الناقة فضربها الفرزدق وقال

الام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي * من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال الآن يجيء جرير فأنشده البيتين فيرد علي

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفأس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

قال فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال ما يضحكك يا أبا فراس فأنشده البيتين فقال جرير تلفت انها البيتين كما قال الفرزدق سواء فقال والله لقد قلت هذين البيتين فقال جرير أما علمت أن شيطاننا واحد ومر رجل بالفرزدق بالمربد فقال من أين أقبلت قال من اليمامة قال فأى شئ أحدث ابن المراغة فأنشده، هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فقال الفرزدق

، فانظر بتوضح باكر الاحداج * فقال الرجل ، هذا هوى شغف الفؤاد مبرح ، فقال الفرزدق

، ونوى تقاذف غير ذات خلاج فقال الرجل ، ان الغراب بما كرهت لمولع فقال الفرزدق

* بنوى الاحبة دائم التشحاج ، فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتهما من غيرى قال لا ولكن هكذا ينبغى أن يقال فقال أما علمت ان شيطاننا واحد ودخل الفرزدق على امرأة من بنى عقيل فحدثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل فاقبلت عليه تحدثه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك وقال للفتى أتصارعنى قال ذلك اليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب الفتى عنه وقال هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال والله ما بى ذلك ولكن كأنى بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر فقال .

جلست الى ليلى لتحظى بقربها ـ فخانك دبر لا يزال خؤن

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها * كما شد خرقا بالدلاص قيون

فلما بلغ الخبر جرير قال البيتين وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه فلم يفعل وأعطاه سيفا لا يقطع فضرب به عنق رومى فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فجاس وهو يقول

أيعجب الناس ان أضحكت سيدهم ، خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفى عن رعب ولا دهش ، عن الاسير ولكن أخر القدر

ثم قال ما ان يعاب فرس اذا كبا ولا يعاب صارم اذا نبا ثم جلس وهو يقول كأنى بابن المراغة قد بلغه الخبر فقال

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقالوا محدث غير صارم

وانصرف فجاء جرير وأخبر الخبر فقال بسيف أبى رغوان البيتين ثم قال كأنى يا أمير المؤمنين بابن القين قد أجابنى فقال

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(فاخبر الفرزدق القصة فقال)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع احيانا مناط التمائم

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

فهذا ان صح من أعجب اتفاق الخواطر وقال الاقيشر

جريت مع الهوى طلق العتيق ، وهان على مأثور الفسوق

وجدت ألذ عارية الليالى ، قران النغم بالوتر الخفوق

وسمعة اذا ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الصبوح عرا الغبوق

(وقال أبو نواس رحمه الله تعالى)

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح
وجدت الذعارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح
وسمعة اذا ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرا الغبوق عرا الصبوح

ومن ذلك مانسب السرى للخالدى فيما قدمناه من سرقة شعره قال السرى

وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها اذا * مالاح تحت نقابها

وقال أبو بكر الخالدى

فكأن الكأس لما * ضحكت تحت الحباب
وجنة حمراء لاحت * لك من تحت النقاب

(وقال السرى فى وصف جام فيه فالوذج)

بأحمر مبيض الزجاج كأنه * رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه * وان كان تلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته * كواكب در فى سماء عقيق

(وقال أبو بكر الخالدى)

ومداما كأن الكف من طيب نشرها * وصفرتها قد خلقت بخلوق
تعاينها نورا علاه تجسد * وتشربها نارا بغير حريق
كأن حباب الماء فى جنباتها * كواكب لاحت فى سماء عقيق

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

رأت شيبا يصاحبنى فصدت * وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت اذ رأت للمشط فيه * سواد الايشا كله نفيسا
تلوق العاج منه بمشط عاج * ودع للآبنوس الآبنوسا

(وقال أبو عثمان أيضا)

وقفتنى مابين هجر وبوس * وانثنت بعد ضحكة بعبوس
اذ رأتنى مشطت عاجا بعاج * وهى للآبنوس بالآبنوس

وهذا اماتوارد أو تسابق والتسابق أشبه بهم (قوله زعمه) الزعم قول معه اعتقاد (بادرة) سابقة وهى الكلمة الرديئة تبدر من المتكلم (الفائق) الفاضل وفاق الناس فضلهم وعلاهم بقول أو علم (المائق) الاحمق الضعيف التدبير (المناضلة) المراماة (لزهما) ضمهما وشدهما (قرن) حبل يقرن به بين الشيئين (المساجلة) أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من الماء مثل مايخرج الآخر فايهما نكل فقد غلب وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

قال فكأن الوالى جوز مدق زعمه فندم على بادرة ذمه فظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير الا أخذهما بالمناضلة ولزهما فى قرن المساجلة

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بيت العرب

ومر الفرزدق بالفضل وهو يستقي وينشد البيتين فشمر ثيابه عن نفسه وقال أنا أساجلك ثقة بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس فرد ثيابه وقال ما يساجله الا من عض ايرأبيه ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة وأراد هنا بالمناصلة والمساجلة أن يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب وأكثر ما جرت به العادة فيها بانصاف الابيات كما شهر في قصة امرئ القيس والتوأم حين قال امرؤ القيس * أحار ترى بريقا هب وهنا * فقال التوأم * كنار مجوس تستعر استعارا * ثم مضيا على القطعة بالانصاف حتى كملت وهي مشهورة قال أبو العيناء وقف على غلام يسألني ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لي أسود قد اغتسل وهو يرعد وكان خبيثا فاومأت الى الاسود فقلت كأنه ذئب غضى أزل * فقال الغلام * بات الندى يضربه والطل * فوصلته بدراهم وانصرف واجتاز ابن أبي الخصال من بلده شقورة بأبدة وهو صبي صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضي ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا أسود فقال القاضي * انظر اليه في العصا * فقال ابن أبي الخصال * كرأس زنجي عصا * فعلموا أنه سيكون له شأن في البيان ومثل ذلك ما حدثني به الشيخ الفقيه أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبي عبد الله ان أبا بكر بن المجبل وأبا بكر بن الملاح الشلبيين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان قد برعا في الطلب وحازا قصب السبق في حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المجبل في سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ويقول له قطعت ما بيني وما بين صفيي أبي بكر بأقذاعك في ابنه فقال له ابنه انه بدأني والبادئ أظلم وانما يجب أن يلحى من بالشر تقدم فعذره أبوه فبينما هما على ذلك اذ أقبل على واد تنق فيه ضفادع فقال أبو بكر لابنه أجز تنق ضفادع الوادي * فقال ابنه * بصوت غير معتاد * فقال الشيخ كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح في النادي * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال أبو بكر وتصمت مثل صمتهم * فقال ابنه * اذا اجتمعوا على زاد * فقال أبو بكر * ولا غوث للمهوف * فقال ابنه * ولا غيث لمرتاد * والاجازة بالابيات بكمالها كثيرة مشهورة وحكى الماوردي ان الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبد الله بن طاهر فقال عبد الله

ومستودعي سرا تضمنت ستره * فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي

وما السر في قلبي كميت بحفرة * لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

* وحكى الفقيه أبو الحسن ان أباه حدثه أن الاديب أبا الطاهر ابن أبي ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان في نزهة شعبان لاستقبال رمضان فأكل مع من حضر ضروبا من الاطعمة والالوان فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لابي عبد الله بن زرقون اجز

حمدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عني الجوع في رمضان

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى

كما حمد الصب المتيم زورة * أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر   دعوها بشعبانية فلو أنهم * دعوها بشعبانية لكفاني

وحدثني أيضا ان أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبي الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الامواج فقال له أبو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موّجته * بوارح في مناكبها غيوم

فقال أبو عبد الله   منع لا تعوم به سفين * ولو حدقت به الزهر النجوم

(قوله افتضاح العاطل) أي شهرة الفارغ من قول الشعر (تراسلا) تجاريا والتراسل في الغناء والنشيد أن يتجاذب الصوت المغنيان والتراسل في الخيل ان ترسل فرسين في الطلق (تباريا) تجاريا (وتجاولا) تصرفا (والحلبة) يأتي ذكرها في المقامة وأراد تجاريا في الشعر كما يتجارى خيل الحلبة في الميدان (بسرك) قياسك وتجربتك لنا (متوارد) متسابق متتابع و (التجنيس) أن تكون الالفاظ متناسبة والمعاني متباينة (تلحمانها) تنسجانها و (شيه) رقمه (ترصعانها) تزينانها وكل ما خرزته اوعقدته فهو مرصع (الف) معشوق يؤلف ويؤنس به (بديع) غريب (ألمى) أسمر واللمى ان تتعتق حمرة الشفة حتى تضرب الى السواد (التثني) الانعطاف (التيه) الاعجاب والاحتقار بغيره (التجني) ادعاء الجناية على عاشقه وذلك أن المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنبا عليه وجناية ليتوصل بذلك الى هجره ثم سمي الصد والاعراض تجنيا (مغرى) مولع (والتناسي) استعمال النسيان أراد أنه يعد عاشقه بالزيارة وغيرها فاذا ذكرها قال نسيت (والصد) الاعراض (على هذا النسق) اي على هذا التتابع والانضمام (اتسق) انضم واجتمع ونسقت الشيء بالشيء ضممته اليه (أحوى) أسمر الشفة والحوة حمرة تضرب الى السواد يقال شفة حواء حمراء (رق) اي ملكني والرق الملك ورق الرجل رقا صار عبدا (برقة لفظه) بحلاوة كلامه (غادرني الف السهاد) تركني صاحب سهر (بغدره) بقلة وفائه (تصدى) تعرض (اسره) حبسه (باسره) بجملته و (الزور) الكذب (ازوراره) انقباضه و (الهجر) الفحش (استعذب) أستطيب (أجد عذابي) جدد عذابي (جد) زاد واجتهد (بره) اكرامه يريد متى زادني عذابا وهجرا ازددت فيه حبا وبرا (ذمامي) عهدي (مذمة) عيب (أحفظ) أغضب (التباهي) التفاخر (اكبره) أعظمه وأراه كبيرا (أفوه) أنطق (نشره) تحركه وانجته (رشف ثغره) تقبيل أسنانه (ثنيت) عطفت (أعنتي) جمع عنان (أجتلي) أنظر (نور بدره) حسن وجهه يقول لولا حسن ثنيه لتركته وملت الى غيره ثم قال واني على ما يلقاني به من الهجر والجفاء وألقاه به من البر والصفاء ليرجع عندي المر من أفعاله او اني اتباعي لما يحب ويامر به   وقد أنشدوا في ذلك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالكا

وقال في مثله   وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فهذا غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب   وقال الشاعر

ولقد منحتكم المودة محضة * وكتمت ما اشتملت عليه ضلوعي

جازيتموني بالوصال قطيعة * شتان بين صنيعكم وصنيعي

فاذا أتيتك زائرا متشوقا * قصر الطريق وطال عند رجوعي

وفي معنى قوله له مني المدح يقول ابن رشيق وزاد معنى مستظرفا

وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بامرك فقال اني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الف لي بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثني كثير التيه والتجني مغرى بتناسي العهد واطالة الصد واخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا متنافيين على هذا النسق الى أن كمل نظم الابيات واتسق وهي

وأحوى حوى رقي برقة ثغره * وغادرني الف السهاد بغدره

تصدى لقتلي بالصدود واني * لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدق منه الزور خوف ازوراره * وأرضى اسماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما * أجد عذابي جد لي حب بره

تناسى ذمامي والتناسي مذمة * وأحفظ قلبي وهو حافظ سره

وأعجب ما فيه التباهي بعجبه * وأكبره عن أن أفوه بكبره

له مني المدح الذي طاب نشره * ولي منه طي الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى * علي وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثنيه ثنيت أعنتي * بدارا الى من أجتلي نور بدره

أراك اتهمت أخاك الثقه * وعندك مقت وعندى مقه
وأثنى عليك وقد سؤتنى * كما طيب العود من أحرقه

(وقال ابن زيدون)

بنى جهور أحرقتم بجفائكم جنانى فما بال المدائح تعبق
تعدوننى كالعنبر الندّ انما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

وكأنما توارد على هذا المعنى فانما أخذا من قول حبيب

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ذكر ما جاء من الشعر فى أوصاف الغلمان

ونذكر هنا جملة من الشعر الرائق المستطرف الفائق تنسحب على أوصاف الغلام المذكور وتتعلق بشعر الحريرى من جهة التجنيس أو من جهة الانقياد للمحبوب وان جفا وصد ونبدأ بذكر حكاية أبى اسحق الحضرمى لتعلقها بما انبنت عليه المقامة من توارد الخواطر كان أبو اسحق يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل

ومعذرين كأن نبت خدودهم * أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين اذا الخلى رآهم * وجد الهوى بهم اليه طريقا

قوله الحضرمى كذا بالاصل وفى نسخة الحصرى اه مصححه

وكان يختلف اليه غلام من أعيان أشراف القيروان وكان به كلفا فبينما هو عنده والحضرمى قد أخذ فى الحديث اذ أقبل الغلام وهو يقول

فى صورة كملت تخلت بأنها * بدر السماء لستة وثمان
يعشى العيون ضياؤها فكأنها * شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال الشيخ يا حضرمى ما تقول فيمن هام بهذا القد وصبا لهذا الخد فقال الحضرمى الهيمان والله بهذا غاية الطرف لا سيما اذا شام كافورة خده ذلك المسك الفتيت وهم على صبحه ذلك الليل البهيم والله ماخلت سواده فى بياضه الا بياض الايمان فى سواد الكفر أو غيهبا فى ضوء الفجر فقال للحضرمى صفه فقال من ملك رق القول حتى انقاد له صعابه فذلله جوحه حتى سطع له شهابه أقعد منى فى ذلك فقال صفه فانى معمل فى ذلك فكرى فأطرق ساعة فقال الحضرمى

أورد قلبى الردى * لام عذار بدا
أسود كالكفر فى * أبيض مثل الهدى

وقال له الشيخ أراك اطلعت على ضميرى أو خضت بين جوانحى فقال له الحضرمى ولم ذاك قال لانى قلت

حرك قلبى فطار * صولج لام العذار
أسود كالليل فى أبيض مثل النهار

فهذا غاية فى بابه وقال السرى

بلانى الحب فيك بما بلانى * فشانى ان تفيض غروب شانى
أبيت الليل مرتقبا أناجى * بصدق الوجد كاذبة الامانى
ويشهد لى على الارق الثريا * ويعلم ما أقاسى الفرقدان
ستصرف طاعتى عمن نهانى دموع فيك تلحى من لحانى

ولم أجهل نصيحته ولكن * جنون الحب أحلى في جناني
فياولع العواذل خل عني * ويا كف الغرام خذي عناني

وهذا مما يأخذ بمجامع القلوب ويحتوي على النوعين من المعنى المطلوب وقال السلامي

ماض عليك بموجود ولا بخلا * أعزما عند النفس التي بذلا
يحكي المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا والاطلال الديار بلا

وقال أيضا

بنيت بمن اذا مثيب أذهبت * منائي الى سمع عارضيه
وفاضت رحمة لي حين ولي * مدامع كاتبي وكاتبيه

(وله في غلام بدوي)

وعلقته بدوي اللسا * ن والوجه والرى ثبت الجنان
أعانق من قده صعدة * ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على خده * فأعدى الشقيق الى الاقحوان
ومسك ذوائبه سائل * على آس ديباجه الخسروان
أحييه بالورد والياسمين * فيصبو الى الشيح والايهقان

(وله في غلام غزى رام)

قرمن الاتراك تحسب أنه * شود الحصان على أقب حصان
يرمى بلحظيه القلوب وسهمه * فعجبت كيف تشابه السهمان
بطل حمائله كعارضه وحا * جبه الازج كقوسه المرنان
حييته لمعانقا مطرا حتى * قبلا فليت في مكان بناني

(وللشريف الرضي)

ياصاحب القلب الصحيح اما اشتفى * ألم الهوى من قلبي المصدوع
أأسأت بالمشتاق حين ملكته * وجزيت فرط نزاعه بنزوع
وتركتني ظمآن أرشف دمعتي * أسفي على ذاك اللمى الممنوع
قلبي وطرفي منك هذا في حمى * قيظ وهذا في رياض ربيع
كم ليلة جرعته في طولها * مضض الملام ومؤلم التقريع
تفري أنامله التراب تعللا * وأنا ملي في سنى المقروع
أبكي ويبسم والدجى مابيننا * حتى أضاء بثغره ودموعي
قمر اذا استخجلته بعتابه * لبس الغروب فلم يعد لطلوع
لو حيث يستمع السرار وقفتما * لعجبتما من عزه وخضوعي
أعزز على اذا امتلأت من الكرى * أني أبيت بليلة الملسوع

(وللوزير ابن المعزى)

دنف بمصر وبالعراق طبيبه * بصميه طول بعاده وبديه
ما باله الا الذي هو أهله * اذ غاب عن بلد وفيه حبيبه
لزم السهاد تحيرا وتلذذا * وتأسفا اذ أوبقته ذنوبه

زعم الفراق دعا به فأجابه * ونعم دعاه فلا أراه يجيبه

وله أيضا

ولقد أراه فى الغديـر يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهـو فرنده فى صفحتيه
صبغت بياض النيل حمـرة وردة فى وجنتيه

(ولابن الزقاق)

تمنيت من أهوى به وهو قاتلى * ورب منى للمرء فيه مناياه
فسافر مانى عن قسى حواجب * تنوب لها دأبا عن الرشق عيناه
أدلنا دماء فى هواه وأدمعا * وضن لنا ظلما بظلم ثناياه
فبارح الشوق المبرح ساميا * لأحوى حوى كل المحاسن مرآه
فنظره والثغر منه وعرفه * وقامته والردف منه وخداه
لشمس الضحى والدر والمسك نفحة * وغصن النقا والدعص والورد اشباه

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ومهفهف بث الشقيق بخده * واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والجمال أرق من * صقل الحسام المنتضى وفرنده
يحيى الانام بلمسة من وصله * من بعدما وردوا الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أى الجوى بجوانحى لم يهده

وقال أيضا

أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضا سيف أجفانه طرفه
وقد لبسمه راحة * تخلت الاقاح دنا قطفه
أشار لتقبيلها فى السلام * فقال فمى ليتنى كفه

(ولادريس بن اليمانى)

ودى لعس للاقحوان ثناياه * وللورد خداه وللآس صدغاه
وللسوسن الريان صفحة خده * وللظبى عيناه وللمسك رياه
فريد جمال تم لى توأم الهوى * به ولكل العاشقين فراداه

(ولبعض أصحابنا)

كف عنى الملام يا من يلوم * ان لوم الشجى فى الحب لوم
جل همى بأن أهيم حياتى * صغرت همة امرئ لا يهيم
أبدا أطلب الغرام مجدا * فكأنى الى الغرام غريم
ان ربما رمت برامة قلبى * مقلتاه حتى له لا يريم
صح حبى واعتل جسمى فحسبى * أن كلى الى هواه سقيم

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطعة الحريرى من التذلل والخضوع الى المحبوب فهو حكم الباب والمجمع عليه عند ذوى الالباب الا قوله وغيرى يجتنى رشف ثغره فان أكثر أهل هذا الشأن يأبون أن يكون المحبوب بين عاشقين وينسبون محبه الى خساسة الهمة ويعتدونها على المحبوب من

اكثر

أكبر التهمة قال امرؤ القيس

انى بحبلك واصل حبلى * وبريش نبلك رائش نبلى
مالم أجدك على هدى اثر * يقرو مقصك قائف قبلى

يقول أنا أديم من مواصلتك مالم أجد غيرى يتبعك طمعا فى مواصلتك وقال أبو ذؤيب

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

فهذا قد أبى الشركة على التساوى فكيف الاقامة على الجور الذى ذكر الحريرى وقد قدمنا فى العاشرة للمولدين فنا غير هذا على أن المحبوب اذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد فى أبهة جماله كما أن الجفاء فى المحبوب والخلق الذميم يطمس نور حسنه و ينقص من كماله وأنشدوا

أيا حسنا أزرت قبائح فعله * عليه كما أزرى الكسوف على البدر

(وقال عبد الصمد المصرى)

فلو زين الحسن من وجهه * بهجر الصدود ووصل الوصال
لتم ولكن ما ان أرى * جميل المحيا جميل الفعال

(وقال آخر)

صحا عن حبك القلب المشوق * فما يصبو اليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء * وقد يسلى عن الولد العقوق

فهذه جملة كافية ونرجع الى ذكر أنواع البلاغة فى صناعة الشعر التى سماها المحدثون صنعة البديع والشعراء يتفاضلون فى سباقها والاقتدار عليها وهى فى أشعار العرب موجودة وفى الشعر المولد أكثر وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ونبدأ منها بالتجنيس الذى أولع به الحاكم فى المقامة *(التجنيس)* هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحكم قال أبو بكر حازم بن حازم التجنيس أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام وهو من أضيق أنواع البديع فمنه قوله تعالى وأسلمت مع سليمان وأقم وجهك للدين القيم وفى الحديث عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله والظلم ظلمات يوم القيامة وقال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت والتجنيس أنواع فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ومنه تجنيس الخط وهو ما يصح تصحيفه كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفى حديث سعد بن أبى وقاص لما أسلمت راغمتنى أمى فهى مرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالبسر *البحترى من سعادة جدك وقوفك عند حدك وفى رسالة عاد الى المسامحة والمحاسنة بعد المشاححة والمخاشنة وقال البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

(وقال البحترى أيضا)

وحالا كريش النسر مهما رأيته * جناحا لشهم عاد ريشا على سهم

*ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومن رسالة لم يكن لامرء مضيعا ولا لسره مذيعا *البستى من لم يكن لك نسيبا فلا ترج منه نصيبا ومن لم يكن لك

(التجنيس)

صدره بالحاجات فسيحا فلا تسمع له بها لسانا فصيحا وقال

أبوك كريم غير أنك سابق * مداه فلا ضيم عليك ولا ذيم
فلا تعجبن الناس مما أقوله * وأقضى به فالغيث يقدمه الغيم

(وقال المعرى رحمه الله تعالى)

أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا * خيرا أسروه أو شرا أذاعوه
وخالد بن سنان ليس ينقصه * من قدره الكون فى حى أضاعوه

*ومن تجنيس المضارعة فيه من رسالة أنا به بين احتفاء واحتفال وبين ذكر مطر مطرب وثناء معر مغرب وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تطول بأسياف صوارم صوارم

وقال المعرى، من اتقى الله فهو السالم السارى *وقال ابن عمار

اذا ركبوا فانظره أول طاعن * وان نزلوا فانظره آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب والناس له تبع كما انفرد بحسن القطع فى آخر قصائده فلا يكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا فى آخر قصائده فى الغالب كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتداآت لا يجارى فيها كما انفرد ابن المعتز بجودة التشبيه يكاد على كثرته فى شعره أن لا يسقط له تشبيه واحد كما انفرد المتنبى بلطف التخلص من التغزل الى المدح ومن تجنيس حبيب قوله

عدا السحر الثغور المستضامة عن * برد الشعور وعن سلسالها الحصب

السلسال العذب والحصب الجارى على الحصباء شبه الريق به ففى هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتتميم والترديد والتبليغ وتأتى هذه الانواع فى هذا الفصل وحبيب أكثر الناس استعمالا لصنع البديع ومن شعره يتعلم وقال أيضا

كم نيل تحت سناها من سنى قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

وقال أيضا يامن تدمى عينه تلك الدمى * فيه ويقمر ليله الاقمار
أخذه البحترى فقال جاف المضاجع لا ينفك فى لجب * يكاد يقمر من لا لائه القمر

وأنشد أبو على الفارسى فى نوادره لابى الغول الطهوى يصف سحابا

وقرى كل قرية كان يقرا * ها قرى لا تجف منه القرى

وفى المقامات من التجنيس كثير وفى هذا الشرح منه ما يستطرف ويستبدع فما يستحسن منه قول السرى يمدح سيف الدولة

أغرتك الشهاب أم النهار * وراحتك السحاب أم البحار
خلقت منية ومنى فأضحت * تمور بك البسيطة أو تمار
تحلى الدين أو تحمى حماه * فأنت عليه سور أو سوار
سيوفك من شكاة الثغر برء * ولكن للعدا فيها بوار
وكفك العمام الجود يسرى * وفى احشائه ماء ونار
فيمنى من سحيتها المنايا * ويسرى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذى جمع الى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابى أبا أحمد الشيرازى

قوله تجنيس المضارعة الخ عنونه فى التلخيص بالجناس الناقص المطرف وقوله تطول الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا والذى فى معاهد التنصيص *تصول بأسياف قواض قواضب* فتأمل اه مصححه

من شعر يشتكي له نقرسا أصابه وأوله

الى الله أشكو ضنى شفني * وكم قبله من ضنى قد شفانى

فأجابه الصابى

عنانى من الهم ماقد عنانى * فأعطيت صرف الليالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع * فعيناى عينان نضاختان
لسقم أخ على سيد * به قد غفرت ذنوب الزمان
وكيف سطابهما واستطال * وأرض بساطهما النيران
وهلا تجاوزه قاصدا * الى عصبة عصبت بالهوان
اذا ماسعى لطلاب العلا * فكل أوان هم فى توان
* أتتنى بالامس أبياته * تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب * وظل الامان ونيل الامانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا * وصفو الزمان ورجع القيان
أجبت عن الشعر مسترسلا * بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكونى الى فضله * قبضت بنانى بقبض اللسان

(وقال أبو الفتح البستى)

ان أسيافنا العضاب الدوامى * صيرت ملكنا قرين الدوام
باقتسام الاموال من وقت سام * واقتحام الاموال من وقت حام

(ذكر التشبيه)

(التشبيه) وقد أوردنا فى هذا الكتاب منه كل غريب والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشئ بالشئ صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتا ومنها تشبيهه به حركة وسرعة فالاول كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

اجمع أهل العلم بالشعر كابى عمرو بن العلاء والاصمعى أن أحسن التشبيه مايقابل به تشبيهان فى بيت واحد وان أحدا لم يقل ذلك كبيت امرئ القيس كأن قلوب الطير وقال بشار مازلت مذ سمعت قوله كأن قلوب الطير أراود نفسى أن أشبه شيئين بشيئين ولا أستطيع ذلك الى ان قلت كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويا بعد مابين البيتين على أن بيت بشار غريب ولا أحفظ للبيتين ثالثا الا أن بشارا قد قال أيضا

من كل مشتهر فى كف مشتهر * كأن غرته والسيف نجمان

وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالاسد والجميل بالقمر وكقوله

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

واللون كقول ابن هرمة

وليل كسربال الغراب ادرعته * اليك كما أخبث اليمانى أجدل

والصوت كقول النابغة * له صريف صريف القعو بالمسد * والحركة والسرعة كقول امرئ القيس * بجلمود صخر حطه السيل من عل * وربما امترجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق

قوله كما أخبث الخ كذا فى النسخ التى بايدينا وحرر صحته اه

فى الشئ المشبه معنيان أو ثلاثة معان من هذه الاوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وأصدق التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه و يكون صاحبه مشبها به صورة ومعنى كقول امرئ القيس

نظرت اليها والنجوم كأنها * مصابيح رهبان تشب لقفال

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح وربما أشبه الشئ الشئ صورة وخالفه معنى وقد تقدم ذكر ذلك فى الثانية وربما قاربه وداناه وشابهه مجازا لاحقيقة * وأدوات التشبيه كأن والكاف ومثل وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر وقد يشبه بقولهم تخاله وتحسبه مما كان منه صادقا قيل فيه كأنه أو كذا وما قارب الصدق قيل فيه تراه أو تخاله فاذا حققت هذا الفصل انكشفت لك أسرار التشبيه وقد تقدم نوع من التشبيه فى الثانية وسيأتى فى الاربعين تشبيهات الغريب العقم فى حكاية الاصمعى

(ذكر أدوات التشبيه)

(الاستعارة) هى من العارية لان الشاعر يعير المعنى ألفاظا غير لفظه الموضوع له وهى على ثلاثة أوجه أحدها ما يستعيره الشاعر من الالفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعانى وهذا الضرب يعد فى البديع ومحاسن الشعر وهو كثير فى كلامهم وعليه ابتنى كتاب المقامات وقلما يوجد بيت يخلو منه وما جاء منه فى القرآن سماه بعضهم مجازا وأباه بعضهم نحو قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة واشتعل الرأس شيبا وقال النبى صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال امرؤ القيس * وليل كموج البحر أرخى سدوله * وقال علقمة وهو بديع * والصبح بالكوكب الدرى منحور * وقال زهير فى الحرب ضروس تهر الناس أنيابها عصل * وقال عمرو بن كلثوم

(ذكر الاستعارة)

الا أبلغ النعمان عنى رسالة * فمجدك حولى ولومك قارح

وقال الحسن

فى مجلس ضحك السرور به * عن ناجذيه وحلت الخمر

(وقال العباس بن الاحنف)

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى أنه صدقا

*الثانى ان ينتحل الشاعر قولا لغيره فيدخله فى شعره وهذا هو الاجتلاب الذى نفاه جرير عن نفسه بقوله

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

*الثالث أن يستعير الشاعر ألفاظا كان غنيا عنها والمعنى غير مفتقر اليها ويسمى الحشو والاستعانة ويحسن بقدر ما يحتمل من الفوائد و يقبح اذا فرغ منها *(الاشارة)* قال قدامة الاشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة ولم يأت أحد منها بمثل قول زهير

وانى لو لقيتك فاجتمعنا * لكان لكل منكرة كفاء

(وقال امرؤ القيس)

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جرى غير كز ولا وان

فتأمل ما اشتملت عليه لفظة أفانين مما لو عدكان كثيرا وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعا عن غير طلب ولا مسئلة ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر عيوب الخيل والاشارة

(ذكر الاشارة)

من غرائب الشعر وملحه ولا يأتى بها الا شاعر مبرز وتسمى اللمحة الدالة وأصلها الاختصار وهى أنواع فنها الوحى كقول جاهلى فى يزيد بن الصعق

تركت الركاب لاربابها * وألزمت نفسى على ابن الصعق

جعلت يدىّ وشاحاله * وبعض الفوارس لا تعتنق

(ذكر الايماء) فقوله جعلت يدى وشاحاله اشارة بديعية دالة على الاعتناق بغير لفظه *(ومنها الايماء)* فن ملحه قول قيس بن الذريح

أقول اذا نفسى من الوجد أصعدت * لها زفرة تعتادنى هى ماهيا

وقول كثير تجافيت عنى حين لالى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

(ذكر التلويح) فقوله غادرت ماغادرت ايماء مليح *(ومنها التلويح)* ومن أجوده قول النابغة فى طول الليل

تطاول حتى قلت ليس بمنقض * وليس الذى يرعى النجوم بآيب

فالذى يرعى النجوم هنا الصبح أقامه مقام الراعى يغدو وقد ذهب الابل والماشية فتلويحه هذا عجب فى الجودة ومنه قول المجنون

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بى النقض والابرام حتى علانيا

(ذكر التعريض) فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا *(ومنها التعريض)* كقول عمرو بن معديكرب فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

أى لو أن قومى صدقوا فى القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين فكأنها أجرت لسانى أى شقته كما يجز لسان الفصيل فكأنها أسكتتنى فهذا تعريض ينوب عن التصريح وأخذه أبو بكر بن دريد فقال

يا بنى مالك عقلتم لسانى * كيف يجرى المقيد المعقول

ان سلكتم الى الفعال سبيلا * وضحت لى الى المقال سبيل

(ومن التعريض قوله)

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

(ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدم)

أرى بصرى قد خاننى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

(ذكر التفخيم) *(ومنها التفخيم)* كقول الغنوى

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب

ونحو هذا حكاية الاعرابى فى نوادر أبى على حين سئل أله بنون فقال نعم وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة فلما ذكر أسماءهم قال جهم وما جهم غشمشم وما غشمشم عشرب وما عشرب ومن هذا التفخيم ما يجىء على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة وهو كثير فى كلام العرب ومما جاء فى الاشارة على معنى التشبيه قول الاعرابى يصف لبنا ممذوقا *جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط* فاشار الى تشبيه لونه اذا غلب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال

فيشرب به مذقا ويسقى عياله * سجاجا كاقراب الثعالب أورقا

(ذكر المطابقة)

(المطابقة) أبو الفرج على بن الحسين قلت لابى الحسن على بن سليمان الاخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر طائفة وهم الاكثر ون تزعم أن الطباق ذكر الشئ وضده فيجمعهما اللفظ لا المعنى وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد مثل قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل قبيلة وكاهل للعضو فقال من ذا الذى يقول هذا قلت قدامة وغيره فقال هذا يابنى هو التجنيس ومن ادعى انه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعى قلت أفكانا يعرفان هذا فقال سبحان الله وهل غيرهما فى علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه قلت فانشدنى أحسن طباق للعرب فقال قول عبد الله بن الزبير الاسدى

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقال أبو الفرج وأنا أقول ان أحسن بيت قيل فيه

للسود فى السود آثار تركن بها * لمعا من البيض تثنى أعين البيض

يعنى أن الليالى بمرورهن تبيض سواد الشعر قال أبو حاتم سألت الاصمعى عن صنعة الشعر فذكر فى بعض قوله المطابقة وقال أصلها وضع الرجل فى موضع اليد فقلت أنشدنى أحسن ما قالت العرب فى ذلك فقال قول زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وقيل المطابقة أن يأتى الشاعر بلفظتين مختلفتين فى المعنى واللفظ فى بيت واحد أو فى كلام نحو قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال على رضى الله عنه من رضى عن نفسه كثر من يتسخط عليه وقال أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه وقال الحسن كثرة النظر الى الباطل تذهب بمعروف الحق وقال الفرزدق

لعن الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال حبيب يرى العلقم المأدوم بالعز أرية * يمانية والأرى بالضيم علقما

(ذكر التقسيم)

(ومنها التقسيم) قال أبو الحسن على بن هرون بن على بن حماد بن اسحق الموصلى هو أن يستقصى الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه فلا يغادر قسما يقتضيه الا أورده والى هذا كان يذهب أهلنا وأحسن ما قيل فى ذلك قول زهير

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقول عنترة ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا * أشدد وان يرموا بضنك أنزل

* أبو العيناء اجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن أبى ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت تصبر

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسلى ولا أنت مقصر

* المبرد لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح وهو

وقد كان فيها للامانة موضع * وللكف مرتاد وللعين منظر

وقد

وقد تقدم في شرح الثانية بيت المتنبي في التقسيم وهو بديع قرأ البيت ونسج على منواله الزاهر فقال

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وقال الناشي

رأيت على أكوارنا كل ماجد * يرى كل ما يفني من المال مغنما
ندوم أسياقا ونعلو قواصيا * وننقض عقبانا ونطلع أنجما

وقال السلامي

ماضن عنك بموجود ولا بخلا * أعز ما عنده النفس التي بذلا
يحكي المطايا حنينا والهجير جوى * والمزن دمعا وأطلال الديار بلا

والتقسيم في الشعر كثير *(التسهيم)* قال علي بن هرون هذا القب مما اخترعناه وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليها راويه حتى لو سمع الشطر الاول استخرج الآخر قبل أن يسمعه وأحسن ما قيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثي أخاها

(ذكر التسهيم)

فأقسمت يا عمرو لونبهاك * اذا نبها منك داء عضالا
اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء لا تشتكي الكلالا
فكنت النهار به شمسهم * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

قال الحاتمي فانظر الى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها والى تقسيماته ما أوفاها وانظر الى قوله مفيتا مفيدا ووصفها اياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل تجد المطبع الممتنع القريب البعيد *(التتميم)* هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيأ يتم ويتكامل الاحسان معه فيه الا أتى به وأحسن ما قيل في ذلك قول طرفة

(ذكر التتميم)

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

فقد تم الاحسان في المعنى الذي ذهب اليه بقوله غير مفسدها ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزي

رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

فالمعنى تم بقوله ويعطوه ولولاه كان ناقصا وقال حبيب

حتى لقد ظن الغواة وباطل * أني تجسم في روح السيد

فتم الاحسان في المعنى الذي أراد بقوله وباطل والسيد الحميري له في الشيعة مذهب ردئ والغواة هم القائلون بالتناسخ يقول لافراط حبهم في أهل البيت توهم الغواة أن روح السيد تجسم في وتوهمهم باطل *(الترديد)* هو تعليق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر وأكثر ما يستعمله المحدثون وأجمعوا أن أبا حية النميري سبق الى الاحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه في قوله

(ذكر الترديد)

الا حي من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما انقضى للمرء يوم وليلة * تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الاول فأحسن الابتداء وردد في المصراع الثاني فأحسن في الترديد ثم ابتدع

في البيت الثاني ماليس لاحد مثله * أبو تمام لا أعلم أحدا أحسن صنعة في الترديد من زهير في قوله

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

* الحاتمي وأحسن الخليع الباهلي في الترديد بقوله

لقد ملأت عيني بحسن محاسن * ملأن فؤادي لوعة وهموما

(التجريد)* * (التجريد) * وهو أن يجرد الشاعر موصوفه من صفته ويسندها لاجنبي في الظاهر وهو يريد الاول في المعنى مثل قول الاعشى

يا خير من يركب المطي ولا * يشرب كاسا بكف من بخلا

فظاهره أنه لا يشرب كاسا بكف رجل ينسب الى البخل انما يشربها بكف كريم وذلك الكريم هو الممدوح في المعنى فجرده في الظاهر وهو يريد بكف بخيل من نفسه وأبو علي الفارسي اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ومنه قول طرفة

جازت البيد الى أرحلنا * آخر الليل بيعفور حذر

يعني بيعفور حذر من نفسها وقال الاخطل

ربيع حيا ما يستقل بحمله * سوم ولا مستنكس الجد ناضبه

أي ما يستقل بحمله سوم من نفسه أي ليس بعاول وقال النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * طفحت عليك بناتق مذكار

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرئ القيس * على لاحب لا يهتدى بمناره * فظاهره أن المنار الذي يهتدى به الى الطريق لا يهتدى به وهو في المعنى قد جرد الطريق من المنار وانما أراد ليس به منار أصلا فليس ثم اهتداء فنفى المسبب الذي هو الاهتداء وأثبت السبب الذي هو المنار في اللفظ واتكل على قوة دلالة المعنى وأن مراده نفي سبب الهداية الذي هو المنار فتنتفي الهداية ومثله قول النابغة

يحفه جانبا نيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أي ليس بها رمد فتحتاج الى كحل وقال الراجز * ولم يقلب أرضها البيطار * وقال الله عز وجل ولم

(التتبيع)* يكن له ولي من الذل وهو كثير في الكلام * (التتبيع) - هو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له فاذا قال التابع أبان عن المتبوع وأبدع ما في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

ذهب الى طول العنق فلم يذكره بلفظ خاص به بل أتى بمعنى دل به على طوله وهو قوله بعيدة مهوى القرط ومثله قول الآخر

نعلق في مثل السواري سيوفنا * وما بينها والكعب مهوى نفانف

فأراد نعلق سيوفنا في أعناق مثل السواري في الطول والاعتدال وما بين العنق والكعب طول كثير فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به وأبدع ما في التتبيع قول امرئ القيس

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * فدل على ترفهها وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك

(التبليغ)* *(التبليغ)* وسماه قوم الايغال وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما قبل انتهائه الى القافية ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة * النوري قلت للاصمعي رحمه الله

تعالى

تعالى من أشعر الناس قال من يأتى الى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسنا أو ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفادبها معنى مثل قول ذى الرمة

أظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزادشيأ * ومن التبليغ قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية وزاد بقوله الذى لم يثقب بلوغا الى الغاية القصوى فى الجودة وكذلك قوله

اذا ما جرى شاوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

فمرت بأثأب زيادة على التشبيه التام والاثأب شجر يكون للريح فى أغصانه حفيف شديد فأفادت الزيادة فى التشبيه معنى بديعا وقال زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة فى آخر البيت الايغال والتبليغ وفى حشوه المبالغة والتميم *(التصدير)* هو أن يبدأ الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجزه أو فى النصف منه ثم يرددها فى النصف الآخر منه فاذا انظم الشعر على هذه الصنعة كسى استخراج قوافيه قبل أن يطرق اسماع مستمعيه وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل

وكنت سناما فى فزارة تامكا * وفى كل حى ذروة وسنام

التامك الشديد وقال الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

وقال آخر جهول اذا أزرى التحلم بالفتى * حليم اذا لم يزر بالحسب الجهل

والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء ردّ الاعجاز الى الصدور *(الاستثناء)* قيل ان أول من بدأ به النابغة وأحسن كل الاحسان فى قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا كقول الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

ويستحسن قول أبى هفان

فان تسألى عنا فنحن حلى العلا * بنى دارم والارض ذات المناكب

ولا عيب فينا غير أن سماحنا * أضر بنا والبأس فى كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم * وأفنى الندى أموالنا غير عائب

ويسمى هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم *(الالتفات)* اسحق الموصلى قال لى الاصمعى رحمه الله تعالى أتعرف التفات جرير قلت لا فانشدنى

أتنسى اذ تودعنا سليمى * بعود بشامة سقى البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له *(الاعتراض)* ويسمى الالتفات وهو

(التصدير)
(الاستثناء)
(الالتفات)
(والاعتراض)

أن يكون الشاعر آخذا في معنى فيعدل عنه آخذا في غيره قبل أن يتم الاول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة وعن المخاطبة الى الاخبار ومن أحسن ما في ذلك قول النابغة

ألا زعمت بنو عبس بأني * ألا كذبت كبير السن فان

وقيل بل قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك العطايا

فقوله ألا كذبت وقوله وأنت منهم اعتراض بين أول الكلام وآخره وفيه زيادة حسنة ويستحسن قول الآخر

فاني ان أفتك يفتك مني * فلا تسبق به علق نفيس

فقوله فلا تسبق به اعتراض لطيف في معناه وموضعه ويسمى هذا أيضا وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد ومنه قول الاخطل

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فقوله حقا حشو أفاد معنى حسنا وكذلك قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقول خبائنا وأرحلنا الوسط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا فأورده حشوا وفيه زيادة بارعة رائعة وهي الاخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق في صيده وما أحسن قول ابن المعتز رحمه الله تعالى

وخيل طواها السير حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد خفاف وأرجل

فوقع ظالمين أحسن موقع لانه نفى بذلك عنها هجنة البطء وأخذه من قول اعرابي

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقي من معاهده ذاكر

وقلت له ذلفاء ويحك سببت * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فحسنه ابن المعتز ما شاء وأما الحشو القبيح فكقول أوس بن حجر

وهم لمقل المال أولاد علة * وان كان محضا في العمومة مخولا

فذكره للمال مع قوله مقل حشو لا فائدة فيه وكذلك قول الهذلي رحمه الله

ذكرت أخي فعاودني * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع حشو لا فائدة فيه وأهجن منه قول الاعشى

فرميت غفلة قلبه عن شأنه * فأصبت حبة قلبها وطحالها

فتكريره ذكر القلب لا فائدة فيه وهجنه بذكر طحالها ودون هذا قول ديك الجن

فتنفست في البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنا الذهب

كتنفس الريحان مازجه * ماورد جور قاطر السحب

فذكر الماء مع المزج حشو لا فائدة فيه وأخذه من قول أبي نواس

سلبوا قناع الطين عن رمق * حي الحياة مشارف الحتف

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الانف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج وذكره ديك الجن فقصر عنه وزاد الحسن عليه بذكر الانف حسناوذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن لان ذكاء الريحان أكثر ما يكون اذا أصابه بلل لكنه في ذكره ماء الورد زيادة معنى بلا شك الا أنه قد انضاف اليها العيوب المتقدمة ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى في بيت واحد وديك الجن في بيتين وصاحب بيت أبدا عندهم باتفاق أشعر كقول امرئ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فما احتوى عليه هذا البيت أتى به علقمة في ثلاثة أبيات مشهورة وان كان المعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت والزمان واحد لان من قال علقمة سرقه فقد أخطأ فأما اذا كان السابق مستوفى المعنى في بيت واحد ويسوقه المتأخر في أبيات فالكلام في هذا كقول امرئ القيس

نمس باعراف الجياد أكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مهضب

أخذه عبدة بن الطيب فقال

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل

وردوأشقرها ينهيه طابخه * ماغير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لأيدينا مناديل

وقال عبد الملك يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الادباء ما خير المناديل فقال قائل مناديل مصر كأنها عزف البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعني عبدة وأنشد الابيات وهي مع جودتها قصرت عن بيت امرئ القيس وكذلك قول طرفة

نطرد القر بحر صادق * وعليك القيظ ان جاء بقر

(وقال الاعشى)

ونبرد برد رداء العرو * س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

ونسخن ليلة لا يستطيع * نباحا بها الكلب الا هريرا

(الاستطراد) البحتري أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس الشامي *(الاستطراد)*

وسابح هطل التعداء هتان * على الجزاء أمين غير خوان

أظمى الفصوص ولم تظما قوائمه * فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مشيحا والحصى زيم * بين السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره * من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال ما هذا من الشعر قلت لا أدري فقال هذا هو الاستطراد فقلت فما معنى ذلك فقال يريك وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان فأخذه البحتري فقال في فرس

يهوي كما تهوي العقاب وقد رأت * صيدا وينقض انقضاض الاجدل

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

وكان حمدويه عدو الممدوحه فاستطرد به ويقال ان البحتري لما عير بسرقة هذا البيت ازاله من

شعره وقال دعبل

فلو أنني أصبحت في جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبي

فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بارماح تغلب

فخرج في استطراده من مدح الى ذم وهو مقلوب استطراد زهير في قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الجواد على علاته هرم

فخرج من ذم الى مدح وقال جرير

ترى برصا بمجمع اسكتيه * كعنفقة الفرزدق حين شابا

والسابق الى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال

وانا اناس لانرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومما يستحسن قول بشار

خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين

اذا جئته في حاجة سد بابه * فلا تلقه الا وأنت كمين

فقف على هذه الجملة من صناعة البديع ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى وأما قوله (فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا) فاصل ذلك في الخيل ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع وينتظم المجلي والمصلي في حكاية الرشيد مع المأمون وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة فوقف ينتظرها حتى طلعت فاذا في أولها فرسان في عنان واحد فتأملهما فقال فرسي والله ثم تأمل وقال وفرس ابني عبد الله فجاء الفرسان أمام الخيل فرسه السابق وفرس المأمون المصلي فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما قال الاصمعي فقلت للفضل يا أبا العباس هذا من أيامي فاحتل حتى توصلني فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان الاصمعي قد أعد في أمر الفرسين شيأ يزيد به سرورا أمير المؤمنين فقال هات يا أصمعي فقلت يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرسا كما كما قالت الخنساء وقد قيل لها كيف تفضلين أخاك على أبيك فقالت

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر

حتى اذا جد الجراء وقد * ساوت هناك العذر بالغدر

وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لا أدري

برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري

أولى فاولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

قيل لابي عبيد ليس هذا في مجموع شعرها فقال العامة أسقط من أن يجودوا عليها بمثل هذا فقولها ملاءة الحضر تعني بها غبرة الفرسين التي أثاراها جعلتها كلحفة يرتديانها ويتجاذبانها وسيأتي من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق اليه في الاربعين ومراتب الخيل في الحلبة

(ذكر الحلبة من الخيل) السابق منها يسمى المجلي ثم المصلي ثم المسلي ثم التالي ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظي ثم المؤمل ثم اللطيم ثم السكيت قال الاصمعي وأبو عبيدة لم نسمع في سوابق الخيل اسماء الشيء منها ممن يوثق بعلمه

الا الثانى واسمه المصلى قال الاصمعى هو من الصلا وهو جانب ذنبه والعاشر واسمه السكيت وما سواهما فانما يسمى الثالث والرابع الى التاسع وكان عند المتقى العباسى فتى راوية للخبر والشعر يانس به فقال ليلة لجلسائه عودوا الى ذكر الخيل فقال الفتى يا أمير المؤمنين حدثنى كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها أرأسيل عشرة عشرة والقصب سبعة سبعة فلا يدخل الحجرة من الخيل الاثمانية الاول السابق المجلى لانه جلى عن وجه صاحبه الكرب والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهو صلاه والصلا عجب الذنب والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق فسلى عن صاحبه بعض همه والرابع التالى لانه تلا المسلى دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمى مرتاحا والسادس حظى لانه نال حظا فحظى به وان قل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيبا وهو آخر حظوظ الحلبة وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان خس اذ كان قد دخل الحجرة الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سمى اللديغ سليما فسمى مؤملا لقربه من ذوات الحظوظ التاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة لطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن العاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وعيا وكانوا يجعلون فى عنقه حبلا ويحملون عليه قردا يركضه ليعير بذلك صاحبه أبو عبيدة يشدد السكيت وسمى سكينا لانه آخر العدد الذى يقف عليه العاد والسكت الوقوف وسميت حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها أى تضمرها وأنشد ابن الانبارى أبياتا تجمعها وهى قوله

جاء المجلى والمصلى بعده * ثم المسلى بعده والتالى
والخامس المرتاح ينقص عدوه * والعاطف الصهال كالريبال
نسقا وقاد حظيها فى صهوة * ذاك المؤمل غير ذى الاشكال
ثم اللطيم يقودها بجميعها * قبل السكيت العاشر الذيال

(ذكر الخيل)

ونذكر هنا جملة مقاطيع فى أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود قال امرؤ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتنا الصيد نحطب

(وقال عمارة بن عقيل)

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

وقال حبيب

مخلق وجهه على السبق * تخليق عرس لليلة عرس
يقتل عشرا من النعام به * يواحدا لشد واحد النفس

وقال أيضا

ان زار ميدانا سبى أهله * أو ناديا قام اليه الجلوس
نرى رزان القوم قد أسمحت * نفوسهم فى حسنه وهن شوس
كأنما لاح لهم بارق * فى المحل أو زفت اليهم عروس
سام اذا استعرضته رثته * أعلى رطيب قده اريبس
كأنما خامره أورق * أو عارضت هامته الخندريس
عوذه الحاسد بخلابه * ورفرفت خوفا عليه النفوس

(وقال البحترى)

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبني الا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالرداء المسبل
تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع في الغبار لهيبه * لونا وشدا كالحريق المشعل
هزج الصهيل كأن في نغماته * هزات معبد في الثقيل الاول
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل

(وقال عبد الله بن المعتز)

ولقد وطئت الغيث يحملني * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض في العنان كما * صدر المعشق ذو الدلال وصد
جماع أطراف الصوارغا الا خرى عليه اذا جرى بأشد
بل المهابد ماتهن ولم * يبتل منه بالحميم جسد
وكأنه موج يذوب اذا * أطلقته واذا حبست جمد

(وقال المتنبي)

وعيني الى أذني أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه في اهابه * تجيء على صدر رحيب وتذهب
شققت به الظلماء أدني عنانه * فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب
وأصرع أي الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين يركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت في عين من لا يجرب
اذا لم تعاين غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرسا أغر حمله سيف الدولة عليه

قد جاءنا الطرف الذي أهديته * هاديه يعقد أرضه بسمائه
يختال منه على أغر محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه
لا تعلق الالحاظ في أعطافه * الا اذا كفكفت من غلوائه

(وقال أيضا)

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوي خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه * تشبث بالقوائم والمحيا

(وقال أبو منصور يخاطب أبا الفضل الميكالي)

يا مهدي الطرف الجواد كأنما * قد أنعلوه بالرياح الاربع
لا شيء أسرع منه الا خاطري * في شكر نائلك اللطيف الموقع
ولو اني أنصفت في اكرامه * لجلال مهديه الكريم الاروع

أقضمته حب القلوب لقضمه * وجعلت مربطه سواد الادمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق * برد الشباب بجله والبرقع

(وقال القسطلي)

سامي التليل كأن عقد عذاره * في رأس غصن البانة المياد
يهدي بمثل الفرقدين وناب عن * رعي السماك بقلبه الوقاد
فكأنما أطأ الاباطح والربا * بعقاب شاهقة وحية واد
وكأنه من تحت سوطي خارجا * في الروع شعلة قادح بزناد

(ولابي تمام الاندلسي)

وأقب تنقد البروق اذا جرى * من غيظها حسدا بان لم تلحق
ملك الرياح قوائما تجري بها * فيكاد يأخذ مغربا من مشرق

(وقال فيه أيضا)

وتحتي ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
له في المدى سبق الى كل غاية * كأن لنا فيه نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهتها عن الونى * فيا عجبا حتى العلا في البهائم

وكان للمتوكل قبطليوس فرس أخضر أغر محجل على كفله ست نقط بيض فبذل كل شاعر في وصفه جهده فما سبق الغاية الا البجلي بقوله

حل البدر جواد سابح * تقف الريح لادنى مهله
وكأن الصبح قد خاض به * فبدا تحجيله من بلله
لبس الليل قميصا سابغا * فالثريا نقط في كفله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله في أجله

والباب لا يدخل تحت الحصر فلنكتف بهذا القدر (قوله بهت) أي تحير (المتعادلين) المتماثلين وشبههما بالفرقدين لرفعتهما وبوقدهما وأخذ الحريري هذا التشبيه من البحتري في قوله * كالفرقدين اذا تأمل ناظر * وتقدم في الثانية وبالزندين لما فيهما من النار وفي هذين من الذكاء وجعلهما في وعاء يريد متى التمسهما الانسان وجدهما وقعت عليه يده حاجته (وجده) غناه وما عنده من العلم (ثب) ارجع (هيهات) معناها بعد (مقتي) محبتي (تعلق به ثقتي) يريد لا أثقه بعد ما جربته (بلوت كفرانه للصنيع) اي جربت قلة شكره افعل الجميل معه (منيت) بليت (العقوق) المقاطعة (الشنيع) المشتهر بالقبيح * ونسوق هنا في كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قلنا من أولئك يا رسول الله قال المتبرئ من والديه رغبة عنهما والمتبرئ من ولده ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها وفي التوراة من صنع معروفا الى أحمق فهي خطيئة تكتب عليه وقال الحجاج لابن الكلبي أخبرني عن خمسة أشياء أضيعت في الدنيا قال نعم أصلح الله الامير سراج يوقد في شمس ومطر جود في أرض سبخة وامرأة حسناء تزف الى عنين وطعام اجتهد صاحبه في صنعته فقدمه الى سكران أو شبعان ومعروف تصنعه الى رجل لا يشكرك

وأني على تصريف أمري وأمره
أرى المرحلوا في انقيادي لأمره
فلما أنشداها الوالي متراسلين
بهت لذكائهما المتعادلين
وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده عمن سواه فتب أيها الشيخ من اتهامه وثب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع

عليه * عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين كما لا تنفع الرياضة الا فى نجيب * المدائنى خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت فاتبعوها فلجأت الى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له يا عبد الله لم تمنعنا من صيدنا فقال انها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد اعدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
أعدلها لما استجارت بقربه * مع الامن ألبان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه ومعروفه فى أهل الحفاظ واذا أراد به سوأ جعلها فى أهل المضائع وقال حسان

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادفت موضعه فهو الذى قصدت والا فكنت أحق به قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس أهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت أهله وقد قال الحريرى بعد هذا * واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة أم غمط * أى لا نفسد معروفك بالمن شكره من أنعمت عليه أم كفره وغمط ستر وهو ضد شكر (قوله اعترضه) اى واجهه وقابله (شؤم) نحس وطيرة (الحنق) الغضب (الظنة) التهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لازمات أمتى سوء الظن والحسد والطيرة قيل ما يذهبهن قال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر واذا تطيرت فامض (اعنات) مشقة (هبنى) احسبنى (اقترفت واجترحت) معناهما اكتسبت (جريرة) جناية (ابان أنسك) أى وقت أنسى بك (تجاف) تباعد (تعنيفه) لومه (زاغ) مال (قسط) جار وقوله (وهن ان عز) لفظ المثل اذا عز أخوك فهن يروى بضم الهاء وكسرها فالضم من هان يهون قال ابن أحمر

ذبيت لها الضراء وقلت أبقى * اذا عز ابن عمك أن تهونا

وروا بالكسر أبو عبيد وثعلب وقال أبو عبيد معناه أن مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك فتدخلك منه حمية انما هو حسن خلق وتفضل منك فاذا عاسرك فياسره فالضيم الذى ذكره هو الهوان بعينه قال ابن درستويه معناه اذا صار أخوك عزيزا قويا عليك فأطعه واخضع له تسلم من ظلمه ورواية الكسر من هان يهين ويكون معنى عز تصعب واشتد لا من العزة ومعناه اذا صعب أخوك فلن له والمثل لهذيل بن هبيرة وسببه أنه أغار على ضبة فغنم وأقبل بالمغانم فقال له أصحابه اقسمها بيننا فقال أخاف أن يدرككم الطلب فأبوا فعندها قال المثل ونزل فقسمها

فاعترضه الفتى وقال يا هذا
ان اللجاج شؤم والحنق
لؤم وتحقيق الظنة اثم
واعنات البرى ظلم وهبنى
اقترفت جريرة أو اجترحت
كبيرة أما تذكر ما أنشدتنى
لتنسك فى ابان أنسك
سامح أخاك اذا خلط
منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه
ان زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه ان عاصى وهن
ان عز وادن اذا شحط

(قوله

واقن الوفاء ولو أخل
بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك ان طلبـ*ـت
مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب والـ
ـمكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو*
ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويـ*ـل
يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزما*ن
وجدت أكثرهم سقط
رضت البلاغة والبرا*عة
والشجاعة والخطط
فوجدت أحسن ما يرى
سبر العلوم معا فقط
قال فجعل الشيخ ينضنض
نضنضة الصل ويحملق
حملقة البازي المطل ثم قال
والذي زين السماء بالشهب
وأنزل الماء من السحب
ما روعي عن الاصطلاح
الا التوقي الافتضاح فان
هذا الفتى اعتاد أن أمونه
وأراعي شؤنه وقد كان
الدهر يسح فلما كن أشح
فاما الآن فالوقت عبوس
وحشو العيش بوس حتى
ان برني هذه عارة وبقي
لا تطوربه فارة قال فرق
لمقالهما قلب الوالي

(قوله شحط) أي بعد (واقن الوفاء) أي الزمه وقنيت الحياء بكسر النون أقنيه قنيا لزمته (أخل) نقص (بما اشترطت وما اشترط) أي بما جعلتما بينكما من علامة ومنه أشراط الساعة أي علاماتها ومنه الشرط لان لهم علامة يعرفون بها (مهذبا) مخلصا و(الشطط) مجاوزة القدر قال الفضيل بن عياض من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ وقال الحرث المحاسبي ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الامانة وقال النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(وقال يزيد بن محمد الباهلي)

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

(قوله قط) بمعنى الدهر والابد و(الحسنى) الفعل الحسن (فقط) حسب (لزا) ربطا (النمط) ثوب من الصوف المصبوغ والنمط الطريق تقول الزم هذا النمط والنمط النوع من العلم والخير فيريد أن الخير والشر قد نظما في سلك واحد فاذا أتى يوم يرضى أتى بعده يوم بسخط (الجنى) الطري مما يجنى فعيل بمعنى مفعول وأصل مجنى مجنوي فأعل و(الملتقط) من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة أي اخترتها او تخيتها أبو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الناس اليوم كشجرة ذات جني و يوشك الناس أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك وان هربت منهم طلبوك قيل فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وأنشد عمر بن الجعد

طب عن الامة نفسا * وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد حرا * أوترد اليوم أمسا
ما وجدنا أحدا يسـ*ـوى على الخبرة فلسا

(قوله نغص) تكدير العيش ونغص الرجل اذا لم يتم له أمره وتكدر عيشه (يشوبها) يخالطها (الشمط) اختلاط الشيب بالسواد و(انتقدت) فتشت و(السقط) من لا خير فيه وللزاهد بن عمران في معنى أبيات الحريري رحمه الله تعالى

اذا وغد جفاك فلا تلمه * لانك ان فعلت أثرت جيفه
وان يصل الكريم عليك فاصفح * ستعطفه اصالته الشريفة
ومن يك بين ذا ك فأغض عنه * تنل مجدا ومرتبة منيفه
وسل الضغن ان آنست ضغنا * ببسط الوجه والحيل اللطيفه

أخذ البيتين الاولين من قول حاتم

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(قوله ينضنض) أي يحرك لسانه (الصل) الحية (يحملق) ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه وذلك نظر الغضبان (المطل) المشرف على فريسته (الشهب) النجوم (روعي) فرارى (توقي) خشية (الافتضاح) الشهرة (أمونه) أتكلف لوازمه (أراعي) احفظ (شؤنه) أموره (يسح) يصب الرزق (الحشو) ما حشي به (بوس) ضر (برني) ثوبي (عارة) أي عارية (تطور) تقرب منه يريد أن

الفأرة ليس لها فيه ما تأكل وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا وقد أعاد هذا المعنى منظوما في الثالثة والثلاثين فقال

وأمحلت ربعي حتى خلت * من ربعي الممحل جرذانه

وحكى الفنجديهي بسنده الى أبي محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا أنسخ في السراج وبين يدي قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة فأخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذي في القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلي ساعة فاذا فأرة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفأرة الاخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة في خلاصها فمضت أختها فأتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل عن الفأرة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شيء فخليت عن الفأرة قال الفنجديهي رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات وعلى ذكر الفأرة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة الى الصاحب منها وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة وجرذان داره عنها منصرفة فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب عنده فعل ان شاء الله تعالى فوقع فيها أحسنت يا أبا حفص قولا وسنحسن اليك فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك في الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله تعالى (قوله أوى) أشفق (غير) تغير وهو من تغير الحال وهو اسم واحد بمنزلة النطع والغير مذكر وجمعه أغيار هذا قول الكسائي ويجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة وهذا قول ابن عمرو يقال للدية غيرة لانها تغير الفؤاد الى الرضا به (صبا) مال (الاسعاف) قضاء الحاجة (النظارة) الناس الناظرون اليه (متشوفا) متطلعا (وسمه) علامته (يسفر) يكشف (يفرج) يفتح لي فرجة (تقوضت) تفرقت وأصلها الهدم (أجفل) أسرع المشي (توسمته) نظرته (مغزاه) مذهبه ومقصده (انقض) انحط وأنصب (استعرف) أعرفه بنفسي (زجرني) انتهرني (ايماض) اشارة بالعين خفية وكثيرا ما يصرف الحريري في المقامات تنبيه أبي زيد لابن همام على نفسه بخفي الاشارة المغنية عن تصريح العبارة وهو مذهب العرب ونبلاء أهل الادب وقد قالوا رب كناية تغني عن ايضاح ورب لحظ يدل على ضمير وفي اشارة اللحظ يقول الشاعر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال أبو نواس

لهفي على النجل العيون * النهد القب البطون
الناطقات عن الضمير * لنا بالسنة الجفون

(وقال المهدي بن المنصور)

ومطلع من نفسه ما يسره * عليه من اللحظ الخفي دليل
اذا هو لم يبد الذي في ضميره * ففي اللحظ والايماء منه رسول

وأوى لهما من غير الليالي وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وأمر النظارة بالانصراف (قال الراوي) وكنت متشوفا الى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه اذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوضت الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فاذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكنت أنقض عليه لاستعرف اليه فزجرني بايماض طرفه

وقال

وقال تميم بن المعتز سبحان من خلق الخدو * دشقائقا تتبسم
وأعارها الالحاظ فهي * بلحظها تتكلم

وقال آخر العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال أعرابي وليل لم يقصره رقاد * وقصر طوله وصل الحبيب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عد الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ * فترجمت العيون عن القلوب

(وقال الحسن بن بشير)

أما ترى لي ناظرا شاهدا * بالحب والاعين رسل القلوب
ودون الحاح جفوني هوى * يخبر عما في ضمير الكئيب
وأنت لا شك به عالم * لان عند اللحظ علم الغيوب

(وقال الاحوص)

ودعتهن ولا شيء يراجعني * الا البنان والا الاعين السجم
اذا أردن كلامي عنده عرضت * من دونه عبرات فارعوى الكلم
مسندات وقد مالت سوالفها * ومابهن سوى مس الهوى ألم

(وقال ماني الموسوس)

بنان بد تشير الى بنان * تجاوبنا وماتتكلمان
جرى الايماء بينهما رسولا * فاحكم وحيه المتناجيان
فلو أبصرتنا لغضضت طرفا * عن المتحدثين بلا لسان

والباب لايحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة (قوله واستوقفني بايماء كفه) أي أمرني بالوقوف والايماء الاشارة (مرامك) مرادك (مقامك) تلبثك ووقوفك (أنيسي) صاحبي الذي أتأنس به (فتسمح بتأنيسي) أي أولاني منه المؤانسة (رخص) لين وسهل (أفاض) صب (خلعتين) كسوتين (والنصاب) عشرون دينارا و(العين) الذهب (استعهدهما) استحلفهما (يتعاشرا) يتصاحبا (اظلال) قرب ودنو (اليوم المخوف) يوم موته (ناديه) مجلسه (مشيدين) رافعين بشكره أصواتهما (أياديه) نعمه (مثواهما) مسكنهما (فحواهما) معنى كلامهما ويروى نجواهما أي سرهما (أجزنا) خلفنا (أفضينا) وصلنا (الفضاء) المتسع من الارض (جلاوزته) شرطه واحدهم جلواز والجلاز عقب ملوي على القوس وجلزت القوس والسوط والسكين عصبتهما بالعقب فسموا جلاوزة لانهم يعصبون بالسياط الناس عند الضرب أولان السياط لاتفارق أيديهم والجلز الشد وهم يربطون الناس ويشدونهم (مهيبا) داعيا حوزته موضعه الذي يحميه ويحوزه (استحضرني) طلب حضوري (يستخبرني) يسألني خبره (أجول) أنصرف وأمشي أي علمني في أي غرض من الحديث آخذ معه (غباوة) جهل ورجل غبي غير فطن (تلعابي بلبه) أي لعبي بعقله والتلعاب بنية المبالغة (يستشري) يتشر (طيشه) خفته من الغضب (يسري) يسير (بطشه) ايقاعه وتناوله بما يكره (الرها) بلد من كورة الجزيرة تجاور ها الرقة

واستوقفني بايماء كفه فلزمت موقفي وأخرت منصرفي فقال الوالي ما مرامك ولاي سبب مقامك فاشدره الشيخ وقال انه أنيسي وصاحب ملبوسي فتسمح عند هذا القول بتأنيسي ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لاعرف مثواهما وأتزود من فحواهما فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا الى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبا بي الى حوزته فقلت لابي زيد ما أظنه استحضرني الا ليستخبرني فاذا أقول وفي أي وادعه أجول فقال بين له غباوة قلبه وتلعابي بلبه ليعلم ان ريحه لاقت أعصارا وجدوله صادف تيارا فقلت أخاف أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشري طيشه فيسري اليك بطشه فقال اني أرحل الآن الى الرها

وحران سميت باسم صاحبها الرها بن البلوى بن مالك بن ذعر وهو أول من نزلها وقال المعقوبى الرها من ديار مصر وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الانهار وبها الكنيسة التى للنصارى وهى احدى عجائب الدنيا الموصوفة وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس فخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له فلقيه سائل فسأله شيأ يدفئه فقال والله ما أملك غير جبتى هذه فقال السائل ألا تحب أن تكون من الذين قال الله تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فدفعها اليه (أنى) كيف (سهيل والسها) كوكبان لا يلتقيان لان السها نجم خفى فى بنات نعش وبنات نعش لا تغرب أبدا فى بلاد أرمينية وفى سمتها بلاد الشام والمغرب والاندلس وسهيل لا يرى فى شئ من هذه البلاد الارؤية لا يعتدبها فى أيام قلائل فلا يلتقى سهيل والسها بوجه وانما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى ربيعة حيث قال

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحرث وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فضرب لها عمر المثل بالكوكبين وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها وأفاد عدم الالتقاء وسهيل هو كوكب أحمر يخيل اليك لشدة اضطرابه أنه يستدير وقال المعرى فى صفته فأحسن

وسهيل كوجنة الحب فى اللو * ن وقلب المحب فى الخفقان
مستدير كأنه الفارس المعـ * ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى أحمرار كما تسـ * ـرع باللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادى * فبكت رحمة له الشعرتان
قدماه وراءه وهو فى العجـ * ـز كساع ليست له قدمان

قالوا ولا تقع عين بعير على سهيل الامات من حينه وقد أشار المعرى الى هذا فى قوله

لا تحسبن أبلى سهيلا طالعا * بالشأم فالمرئى شعلة مقبس

ومتى طلع صرفت الابل كلها وجوهها عن مطلعه وقابلته بأعجازها وقال المتنبى

وتنكر قتلهم وأنا سهيل * طلعت بموت أولاد الزناء

وفى معنى تخويف ابن همام للسروجى بعقاب الوالى ما حدث ان أبا الحسن العباس بن حيون دخل عليه فى السجن من أعلمه أن ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد مفرا فقال لمعلمه بالخبر وأحسن فى قوله

تخوفنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل * سيبلغ حيث بلغه الكتاب

(قوله انجلى) أى زال وانكشف (نشدتك) حلفتك (الدست) الاول هو الثوب والثانى المجلس والثالث هو الاول والرابع هو الخداع والحيلة وقد قدمه فى الحادية عشرة حيث قال متى مادسته ثم (ازورت مقلتاه) اعوجت عيناه وتغير نظرهما (والوجنتان) ما أحاط بالعين من أسفل (أعجزنى) غلبنى (فضح مريب) كشف متهم (تطلس) لبس الطيلسان وهو من لباس الخواص

وأنى يلتقى سهيل والسها فلما حضرت الوالى وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال نشدتك الله ألست الذى أعاره الدست فقلت لا والذى أحلك فى هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك الدست بل أنت الذى تم عليه الدست فازورت مقلتاه وأحمرت وجنتاه وقال والله ما أعجزنى قط فضح مريب ولا تكشيف معيب ولكن ما سمعت بأن شيخا دلس بعد ما تطلس وتقلس

وهو كساء خز (لبس) خلط (سكع) ذهب (اللكع) اللئيم العاجز قال بعض أهل العلم كان يقال خمس خصال من أقبح شيء فمن كن فيه الحدة في السلطان والكبر في ذي الحسب والبخل في الغني والحرص في العالم والفسق في الشيخ وثلاث هن أحسن شيء فمن كن فيه تؤدة لغير ذل وجود لغير ثواب ونصب لغير الدنيا (أشفق) خاف (تعدى طوره) تجاوز قدره (ظعن) رحل (فوره) حينه (نوى) بعد وسفر (كلاءه) حفظه (ثوى) أقام (زاولت) حاولت (نكره) منكره (مكره) خداعه (أوغلت) أبعدت (أوقع به) أتناوله بالشر والمكروه والضرب وقال أبو حازم في معنى دعاء الوالي على السروجي

اذا استقلت بك الركاب * فحيث لا درت السحاب
زالت سراعا وزلت تجري * بينك الظبي والغراب
بحيث لا يرتجى اياب * وحيث لا يبلغ الكتاب

والذي استعمل الناس في الدعاء على الغائب أن لا يرجع قول زهير

(لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم)

(وقال آخر)

(كما سار الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومثل هذا رقية المرأة اذا سافر زوجها قالت نافرك القمر وظل الشجر شمال تشمله ودبور تدبره ونكباء تنكبه شيك ولا انتقش وتعس ولا انتعش ثم ترمي اثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول حصاة حص أثره ونواة نأت داره وروثة راث خبره وبعرة تبعره ولو أوغل في طلبه كما ذكر فأدركه لانشده السروجي

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

(وقال المعري)

اذا ما أخفت المرء جن مخافة * وأيقن أن الارض كفة حابل
يرى نفسه في ظل نفسك قائما * وبينكما بعد المدى المتطاول

(وقال محمد بن هانئ رحمه الله تعالى)

فلا مهيعة في الارض منك منيعة * ولو قطرت من ريق أرقط شجعم
ولو أنها انبسطت بمخلب طائر * ولو أنها باتت على قرن أعصم

وقال أشجع السلمي في الرشيد حين بعث لادريس بن عبد الله العلوي من اغتاله بالمغرب

أتظن يا ادريس أنك مفلت * كيد الخلافة أو يقيك حذار
ان السيوف اذا انتضاها عزمه * طالت وتقصر دونها الاعمار
هيهات الا أن تكون ببلدة * لا يهتدي فيها اليك نهار

(ولابي العرب الصقلي)

كأن بلاد الله كفك ان يسر * بها هارب تجمع عليه الانامل
فأين يفر المرء عنك بجرمه * اذا كان يطوي في يديك المراحل

(قوله تشيع) أي تتصل يقال شاع الخبر في الناس اي اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به

فبهذا تم له أن لبس أقتدري أين سكع ذلك اللكع قلت أشفق منك لتعدي طوره فظعن عن بغداذ من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلاءه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة أدبه لاوغلت في طلبه الى أن يقع في يدي فأوقع به واني لاكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين الانام

ويقال سهم شائع ومشاع اذا كان في جميع الدار فاتصل كل جزء منه بكل جزء منها واصله في الناقة يقال أوزعت الناقة ببولها ايزاعا اذا فرقته فاذا أرسلته متصلا قيل أشاعت به (تحبط) تسقط وتبطل (مكاتي) منزلتي (ضحكة) يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول وتحريكها للفاعل (أفوه) أنطق (اعتمد) أي قصد من الخداع (حلا) مقيما (يتاول) يحتال ليمينه فيحملها في الباطن على غيرما أوقعها في الظاهر عليه فيريد أنه ثبت له اليمين (السموأل) هو ابن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وقصة وفائه ان امرأ القيس لما ألح المنذر في طلبه لحق بعمرو بن جابر بن مازن يستجير به فقال له يا ابن حجر اني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس بك أفلا أدلك على رجل لم أر أحسن جوارا منه فدله على السموأل بتيماء ووصف له حسبه وحصنه فقال ومن لي به فقال أصحبك من يوصلك اليه فأصحبه الربيع بن ضبع وكان الربيع يأتي السموأل ويمدحه فيحمله ويعطيه فمشوا حتى قدموا على السموأل فأنشدوه اشعارا فعرف حقهم وأنزل هندا بنت امرئ القيس في قبة من أدم وأنزل القوم في مجلس له براح فكان عنده ماشاء ثم طلب أن يكتب له للحرث بن أبي شمر الغساني بالشأم ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وأدراعه الخمس وهي الفضفاضة والصافية والمحصنة والخريق وأم الذيول وكن لبني آكل المرار وهم أجداده يتوارثن ملكا عن ملك فمضى الى قيصر وأقام عنده حتى جهزه بجيوش ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما لبسها تقطع لحمه ومات فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل فبعث اليه أن يعطيه أدراع امرئ القيس وماترك عنده من المال فقال له انما أدفع ذلك لابنته ولورثته فحاصره في الحصن حتى أخذ ابناله صغيرا فقال للسموأل اما أن تعطيني ماترك امرؤ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لاوفيت له في حياته وأغدره بعد وفاته أبدا فشأنك بابني فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته وقال

وفيت بأدرع الكندي اني * اذا ماخان أقوام وفيت
وقالوا انه كنز عظيم * ولا والله أغدر ماحييت
بنى لي عاديا حصنا حصينا * وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل في الوفاء وانظر في الثلاثين ابتداء الحكاية

وتحبط مكاتي عند الامام وأصير ضحكة بين الخاص والعام فعاهدني على أن لا افوه بما اعتمد مادمت حلا بهذا البلد

(قال الحرث بن همام)

فعاهدته معاهدة من لايتأول ووفيت له كما وفى السموأل

(قصة وفاء السموأل)

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله شرح المقامة الرابعة والعشرين)